

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحديث في النسخ

عَلَى الْكُورَانِي الْعَلَمِي

المجلد الثاني

الطبعة الأولى

٢٠٢١-١٤٤٣



دار المعارف
للطباعة والنشر

سرشناسه : کوراني، علي، Kurni، Ali ۱۹۴۴ - م.
 عنوان و نام پدیدآور : الجديد في النبي صلى الله عليه و اله / علي الكوراني العالم.
 مشخصات نشر : قم : نشر معروف، ۱۴۴۲ ق. = ۲۰۲۱ م. = ۱۴۰۰ -
 مشخصات ظاهري : آج.
 شابک : دوره ۲- ۸۹۱۶-۵۱-۰۵۱-۵ : ج ۱ : ۹۷۸-۶۰۰-۸۹۱۶-۵۲-۹ : ج ۲ : ۹۷۸-۶۰۰-۸۹۱۶-۵۳-۹
 وضعيت فهرست نویسی : فیا
 یادداشت : غرق. - یادداشت : ج ۱ و ۲ (جای اول، ۱۴۴۲ ق. = ۲۰۲۱ م. = ۱۴۰۰ ق. (فیا)). - یادداشت : کتابنامه.
 موضوع : محمد(ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق.
 موضوع : Muhammad, Prophet, d - ۶۳۴ - موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق. -- فضایل -
 موضوع : Muhammad, Prophet -- *Virtues
 رده بندی کنگره : B۲۲۴/۹ - رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳ - شماره کتابشناسی ملی : ۸۶۹۱۱۴۹

الجديد في النبي ﷺ

المجلد الثاني

المؤلف: علي الكوراني

• الناشر: دارالمعروف، قم المقدسة.

• الطبعة: الأولى.

• تاريخ النشر: ۱۴۴۲-۲۰۲۱

• المطبعة: باقری - قم المقدسة.

• عدد المطبوع: ۲۰۰۰ نسخة.

شابک: ۹۷۸-۶۰۰-۸۹۱۶-۵۲-۹-۹

شابک دوره: ۹۷۸-۶۰۰-۸۹۱۶-۵۱-۲-۲



دارالمعروف
للطباعة والنشر

مرکز النشر والتوزيع:

ایران - قم المقدسة - شارع مصلى القدس - رقم الدار: ۶۸۲ . ص:ب: ۱۵۸- ۳۷۱۵۶ تلفون: ۳۲۹۳۶۱۷۵ ۳۵(۰)۰۹۸

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للمؤلف

www.marooof.org

Email: nashremarooof@gmail.com



الفصل الحادي والأربعون

أجداد النبي ﷺ من إسماعيل الى قصي

إيمان آباء النبي ﷺ وأجداده الى آدم عليه السلام

قال الصدوق في الإعتقادات/١١٠: (اعتقدنا في آباء النبي أنهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبدالله، وأن أبا طالب كان مسلماً، وأمه آمنه بنت وهب كانت مسلمة.

وقال النبي ﷺ: خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم).

وقال المفيد في أوائل المقالات/٤٥: (اتفقت الإمامية على أن آباء رسول الله ﷺ من لدن آدم إلى عبدالله بن عبد المطلب مؤمنون بالله عز وجل موحدون له. واحتجوا في ذلك بالقرآن والأخبار، قال الله عز وجل: الَّذِي يَبْرَأُ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ. وقال رسول الله ﷺ: لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم هذا).

أقول: استشكل بعضهم في دلالة آية: وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ، على إيمان آباء النبي ﷺ وقال إن معناها تقلبك أنت في المصلين. لكن استدلال المفيد بطهارة آبائه ﷺ قوي: قال في تصحيح الإعتقادات/١٤٠: (الَّذِي يَبْرَأُ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ. يريد به تنقله في أصلاب الموحدين. وقال نبيه ﷺ: ما زلت أنتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني الله تعالى في عالمكم هذا. فدل على أن آباه كلهم كانوا مؤمنين، إذ لو كان فيهم كافر لما استحق الوصف بالطهارة، لقول الله تعالى: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ، فحكم على الكفار بالنجاسة، فلما قضى رسول الله ﷺ بطهارة آبائه كلهم ووصفهم بذلك، دل على أنهم كانوا مؤمنين). وفي كمال الدين/١٧٤، وسنده صحيح: (قال الأصمغ بن نباته: سمعت أمير المؤمنين صلوات الله

عليه يقول: والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط. قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به).

وفي فتح الباري (١٢٥/٧): «وقد روى أبو جعفر بن حبيب في تاريخه المحبر من حديث ابن عباس قال: كان عدنان، ومعد، وربيعة، ومضر، وخزيمة، وأسد، على ملة إبراهيم فلا تذكرهم إلا بخير».

وفي علل الشرائع (١٣٤/١): (عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد نسبح الله يمناً العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عز وجل من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة، حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب فقسماً بنصفين، فجعلني في صلب عبد الله، وجعل علياً في صلب أبي طالب). والأصلاب والأرحام الطاهرة تعني طهارتهم وإيمانهم.

لم يعبد قصي الأصنام ولا أجداد النبي ﷺ

رووا عن قصي أنه كان يقول: (ولدي أربعة رجال فسميت اثنين بإلهي وواحدًا بداري وواحدًا بنفسي. فكان يقال لعبد بن قصي عبد قصي واللذين سماهما بإلهه عبد مناف وعبد العزى، وبقاره عبد الدار). (الطبقات: ٧٠/١).

ويشكلون على هذا أن مناف صنم والعزى صنم، وهذا يعني عبادة قصي لأصنام خزاعة التي أنهى حكمها لمكة، أو احترامه لأصنامها.

والجواب: أنه لم يسم ابنه عبد مناف، بل سمته أمه أو الناس، على أن صنم مناف المدعى لم يعرف أين كان، فقد قال المؤرخ ابن الكلبي في كتابه الأصنام (٢٠٤/١)، إنه لا يعرفه، قال: (وكان لهم أيضاً مناف فبه كانت تسمى قريش عبد مناف، ولا أدري أين كان، ولا من نصبه).

وفي تاريخ دمشق (٦/٤٢): (قال سمعت أحمد بن حنبل يقول: علي بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب شيبه بن هاشم، واسم هاشم عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة بن قصي، واسم قصي زيد بن كلاب، بن مرة، بن كعب بن لؤي).

وفي الروض الأنف للسهيلي (٨٣/٢): (أن قصياً كان سمى ابنه عبد قصي، وقال: سميته بنفسي وسميت الآخر بدار الكعبة، يعني عبد الدار، ثم إن الناس حولوا اسم عبد بن قصي، فقالوا

عبد قصي، وقال الزبير أيضاً: كان إسم عبد الدار عبد الرحمن).
فهذه النصوص تدل على أن عبد مناف وعبد العزى وعبد الدار شهرة وليست الإسم الأصلي،
على أن العرب توسعوا في كلمة عبد فيما لا يدل على العبادة.

واجنبني وبنّي أن نعبد الأصنام: دعوة عامة أو خاصة؟

قال الله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ
كثيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَصْغَيْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي
زُرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ.

والسؤال: هل استجاب الله دعوة إبراهيم عليه السلام هذه لذريته وجنب إسماعيل وأبناءه وإسحاق
وأبناءه عبادة الأصنام؟

قد يقال: إن دعوات الأنبياء عليهم السلام مستجابة، وإبراهيم من كبارهم عليهم السلام.
ويجاب عنه بأنه قد أراد الإمامة لذريته، فاستجاب له الله في بعضهم لا في كلهم: قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ
لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ.

وقيل: إن دعاء إبراهيم عليه السلام استجاب في جميع ذريته فلم يعبد أحد منهم الأصنام وإن كفر
بعضهم بأنهم جعلوا الأصنام شفعاء!

ويظهر أن استجابة دعائه كانت في خط أجداد النبي ﷺ، فلم يعبد أحد منهم الأصنام.
ويؤيده رواية العياشي (٦٠/١): (عن أبي عمرو والزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن
أمة محمد ﷺ من هم؟ قال: أمة محمد بنو هاشم خاصة قلت: فما الحجة في أمة محمد أنهم أهل
بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: قول الله: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ
أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. فلما أجاب الله إبراهيم وإسماعيل عليه السلام وجعل من ذريتهما أمة مسلمة وبعث فيها
رسولاً منها يعني من تلك الأمة، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ردف
إبراهيم دعوته الأولى بدعوة أخرى فسأل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة الأصنام ليصح أمره

فيهم ولا يتبعوا غيرهم، فقال: **وَاجْتُنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.** فهذه دلالة على أنه لا تكون الأئمة والأمة المسلمة التي بعث فيها محمد ﷺ إلا من ذرية إبراهيم عليه السلام لقوله: **وَاجْتُنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ.**

وهذا يتضح خطأ بعض المفسرين بأن أحداً من ذرية إبراهيم لم يعبد صنماً، كما رواه الطبري عن مجاهد في تفسيره (٢٩٩/١٣): (عن مجاهد قال: فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته. قال: واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات وجعله إماماً وجعل من ذريته من يقيم الصلاة، وتقبل دعاءه فأراه مناسكه وتاب عليه). بل إن أولاد إسماعيل عليه السلام عبدوا الأصنام، إلا خط آباء النبي ﷺ فلم يعبدوا صنماً، ولم يعتقدوا شفاعة الأصنام.



كانت طسم وجديس قبل إبراهيم عليه السلام

قال المسعودي (مروج الذهب: ٢٥/٢): (وأما طسم وجديس فتفانت في نحو من سبعين سنة في البراري، بما كان بينهم من الشَّحناء وطلب الرياسة فدثروا، ولم يبق لهم باقية، فضربت بهم العرب المثل)!

وقال الطبري (٦٢٩/١): (كان أمرهم في أيام ملوك الطوائف، وإن فناء جديس كان على يد حسان بن تبع).

ويظهر أنهم كانوا قبل إبراهيم عليه السلام وأن الكعبة كانت موجودة فخربوها! ففي التبيان (٣٠٠/٦)، ومجمع البيان (٨٥/٦): (إن البيت قد كان قبل ذلك (بناء إبراهيم) وإنما خربه طسم وجديس).



كان العمالقة يسكنون في مكة قبل إسماعيل عليه السلام

في دعائم الإسلام (٢٩٢/١) عن علي عليه السلام: (فأتاه جبرئيل عليه السلام بالحجر الأسود، فجاء إسماعيل وقد وضعه إبراهيم عليه السلام موضعه فقال: من جاءك بهذا؟ فقال: من لم يتكل على بنائك).

فمكث البيت حيناً فانهدم فبنته العمالقة، ثم مكث حيناً فانهدم فبنته جرهم، ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله يومئذ غلام).

وقال في فتح الباري (١١١/٧): (وروى إسحاق بن راهويه عن علي في قصة بناء إبراهيم البيت قال: فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة، فكان النبي فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل).



وفي تاريخ أبي الفداء (٩٨/١): (وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام. ولما تبلبلت الألسن نزلت العمالة بصنعاء من اليمن، ثم تحولوا إلى الحرم وأهلكوا من قاتلهم من الأمم، وكان من العمالة جماعة بالشام وهم الذين قاتلهم موسى، ثم يوشع عليه السلام بعده فأفناهم).

ودل الحديث الصحيح عندنا في الكافي (٢٠١/٤) على أن العمالة كانوا حول مكة لما أسكن إبراهيم هاجر وإسماعيل عليه السلام فيها، قال الإمام الصادق عليه السلام: (لما ولد إسماعيل حمله إبراهيم عليه السلام وأمه على حمار وأقبل معه جبرئيل عليه السلام حتى وضعه في موضع الحجر ومعه شيء من زاد وسقاء فيه شيء من ماء، والبيت يومئذ ربوة حمراء من مدر، فقال إبراهيم عليه السلام لجبرئيل هاهنا أمرت؟ قال: نعم. ومكة يومئذ سلمٌ وسمرٌ، وحول مكة يومئذ ناس من العماليق).

وهذا يتناسب مع رواية بناء العمالة للبيت لما ضعف بناء إبراهيم عليه السلام، فساعدوا أبناء إسماعيل عليه السلام وأنفقوا وعملوا في بنائه. وتكون جرهم بنته ثانية.



وفي البلدان لابن الفقيه الهمداني ٨٦: (وكانت منازل طسم وجديس اليمامة وما حولها إلى البحرين، ومنازل عاد الأولى الأحقاف وهو الرمل ما بين عمان إلى عدن، وكانت مساكن غسان بيثرب، ومساكن أميم بالرمل، ومساكن جرهم بتهائم اليمن، ثم لحقوا بمكة فنزلوا على إسماعيل عليه السلام، وكانت منازل العماليق موضع صنعاء اليوم، ثم خرجوا فنزلوا مكة، ولحقت طائفة منهم بالشام ومصر، وتفرقت طائفة منهم في جزيرة العرب إلى العراق، ويقال: إن فراعنة مصر كانوا من العماليق..).

وملك الحجاز رجل من العماليق يقال له الأرقم، وكان الضحاك من العماليق، غلب على ملك العجم بالعراق، وهو فيما بين موسى وداود).



العمليق: هو المتفنن في الكلام، المخادع، وليس بمعناه الذي نستعمله في عصرنا.
ففي النهاية لابن الأثير (٣/٣٠١): (أن خباباً أنه رأى ابنه مع قاص فأخذ السوط وقال: أمع ال
عمالقة؟! والعمالقة: الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عاد، الواحد عمليق وعمالق.
يقال لمن يخدع الناس فشيبه القصاص بهم).

فالعمالقة هنا صفة لا قبيلة، وقد سمي النبي ﷺ المنحرفين بالعمالقة فقال في حجة الوداع:
لأقاتلن العمالقة في كتيبة، فقال له جبرئيل عليه السلام: أو علي. (الحاكم: ٣/١٢١، والمناقب: ٣/٢٠).
والعمالقة في كلام علي عليه السلام قبيلة، قال: (وإن لكم في القرون السالفة لعبرة. أين العمالقة
وأبناء العمالقة. أين الفراعنة وأبناء الفراعنة). (نهج البلاغة: ٢/١٠٥).

وفي الإختصاص ٢٦٥/٢: «وكانت جرهم حول الكعبة سكنت بعد العماليق. وسموا عماليق،
لأن أباهم كان عملاق بن لود بن سام بن نوح».
وفي الفقيه (٢/٢٣٣): «وأقام إسماعيل عليه السلام فتزوج إسماعيل امرأة من العمالقة وخلي سبيلها،
وتزوج أخرى حميرية فكانت عاقلة».

فالعمالقة والعمالق والعمليق، مشترك بين المنتسب لقبيلة العمالقة، وبين المتفنن في الكلام
لخداع الناس. وليس فيه معنى الكبير أو النابغ، كما نستعمله في عصرنا.
وفي نهاية الإرب (١/١٩٦): (وقيل إنما نزلت جرهم الحجاز مع بني قطورا من العمالقة لقطط
أصاب اليمن، ثم غلبت جرهم العمالقة على مكة وملكوا أمرها، ولم يزلوا بمكة إلى أن نزل
إسماعيل عليه السلام مكة فنزلوا عليه فتزوج منهم وتعلم لغتهم، وقدم عليه الخليل عليه السلام وقاما
ببناء البيت وتولاه إسماعيل ثم بعض بنيه. ثم استولت جرهم على أمر البيت وتفرقت
قبائل اليمن بسيل العرم، فنزلت خزاعة مكة وغلبوا جرهم عليها، فخرجت جرهم من مكة
ورجعوا إلى ديارهم في اليمن فأقاموا بها حتى هلكوا).

قبيلة جرهم وأبناء إسماعيل عليه السلام

(تزوج إسماعيل عليه السلام من ابنة مضاض بن عمرو الجرهمي، فأولد منها اثني عشر ولداً هم:
نابت بن إسماعيل، وقيدار، وأدبيل، ومشيا، ومسمع، ودما، وماس، وأدد، وطور، ونفيس،

وطما، وقيدمان. وذكروا أن إسماعيل عمّر مائة وثلاثين سنة). (تاريخ الطبري: ١/٢٢١).

وقال البلاذري (٨/١): (قبض الله عز وجل نبيه إسماعيل، وقام بأمر البيت بعده قيذر بن إسماعيل، وأمه جرهمية. ثم نبت بن قيذر، ثم تيمن بن نبت، ثم نابت بن التيمس بن تيمن بن نبت. فلما مات نابت، غلبت جرهم على البيت، فكانوا ولاته وقوامه ما شاء الله. وتفرق ولد إسماعيل من العرب بتهامة، وفي البوادي والنواحي إلا من أقام حول مكة من ولد نزار تبركاً بالبيت. فلما أرسل الله جل وعز على ولد سبأ بمأرب سيل العرم وهو سد كان لهم بين جبلين، تفرقت الأسود وانخزعت منها خزاعة، وهم وُلد الحُيَّ بن حارثة، وأفصى بن حارثة بن عمرو، مزيقيا، فنزلوا بظهر مكة. فلم يزالوا يكثرون وتقل جرهم لاستخفافهم بالبيت وفجورهم فيه، حتى غلبتهم خزاعة وألفافها على مكة وطردهم عنها، فدخل بعضهم في قبائل اليمن. ونزل بعضهم بين مكة ويثرب فأصابهم الداء الذي يعرف بالعدسة، فهلكوا).

وقال عمرو بن الحارث الجرهمي في خروجهم من مكة:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع واسطاً فجنوبه إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والحدود العواثر
وكنا ولادة البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر).

ذكر الزركلي في الأعلام (٥٤/٢)، أن (البشر بن عمرو بن الحارث الجرهمي: آخر ملوك جرهم في الحجاز وتهامة، كان في عصر بلقيس ملكة سبأ وتابعا لها. وتغلب العمالة على بلاده، فبقيت له سدانة البيت الحرام والسقاية).

اختلاف أبناء إسماعيل كان سبب تفرق العرب!

كان أبناء إسماعيل يتوارثون ولاية البيت كابرًا عن كابر كما قال الإمام الباقر عليه السلام، وكانوا رجال دين في ظل حكم أخوالهم جرهم، لكن لو اتحدوا لكانوا هم حكام مكة وحكام العرب، ولما سمحوا لخزاعة أن تنصب الأصنام في مكة!

قال أمير المؤمنين عليه السلام (نهج البلاغة: ١٥٢/٢): (فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني

إسرائيل. فما أشد اعتدال الأحوال وأقرب اشتباه الأمثال. تأملوا أمرهم في حال تشنتهم وتفرقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم، يحتازونهم عن ريف الآفاق، وبحر العراق وخضرة الدنيا إلى منابت الشيوخ، ومهافي الرياح، ونكد المعاش. فتركوهم عالة مساكين، إخوان دبر ووبر، أذل الأمم داراً، وأجذبهم قراراً. لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزاها. فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة. في بلاء أزل، وإطباق جهل! من بنات موءودة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة).

أذن الله بهلاك جرهم فتسلطت أياد ثم خزاعة

في هداية الأمة (١٩٤/٥): (قال الإمام الباقر عليه السلام: بغت جرهم بمكة فاستحلوا حرمتها، وأكلوا مال الكعبة، فبعث الله عليهم الرعاف والنمل وأفناهم).

وقال اليعقوبي (٢٢٢/١): (وافترق ولد إسماعيل يطلبون السعة في البلاد، وحبس قوم أنفسهم على الحرم فقالوا: لا نبرح من حرم الله).

ولما توفي نابت، وقد تفرق ولد إسماعيل، ولي البيت المضاض بن عمرو الجرهمي، جد ولد إسماعيل... ثم ملك الحارث بن مضاض بن عمرو، وكان آخر من ملك من جرهم. وطغت جرهم وبغت وظلمت وفسقت في الحرم، فسلط الله عليهم الذر، فأهلكوا به عن آخرهم).

وفي أعلام الزركلي (١١٨/٢): (جرهم بن قحطان: جد جاهلي يمني قديم. كان له ولبنيه ملك الحجاز، ولما بني البيت الحرام بمكة كان لهم أمره، وأول من وليه منهم الحارث بن مضاض، إلى أن غلبتهم عليه خزاعة، فهاجروا عائدين إلى اليمن. وهشام الكلبي النسابة كتاب: أخبار جرهم).

وفي الكافي (٢١٩/٤): (كان في الكعبة غزالان من ذهب وخمسة أسياف، فلما غلبت خزاعة جرهم على الحرم ألقوا جرهم الأسياف والغزالين في بئر زمزم وألقوا فيها الحجارة وطموها وعموا أثرها، فلما غلب قصي على خزاعة لم يعرفوا موضع زمزم، وعمي عليهم موضعها، فلما غلب عبد المطلب وكان يفرش له في فناء الكعبة ولم يكن يفرش لأحد هناك غيره، فبينما هو نائم في ظل الكعبة فرأى في منامه آتاه آت فقال له: إحفر برة، قال: وما برة؟

ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: إحفر طيبة، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال: إحفر المصونة قال: وما المصونة؟ ثم أتاه في اليوم الرابع فقال: إحفر زمزم لا تنزع ولا تدم سقي الحجاج الأعظم عند الغراب الأعصم، عند قرية النمل. وكان عند زمزم حجر يخرج منه النمل فيقع عليه الغراب الأعصم في كل يوم يلتقط النمل، فلما رأى عبد المطلب هذا عرف موضع زمزم فقال لقريش: إني أمرت في أربع ليال في حفر زمزم وهي مأثرتنا وعزنا فهلّموا نحفرها فلم يجيبوه إلى ذلك، فأقبل يحفرها هو بنفسه وكان له ابن واحد وهو الحارث وكان يعينه على الحفر..).

وفي البدء والتاريخ للبلخي (١٢٧/٤): (وليت خزاعة البيت ثلاث مائة سنة يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم حليل بن حبش الخزاعي، وقريش إذ ذاك صريح ولد إسماعيل حُلُولٌ وَصُرْمٌ وبيوتات متفرقة، إلى أن أدرك قصي وتزوج بحبى بنت حليل بن حبش وولدت له عبد مناف وعبد العزى وعبدأ وكثر ولده وعظم شرفه، وهلك حليل بن حبش فرأى قصي أنه أولى بالكعبة من خزاعة فأخذ ما بأيديهم. وقصي أول من أصاب ملكاً من العرب من قريش بعد ولد إسماعيل وذلك في زمن المنذر بن النعمان على الحيرة والملك بهرام جور في الفرس، فقطع قصي مكة أرباعاً وبنى بها دار الندوة، فلا تتزوج امرأة إلا في دار الندوة، ولا يعقد لواء ولا يعذر غلام ولا تدرع جارية إلا فيها، وسميت الندوة لأنهم ينتدون فيها للخير والشر).

وفي تاريخ مكة للمكي الحنفي ٥٨١: (عن ابن جريج وابن إسحاق قالا: أقامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت والحكم بمكة ثلاث مائة سنة، وكان بعض التبابعة قد سار تبع إليه وأراد هدمه وخربه، فقامت دونه خزاعة فقاتلت عليه أشد القتال حتى رجع، ثم جاء آخر فكذلك. وأما تبع الثالث الذي نحر له وكساه وجعل له غلقاً، وأقام عنده أياماً ينحر كل يوم مائة بدنة لا يرزأ هو ولا أحداً من عسكره شيئاً منها، يردها الناس في اللخاخ والشعاب فيأخذون منها حوائجهم ثم يقع الطير عليها فيأكل، ثم يتناهبها السباع إذا أمست لا يرد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع، ثم رجع إلى اليمن، إنما كان في عهد قريش).

أقول: إن مدة حكم العماليق وجرهم وخزاعة لا تغطي حياة أبناء إسماعيل على مدى ألفين وخمسة مئة سنة. والمؤكد أنهم لما فقدوا الحكم تحولوا إلى سدنة وخدم للبيت يعبدون الله في الحرم، ويعلمون الناس مراسم الحج.

حكمت قبيلة أياد بن نزار مكة بعد جرهم

قال الفاكهي في أخبار مكة (١٤٥/٥): (قال عيسى بن بكر الكناني: ثم وليت حجابة البيت إياد، فكان أمر البيت إلى رجل منهم يقال له: وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد، فبنى صرحاً بأسفل مكة عند سوق الخياطين اليوم، وجعل فيه أمةً يقال لها الحزورة فيها سميت حزورة مكة، وجعل فيه سُلماً، وكان يرقاه، ويقول بزعمه إنه يناجي الله تعالى، وكان ينطق بكثير من الخير يقوله، وقد أكثر فيه علماء العرب فكان أكثر من قال فيه أن قال: إنه كان صديقاً من الصديقين، وكان يتكهن ويقول: مرضعةُ فاطمة، ووادةٌ وقاطعةٌ، والقطيعة والفجيعة، وصلة الرحم وحسن الكلم، يقول: ربكم ليحزين بالخير ثواباً، وبالشر عقاباً، وكان يقول: من في الأرض عبيد لمن في السماء، هلك جرهم وأزيلت إياد، وكذلك الصلاح والفساد. حتى إذا حضرته الوفاة جمع إياداً، فقال **إسمعوا وصيتي**: الكلام كلمتان، والأمر بعد البيان: من رشد فاتبعوه ومن غوى فافضوه، وكل شاة معلقة برجليها. فكان أول من قالها فأرسلها مثلاً، فمات وكيع، فنعى على رؤوس الجبال، فقال بشر بن الحجير:

ونحن إياد عباد الإله ورهط مناجيه في سلم

ونحن ولادة حجاب العتيق زمان النخاع (العذاب) على جرهم

ثم إن مضر أدিলت بعد إياد، وكان أول من ديل منها عدوان وفهم وإن رجلاً من إياد ورجلاً من مضر خرجا يصيدان، فمرت بهما أرنب فاكتنفا بها يرميانها، فرماها الإيادي فزل سهم فنظم قلب المضري فقتله، فبلغ الخبر مضر فاستغاثت بفهم وعدوان يطلبون لهم قود صاحبهم، فقالوا: إنما أخطأه فأبت فهم وعدوان إلا قتله، فتناوش الناس بينهم بالمدور وهو مكان، فسمت مضر من إياد ظفراً فقالت لهم إياد: أجلوننا ثلاثاً فلن نساكنكم أرضكم فأجلوهم ثلاثاً فظعنوا قبل المشرق، فلما ساروا يوماً أتبعتهم فهم وعدوان حتى أدركوهم، فقالوا: ردوا علينا نساء مضر المتزوجات فيكم، فقالوا: لا تقطعوا قرابتنا، أعرضوا على النساء، فأية امرأة اختارت قومها رددتها، وإن أحببنا الذهاب مع زوجها أعرضتم لنا عنها، قالوا: نعم، فكان أول من اختار أهله امرأة من خزاعة.

فلما كانت الليلة الثانية حسدوا مضر أن تلي الركن الأسود، فحملوه على بعير، فبرك فلم يقم، فغيروه فلم يحملوه على شيء إلا رَزَحَ وسقط، فلما رأوا ذلك بحثوا له تحت شجرة فدفنوه، ثم ارتحلوا من ليلتهم! فلما كان بعد يومين افتقدت مضر الركن فعظم في أنفسها وقد كانت شرطت على إباد كل متزوجة فيهم، فكانت امرأة من خزاعة فيأقولون، يقال لها: قدامة متزوجة في إباد، فأبصرت إباداً حين دفنت الركن فقالت لقومها حين رأت مشقة ذهاب الركن إلى مضر: خذوا عليهم أو يولوكم حجابة البيت وأدلكم على الركن، فقالوا لهم إن دللناكم على الركن أتجعلونا ولاية؟ قالوا: نعم. وقالت مضر جميعاً: نعم، فدلتهم عليه فأعادوه في مكانه وولوه فلم يبرح في أيدي خزاعة حتى قدم قصي مضر، فكان من أمره الذي كان).

وقال المسعودي في مروج الذهب (٢٤/٢): (ثم صارت ولاية البيت في ولد إباد بن نزار بن معد، وكانت حروب كثيرة بين مضر وإباد، وكانت لمضر على إباد، فانجلوا عن مكة الى العراق). أقول: قبيلة إباد بن نزار عدنانية مضرية، وهي غير أباد القحطانية البانية.



ثم حكمت خزاعة فنشرت عبادة الأصنام في العرب!

في معجم البلدان (٤/٥): (حين غلبت خزاعة على البيت ونفت عنه جرهم جعلت العرب عمرو بن لحي رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة، لأنه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة، حتى إن اللات كان يلتُّ له السويق للحج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات، وكان اللات رجلاً من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو بن لحي: لم يمت ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بنياناً، يسمى اللات). وفي المنق لابن حبيب (٢٨٨): (ذكروا أن عمرو بن ربيعة (بن لُحي) عاش ثلاث مائة سنة وخمساً وأربعين سنة، وبلغ ولده في حياته ألف مقاتل.. فكانت بينهم حرب طويلة. ثم إن خزاعة غلبوا جرهماً على البيت، وخرجت جرهم حتى نزلت وادي إضم، فهلكوا فيه).

وفي معجم البلدان (٢٠٤/٥): (كان عمرو بن لُحي وهو أبو خزاعة، وهو الذي قاتل جرهم حتى أخرجهم عن حرم مكة، واستولى على مكة وأجلى جرهم عنها، وتولى حجابة البيت بعدهم).

ثم إنه مرض مرضاً شديداً فقبل له إن بالبقاء من أرض الشام حجة إن أتيتها برئت، فأتاها فاستحم بها فبرئ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة، فلما صنع عمرو بن لحي ذلك دانت العرب للأصنام وعبدوها).



أخذت خزاعة ولاية البيت من بني إسماعيل!

قال المسعودي (٢٩/٢): (ولما ثارت الحرب بين إياد ومضر ابني نزار وكانت على إياد قلعت الحجر الأسود ودفنته في بعض المواضع، فرأت ذلك امرأة من خزاعة فأخبرت قومها، فاشترطوا على مضر أنهم إن ردوا الحجر جعلوا ولاية البيت فيهم فوفوا لهم بذلك، ووليت خزاعة أمر البيت وكان أول من وليه منهم عمرو بن لحي، واسم لحي حارثة بن عامر، فغير دين إبراهيم وبدله، وبعث العرب على عبادة التماثيل)!

وقال ابن كثير في النهاية (٢٣٦/٢): (واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاث مائة سنة وقيل خمس مائة سنة والله أعلم. وفي زمانهم كان أول عبادة الأوثان بالحجاز وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لحي لعنه الله فإنه أول من دعاهم إلى ذلك، وكان ذا مال جزيل جداً. يقال: إنه فقاً أعين عشرين بغيراً، وذلك عبارة عن أنه ملك عشرين ألف بغير، وكان من عادة العرب أن من الملك ألف بغير فقاً عين واحد منها لأنه يدفع بذلك العين عنها).

وذكر السهيلي: أنه ربما ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة! في كل سنة يطعم العرب ويحيس لهم الحيس بالسمن والعسل ويلت لهم السويق. قالوا: وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع لشرفه فيهم، ومحلته عندهم، وكرمه عليهم).

أقول: شرع لهم عمرو بن لحي تشريعات عديدة فقبلها منه العرب، فأحل الميتة وقال هذه قتلها الله. وفيه أنزل الله تعالى: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

فالبحيرة عند العرب: الناقة تُشق أذنبا ولا يُركب ظهرها ولا يُجْزُ وبرها ولا يُشرب لبنها إلا

ضعيف، أو يُتصدق به، وتُهمَل لأهتهم. والسائبة: التي ينذر الرجل إن برئ من مرضه أو أصاب أمراً يطلبه أن يسيبها ترعى لا ينتفع بها. والوصيلة: التي تلد أمها اثنين في كل بطن، فيجعل صاحبها لأهته الإناث منها ولنفسه الذكور، فتلدها أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون: وصلت أخاها، فيسيب أخوها معها فلا ينتفع به.

والحامي: الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره، فلم يركب ولم يُجْز وبره وخُلِّي في إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك). (الإكفاء للكلاعي: ٦٣/١).

وفي تفسير القمي (١٨٨/١): (البحيرة: كانت إذا وضعت الشاة خمسة أبطن ففي السادسة قالت العرب قد بحرت، فجعلوها للصنم ولا تمنع ماءً ولا مرعى، والوصيلة: إذا وضعت الشاة خمسة أبطن ثم وضعت في السادسة جدياً وعناقاً في بطن واحد جعلوا الأنثى للصنم، وقالوا وصلت أخاها وحرموا لحمها على النساء، والحام كان إذا كان الفحل من الإبل جداً لجد قالوا قد حمى ظهره فسموه حاماً فلا يركب ولا يمنع ماءً ولا مرعى ولا يحمل عليه شيء، فرد الله عليهم فقال: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ).

أعاد عمرو بن لُحي عبادة أصنام ما قبل نوح

قال اليعقوبي (٢٥٤/١): (خرج عمرو بن لُحي، واسم لُحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، إلى أرض الشام، وبها قوم من العمالة يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه الأوثان التي أراكم تعبدون؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها، نستنصرها فنُنصر، ونستسقي بها فنُسقى، فقال: ألا تعطونني منها صنماً، فأسير به إلى أرض العرب، عند بيت الله الذي تفد إليه العرب؟ فأعطوه صنماً يقال له هُبَل فقدم به مكة فوضعه عند الكعبة، فكان أول صنم وضع بمكة، ثم وضعوا به إساف ونائلة كل واحد منهما على ركن من أركان البيت فكان الطائف إذا طاف، بدأ بإساف فقبله وختم به، ونصبوا على الصفا صنماً يقال له مجاور الريح، وعلى المروة صنماً يقال له مطعم الطير، فكانت العرب إذا حجت البيت فرأت تلك الأصنام سألت قريشاً وخزاعة، فيقولون: نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى، فلما رأت العرب ذلك اتخذت أصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً يصلون له تقرباً إلى الله فيما يقولون، فكان لكلب بن وبرة وأحياء قضاة ودُّ منصوباً بدومة الجندل بجرش،

وكان لحمير وهمدان نُسِرَ منصوباً بصنعاء، وكان لكنانة سُوع، وكان لغطفان العُزَّى، وكان لهند وبجيلة وختعم ذو الخلصة، وكان لطى الفلُس منصوباً بالحبس، وكان لربيعة وإياد ذو الكعبات بسنداد من أرض العراق، وكان لثقيف اللات منصوباً بالطائف، وكان للأوس والخزرج مناة منصوباً بفدك، مما يلي ساحل البحر، وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين، ولبنى بكر بن كنانة صنم يقال له سعد، وكان لقوم من عذرة صنم يقال له شمس، وكان للأزد صنم يقال له رثام، فكانت العرب، إذا أرادت حج البيت الحرام، وقفت كل قبيلة عند صنمها، وصلوا عنده!

قال ابن حبيب في المنمق/٣٢٧: (فأتى عمرو ساحل جدة فوجد بها ودّاً وسُوعاً ويغوثاً ويعوقاً ونُسراً، وهي الأصنام التي عبدت على عهد إدريس ونوح ﷺ، ثم إن الطوفان طرحها هناك فسفى عليها الرمل فواراها، واستثارها عمرو وحملها إلى تهامة وحضر الموسم فدعا العرب إلى عبادتها فأجابوه، فأخذ عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات، وأخذ ربيعة بن كلب ودّاً فنصبه بدومة الجندل وكان لقضاة، وأخذ الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة سوعاً فكان برهاط تعبده مضر، وأخذ أنعم بن عمرو المرادي يغوث فكان بأكمة من اليمن يقال لها مذحج تعبده مذحج ومن والاها، وأخذ مالك بن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق فكان بقرية يقال لها خيوان تعبده همدان ومن والاها، وأخذ معديكرب أحد حمير وأحد ذي رعين نُسراً فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلُخع تعبده حمير ومن والاها. وذكر عن رسول الله ﷺ أنه قال: رفعت لي النار فرأيت عمرو بن لحي رجلاً قصيراً أحمراً أزرق يحرقه (أمعاء) في النار فقلت: من هذا فقبل عمرو بن لحي، أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبه وحى الحامي، وغير دين إسماعيل عليه السلام، ودعا العرب إلى عبادة الأصنام والأوثان).

وفي سيرة ابن هشام (٥٠١): (إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة وسيب السائبه ووصل الوصيلة وحى الحامي).

وفي تفسير العياشي (٢٣١/٢): (عن الزهري قال: أتى رجل أباعده الله عليه السلام فسأله عن شيء فلم يجبه، فقال له الرجل: فإن كنت ابن أبيك فإنك من أبناء عبدة الأصنام، فقال له: كذبت! إن الله أمر إبراهيم أن ينزل إسماعيل بمكة ففعل فقال إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ

نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنماً قط، ولكن العرب عبدت الأصنام، وقالت بنو إسماعيل: هؤلاء شفعاؤنا عند الله فكفرت، ولم تعبد الأصنام).

وفي تاريخ مكة للمكي الحنفي/٥٦: (فتزوج الحُي وهو ربيعة بن حارثة بهيرة بنت عامر بن عمرو ملك جرهم فولدت له عمراً وهو عمرو بن لحي، وهو أول من غير الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام فكان يلي البيت وولده من بعده خمس مائة سنة، حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو، فتزوج إليه قصي ابنته حُبَي ابنة حليل).



علي عليه السلام يصف حب العرب لأصنامهم!

قال علي عليه السلام في خطبة الوسيلة بعد سبعة أيام من وفاة النبي ﷺ (الكافي: ٢٨/٨): (إن القوم لم يزلوا عبّاد أصنام وسدنة أوثان، يقيمون لها المناسك، وينصبون لها العتائر، ويتخذون لها القربان، ويجعلون لها البحيرة والوصيلة والسائبة والحام، ويستقسمون بالأزلام، عامهين عن الله عز ذكره، حائرین عن الرشاد، مهطعين إلى البعاد، وقد استحوذ عليهم الشيطان، وغمرتهم سوداء الجاهلية ورضعوها جهالة، وانفطموها ضلالة، فأخرجنا الله إليهم رحمةً، وأطلعنا عليهم رافةً، وأسفر بنا عن الحجب، نوراً لمن اقتبس،ه، وفضلاً لمن اتبعه، وتأيداً لمن صدقه، فتبوؤوا العز بعد الذلة، والكثرة بعد القلة، وهابتهم القلوب والأبصار، وأذعنت لهم الجبابرة وطوائفها، وصاروا أهل نعمة مذكورة وكرامة ميسورة، وأمن بعد خوف، وجمع بعد كُوف، وأضاعت بنا مفاخر معد بن عدنان، وأولجناهم باب الهدى، وأدخلناهم دار السلام وأشمّلناهم ثوب الإيـان، وفلجوا بنا في العالمين، وأبدت لهم أيام الرسول ﷺ آثار الصالحين من حام مجاهد، ومصلّقانت، ومعتكف زاهد، يظهرون الأمانة، ويأتون المثابة.

حتى إذا دعا الله عز وجل نبيه ﷺ ورفع له إليه لم يك ذلك بعده إلا كلمحة من خفقة، أو وميض من برقة، إلى أن رجعوا على الأعقاب، وانتكصوا على الأدبار، وطلبوا بالأوتار، وأظهروا الكتائب، وردموا الباب وفلوا الديار، وغيروا آثار رسول الله ﷺ، ورغبوا عن أحكامه، وبعّدوا من أنواره، واستبدلوا بمستخلفه بديلاً، اتخذوه وكانوا ظالمين.. الخ).



لم يستوعب المؤرخون المدة من إسماعيل إلى محمد ﷺ

تبلغ المدة بين إبراهيم ونبينا ﷺ نحو ألفين وخمس مئة سنة. فلو حسبنا لكل مئة سنة ثلاثة آباء كما يقرر علماء الاجتماع، لزم أن يكون للنبي ﷺ خمس وسبعون جداً إلى إسماعيل عليه السلام، لكن المؤرخين ذكروا أقل من ذلك بكثير، ومعناه أنهم لم يستوفوا بقية العصور!

والمتفق عليه من نسب النبي ﷺ أنه: محمد بن عبدالله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر وهو قريش، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان. وفي سيرة ابن هشام (٢/١٨١): (قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: هذا كتاب سيرة رسول الله محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب شيبة، بن هاشم، واسم هاشم: عمرو، بن عبد مناف، واسم عبد مناف: المغيرة، بن قصي، واسم قصي: زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، واسم مدركة عامر، بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد، بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح.

حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله ﷺ إلى آدم عليه السلام، وما فيه من حديث إدريس وغيره).

أقول: إن مدة هؤلاء إلى عدنان نحو ست مئة سنة، فيكون عدنان في زمن المسيح أو قريباً منه. وتكون رواية ابن عباس غير صحيحة، قال: (إن دم يحيى كان يفور حتى قتل عليه بختنصر من بني إسرائيل سبعين ألفاً، فسكن). (فتح الباري: ٦/٣٣٨) لأن نبوخذ كان قبل يحيى عليه السلام بمئات السنين ولذا خطأ الطبري (٤٣١/١).

وذكر المسعودي (مروج الذهب: ٢/٢٦٨): أنه وجد نسب عدنان إلى إسماعيل في سفر باروخ كاتب إرميا، وأن إرميا كان في زمن معد بن عدنان. لكنه ختم كلامه بقوله: وقد نهى النبي ﷺ عن تجاوز معد، لعلمه بتباعد الأنساب وكثرة الآراء في طول هذه المدة والأعصار).

واتفق المؤرخون على أن جرهم غلبوا أولاد إسماعيل عليه السلام على حجابة البيت وحكموا

طويلاً. وانتهى حكمهم على يد خزاعة الذين جاءوا بعد سيل العرم، وكان سيل العرم قبل مولد المسيح ﷺ بمئتين أو ثلاث مائة سنة، يعني بعد إسماعيل بنحو ألفي سنة!

وفي هذه المدة بقي بعض أبناء إسماعيل في مكة يقومون بأمرها في ظل حكم أخوالهم.

وقد ذكر ابن هشام في سيرته (٧٤/١) أن بني قطوراء نافسوا جرهماً على مكة، فقاتلتهم جرهم وغلبتهم، ثم قال عن أبناء إسماعيل: (ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جرهم، ولالة البيت والحكام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك لخؤولتهم وقرابتهم، وإعظاماً للحرمة أن يكون بها بغى أو قتال، فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد فلا يناوئون قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطؤوهم).

وقال اليعقوبي (٢٢٢/١): (وكان ولد إسماعيل منتشرين في البلاد يقهرون من ناوأهم، غير أنهم كانوا يسلمون الملك لجرهم للخؤولة، وكانت جرهم تطيعهم في أيامهم، ولم يكن أحد يقوم بأمر الكعبة في أيام جرهم غير ولد إسماعيل تعظيماً منهم لهم ومعرفة بقدرهم، فقام بأمر الكعبة بعد نابت أمين، ثم يشجب بن أمين، ثم الهميسع، ثم أدد، فعظم شأنه في قومه وجل قدره، وأنكر على جرهم أفعالها، وهلك جرهم في عصره، ثم عدنان بن أدد).

ويؤيد كلام اليعقوبي الرواية الموثقة عن الإمام الباقر ﷺ (الكافي: ٢١٠/٤) قال: (لم يزل بنو إسماعيل ولالة البيت يقيمون للناس حجهم وأمر دينهم، يتوارثونه كابر عن كابر حتى كان زمن عدنان بن أدد فطال عليهم الأمد فقسست قلوبهم وأفسدوا وأحدثوا في دينهم وأخرج بعضهم بعضاً، فمنهم من خرج في طلب المعيشة، ومنهم من خرج كراهية القتال، وفي أيديهم أشياء كثيرة من الخنيفية من تحريم الأمهات والبنات، وما حرم الله في النكاح إلا أنهم كانوا يستحلون امرأة الأب وابنة الأخت والجمع بين الأختين، وكان في أيديهم الحج والتلبية والغسل من الجنابة، إلا ما أحدثوا في تلبيتهم وفي حجهم من الشرك. وكان فيما بين إسماعيل وعدنان بن أدد موسى ﷺ).

وهذا يدل على أن أبناء إسماعيل ﷺ كانوا يتولون البيت في حكم أخوالهم جرهم، فكانت جرهم تعترف بهم علماء وسدنة يعلمون الناس مناسك الحج. لكن هذه المدة كلها جزء قليل من ٢٥٠٠ سنة، فموسى بعد إبراهيم بنحو ٥٠٠ سنة، والمسيح بعد موسى بنحو ١٣٠٠ سنة،

وبينهما كان عدنان بن أدد. وقد كانت حرية أبناء إسماعيل عليه السلام ومكانتهم في حكم أخوالهم جرهم، أفضل منها في زمن حكم خزاعة، حيث غادر كثير منهم مكة. وقد ذكر المؤرخون خمس قبائل حكمت مكة: طسم وجديس والعمالقة وجرهم وخزاعة.

لماذا قال النبي ﷺ: إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا!

أطال المؤرخون واختلفوا في عدد أجداد النبي ﷺ إلى إسماعيل عليه السلام، وأكثر كلامهم ظنون واحتمالات! لذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا». وفي قصص الأنبياء للراوندي (٣١٦/١): (وروي عنه ﷺ: إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا. ثم قرأ: وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا.. قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ). ومعناه أن ما عندهم بعد عدنان غير صحيح، ولم يبين النبي ﷺ تصحيحه لأن مسألة متشعبة لم يؤمر بها ﷺ! راجع: الإختصاص/٥٠، والبحار: ٨٦/٥٤، وابن خلدون: ٢/٣، و٢٩٨، والحاكم: ٢/٥٩٨، وكشف الخفاء: ٢/٣١٤، وتفسير الرازي: ١٩/١٧٩، وقصة الحضارة أول مجلد ٣٤، ومناقب آل أبي طالب (١/١٣٥)، وأضواء على السنة المحمدية/٢٤٠).

قال البيهقي في شعب الإيمان (١٣٧/٢): «نسبة رسول الله ﷺ صحيحة إلى عدنان، وما وراء ذلك فليس فيه شيء يعتمد. وذلك لاختلاف النسابين في ذلك، منهم من يزيد ومنهم من ينقص، ومنهم من يُغَيَّرُ».

أقول: ذكر المؤرخون أسماء أجداد النبي ﷺ إلى عدنان واحداً وعشرين جداً، ثم ذكروا ثمانية أجداد إلى إبراهيم عليه السلام، وسبعاً وعشرين جداً إلى آدم عليه السلام.

وهذا لا يتفق مع المدة الزمنية التي اعترفوا بها، وهي ست مئة سنة إلى عيسى عليه السلام، و١٢٧٠ سنة إلى موسى عليه السلام ثم نحو ٥٠٠ سنة إلى إبراهيم عليه السلام!

وقد بنوا كلامهم على قول اليهود بأن عمر الأرض سبعة آلاف سنة!

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام مرسلاً، أن الله أسكن في الأرض الملائكة والجن قبل آدم، وأنه قدر لآدم عشرة آلاف عام. (تفسير العياشي: ٣١/١).

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام مرسلاً أيضاً، أنه قال لأبي حمزة الثمالي: «أتظن أن الله لم

يخلق خلقاً سواكم؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف آدم، وألف ألف عالم وأنت والله في آخر تلك العوالم». (مشارك أنوار اليقين/٦٠).

وكلها لا تفيد إلا الظن، ليس فيها نص صحيح السند يوجب العلم، وكذا أقوال علماء الطبيعة الذين زعموا أن عمر الإنسان على الأرض ملايين السنين.

خلاصة ما تقدم

١. أن أبناء إسماعيل عليه السلام فقدوا حكم مكة أمام أخوالهم من جرهم، لكن بقيت في أيديهم حجابة البيت وأمور الحجاج. وكانت علاقتهم مع أخوالهم جيدة.

٢. يظهر أن وضع أبناء إسماعيل عليه السلام وقيامهم بأمر البيت استمر في حكم أياد، فلم يذكر المؤرخون شيئاً عن أخذ أياد حجابة البيت منهم.

٣. اختلف الأمر على أبناء إسماعيل عليه السلام في حكم خزاعة، فقد أخذ منهم رئيس خزاعة الجبار عمرو بن لحي حجابة البيت، وأسوأ جريمة فعلها أنه نشط في تغيير دين إبراهيم وإسماعيل عليه السلام، ونشر الأصنام حول الكعبة وفيها، ونشر عبادتها بين قبائل العرب، وقد أطاعه العرب طاعة عمياء، وطبقوا أوامره وتعاليمه كأنها دين! وفي هذا الجو ترك كثير من أبناء إسماعيل عليه السلام مكة وعاشوا حولها، وكانوا يحجون كأفراد لا قدرة لهم على مخالفة دين رئيس خزاعة عمرو بن لحي! ويظهر أن أجداد النبي ﷺ بقوا في مكة واستعملوا التقية مع خزاعة.

٤. تقدم الدليل على أن الخط المؤمن من أجداد النبي ﷺ ثبت على دين إبراهيم عليه السلام، وهم عبد المطلب وهاشم وعبد مناف الى عدنان والى نابت بن قidar بن إسماعيل، ولم يعبدوا الأصنام. أما بقية أبناء إسماعيل فقد تأثروا بموجة عبادة الأصنام. وقال عنهم الإمام الصادق عليه السلام إنهم لم يعبدوا الأصنام، لكن اعتقدوا بشفاعتها فكفروا.





الفصل الثاني والأربعون

قصي الجد الرابع للنبي ﷺ

جمع قصي قريشاً واستعاد حق أبناء إسماعيل عليه السلام

نشأ قصي في بلاد بني عذرة قرب الشام

قال اليعقوبي (٢٣٧/١): (فلما مات كلاب بن مرة تزوجت فاطمة بنت سعد بن شبل، ربيعة بن حرام العذري، فخرج بها إلى بلاد قومه، فحملت قصياً معها وكان اسمه زيداً، فلما بُعِدَ من دار قومه سمته قصياً، فلما شب قصي وهو في حجر ربيعة، قال له رجل من بني عذرة: إلحق بقومك فإنك لست منا! فقال: ممن أنا؟ فقال: سل أمك، فسألها فقالت: أنت أكرم منه نفساً ووالداً ونسباً! أنت ابن كلاب بن مرة، وقومك آل الله، وفي حرمة.

رجع قصي إلى مكة وهو شاب

وكانت قريش لم تفارق مكة، إلا أنهم لما كثروا قلت المياه عليهم، فتفرقوا في الشعاب. فكره قصي الغربية وأحب أن يخرج إلى قومه فقالت له أمه: لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام، فتخرج في حجاج قضاة، فإني أخاف عليك. فلما دخل الشهر الحرام شخص معهم حتى قدم مكة، وأقام قصي بمكة حتى شُرِفَ وعزَّ وُولد له الأولاد.

جمع قصي أولاد إسماعيل وأخذ من خزاعة إدارة الحجاج

فلما رأى قصي ذلك جمع إليه قومه من بني فهر بن مالك وحازهم إليه، فلما حضر الحج حال

بين صوفة وبين الإجازة، وقامت معه خزاعة وبنو بكر، وعلموا أن قصياً سيصنع بهم كما صنع بصوفة، وأنه سيحول بينهم وبين أمر مكة وحجابه البيت، وانحازوا عنه وصاروا عليه، فلما رأى ذلك أجمع لحربهم، وبعث إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة العذري فأتاه أخوه بمن قدر عليه من قضاة، وقيل وافي رزاح وقصي قد نصب لحرب القوم، فأعان أخاه بنفسه وقومه فاقتتلوا قتالاً شديداً بالأبطح، حتى كثرت القتلى في الفريقين، ثم تداعوا إلى الصلح وأن يحكم ما بينهم رجل من العرب فيما اختلفوا فيه، فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن كنانة، فقصى بينهم بأن قصياً أولى بالبيت وأمر مكة من خزاعة، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبنو بكر موضوع يشدخه تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش ففيه الدية، فودوا خمساً وعشرين بدنة وثلاثين جرحاً، وأن يخلوا بين قصي وبين البيت ومكة، فسمي يعمر الشداخ.

بنى قصي بيته وهو دار الندوة وأطعم الحجاج

ولم يكن بمكة بيت في الحرم، إنما كانوا يكونون بها نهاراً، فإذا أمسوا خرجوا، فلما جمع قصي قريشاً وكان أدهى من رؤي من العرب، أنزل قريشاً الحرم، وجمعهم ليلاً وأصبح بهم حول الكعبة فمشى إليه أشرف بني كنانة وقالوا: إن هذا عظيم عند العرب، ولو تركناك ما تركتك العرب. فقال: والله لا أخرج منه، فثبت! وحضر الحج فقال لقريش: قد حضر الحج وقد سمعت العرب ما صنعتن، وهم لكم معظمون، ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام، فليخرج كل إنسان منكم من ماله خرجاً! ففعلوا فجمع من ذلك شيئاً كثيراً، فلما جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزوراً، ونحر بمكة وجعل حظيرة فجعل فيها الطعام من الخبز واللحم، وسقى الماء واللبن، وغدا على البيت، فجعل له مفتاحاً وحجبة، وحال بين خزاعة وبينه، فثبت البيت في يد قصي، ثم بنى داره بمكة وهي أول دار بنيت بمكة وهي دار الندوة).

وفي الطبقات (٦٣/١): (فلم تزل دار الندوة في يدي بني عبدالدار حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي من معاوية بن أبي سفيان، فجعلها معاوية دار الإمارة، فهي في أيدي الخلفاء إلى اليوم).

وفي رواية البلاذري الآتية: بنى قصي داره، فسميت دار الندوة لأنهم كانوا ينتدون فيها

فيتحدثون ويتشاورون في حروبهم وأمورهم، ويعقدون الألوية ويزوجون من أراد التزويج. وكان أمر قصي عند قريش ديناً يعملون به ولا يخالفونه. ولما مات دفن بالحجون. فكانوا يزورون قبره ويعظمونه.

أخذ قصي حجابة البيت من خزاعة

وروى بعضهم أنه لما تزوج قصي إلى حليل بن حبشية الخزاعي حُبِّي ابنته وولدت له، أوصى حليلاً عند موته بولاية البيت إلى قصي، وقال: إنما ولدك ولدي وأنت أحق بالبيت.

وكانت حبي بنت حليل بن حبشية قد ولدت لقصي بن كلاب: عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد قصي. وقال آخرون: دفع حليل بن حبشية المفتاح إلى أبي غبشان وهو سليمان بن عمرو بن بوي بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، فاشتراه قصي منه وولاية البيت بزق خمر وقعود، فقبل أخس من صفقة أبي غبشان، ووثبت خزاعة فقالت: لا نرضى بما صنع أبو غبشان ف وقعت بينهم الحرب فقال بعضهم:

أبو غبشان أظلم من قصي وأظلم من بني فهر خزاعة

فلا تلحوا قصياً في شراره ولوموا شيخكم إذ كان باعه

فولي قصي البيت وأمر مكة والحكم، وجمع قبائل قريش، فأمر لهم بأبطح مكة، وكان بعضهم في الشعاب ورؤوس الجبال، فقسم منازلهم بينهم، فسمي مُجَمَّعاً، وفيهم يقول الشاعر:

أبوكم قصيٌّ كان يدعى مُجَمَّعاً به جمع الله القبائل من فهر

وملكه قومه عليهم، فكان قصي أول من أصاب الملك من ولد كعب بن لؤي، فلما قسم أبطح مكة أرباعاً بين قريش، هابوا أن يقطعوا شجر الحرم لينبوا منازلهم، فقطعها قصي بيده، ثم استمروا على ذلك.

وكان قصي أول من أعز قريشاً وظهر به فخرها ومجدها وسناها وتقرشها، فجمعها وأسكنها مكة، وكانت قبل متفرقة الدار، قليلة العز ذليلة البقاع، حتى جمع الله ألفتها، وأكرم دارها وأعز مئواها. وكانت قريش كلها بالأبطح خلا بني محارب والحارث ابني فهر، ومن بني تيم بن غالب وهو الأدرم، وبني عامر بن لؤي، فإنهم نزلوا الظواهر.

ولما حاز قصي شرف مكة كلها، وقسمها بين قريش واستقامت له الأمور، ونفى خزاعة، هدم البيت ثم بناه بنياناً لم يبنه أحد، وكان طول جدرانه تسع أذرع فجعله ثمانى عشرة ذراعاً، وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل، وبني دار الندوة. وكان لا ينكح رجل من قريش، ولا يتشاورون في أمر، ولا يعقدون لواء بالحرب، ولا يعذرون غلاماً، إلا في دار الندوة، وكانت قريش في حياته وبعد وفاته، يرون أمره كالدين المتبع، وكان أول من حفر بمكة بعد إسماعيل بن إبراهيم، فحفر العجول (بئر) في أيام حياته وبعد وفاته، ويقال إنها في دار أم هانئ بنت أبي طالب). وفي مروج الذهب (٣٢٢): (كانت ولاية البيت في خزاعة ثلاث مائة سنة، واستقام أمر قصي وعشّر على من دخل مكة من غير قريش، وبني الكعبة، ورتب قريشاً على منازلها في النسب بمكة، ويّئ الأبطحي، وهم الأباطح، وجعل الظاهري ظاهرياً).

سكن قصي قرب البيت ونزّهه عما فعلت خزاعة

في أعلام النبوة للماوردي/١٩٠: (وكانت إليه الحجابة والسقاية والوفادة والندوة واللواء، وصارت سنته في قريش كالدين الذي لا يعمل بغيره، فزادت القوة بجمعهم حتى عقد الولاية وجدد بناء الكعبة، وهو أول من بناها بعد إبراهيم وإسماعيل، وبني دار الندوة للتحاكم والتشاجر والتشاور، وهي أول دار بنيت بمكة وكانوا يجتمعون في جبالها. ثم بنى القوم دورهم بها فتمهدت لهم الرئاسة وظهرت فيهم السياسة، فقاموا بالكعبة ونزهوا الحرم، وتكفلوا بالحج فصاروا ديانى العرب وولاية الحرم وقادة الحجيج فدانت لهم العرب، وتقدموا فيهم بالشرف حلّوهم في الحرم وتكفلهم بالكعبة، ثم قيامهم بالحج وشاع ذلك في الأمم).

وقريش هم ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وقيل بل هم بنو فهر بن مالك بن النضر). وقوله: فقاموا بالكعبة ونزهوا الحرم. قد يعني إزاحتهم بعض الأصنام التي نصبها خزاعة قرب الكعبة.

جاء قصي الى مكة وكان أخوه زهرة حياً

في المنمق لابن حبيب/٨٢: (بعثته (أمه) مع قوم من قضاعة، وزهرة حيّ فأثاه، وكان زهرة فيما زعموا أشعر وقصي أشعر أيضاً فقال قصي: أنا أخوك، فقال: أدن، فلمسه وقال: أعرف

والله الصوت والشبه، ثم إن زهرة مات وأدرك قصي، فأراد أن يجمع قومه بني النضر فاجتمعت عليه خزاعة وبكر وصوفة، فكثروه وبعث إلى أخيه رزاح فأقبل في جمع من الشام وأفناء قضاة حتى أتى مكة، فكانت صوفة هم يدفعون بالناس فقام رزاح على الثنية فقال: أجز قصي، فأجاز بالناس فلم تزل الإفاضة في بني قصي إلى اليوم).

رواية الطبري لقصة قصي

قال الطبري (١٤/٢) ملخصاً: (تزوجت فاطمة بنت سعد ربيعة بن حرام القضاعي بعد وفاة زوجها كلاب بن مرة، وكان ابنها منه زهرة رجلاً قد بلغ وابنها زيد فطياً فاحتلمته معها وشب في حجر ربيعة، وسمته قصياً لبعد داره عن دار قومه. وكان بينه وبين رجل من قضاة شيء وقد بلغ قصي وكان رجلاً شاباً فأنبهه القضاعي بالغرابة وقال له: ألا تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منا! فرجع قصي إلى أمه وقد وجد في نفسه مما قال له القضاعي، فقالت له: أنت والله يا بني أكرم منه نفساً ووالداً، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة القرشي، وقومك بمكة عند البيت الحرام وفيما حوله. فأجمع قصي الخروج إلى قومه واللاحق بهم وكره الغربة وقدم مكة وأقام بها وكان رجلاً جليداً نسياً فخطب إلى حليل بن حبشية الخزاعي ابنته حبي بنت حليل فعرف حليل النسب ورغب فيه فزوجه وولدت له ولده عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد ابني قصي، وهلك حليل بن حبشية فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني بكر، وأن قريشاً فرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده، فكلم رجلاً من قريش وبني كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة بن حرام وهو ببلاد قومه يدعوه إلى نصرته والقيام معه، فقام رزاح بن ربيعة في قضاة، فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه فأقبل بمن أجابه من أحياء قضاة، ومع قصي قومه بنو النضر.

وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتجزهم إذا نفروا من منى، فأتاهم قصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاة عند العقبة فقالوا نحن أولى بهذا منكم فناكروه فناكرهم فقاتلوه فاقتتل الناس قتالاً شديداً ثم انهزمت صوفة وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم. فانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي بن كلاب، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع

صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم، وثبت معه أخوه رزاح بن ربيعة بمن معه من قومه من قضاة، وخرجت لهم خزاعة وبنو بكر وتهيئوا لحربهم والتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى من الفريقين جميعاً.

فولي قصي البيت وأمر مكة جميع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة، فملكوه فحاز شرف مكة كله، فسماه العرب مجمعاً لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره فما تنكح امرأة ولا رجل من قريش إلا في دار قصي بن كلاب، وما يتشاورون في أمر ينزل بهم إلا في داره، ولا يعقدون لواء الحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يعقدها لهم بعض ولده، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه، ثم ينطلق بها إلى أهلها. فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره تيمناً بأمره ومعرفة بفضلته وشرفه، واتخذ قصي لنفسه دار الندوة وجعل بابها إلى الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها).



رواية البلاذري لقصة قصي

حفر قصي بئراً داخل مكة

قال البلاذري (٥١/١): (كانت قريش قبل قصي تشرب من بئر حفرها لؤي بن غالب خارج مكة، ومن حياض ومصانع على رؤوس الجبال، ومن بئر حفرها مرة بن كعب مما يلي عرفة. فحفر قصي بئراً سماها العجول، وهي أول بئر حفرتها قريش بمكة).

فرض قصي الرفادة على قريش

قالوا: ولما قسم قصي مكة خططاً ورباعاً بين قريش، فاستقت له طاعتهم قال لهم: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وسكان حرمة، والحاج ضياف الله وزوار بيته، فترافدوا حتى تصنعوا لهم طعاماً وشراباً في أيام الحج ينال منه من يحتاج إليه، فلو اتسع مالي لجميع ذلك لقمتم فيه دونكم. ففرض خرجاً للرفادة، فكانوا يخرجونه ويأمر بإنفاقه على طعام الحاج.

بنى قصي داره وسموها دارالندوة

وبنى قصي داره، فسميت دارالندوة لأنهم كانوا ينتدون فيها فيتحدثون ويتشاورون في حروبهم وأمورهم، ويعقدون الألوية، ويزوجون من أراد التزويج. وكان أمر قصي عند قريش ديناً يعملون به ولا يخالفونه. ولما مات دفن بالحجون. فكانوا يزورون قبره ويعظمونه.

رواية تسمية أولاد قصي

وولّد قصي ويكنى أبا المغيرة: عبد مناف واسمه المغيرة، وكان يدعى القمر لجماله، وجعلته أمه حُبّى بنت حليل خادماً لمناف وهو أعظم أصنامهم عندهم، تديناً بذلك وتبركاً به، فسماه أبوه عبد مناف. وعبد الله بن قصي وهو عبدالدار، وعبد العزى وعبد قصي: وأمهم جميعاً حُبّى بنت حليل بن حبشية بن سلول الخزاعي. فكان قصي يقول: ولدي أربعة بنين فسميت ابنين منهم بإلهي، وواحداً بداري، وواحداً بي).

أقول: هذا القول لقصي محل شك عندي، خاصة وأنهم نصوا على أن كنيته أبوالمغيرة وعبد مناف إسمه المغيرة، وإسم عبدالدار عبدالله. وكان بنو إسماعيل عامة لا يؤمنون بالأصنام.

حب قصي لابنه عبدالدار

وكان قصي شديد الحب لعبدالدار، وكان عبدالدار مضعوفاً، فجعل له بعده دارالندوة والحجابه واللواء والرفادة والسقاية. فأما دارالندوة فلم تزل له ولولده، حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار، من معاوية بن أبي سفيان، فجعلها داراً للإمارة بمكة. وأما الحجابه فكانت له ثم صارت بعده إلى عثمان بن عبدالدار، ثم إلى عبدالعزى بن عثمان، ثم إلى ابنه أبي طلحة واسمه عبدالله بن عبدالعزى، ثم إلى طلحة بن أبي طلحة. فلما فتح رسول الله مكة دفع المفتاح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، ثم قام بالحجابه ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة. فالحجابه فيهم.

وأما اللواء فإنه لم يزل في بني عبدالدار حتى كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة بن عبدالعزى بن عثمان).

قال البلاذري (٥٥/١): (فلما أسلم بنو عبد الدار، قالوا: يا نبي الله، اللواء إلينا. فقال: الإسلام أوسع من ذلك. فبطل اللواء).

كان رزاح وإخوة قصي يزورونه فيكرمهم

قال ابن سعد (٦٩/١): (فلما استقر أمر قصي انصرف أخوه لأمه رزاح بن ربيعة العذري بمن معه من إخوته وقومه، وهم ثلاث مائة رجل إلى بلادهم.

فكان رزاح وحنّ يواصلان قصياً ويوافيان الموسم فينزلان معه في داره، ويريان تعظيم قريش والعرب له، وكان يكرمهما ويصلهما، وتكرمهما قريش لما أبلياهم وأولياهم، من القيام مع قصي في حرب خزاعة وبكر).

أم قصي أزدية من عائلة أصيلة

قال ابن الكلبي في نسب معد واليمن (٥٠٥/٢): (وقعوا في بني الدّيل أيام خرجوا من مأرب، منهم: سعد بن سيل بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر بن الجادر، وهو جد قصي بن كلاب أبو أمه فاطمة بن سعد بن سيل، وكان عامر أول من بني جدار الكعبة، فسمي بالجادر، ولهم بقية بالمدينة).

وقال البلاذري (٤٨/١): (بنى جدار الكعبة، وهى من سيل أتي في أيام ولاية جرهم فسمي الجادر. قال هشام: وذكر الشرقي بن القطامي أن الحاج كانوا يتمسحون بالكعبة يأخذون من طيها وحجارتها تبركاً بذلك وأن عامراً هذا كان موكلاً بإصلاح ما شعث من جدرها، فسمي الجادر. قالوا: وكان سعد بن سيل وقومه مع بني كنانة. وكان فيما يقال أول من حلّى السيوف بالفضة والذهب، وكان أهدى إلى كلاب مع ابنته فاطمة سيفين محليين فجعلوا في خزانة الكعبة. وقال قصي:

أنا الذي أعان فعلي حسي وخندف أمي وإلياس أبي).

(قال محمد بن السائب: كتبت للنبي ﷺ خمس مائة أم، فما وجدت فيهن سفاحاً، ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية). (ابن سعد: ٦٠/١).

هذا، ولم أجد متى توفيت أم قصي رحمه الله. ولو كانت حية وتزور ابنها قصياً، أو تأتية مع ابنها رزاح في مكة لذكروا ذلك.

من الكلمات المروية عن قصي

في أمالي الصدوق ٥١: (أوصى قصي بن كلاب بنيه، فقال: يا بني، إياكم وشرب الخمر، فإنها إن أصلحت الأبدان، أفسدت الأذهان).

قال البلاذري (٥٧/١): (عن رجل من قريش أنه قال: كان مما لحقنا من كلام قصي قوله: العي عيان: عي الإفحام، وعي المنطق بغير سدر. وقوله: الحسود عدو خفي المكان. وقوله: من سأل قوماً فوق قدره استحق الحرمان).

وفي أخبار مكة للأزرقي (١٠٧/١): (وقال قصي يتشكر لأخيه رزاح بن ربيعة:

أنا ابن العاصمين بني لؤي بمكة مولدي وبها ربيت
ولي البطحاء قد علمت معد ومروتها رضيت بها رضيت
وفيهما كانت الآباء قبلي فما شويت أخي ولا شويت
فلست لغالب إن لم تأثل بها أولاد قيذر والنبيت
رَزَّاحٌ ناصري وبه أسامي فلست أخاف ضيماً ما حييت

وفي ذلك يقول حذافة بن غانم الجمحي يمدحه:

أبوهم قصي كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر
هم نزلوها والمياه قليلة وليس بها إلا كهول بني عمر

ويقال من أجل تجمّع قريش إلى قصي سميت قريش قريشاً. والتجمع التقرش).

وفي الروض الأنف (٤٧/٢): (قال ابن إسحاق: فلما فرغ قصي من حربه، انصرف أخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده، وقال رزاح في إجابته قصياً:

لما أتى من قصي رسولٌ فقال الرسول: أجيئوا الخليلا

نهضنا إليه نقود الحيات ونطرح عنا الملول الثقيل
 نسير بها الليل حتى الصباح ونكفي النهار لئلا نزولا
 فهنّ سراع كورد القطا يحبن بنا من قصي رسولا
 جمعنا من السر من أشمذين ومن كل حيّ جمعنا قبيل
 فلما انتهينا إلى مكة أبجنا الرجال قبيلاً قبيل
 قتلنا خزاعة في دارها وبكراً قتلنا وجيلاً فجيل
 نفيناهم من بلاد المليك كما لا يحلون أرضاً سهولاً
 فأصبح سبيهم في الحديد ومن كل حيّ شفينا الغليل
 وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الجارث بن سعد بن هذيم القضياعي في ذلك:

جلبنا الخيل مضمرة تغالي من الأعراف أعراف الجناب
 إلى غورى تهامة، فالتقيننا من الفيفاء في قاع يباب
 فأما صوفة الخنثى، فخلّوا منازلهم محاذرة الضراب
 وقام بنو على إذ رأونا إلى الأسياف كالإبل الطراب

وفي الأعلام للزركلي (١٩٨/٥): (ولي قصي البيت الحرام فهدم الكعبة وجدد بنيانها. وهو الذي أحدث وقود النار في المزدلفة ليرأها من دفع من عرفة. وكان أمره في قومه كالدين المتبوع لا يُعمل بغيره في حياته ومن بعده. مات بمكة، ودفن بالحجون). وصوفة فرع من خزاعة.
 هذا، وقد أرخ محمد حسين هيكل زمن قصي بأنه في سنة ٤٠٠ ميلادية.





الفصل الثالث والأربعون

عبد مناف الجد الثالث للنبي ﷺ

إسمه المغيرة وليس عبد مناف ولم يعبد صنماً

قال الماوردي في أعلام النبوة/٩١: (ثم أفضت رئاسة قريش بعد قصي إلى ابنه عبد مناف بن قصي، فجاد وزاد وساد، حتى قال فيه الشاعر :

كانت قريش بيضة فتفقت فالحُ خالصه لعبد مناف

وكان اسمه المغيرة فجعلته أمه إلى مناف وكان أعظم أصنام مكة تعظيماً له فغلب عليه عبد مناف، وكان يسمى القمر لجماله، فاستحكمت رئاسته بعد أبيه لجوده وسياسته، ثم بينه فولد له هاشم وعبد شمس توأمان في بطن فقيل إنه ابتداءً خروج أحدهما وإصبعه ملصقة بجبهة الآخر، فلما أزيلت دُمَي موضعها فقيل: يكون بينهما دم. ثم ولد بعدهما نوفل، ثم المطلب وكان أصغرهم، فسادوا وتقدمهم هاشم لسخائه وسؤدده، وكان اسمه عمرواً فسمي هاشماً لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في سنة لَزَبَة قحطة، رحل فيها إلى فلسطين فاشترى منها الدقيق وقدم به إلى مكة، ونحر الجزر وجعلها ثريداً عم به أهل مكة حتى استقلوا، فقال فيه الشاعر:

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها الراحلون لرحلة الإيلاف
والرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلم للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيروهم حتى يكون فقيرهم كالكافي
عمروالعلی هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف).

ومعنى قوله: فدفعته أمه أو جعلته إلى مناف. أن أمه زوجة قصي كانت خزاعية تؤمن بالأصنام التي نصبها عمرو بن لحي الخزاعي، ومنها مناف ولا يعرف مكانه في مكة فسمته باسمه، أما قصي فلم يكن يؤمن بأصنام خزاعة، وكذلك عبد مناف. وقد تقدم توثيق ذلك في فصل أجداد النبي ﷺ.

وقد اختار الفخر الرازي هذا الرأي، قال في تفسيره (٣٩١/١٣): (ومما يدل أيضاً على أن أحداً من آباء محمد ﷺ ما كان من المشركين قوله ﷺ: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات. وقال تعالى: إنما المشركون نجس. وذلك يوجب أن يقال: إن أحداً من أجداده ما كان من المشركين. إذا ثبت هذا فنقول: ثبت بما ذكرنا أن والد إبراهيم ﷺ ما كان مشركاً، وثبت أن أزر كان مشركاً. فوجب القطع بأن والد إبراهيم كان إنساناً آخر غير أزر).

ساد عبد مناف من زمن أبيه

وقال الأزرقى في أخبار مكة (١٠٩/١): (محمد بن إسحاق قال: فحاز قصي شرف مكة وأنشأ دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضي أمورها، ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلا ابن أربعين سنة للمشورة، وكان يدخلها ولد قصي كلهم أجمعون وحلفاؤهم.

فلما كبر قصي ورَّقَّ كان عبدالدار بكره وأكبر ولده وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه وذهب شرفه كل مذهب، وعبدالدار وعبد العزى وعبد بنو قصي بها لم يبلغوا ولا أحد من قومهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الذكر والشرف والعز، وكان قصي وحبي ابنة حليل يحبان عبدالدار ويرقان عليه لما يريان عليه من شرف عبد مناف وهو أصغر منه، فقالت له حبي: لا والله لا أرضى حتى تخص عبدالدار بشيء تلحقه بأخيه. فقال قصي: والله لألحقنه به ولأحبونه بذروة الشرف حتى لا يدخل أحد من قريش ولا غيرها الكعبة إلا بإذنه، ولا يقضون أمراً ولا يعقدون لواء إلا عنده، وكان ينظر في العواقب، فأجمع قصي على أن يقسم أمور مكة الستة التي فيها الذكر والشرف والعز، بين ابنه فأعطى عبدالدار السدانة وهي الحجابة ودار الندوة واللواء، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة، فأما السقاية فحياض من أدم كانت على عهد قصي توضع ببناء الكعبة ويسقى فيها الماء العذب من الآبار على الإبل ويسقاه الحاج. وأما الرفادة فخرَجُ كانت قريش تخرجه من أموالها في كل موسم فتدفعه إلى قصي يصنع به طعاماً للحاج

يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد، فلما هلك قصي أقيم أمره في قومه بعد وفاته على ما كان عليه في حياته، وولي عبد الدار حجابة البيت وولاية دار الندوة واللواء، فلم يزل يليه حتى هلك، وجعل عبد الدار الحجابة بعده إلى ابنه عثمان بن عبد الدار وجعل دار الندوة إلى ابنه عبد مناف بن عبد الدار، فلم تزل بنو عبد مناف بن عبد الدار يلون الندوة دون ولد عبد الدار، فكانت قريش إذا أرادت أن تشاور في أمر فتحها لهم عامر بن هاشم بن عبد مناف).

وقال ابن سعد (٧٤/١): (وعلى عبد مناف اقتصر رسول الله ﷺ حين أنزل الله تبارك وتعالى عليه: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ). أي لما جمع بني هاشم ودعاهم إلى الإسلام وطلب منهم أن يتفرغ معه أحدهم للدعوة، فأجابه علي عليه السلام.

وقال اليعقوبي (٢٤٠/١): (ومات قصي فدفن بالحجون، ورؤس عبد مناف بن قصي وجل قدره وعظم شرفه. ولما كبر أمر عبد مناف جاءته خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به، فعقد بينهم الحلف الذي يقال له حلف الأحابيش، وكان مدبر بني كنانة الذي سأل عبد مناف عقد الحلف: عمرو بن هلال بن معيص بن عامر، وكان تحالف الأحابيش على الركن: يقوم رجل من قريش وآخر من الأحابيش، فيضعان أيديهما على الركن فيحلفان بالله القاتل وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام، على النصر على الخلق جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى التعاقد وعلى التعاون على كل من كادهم من الناس جميعاً، ما بل بحر صوفة، وما قام حري وثبير، وما طلعت شمس من مشرقها إلى يوم القيامة، فسمي حلف الأحابيش. فولد عبد مناف بن قصي هاشماً، وإسمه عمرو، وكان يقال له عمرو العلي، وسمي هاشماً لأنه كان يهشم الخبز، ويصب عليه المرق واللحم في سنة شديدة نالت قريشاً. وعبد شمس والمطلب ونوفلاً، وأباعر، وحنة، وتماضر، وأم الأختم، وأم سفيان، وهالة، وقلاية، وأمهم جميعاً، إلا نوفلاً وأباعر: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم، فولدت له هؤلاء. وأم نوفل وأبي عمرو: واقدة بنت أبي عدي، وهو عامر بن عبد نهم من بني عامر بن صعصعة).

اختار الله عبد مناف سلام الله عليه

في المحاسن (٢٦٧/١) بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله

خلق الخلق فرقتين، فجعل خيرته في إحدى الفرقتين، ثم جعلهم أثلاثاً فجعل خيرته في إحدى الأثلاث، ثم لم يزل يختار حتى اختار عبد مناف، ثم اختار من عبد مناف هاشماً، ثم اختار من هاشم عبد المطلب، ثم اختار من عبد المطلب عبدالله، ثم اختار من عبدالله محمداً رسول الله ﷺ فكان أطيب الناس ولادة، فبعثه الله بالحق وأنزل عليه الكتاب، فليس من شيء إلا وفي كتاب الله تبيانه).

أقول: هذا الاختيار الإلهي يدل على إيمان عبد مناف وصلاحه، وأن إسم عبد مناف شهرة اشتهر بها وليس إسمه، وقد نصوا على أن أصل إسمه المغيرة.

ونلاحظ في كيفية اختيار الله تعالى أنه كان يفرق الخلق فرقتين، ثم فرقه ثلثة، ثم لما اقترب من عصر النبي ﷺ اختار جده الرابع ثم جده الثالث ثم الثاني، ثم أباه عبدالله فأولده منه ﷺ، سلام الله عليهم.

وروى السنة والشيعية قول النبي ﷺ: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم). (صحيح مسلم: ٥٨/٧، وأمالى الطوسي/٢٤٦). وزاد فيه ابن حبان (١٣٥/١٤): (فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع).

وقال ابن كثير في النهاية (٣١٧/٢): وفي هذا المعنى يقول أبو طالب:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخرٍ فعبد منافٍ سرُّها وصميُّها
فإن حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً هو المصطفى من سرها وكرمها
تداعت قريش غثها وسمينها علينا فلم تظفروا طاشت حلومها
وكنا قديماً لا نقر ظلامه إذا ما ثنوا صعر الحدود نقيمها
ونحني حماها كل يوم كريهة ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما بأكنافنا تندى وتنمى أرومها).

أولاد عبد مناف

في نسب قريش/١٣: (فولد عبد مناف بن قصي: هاشماً، واسمه عمرو، وعبد شمس، وهما توأم. والمطلب، وتماضر، وقلاية، وحية، وأم الأخثم، واسمها هالة، وأمّ سفيان، وأمهم: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور... ونوفلاً، وأباعمرو، انقرض إلا من بنت يقال لها تماضر، ولدت لأبي همهمة ابن عبد العزى، وأمها: واقدة بنت أبي عدي.

وربطة بنت عبد مناف، وأمها: هند بنت كعب بن سعد بن عوف من ثقيف. كانت تماضر بنت عبد مناف عند عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، فولدت له هاشماً، وكلددة. وكانت قلاية عند عبد العزى بن عامرة بن فهر فولدت له أبا همهمة، واسمه حبيب. وطريفاً، وجابراً، وسلامان.





الفصل الرابع والأربعون

هاشم بن عبد مناف الجد الثاني للنبي ﷺ

هاشم الذي أخذ الإيلاف من قيصر لقريش

قال الله تعالى: **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**. إِيْلَافُهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

قال اليعقوبي (٢٤٢/١): (وكان أول من سن الرحلتين: رحلة الشتاء إلى الشام ورحلة الصيف إلى الحبشة إلى النجاشي.. وشرف هاشم بعد أبيه وجل أمره، واصطلحت قريش على أن تولي هاشم بن عبد مناف الرئاسة والسقاية والرفادة، فكان إذا حضر الحج قام في قريش خطيباً فقال: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم أضياف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خيركم الله بذلك وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزواره، فإنهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد على ضوامر كالقذاح، وقد أعيوا، وتفلوا، وقملوا، وأرملوا، فأقروهم وأغنوهم! فكانت قريش ترافد على ذلك، وكان هاشم يخرج مالاً كثيراً، ويأمر بحياض من آدم، فتجعل في موضع زمزم، ثم يسقى فيها من الآبار التي بمكة فيشرب منها الحاج، وكان يطعمهم بمكة ومنى وعرفة وجُح، وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق، ويحمل لهم المياه، حتى يتفرق الناس إلى بلادهم، فسمي هاشماً).

وقال في شرح النهج (١٩/١٥): (قال أبو عثمان الجاحظ، وكان إسم هاشم عمرواً وهاشم لقب، وكان أيضاً يقال له القمر، وفي ذلك يقول مطرود الخزاعي:

إلى القمر الساري المنير دعوته ومُطعمهم في الأزل من فُجع الجزر

وقال ابن الزبيري:

كانت قريش بيضة فتفلقت فالحُ خالصه لعبد مناف
الرائثون وليس يوجد رائث والقائلون هلم للأضياف
عمرو العلي هشم الشريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

فعم كما ترى أهل مكة بالأزل والعجف، وجعله الذي هشم لهم الخبز ثريداً، فغلب هذا اللقب على اسمه حتى صار لا يعرف إلا به، وليس لعبد شمس لقب كريم، ولا اشتق له من صالح أعماله إسم شريف، ولم يكن لعبد شمس ابن يأخذ بضبعه، ويرفع من قدره، ويزيد في ذكره، ولهاشم عبد المطلب سيد الوادي غير مدافع، أجمل الناس جمالاً، وأظهرهم جوداً، وأكملهم كمالاً، وهو (أي عبد المطلب) صاحب الفيل، والطير الأبايل، وصاحب زمزم، وساقى الحجيج. وولد عبد شمس أمية بن عبد شمس وأمية في نفسه ليس هناك، وإنما ذكر بأولاده ولا لقب له، ولعبد المطلب لقب شهير وإسم شريف: شيبة الحمد، قال مطرود الخزاعي في مدحه:

يا شيبة الحمد الذي تشنى له أيامه من خير ذخر الذاهر
المجد ما حجت قريش بيته ودعا هذيل فوق غصن ناضر
والله لا أنساكم وفعالكم حتى أغيب في سفاه القابر

وقال حذافة بن غانم العدوي:

أخارج إما أهلكن فلا تنزل لهم شاكرًا حتى تُغَيَّب في القبر
بني شيبة الحمد الكريم فعاله يضيئ ظلام الليل كالقمر البدر
لساقى الحجيج ثم للشيخ هاشم وعبد مناف ذلك السيد الغمر

وإنما شرف عبد شمس بأبيه عبد مناف بن قصي، وبني ابنه أمية بن عبد شمس. وهاشم شرف بنفسه وبأبيه عبد مناف وبابنه عبد المطلب، والأمر في هذا بين، وهو كما أوضحه الشاعر:

إنما عبد مناف جوهر زَيْنَ الجوهر عبد المطلب

قال أبو عثمان (الجاحظ): ولسنا نقول إن عبد شمس لم يكن شريفاً في نفسه ولكن الشرف يتفاضل، وقد أعطى الله عبد المطلب في زمانه، وأجرى على يديه، وأظهر من كرامته ما لا يعرف مثله إلا لنبي مرسل، وإن في كلامه لأبرهة صاحب الفيل وتوعده إياه برب الكعبة وتحقيق قوله من الله تعالى ونصرة وعيده بحبس الفيل، وقتل أصحابه بالطير الأبايل وحجارة السجيل حتى تركوا كالعصف المأكول لأعجب البرهانات، وأسنى الكرامات، وإنما كان ذلك إرهاباً لنبوة النبي ﷺ وتأسيساً لما يريد الله به من الكرامة، وليجعل ذلك البهاء متقدماً له ومردوداً عليه، وليكون أشهر في الآفاق، وأجل في صدور الفراعنة والجبابرة والأكاسرة، وأجدر أن يقهر المعاند، ويكشف غباوة الجاهل. وبعد، فمن يناهض ويناضل رجالاً ولدوا محمداً ﷺ! ولو عزلنا ما أكرمه الله به من النبوة حتى تقتصر على أخلاقه ومذاهبه وشيمه لما وفي به بشر، ولا عدله شيء، ولو شئنا أن نذكر ما أعطى الله به عبد المطلب من تفجر العيون وينابيع الماء من تحت كل كل بعيره وأخفافه بالأرض القسي، وبما أعطي من المساهمة وعند المقارعة من الأمور العجيبة والخصال البائنة، لقلنا، ولكننا أحببنا ألا نحتج عليكم إلا بالموجود في القرآن الحكيم والمشهور في الشعر القديم، الظاهر على ألسنة الخاصة والعامة ورواة الأخبار والآثار).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ليس أمية كهاشم ولا الصريح كاللصيق.. وذلك في جواب كتابه الى معاوية (نهج البلاغة: ١٦/٣) قال: (فأما طلبك إلي الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس. وأما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة ومن أكله الباطل فإلى النار. وأما استواؤنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة. وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم، وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل. ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجاً وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً كنتم ممن دخل في الدين إما رغبة وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم، فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً، ولا على نفسك سبيلاً).

كيف أخذ هاشم الإيلاف لقريش من قيصر

قال اليعقوبي (٢٤٢/١): (وكان أول من سن الرحلتين: رحلة الشتاء إلى الشام ورحلة الصيف إلى الحبشة إلى النجاشي. وذلك أن تجارة قريش لا تعدو مكة فكانوا في ضيق، حتى ركب هاشم إلى الشام فنزل بقيصر، فكان يذبح في كل يوم شاة، ويضع جفنة بين يديه ويدعو من حواليه. وكان من أحسن الناس وأجملهم، فذكر لقيصر فأرسل إليه فلما رآه، وسمع كلامه أعجبه، وجعل يرسل إليه، فقال هاشم: أيها الملك إن لي قومًا، وهم تجار العرب، فتكتب لهم كتابًا يؤمنهم ويؤمن تجارتهم، حتى يأتوا بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه، ففعل قيصر ذلك، وانصرف هاشم فجعل كلما مر بحي من العرب أخذ من أشرافهم الإيلاف، أن يأمنوا عندهم وفي أرضهم، فأخذوا الإيلاف من مكة والشام).

أقول: هذه الرواية تشير إلى أن قيصر كان في الشام، وربما في حمص، لكن الروايات الأخرى كرواية ابن سعد (٦٢/١) ومعجم القبائل (١٢٠٧/٣) قالت إنه كان يذهب إلى أنقرة: (كان أول من سن الرحلتين لقريش، يرحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه ويحبوه، ورحلة في الصيف إلى الشام إلى غزة، وربما بلغ أنقرة فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه). ومعناه أنه التقى بقيصر في أنقرة أيضاً، وكان قيصر يرسل إليه ليأتيه ويراه. ومعنى تأسيسه رحلتي الشتاء والصيف، أنه أخذ مرسومًا من قيصر وكسرى والملوك والقبائل التي تمر فيها قوافلهم بين مكة واليمن، ومكة والشام وفلسطين ومصر، بعدم التعرض لها وحماتها! وقد منَّ الله على قريش بفعل هاشم فقال: لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف.. لكن قريشاً لا تشكر نعم ربها ولذلك كان النبي ﷺ يقرأ السورة فيقول: ويل أمكم قريش، رحلة الشتاء والصيف! (تاريخ دمشق: ٢٣/ ٢٢٨، والزوائد: ٧/ ١٤٣، وكبير الطبراني: ١٧٨/ ٢٤، وأحمد: ٤٦٠/ ٦).

شارك هاشم الملوك في تجارته

قال الجاحظ في رسائله (٤١٣/١): (وما هو مذكور في القرآن عدا حديث الفيل قوله تعالى: لإيلاف قريش، ولقد أجمعت الرواة على أن أول من أخذ الإيلاف لقريش هاشم بن عبد مناف. فلما مات قام أخوه المطلب مقامه، فلما مات قام عبد شمس مقامه، فلما مات قام نوفل مقامه وكان أصغرهم).

والإيلاف هو أن هاشماً كان رجلاً كثير السفر والتجارة فكان يسافر في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن نحو العباهلة باليمن واليكسوم من بلاد الحبشة، ونحو ملوك الروم بالشام، فجعل لهم معه ربحاً فيما يربح، وساق لهم إبلًا مع إبله فكفاهم مؤونة الأسفار على أن يكفوه مؤونة الأعداء في طريقه ومنصرفه، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين، وكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً. فأخصبت قريش بذلك وحملت معه أموالها، وأتاها الخير من البلاد السافلة والعالية، وحسنت حالها وطاب عيشها).

حسد أمية بن عبد شمس لعمه هاشم

رووا كلهم أن ابن أخيه أمية بن عبد شمس حسده وعاداه ودعاه إلى المنافرة! ومعنى المنافرة أن يدعي أحده أنه أفضل من الآخر، ويطلب أن يحتكما إلى كاهن أو حكيم، ويقبلا بحكمه! قال الطبري (١٣/٢) بعد أن ذكر مدح الشعراء لهاشم: «فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا مال، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة! فكره هاشم ذلك لسنه وقدره، ولم تدعه قريش وأحفظوه فقال: إني أنافرك على خمسين ناقة سودا لحدق تنحرها بطن مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين. فرضي بذلك أمية وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي، فنفر هاشماً عليه (حكم لهاشم أنه أفضل، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية». والسيرة الحلبية (٧/١) والطبقات (٧٥/١) وعامة المصادر.

وقد ورث أمية حسده وعداوته لأبنائه! واشتهر حسدهم لبني هاشم حتى قال الناس إن هاشماً وعبد شمس ولداً توأماً ورجل هاشم ملتصقة بجبهة عبد شمس!

وفي الكامل لابن الأثير (١٦/٢): (وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحمق ومنزله بعسفان، وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري وكانت ابنته عند أمية، فقال الكاهن: والقمر الباهر، والكواكب الزاهر، والغيام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أول منه وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر. فقضى لهاشم بالغلبة، وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها، وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين. وكان يقال لهاشم والمطلب البدران لجمالهما).

وروى ابن عساكر (٢٢٠/٩) وصف المعمر اليماني لأمية وهاشم: « قال معاوية: إني لأحب أن ألقى رجلاً قد أتت عليه سن وقد رأى الناس، يخبرنا عما رأى فقال بعض جلسائه: ذلك رجل بحضر موت! فأرسل إليه فأتي به فقال له.. فأخبرني هل رأيت هاشماً؟ قال: نعم رأيت رجلاً طوالاً حسن الوجه، بين عينيه غرة بركة. قال: فهل رأيت أمية؟ قال: نعم رأيت رجلاً قصيراً أعمى يقال إن في وجهه لشرّاً أو شؤماً! قال: فهل رأيت محمداً؟ قال: من محمد؟ قال: رسول الله، قال: ويحك ألا فحمته كما فخمه الله فقلت: رسول الله! قال: فأخبرني ما كانت صناعتك؟ قال: كنت رجلاً تاجراً. قال: فما بلغت تجارتك؟ قال: كنت لا أشترى عبداً ولا أرد ربها! قال له: سلني، قال: أسألك أن تدخلني الجنة! »

أسس هاشم إطعام الحجيج

« أصاب الناس سنة جذب شديد فخرج هاشم إلى الشام، وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام، فاشترى دقيقاً وكعكاً، وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر، وجعله ثريداً وأطعم الناس حتى أشبعهم، فسمى بذلك هاشماً، وكان يقال له: أبو البطحاء، وسيد البطحاء ». (تاريخ الطبري: ٨ / ٢، واليعقوبي: ٢٤٥ / ١). وإنما سمي هاشماً لهشمه الثريد للحاج، وكانت إليه الوفادة والرفادة، وفيه يقول مطرود بن كعب الخزاعي كما تقدم:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسنثون عجاف

واتفق المؤرخون على بُل هاشم وتميزه، وأن أباه عبد مناف أوصى له بمفتاح البيت وموارث إسماعيل عليه السلام، وكان مناف وصّى إلى هاشم، ودفع إليه مفتاح البيت، وسقاية الحاج وقوس إسماعيل «.

وقال وهب بن عبد قصي في ذلك (ابن سعد: ٦١/١):

تحمل هاشم ما ضاق عنه	وأعيا أن يقوم به ابن بيض
أتاهم بالغرائر متاقات	من ارض الشام بالبر النفيض
فأوسع أهل مكة من هشيم	وشاب الخبز باللحم الغريض
فظل القوم بين مكللات	من الشيزاء حائرهما يفيض).

أقول: نلاحظ في شعر ابن الزبعرى المتقدم أن القافية جاءت مكسورة في بيتين، وفي الثالث جاءت عجاف مرفوعة، وفي شعر وهب هذا أن البيت الأخير قافيته مرفوعة. ومعناه أن العرب تجوز للشاعر تغيير حركة القافية لضرورة الشعر.

رتب هاشم حراسة مكة

قال في شرح النهج (٢٠٢/١٥): (قال أبو عثمان الجاحظ: قالوا: إن هاشماً جعل على رؤساء القبائل ضرائب يؤدونها إليه ليحمي بها أهل مكة، فإن ذؤبان العرب وصعاليك الأحياء وأصحاب الغارات وطلاب الطوائل، كانوا لا يؤمنون على الحرم، لا سيما وناس من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة، ولا للشهر الحرام قدراً، مثل طيء وختعم وقضاعة وبعض بلحارث بن كعب، وكيفما كان الإيلاف فإن هاشماً كان القائم به دون غيره من إخوته).

تزوج هاشم من بني النجار

قال ابن سعد (٦٤/١): (قال: وأخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال: حدثني القاسم بن العباس عن أبيه عن عبد الله بن نوفل بن الحارث قال: كان هاشم رجلاً شريفاً. وهو الذي أخذ الحلف لقريش من قيصر لأن تختلف أئمة. وأما من على الطريق فألفهم على أن تحمل قريش بضائعهم ولا كراء على أهل الطريق. فكتب له قيصر كتاباً، وكتب إلى النجاشي أن يدخل قريشاً أرضه وكانوا تجاراً. فخرج هاشم في غير لقريش فيها تجارات، وكان طريقهم على المدينة فنزلوا بسوق النبط فصادفوا سوقاً تقوم بها في السنة يحشدون لها. فباعوا واشتروا ونظروا إلى امرأة على موضع مشرف من السوق فرأى امرأة تأمر بما يشتري ويبيع لها. فرأى امرأة حازمة جلدة مع جمال، فسأل هاشم عنها: أأيم هي أم ذات زوج؟ فقليل له: أيم كانت تحت أحيحة بن الجلاح فولدت له عمرأ ومعبداً ثم فارقتها، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشرطوا لها أن أمرها بيدها فإذا كرهت رجلاً فارقت، وهي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبید بن خدّاش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. فخطبها هاشم فعرفت شرفه ونسبه فزوجته نفسها ودخل بها، وصنع طعاماً ودعا من هناك من أصحاب العير الذين كانوا معه، وكانوا أربعين رجلاً من قريش فيهم رجال من بني عبد مناف ومخزوم وسهم، ودعا من الخزرج رجالاً وأقام بأصحابه أياماً، وعلقت

سلمى بعبد المطلب فولدته وفي رأسه شيبة فسمي شيبة. وخرج هاشم في أصحابه إلى الشام).
والصحيح عندي أنه رجع وأخذها إلى مكة، ورزق منها عبد المطلب وأخته الشفاء، وكان
يأتي بها إلى أهلها قبل ولادتها لتلد عندهم.

أولاد هاشم رضي الله عنهم

في العدد القوية ١٤٠: «كان هاشم خمسة بنين: عبد المطلب، وأسد، ونضلة وصيفي، وأبو صيفي.
وسمي هاشماً لهشمه الثريد للناس في زمن المسغبة، وكنيته أبو نضلة، واسمه عمرو العلي. قال
ابن الزبيري :

كانت قريشٌ بيضةً فتفلَّقتُ فالحُ خالصُها لعبد مُناف
الرايشون وليس يوجد رايش والقائلون هلمَّ للأضياف
والخالطونَ فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي
عمرو العلي هشمَ الثريد لقومه ورجالُ مكة مستنون عجافٍ

وقال اليعقوبي (٣٤٤/١): (وكان هاشم من الولد عبد المطلب، والشفاء، وأمها سلمى بنت
عمرو ابن زيد بن خدّاش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، ونضلة بن هاشم وأمها أميمة
بنت عدي بن عبد الله، وأسد أبو فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب وأمها قيلة بنت عامر بن
مالك بن المطلب، وأبو صيفي انقرض نسله إلا من رقيقة بنت أبي صيفي، وصيفي درج صغيراً،
وأمها هند بنت عمرو بن ثعلبة بن الخزرج، وضعيفة وخالدة وأمها واقدة بنت أبي عدي،
وحنة بنت هاشم وأمها أم عدي بنت حبيب بن الحارث الثقفية.

وكان هاشم لما أراد الخروج إلى الشام حمل امرأته سلمى بنت عمرو إلى المدينة لتكون عند
أبيها وأهلها، ومعه ابنه عبد المطلب. فلما توفي أقامت بالمدينة وكان المطلب بن عبد مناف قد قام
بأمر مكة بعد أخيه هاشم).

وقال بن سعد في الطبقات (٦٥/١) والزبيري في كتاب نسب قريش ١٦: (وَوَلَدَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ
مَنَافٍ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَخَمْسَ نِسْوَةٍ: شَيْبَةَ الْحَمْدِ وَهُوَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ. وَكَانَ سَيِّدَ قُرَيْشٍ حَتَّى هَلَكَ. وَرَقِيَّةُ
بِنْتُ هَاشِمٍ، مَاتَتْ وَهِيَ جَارِيَةٌ لَمْ تَبْرُزْ. وَأَمَّا سَلْمَى بِنْتُ عَمْرِو بْنِ زَيْدٍ بْنِ لُبَيْدٍ.. بْنِ النَّجَّارِ.

وأخواهما لأُمها عمرو ومعبدا ابنا أحيحة. وأباصيفي بن هاشم، واسمه عمرو وهو أكبرهم، وأُمهما هند بنت عمرو بن ثعلبة بن عوف بن الخزرج. وأخوهما لأُمهما مخزومة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي. وأسد بن هاشم وأمه قيلة. ونضلة بن هاشم، والشفاء ورقية، وأُمهم أُميمة بنت عدي بن عبد الله من قضاة، وأخاهما لأُمها نفيل بن عبد العزى العدوي. والضعيفة بنت هاشم، وخالدة بنت هاشم، وأُمها أم عبد الله وهي واقدة بنت أبي عدي. وحنة بنت هاشم، وأُمها عدي بنت حبيب بن الحارث.

ولما توفي هاشم رثاه ولده بأشعار كثيرة، فكان مما قيل فيما أخبرنا محمد بن عمر عن رجاله: قالت خالدة بنت هاشم ترثي أباه. وهو شعر فيه ضعف:

بكر النعي بخير من وطأ الحصى ذي المكرمات وذو الفعال الفاضل
بالسيد الغمر السמידع ذي النهى ماضي العزيمة غير نكس واغل
زين العشيرة كلها وربيعةا في المطبقات وفي الزمان الماحل
بأخي المكارم والفواضل والعلی عمرو بن عبد مناف غير الباطل
إن المهذب من لؤي كلها بالشام بين صفائح وجنادل
فابكي عليه ما بقيت بعولة فلقد رزئت أختا ندى وفواضل
ولقد رزئت قريع فھر كلها ورئيسها في كل أمر شامل

من هاجر مع النبي ﷺ من بني هاشم

هاجر من بني هاشم إلى المدينة: حمزة عم النبي ﷺ، وابن عمه عبدة بن الحارث وابن عمه علي بن أبي طالب ؑ، وأمه فاطمة بنت أسد ؑ، وابنة النبي ﷺ فاطمة ؑ وابنة حمزة فاطمة وتسمى ضباعة، وخادم النبي ﷺ أبو واقد وخادمه شقران، وحليف النبي ﷺ زيد بن حارثة، وزوجته حاضنة النبي ﷺ أم أيمن وولدها أيمن بن عبيد وطفلها أسامة بن زيد. وكانت أم أيمن حاضنة النبي ﷺ: «سوداء، ورثها عن أمه وكان إسمها بركة فأعتقها ﷺ وزوجها عبيد الخزرجي بمكة فولدت له أيمن، فمات زوجها فزوجها النبي ﷺ من زيد، فولدت له أسامة أسود يشبهها، فأسامة وأيمن أخوان لأم». (البحار: ٢٢/ ٢٦٣). وكانت جارية سوداء نوبية د

كتاب سليم / ٣٨٩. « ورثها من أبيه فأعتقها ». (مناقب آل أبي طالب: ١/١٤٧).

« كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب وكانت من الحبشة، فلما ولدت أمانة النبي بعدما توفي أبوه حضنته أم أيمن حتى كبر، ثم أعتقها النبي ثم أنكحها زيد بن حارثة. توفيت بعد النبي بخمسة أشهر ». (قاموس الرجال: ١٢/١٩٣).

روايتهم عن مدة عمر هاشم غير معقولة!

قالوا: كان هاشم شاباً ابن خمس وعشرين، وكان في غزة، فمرض ومات هناك. قال الحموي في معجم البلدان (٢٠٢/٤، و: ٤٠/٣): « مات هاشم بغزة وعمره خمس وعشرون سنة، وذلك الثبت ». أقول: تدل القرائن في حياة هاشم على أن عمره كان خمسين أو ستين سنة. ويدل عليه: أنه توأم مع عبد شمس، وأن أمية بن عبد شمس كان صاحب ثروة فحسد عمه هاشماً ونافره. ومعناه أن أمية كان في الثلاثين من عمره حتى يجمع ثروة كما قالوا، فأبوه عبد شمس في نحو الخمسين من عمره، وهو توأم هاشم. ويدل عليه: أن إنجازات هاشم المتنوعة والمتعددة، تستغرق وقتاً، ولا يكفي لها عمر عشرين سنة، أو خمس وعشرين! ويدل عليه: أن الطبري وغيره روى أنفة هاشم عن منافرة ابن أخيه أمية، لسنه وقدره. وهي عبارة لا تقال لكهل ابن ثلاثين فما فوق.

المظنون أن أمية واليهود قتلوا هاشماً بالسم

لعله كان في الخمسينات كما تشير رواية منافرته مع أمية، ولأنهم ذكروا أنه أنشأ علاقات مع ملوك عصره، وكان له سفرات كثيرة إلى الحبشة والشام واليمن وكان يصل إلى أنقرة فيكرمه قيصر. وأحتمل أن يكون سقي السم، لأنه أول رجل من أولاد إسماعيل عليه السلام كانت له زعامة مطلقة في العرب واحترام من ملوك عصره. وقد كان أمية حاسداً له حاقداً عليه، وزاد حقه لما خسر أمام عمه في المنافسة، وحكموا عليه بالنفي من مكة عشر سنين، وكان لأمية علاقات باليهود في بلاد الشام وعنده ذكوان الصفوري الذي تبناه كان يهودياً، فمن القريب أن يكون أمية دبّر سُمَّ عمه ليشفي حقه!

قال ابن قتيبة في المعارف/٣١٩: «كان أمية بن عبد شمس خرج إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فوقع على أمة للخم يهودية من أهل صفورية يقال لها ترنا، وكان لها زوج من أهل صفورية يهودي، فولدت له ذكوان فادعاه أمية واستلحقه وكناه أبا عمرو ثم قدم به مكة، فلذلك قال النبي ﷺ لعقبه يوم أمر بقتله: إما أنت وقريش! إنما أنت يهودي من أهل صفورية [لأنك في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له].»

قال ابن عقيل في النزاع والتخاصم/١٤: (وبنو أمية لهم أكبر سابقة في التهلك والفسوق والوقاحة، فقد نافر أمية هاشماً فنفره هاشم، فخرج أمية إلى الشام وأقام بها عشر سنين، وكان مضعوفاً وصاحب عهار، وقد صنع أمية شيئاً لم يصنعه أحد من أهل الجاهلية، فقد نزل لابنه أبي عمرو في حياته عن زوجته وزوجه بها فبنى بها أبو عمرو أمام أبيه، وكان المقيتون في الجاهلية الذين يتزوجون نساء آبائهم بعد موتهم، أما من يتزوج زوجة أبيه وهو حي على مرأى منه، فهذا لم يكن قط قبل أمية).

وفي المنمق لابن حبيب/٩٧: «ويقال استلحق ذكوان أيضاً أبان». راجع: الطبقات: ١/ ٧٥، والمنمق/ ٩٧، والطبري: ١/ ٣٧١ و ٢/ ١٣، وكامل ابن الأثير: ٢/ ١٦، والنزاع والتخاصم/ ٤٩، وإمتاع الأسماع: ١٠/ ٦ للمقريزي، وسبل الهدى: ١/ ٢٧١، والسيرة الحلبية: ١/ ٧، والمنمق: ٢/ ٢١٢، وأعلام النبوة/ ٢٥١ ومعجم ما استعجم: ٣/ ٨٣٧، والعدد القوية/ ١٤٠.



قضية قبر هاشم في مسجد حي الدورة بغزة

حديث أحد علماء غزة الشوافع عن قبر هاشم

كان قبر هاشم عليه السلام في غزة مشهداً يزوره المسلمون، لأنهم يعتقدون أنه كان مسلماً على دين جده إبراهيم عليه السلام، وقد بنى المماليك والعثمانيون على قبره مسجداً. وفي السنوات الأخيرة دخل غزة مذهب الوهابيين الإنكليزي، ولما رأى الوهابيون المسلمين يزورون قبر هاشم قاموا بتخريبه، لكنهم لم يستطيعوا حفر القبر ولا هدم غرفته، لأنها غرفة في مسجد تاريخي كبير.

وهذه المقالة والحوار مع أحد علماء الشافعية الغزاويين، تكشف قضية القبر. فقد كتب تامر عبدالله في مجلة دنيا الوطن التي تصدر في غزة بتاريخ (٢٠٠٦-٣-١):

(يقع ضريح السيد هاشم بن عبد مناف جد الرسول الكريم ﷺ داخل مسجد السيد هاشم بغزة، تحديداً في حي الدرج، وتبلغ مساحة المسجد ٢٣٧١م^٢، وهو من أكبر جوامع غزة وأتقنها بناء، والراجح أن المالك هم أول من أنشؤوه وقد جده السلطان عبد المجيد العثماني سنة ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م) وكان في الجامع مدرسة موجودة أنشأها المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى في فلسطين من مال الوقف، وقد أصابت الجامع قنبلة أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٧) فخربته. ولكن المجلس الإسلامي الأعلى عمره وأرجعه إلى أحسن ما كان عليه.

وأما ما يهمننا بهذا الحديث هو ضريح السيد هاشم الموجود بداخل المسجد فقد تعرض هذا الضريح لاعتداء ترددت أسبابه ما بين مؤيد ومعارض، وبقيت هذه المسألة معلقة، دون أن يجزم أحد بأيهم على حق!

لذا نحن في دنيا الوطن كان لنا هذا الحوار مع الشيخ عبد اللطيف أبو هاشم مدير دائرة التوثيق والمخططات بوزارة الأوقاف الفلسطينية، حيث أثرنا هذه القضية لكي نضع النقاط على الحروف. ✽ أثار وجود قبر هاشم بغزة جدلاً منذ الإنتفاضة الأولى بعد أن أقدمت فئة متطرفة على تحطيمه، فما هي حججهم في ذلك؟

✽ دعنا نتكلم عن جذور الموضوع، انطلاقاً من الحركة السلفية في العصر الحديث، وأنا أرفض كلمة متطرفين لأنه هو فهم خاص لمجموعة من القضايا أفرزت في العصر الحديث الحركة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلاد الحجاز، وهي مبنية على مفاهيم موجودة قبل ذلك لدى الشيخ الإسلامي ابن تيمية وابن القيم، هذان العلمان وابن تيمية بالذات يرى أنه لا يجوز شد الرحال إلى المقابر العادية، ولا إلى قبر الرسول ﷺ، وأن من يزور قبر النبي عليه الصلاة والسلام فهو ذونية غير صحيحة، ولا يثاب على ذلك!

لذلك رد عليه جل علماء الإسلام وخطووه في هذه القضية، وبالذات كتاب الإمام السبكي في زيارة قبر الرسول ﷺ، ولكن خطورة ما قام به السلفية في أوائل القرن التاسع عشر وقبل ذلك، انطلاقاً من هذه العقيدة التي يعتقدونها وأن البدع قد انتشرت، وأن الأولياء قد قدست، وأن الناس أشركت، بناء على ذلك فهم يحاربون الشرك، فقاموا بطمس كل الآثار الإسلامية الموجودة في المدينة المنورة ومكة المكرمة، مثل أرض البقيع المدفون بها كبار الصحابة، ومعالم كبيرة جداً

كان ينبغي أن تكون ولا تهدم، بل ويصل بهم الأمر أنهم أرادوا أن يهدموا قبر الرسول ﷺ، وبالفعل الآن لا يوجد آثار إسلامية في بلاد الحجاز! كلها حطمت! إن ذاكرة الإسلام كله موجودة في بلاد الحجاز فلم تهدم!

هناك إيعاز من بلاد أخرى، وأخذت إطاراً إسلامياً على أساس محاربة الشرك وغير ذلك!

لكن هل نعبد القبر عندما نقف عند قبر النبي ﷺ أم أنني أتذكر سيرة الإسلام لمدة ١٤٠٠ عام؟ بالطبع ذلك لا غير، وحجتهم فيها فعلوه السلفيين بقبر السيد هاشم بأنه كان كافراً وأنه ليس مسلماً للأسف، والسيد هاشم ليس كافراً فقد مات قبل الإسلام وهو في طريقه إلى مكة المكرمة، ويقول الشاعر في ذلك:

كهاشم في ضريح وسط بلقاة تسفي عليه الرياح عند غزات.

ثم أن مدينة غزة سميت باسمه لوجود قبره فيها.

هل يخضع قبر هاشم لرعاية وزارة الأوقاف؟ ولماذا لا يتبع دائرة الآثار؟

هو معلم ديني تابع لوزارة الأوقاف، فهو ضمناً تابع للمسجد.

لقد بنت وزارة الأوقاف مسجداً بمحيط القبر وأصبح القبر بذلك داخل المسجد، فهل اعتبرته الوزارة من المعالم الإسلامية؟

إذا قلنا من المعالم الإسلامية فهو منها لأنه يخص الرسول ﷺ، لأن هاشم بن عبد مناف هو جد الرسول عليه الصلاة والسلام، نحن نشرف بأنه جد الرسول ﷺ فقط لا غير.

تردد أن سبب قيام فئة من الناس بغزة بتحطيم قبر هاشم يعود لإقدام بعض الجماعات المسلمة بالتبرك بهذا القبر، ما هو تعليقكم؟

نعم، هو ردة فعل على طائفة من الهنود كانوا يكثرون من الزيارات وتأتي للتبرك من القبر، ولهم اعتقاد أن أي أثر من آثار آل بيت الرسول ﷺ يقدسونه، وأنا أرى حادثتين أحدهما بالإفراط في الإيجاب والأخرى الإفراط في السلب، فطائفة البهرة تفرط في التقديس والتبرك وهذا شيء خاطئ ومخالف للإسلام، وهم من الطوائف غير السنية أي طوائف الشيعة، والأخوة في الحركة السلفية يفرطون في قضية الإهمال إلى درجة العدوانية على أثر إسلامي.

أنا لا أعتقد أن هذا هو الحل، يجب أن نمنع هؤلاء الناس من التبرك وبنفس الوقت لا نهدم أي أثر إسلامي، فمثلاً في الحج حينما يريد بعض الناس أن تتمسح بقبر الرسول ﷺ، فلو أننا اعتقدنا أن هذا خطأ فهل يكون هذا دافعاً لهدم القبر! بالطبع لا، والقياس موجود مع المفارقة، وقد جاءت الدول والدويلات على بلاد الحجاز الأموية والعباسية والعثمانية وغيرهم، فلماذا لم يقوموا بهدم هذه المعالم الإسلامية؟ أجميعهم غفلوا عنها؟ وقام بذلك الحركة الوهابية فقط، هل غفل جل علماء المسلمين؟ لا ولكن يجب المحافظة على هذه الآثار الدينية، لذلك الحفاظ عليها من اختصاص وزارة الأوقاف، وكان الشيخ عثمان الطباع رحمه الله يقول في بعض الأجزاء من إتحاف الأعرزة وهو يتحدث عن غزة: والناس في غير بلادنا يحترمون الآثار القديمة ويقدمونها أو على الأقل يتركونها من غير سرقة لرخامها ولا تعجبن لبنائها وهذا من جملة الأسباب التي أدت إلى خراب غزة وضعف أهلها وتسلط الفقر فيها، فيجب فعلاً المحافظة على الآثار.

✽ خلال الإنتفاضة الأولى تم تحطيم قبر هاشم، وقبل فترة وجيزة قامت جماعة متطرفة بغزة بتحطيم نصب الجندي المجهول للمرة الثانية خلال عامين بعد ترميمه المرة الأولى، برأيك هل تتجه غزة إلى حالة شبيهة بطالبان عندما أقدمت حكومتها على هدم التماثيل؟

✽ لا، لا أعتقد ذلك، الفرق كبير جداً بين المفاهيم لدينا وفي طالبان، المفاهيم في طالبان مطابقة للسلفية في السعودية، ومن درس في السعودية جاء هنا ويطبق هذه الأشياء، فهم يرون الجندي المجهول صنماً أو تمثالاً، وبرأيي غير مطلوب هدمه أو تحطيمه لأنه حسب ما قال العلماء مادام لا يعبد ليس لنا به أي علاقة، والتماثيل أيضاً التي هدمتها طالبان لم تهدمها كل الدول إلا حركة طالبان، وقامت بتأليب العالم كله ضدها.

✽ ما تزال قضية الآثار العربية في الحقبة الجاهلية تثير الجدل والحساسية لدى بعض المسلمين سواء في غزة أو غيرها، بينما الآثار التي تعود للرومان والفينيقيين والآشوريين والفراعنة محل تكريم! هل تعتقد أن هناك خلط من قبل بعض المسلمين ما بين مرحلتين متداخلتين، وهما نهاية الجاهلية وصدر الإسلام؟

✽ هناك نقطة مهمة جداً وهي أن الآثار لها تأثير على العقيدة الإسلامية وكانت فيها معبودات وثنية، يمكن دراستها من ناحية تاريخية، لكن لا تقديس ولا تبرك، ولكن أنا أنتمي حضارة

إسلامية ولجذور عربية موجودة قبل الميلاد بثلاثة أو أربعة آلاف عام، فهذه قضية لا بد لي أن أبينها فهي تفيدني في وجودي في هذه البلاد، على أساس أنه الآن يوجد نقوش ووثائق تؤكد أن العرب موجودون قبل الإسلام، وهم الآن ذخري للإسلام.

فهذه ناحية إيجابية للإسلام فنلاحظ أن هناك مجموعة من الكنائس جاء الإسلام وحولها إلى مساجد، فمثلاً المسجد العمري كان كنيسة الملكة أوفيدكتسيا، وحينما أسلم أهل المدينة تحولت الكنيسة إلى جامع في العهد العمري، ففي مدينة غزة على سبيل المثال كانت من أكثر المدن مليئة بالأصنام، فحين أتى عمرو بن لحي وأخذ معه العديد من الأصنام لمكة لذلك، كان صعب جداً دخول المسيحية في غزة، واليهودية لم تدخل مدينة غزة، ولا المدن الساحلية.

هل ترى أن عدم اهتمامهم بالوجود العربي ولا بحضارة العرب وما يمارسونه على أرض الواقع، هدفه ضياع القومية العربية؟!

هم لا ينطلقون من هدم القومية العربية، فهم ينظرون إلى قضية جزئية فهم ينظرون وجود مقام أو قبر أو شاهد هو أمر غير مشروع، وهو عندما يقوم أحدهم بهدمه فإنه يؤجر من رب العالمين، ويعتقدون أيضاً أن هذه من آثار الجاهلية الأولى، حيث أنهم في الجاهلية قالوا لا نعبدها ولكن نتقرب إلى الله بها، والذين يتبركون اليوم بها يقولون ذات الشيء وأنا أرى أن قضية التبرك غير موجود الآن فالكل لديه وعي ويعلم بالعتيدة، أما الإشراف الموجود اليوم فهو الإشراف مع الله في أعظم خصائصه وهي الحكم فلا يوجد دولة اليوم تحكم بحكم الإسلام، فأنا أعتقد أن ما يحدث هو نوع من الإلهاء للناس بأن الشرك موجود بصورة كبيرة وأن هناك خطر على عقائد الناس، هذا غير صحيح، كل الناس تعتقد بالله بكل صفاته العليا، إذا السبب الذي يمكن أن تهدم من أجله القبور فهو غير موجود، لا يوجد يدعو أحد للطواف حول القبور أو المزارات ولكن نعلم أن هذا رجل صالح فنحترمه ولا نهدم قبره، ولا نقدسه أو نتبرك به).

كما نشر الموقع المذكور وصفاً للحرم الهاشمي، جاء فيه:

(يعد الحرم الهاشمي من أجمل جوامع غزة الأثرية وأكبرها، وهو عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أربع مظاهرات أكبرها مظلة القبلة، وفي الغرفة التي تفتح على المظلة الغربية ضريح سيدنا عبد مناف وسيدنا هاشم جداً رسول الله محمد ﷺ، الذي توفي في غزة أثناء رحلتها التجارية

رحلة الصيف وإقامتهما فيها. ثم صار الناس يدفنون حولهما حتى صار عندهما تربة كبيرة، وخفي أثرهما بتوالي الأزمان والحروب وإن ظل موضع المغارة التي دفنا فيها معروفاً، حيث نوه الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته إلى زيارته له. وفي أثناء القرن الثاني عشر الهجري أظهر الضريح وأحيط بالبناء وجعل فوقه قبة وصار يقصد للزيارة، ثم جدد الضريح أثناء القرن الثالث عشر الهجري وبني عليه مقصورة عظيمة بقبة شاخنة، وأزيلت تلك المقبرة وبني مكانها جامع ومدرسة للغرباء بمنارة عالية، وبيت كبير للصلاة بمحراب ومنبر وصحن واسع وإيوانات بأعمدة دائرية، نقلت إليه من موضع الميناء القديمة بساحل البحر حتى صار من أعظم الجوامع وأتقنها، ومن أنفس الآثار وأحسنها).

مسجد السيد هاشم في غزة.. أيقونة المعمار المملوكي والعثماني:

ظلال لزخرفة ملونة، عكستها أشعة الشمس، التي تسلت قبيل ساعات المساء، من قمرية مغطاة بزجاج ملون ومزخرف بأشكال هندسية دقيقة ترسم على أرضية بيت الصلاة في أحد أشهر مساجد مدينة غزة القديمة.

تلك القمرية المغطاة بالزجاج الملون تحتضنها تاج أحد أبواب بيت الصلاة في مسجد السيد هاشم بن عبد مناف الذي بناه المماليك، وجدده السلطان العثماني عبد المجيد الأول عام ١٨٥٥ قرب سور مدينة غزة القديمة.

والقمرية هي نوع من أنواع النوافذ المشبكة برخام أو بجص وهي من أصل عربي انتشرت أيضاً في صقلية، وتمثل نمطاً معقداً من زخارف هندسية.

ويكتسب مسجد السيد هاشم الذي يتوسط مدينة غزة ويقع في حي الدرج، طابعاً تاريخياً كون أن قبر هاشم بن عبد مناف جد الرسول محمد ﷺ موجود في إحدى غرفه الجانبية، ورغم أن كثيراً من الروايات التاريخية تؤكد دفن جد الرسول في موقع القبر تماماً، إلا أن روايات أخرى تشكك في دقة موقع القبر. وتذكر إحدى أشهر الروايات التاريخية أن السيد هاشم بن عبد مناف دفن في مغارة إلى جانب سور مدينة غزة القديمة، حيث كان تاجراً يزور غزة بشكل دائم وخلال رحلته الأخيرة توفي ودفن في تلك المغارة. وفي أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، أزيلت المغارة وأحيط القبر بجدران تعلوها رقبة ثمانية الشكل مسقوفة بقبة كبيرة.

وفي عام ١٨٥٥ قدم مفتي المذهب الحنفي في قطاع غزة أحمد بن محي الدين الحسيني طلباً للسلطان العثماني عبد المجيد الأول بإنشاء مسجد قرب قبر السيد هاشم، فاستجاب السلطان العثماني للطب وبنى بيتاً للصلاة، وفقاً لهيام البيطار، مديرة قسم الدراسات والأبحاث في وزارة السياحة والآثار في حكومة غزة المقالة.

وتقول البيطار، في حديث لوكالة الأناضول: بعد بناء بيت الصلاة وفقاً للطراز المملوكي بنظام الأقواس، ألحقت به الأروقة الجنوبي والشمالي والغربي التي يحملها تسعة عشر عموداً رخامياً ومسقوفة بسبعة عشر قبة صغيرة وقبتين كبيرتين. وبيت الصلاة مبني في الجهة الشرقية من المسجد هو شبه مربع، وبه محراب يتجه نحو القبلة، ومنبر.

وتبلغ مساحة المسجد ٢٤٠٠ متر مربع جزء صغير منها مبني عليه بيت الصلاة، وباقي المساحة عبارة عن ساحة رخامية وأروقة تحيط بالساحة من الشمال والجنوب والغرب، وتمتد على طول الأروقة أعمدة رخامية على الطراز الكورنثي، ويزين تاج العمود زخرفة محفورة من أوراق نبات الأكانتس والخرشوف، وفق البيطار.

والطراز الكورنثي هو نظام معماري كلاسيكي ينسب إلى مدينة كورينثوس اليونانية يمكن معرفته من شكل تاج العمود والزخارف المزيّنة له.

ورغم أن بيت الصلاة في مسجد السيد هاشم بني على الطراز المملوكي، إلا أن الأروقة وساحة المسجد بنيت على الطراز العثماني، فقد حرص العثمانيون على أن تلحق بالقبة الرئيسية لمساجدهم عدة قباب أصغر منها.

وتتميز جدران مسجد السيد هاشم بالسماكة، فسمك الجدار الواحد ٩٠ سم، وذلك لتكون قادرة على حمل القباب الحجرية التي تعلوها.

ويحيط بساحة المسجد مجموعة من الغرف كانت مدرسة لتعليم المذاهب الإسلامية، بالإضافة إلى وجود مكتبة كانت تضم مئات الكتب والمخطوطات، ولكنها احترقت خلال فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٨-١٩١٤) حيث تضرر مسجد السيد هاشم بشكل عام.

حقائق هامة:

١- مع الأسف أن إمام مسجد الحرم الهاشمي مع الفئة المعتدين فكراً وييدي سروره لمنع

قوات الاحتلال الإسرائيلي الهنود من دخول قطاع غزة لزيارة الحرم الهاشمي.

٢- البهرة واطبوا على زيارة المشهد الهاشمي طول الاحتلال.

٣- الفلسطينيون بشكل عام كانوا يهتمون بالمشهد الهاشمي.

٤- بعض المحسوبين على فرقة الإخوان المسلمين هم أول من تعرض لهتك المشهد الهاشمي وهدم آثار المرقد وعزله عن المسجد منعاً لزيارة الناس له.

٥- غضب الملك حسين الأردني من تعرض المشهد وحكم بإعدام الثلاثة الذين باشروا هدم الضريح.

٦- قام البهرة بتعمير المشهد الهاشمي وتجديده.

٧- وصف كثرة زوار المشهد الهاشمي بالرمال

غزة-دنيا الوطن:

بكثير من السرور ينظر يوسف أبو نجيلة إمام مسجد السيد هاشم بمدينة غزة لمنع قوات الاحتلال الإسرائيلي الهنود من طائفة البهرة من دخول قطاع غزة للتبرك والتمسح بضريح السيد هاشم بن عبد مناف جد النبي محمد ﷺ المدفون بالمسجد. ومنذ اندلاع انتفاضة الأقصى في سبتمبر ٢٠٠٠ تمنع إسرائيل الأجانب بشكل عام من دخول القطاع.

ويقول أبو نجيلة: إن الصحوة الدينية التي شهدتها قطاع غزة منذ الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ نجحت أيضاً في القضاء على الكثير من البدع والخرافات التي سادت لفترة طويلة من الزمن، باستثناء ممارسات البهرة نظراً لحماية السلطة الفلسطينية لهم.

واعتاد الهنود البهرة زيارة الضريح الموجود داخل مسجد السيد هاشم لأداء طقوس وعبادات داخله! حيث يعتبرونه أحد مقدساتهم الخمسة التي يجب على أبناء الطائفة زيارتها والحج إليها! ولم يكن البهرة وحدهم من يقوم بالبدع داخل الضريح! حيث كانت تنتشر في قطاع غزة حتى بداية الثمانينيات من القرن الماضي الكثير من البدع والطقوس داخل الضريح!

ويشير إمام المسجد يوسف أبو نجيلة إلى بعض أشكال البدع والخرافات التي كانت تمارس في المسجد، ويقول: كان الناس يأتون يطلبون البركة وقضاء الحوائج منه. فالمرأة العاقر

والرجل العقيم يأتون ويذبحون فيه القرابين. والبعض يقوم بختان أطفاله في الضريح! والبعض الآخر يقوم بحلق شعر المولود داخله! ويستذكر أبونجيلة أن بعض الناس كانوا يوقدون الشموع في الداخل! ويتمسحون بالجدران والقبر ويطوفون حوله!

ويقول أبونجيلة: إن هذه المظاهر استمرت حتى بداية الإنتفاضة الأولى، حيث أقدم عدد من الشبان المحسوبين على جماعة الإخوان المسلمين بعزل الضريح عن المسجد وإزالة شواهد القبر، من أجل منع الناس من القيام بهذه البدع والطقوس، ومارسوا حملات توعية للناس. لكن هذا العمل أثار غضب الملك حسين عاهل المملكة الأردنية الهاشمية الراحل، حيث حكم على الشبان الثلاثة الذين فصلوا الضريح عن المسجد بالإعدام، لكونه يعتبر أن السيد هاشم بن عبد مناف جده، وأن مملكته تنسب إليه.

ويضيف: مع مرور الوقت تقبل الناس الأمر! وأصبحوا أكثر وعياً بحرمة تلك البدع والخرافات التي كانوا يمارسونها داخل الضريح!

يقول الشيخ أبونجيلة: ومع قدوم السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٤، طلبت منها طائفة البهرة السماح لها بتطوير الضريح وأنفقت لهذا الغرض نحو ٣٠ ألف دولار بين عامي ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م. وخلال هذه الفترة كانت تأتي وفود حجيج البهرة تترى عبر رحلات سياحية تضم الرجال والنساء والأطفال وتقوم بممارسة طقوس وعبادات غريبة، منها الدوران حول القبر والتمسح بالجدران وإيقاد الشموع.

وحين اكتمل بناء الضريح أقام البهرة حفل افتتاح حضره سلطانهم الهندي وكان عمره وقتها حوالي ١٠٠ عام، ووفرت له السلطة الفلسطينية وقتها حراسة خاصة، وأقام البهرة بهذه المناسبة حفل غداء وذبحوا خروفين على باب المسجد، ويشير أبونجيلة إلى حادثة طريفة وقعت في الحفل حيث اختلف بعض علماء وزارة الأوقاف الفلسطينية الذين حضروا الحفل حول حرمة الأكل من لحم الخروفين. وبعدها بفترة حضر ابن السلطان وقام بطلاء أبواب الضريح وحصل على مفاتيحه كي يقوم أبناء طائفته بدخوله وقتما يشاءون. ويشير أبونجيلة إلى أن البهرة يعتبرون المقام مقدساً لديهم، بالإضافة إلى ٤ مناطق أخرى في العالم هي المسجد الإبراهيمي

والمسجد الأقصى والمقام الحسيني في مصر ومغارة أهل الكهف في الأردن.

ورغم اختفاء البدع وانتشار الوعي الديني لدى الفلسطينيين فإن أبو (أبا) نجيلة يشير إلى وجود بقايا ممارسات قديمة تحصل من حين لآخر. ويقول: حيث حضرت قبل فترة سيدة تريد ذبح خروف في منتصف صحن المسجد وفاء لنذر نذرتة، إلا أن بعض الشبان منعوها وقاموا بذبح الخروف على باب المسجد. كما يوضح أن بعض العجائز يطلبون أحياناً زيارة الضريح ويتمسحون به. وبحسب أبو نجيلة فإن بعض الصوفية من أهل القطاع يحضرون بين فترة وأخرى فرادى ويزورون الضريح.

ولا يخفى الحاج أبو سليمان العمريطي (٨٧ عاماً) أحد رواد المسجد حزنه على إزالة شواهد الضريح وفصله عن المسجد نهاية الثمانينيات من قبل بعض الشباب، معللاً ذلك بأنه مكان مقدس وأثري. ويقول:

السيد هاشم جد الرسول عليه الصلاة والسلام حضر إلى هنا ومن أجله سميت مدينتنا بغزة هاشم، وكان القبر موجوداً لوحده قبل أن يبنى المسجد. ويستذكر الحاج العمريطي مراحل عدة من تاريخ هذا المسجد كونه كما قال عاصر الإنتداب البريطاني ثم الحكم المصري ثم الاحتلال الإسرائيلي، وأخيراً عهد السلطة الفلسطينية.

ويقول: كان الناس يقدسون الضريح ويحضرون الأطعمة خاصة الجريشة (طعام يصنع من القمح) ويوقدون الشمع ويطهرون (يختنون) الغلمان، ويخلقون لهم وقيمون فيه احتفالات المولد النبوي والإسراء والمعراج.

ويستذكر أن الصوفيين كانوا يقيمون احتفالات في المسجد، ويقومون بأعمال خارقة للعادة فيه، حيث كان يدخلون السيوف الحادة في أجساد بعضهم من دون أن يقتلوا.

ويشير كذلك إلى البهرة الذين يصفهم بأنهم كالرمال من كثرتهم، كانوا يحضرون بنسائهم وأطفالهم ويقومون بتقبيل الضريح والتمسح به).

عبد مناف لم يدفن في غزة

أقول: تتبعت موت عبد مناف رضي الله عنه في المصادر، فوجدت أن المتسلم عليه عندنا أنه دفن في الحجون مع قصي وعبد المطلب وأبي طالب. ولا يوجد إلا نص واحد في تاريخ الخميس (١٥٦/١) عن سيرة ابن هشام أن عبد مناف مات بغزة تاجراً، وأصله مات هاشم بن عبد مناف بغزة، وهو كذلك في سيرة ابن إسحاق: مات هاشم بغزة تاجراً، بل في سيرة ابن هشام نفسه (٨٩/١): (قال ابن إسحاق: ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجراً). فهو سقط في النسخة.

المجلس الشيعي في فلسطين

غزة - دنيا الوطن:

محمد غوانمة، من جامعة بيرزيت عام ١٩٨٢، أمضى ٢٢ عاماً في سجون الإرهاب الصهيوني، أن هذا المجلس لديه أتباع كثيرون في مناطق متعددة في فلسطين، وأن فكرة التأسيس قديمة بدأت في السجون الإسرائيلية.

و أضاف محمد غوانمة في تصريح صحفي خاص لدنيا الوطن:

لقد قضيت عشرين عاماً أسيراً في السجون الإسرائيلية خلال الفترة ١٩٧٧ - ٢٠٠٠، وكنت من مؤسسي حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية قبل أن أتقاعد من حركة الجهاد واتبعت المذهب الجعفري الشيعي، وهو مذهب إسلامي يجوز التعبد عليه في الشريعة الإسلامية. وحول الهدف من إعلان المجلس الشيعي في فلسطين، قال غوانمة: نريد من خلال تأسيس هذا المجلس أن نوجد غطاءً للشعب الفلسطيني لفتح قنوات جديدة لمساعدة شعبنا، ولا سيما أن موقف منظمة التحرير تجاه الحرب العراقية الإيرانية كان مؤيداً للعراق مما أثار سخط الإخوة الشيعة في العراق وأدى ذلك إلى رد فعل سلبي على الشعب الفلسطيني.

وبالتالي فإن تأسيس هذا المجلس من شأنه توثيق العلاقات بين الشعبين الفلسطيني والعراقي، إضافة للإخوة في إيران، ومنطلقنا توحيد العالم الإسلامي لأن المجلس الشيعي في فلسطين هو امتداد للمشروع الإسلامي وقد سبقنا الإخوة في مصر في تأسيس المجلس الأعلى لأتباع المذهب الجعفري هناك.

وحول توقيت الإعلان عن المجلس الشيعي في فلسطين، قال غوانمة :

وجدنا الآن الوضع مناسب لإعلان تأسيس المجلس الشيعي في فلسطين بعد أن تبنت إيران حماس وتعمل إيران على مساعدة الشعب الفلسطيني ويتعرض حزب الله في لبنان لمؤامرة فوجدنا أن الوقت مناسب.

ورداً على سؤال دنيا الوطن بأن الشعب الفلسطيني ينتمي إلى المذهب السني فهل يتوقع أن يتقبل الناس مذهباً جديداً، قال غوانمة:

عندما كنا نؤسس الجهاد الإسلامي كان يقولون عنا بأننا شيعة وحتى الآن تتهم الجهاد الإسلامي بأنها شيعة، أي أن التهمة قائمة رغم أن الجهاد الإسلامي يرتبط بعلاقة قوية مع إيران ويؤمن بالوحدة بين السنة والشيعة، ولكن الجهاد الإسلامي ليس شيعياً، لدينا أتباع كثيرون في مناطق مختلفة في فلسطين ولم نكن لنعلن عن تأسيس هذا المجلس لو لم يكن لدينا أتباع.

ورداً على السؤال هل أن إعلان هذا المجلس تم بتنسيق مسبق مع إيران قال غوانمة: لم ننسق مع إيران مسبقاً قبل الإعلان عن تأسيس المجلس الشيعي وإن كانت لنا علاقات مع إيران وشيعة لبنان وهي علاقات قوية وحتى الآن لم يصلنا أي رد فعل، ولكن نتوقع أن يكون هنالك ترحيب بتأسيس المجلس الشيعي في فلسطين.

وحول استهداف الفلسطينيين في العراق من قبل فيلق بدر الشيعي قال غوانمة: ندين كل استهداف للشعب الفلسطيني، ولا نقبل بأي اعتداء على أي فلسطيني.

وحول إحياء مناسبات شيعية ورداً على السؤال إن كنا سنشهد احتفالاً بمناسبة عاشوراء في رام الله على الطريقة الشيعية في العراق، قال غوانمة: لن نقيم عاشوراء حسب الطقوس التي تجري في بعض الإسلامية الشيعية، ولا سيما أن الخميني كان قد أصدر فتوى بهذا الشأن من حيث بعض مظاهر الاحتفالات، ولكن سنقيم عاشوراء بالاتجاه السياسي للمذهب وهي ثورة الحسين على الظلم، كما أن عاشوراء يوم إسلامي يحتفل به).

وعاد التشدد الوهابي مع قبر هاشم عليه السلام وزواره

التقيت في بلجيكا بأخ مؤمن فلسطيني، فحدثني بحديثه العجيب، قال: كنت موظفاً في وزارة الأوقاف في حكومة حماس، في منصب مفتش عام وزارة الأوقاف، أي أزور دوائر الأوقاف والمساجد وأعمل على رفع الخلل. وذهبت الى غزة والى مسجد هاشم في الجورة أو حي الدرج، وطلبت من مسؤول المسجد أن يدلني على قبر هاشم فأخذني الى غرفة مقفلة، وفتحها لي فإذا بها مخزن لأغراض المسجد ومتروكاته، فطلبت منه أن يرفع هذه الأشياء عن القبر فرفعها، فوقفت وزرت هاشماً عليه السلام بالزيارة المدونة في كتب الشيعة التي يزورون بها أباه عبد مناف في مقبرة المعلى بمكة:

(السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ النَّبِيُّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ كَرَّمَهُ اللَّهُ بِالتَّبَجُّلِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْغُصْنُ الْمُثْمِرُ مِنْ شَجَرَةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ سُلَالَةٍ وَسَلِيلٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَعْرَاقِ الثَّرَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّ خَيْرِ الْوَرَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْأَنْبِيَاءِ الْأَصْفِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْأَوْلِيَاءِ الْأَوْصِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْحَرَمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الصِّفَا وَالْمُرُوءَةِ وَزَمَزَمَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَاجِبَ بَيْتِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلَمَ الْأَشْرَافِ، يَا عَالِيًا بِكَمَالِ الْأَوْصَافِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ قُرَيْشٍ الْمَعْرُوفِ بِعَبْدِ مُنَافٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى آبَائِكَ الْقَادِمِينَ اللَّاحِقِينَ، أَمْنَاءِ اللَّهِ فِي الْعَالَمِينَ). ثُمَّ تَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَتَهْدِي ثَوَابَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ تَدْعُو لِنَفْسِكَ وَلِوَالِدَيْكَ وَلِإِخْوَانِكَ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوَانِ.

وطول زيارتي وصلاتي كان مسؤول المسجد ينظر إليّ شزراً وهو مستاء من أوامري وزيارتي. وقلت له لا بد أن تنظفوا الغرفة من هذه الأشياء، وفتحوها لمن أراد زيارة هذا الولي.

ولم تطل الأيام حتى استدعيتني الدائرة، وأخبرتني بأني مفصول من عملي! فحمدت الله تعالى أني لقيت الأذى والضرر من أجل رسول الله ﷺ.

وأضاف مفتش الأوقاف السابق: كان صهري أعلن تشييعه فصبوا عليه وعلى جماعته المضايقات وشملتني أنا، حتى غادرت غزة مشرداً الى أوروبا!

بنو هاشم وبنو أمية: تناقض الخير والشر

نحن وبنو أمية أهل بيتين تعاديننا في الله

في معاني الأخبار/٣٤٦، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعاديننا في الله، قلنا: صدق الله وقالوا: كذب الله. قاتل أبو سفيان رسول الله ﷺ وقاتل معاوية علي بن أبي طالب عليه السلام. وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي عليه السلام، والسفياني يقاتل القائم عليه السلام).

وفي مقدمة الصحيفة السجادية عن علي عليه السلام قال: (إن رسول الله ﷺ أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة يردون الناس على أعقابهم القهقري، فاستوى رسول الله ﷺ جالساً والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمُلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا. يعني بني أمية، قال يا جبريل على عهدي يكونون وفي زمني؟ قال: لا ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرًا، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً، ثم لا بد من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها ثم ملك الفراعنة. قال: وأنزل الله تعالى في ذلك: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَبِيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. يملكها بنو أمية فيها ليلة القدر قال: فأطلع الله عز وجل نبيه ﷺ إن بني أمية تملك سلطان هذه الأمة وملكها طول هذه المدة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت بغضنا، أخبر الله نبيه بما يلقي أهل بيت محمد وأهل مودتهم وشيعتهم منهم في أيامهم وملكهم.

قال: وأنزل الله تعالى فيهم: أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ. ونعمة الله محمد وأهل بيته، جهم إيمان يدخل الجنة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار، فأسر رسول الله ﷺ ذلك إلى علي وأهل بيته عليه السلام).

لولا بيق من بني أمية إلا عجوز شمطاء لبغت لدين الله عوجا

في الخرائج (٥٧٤/٢): (قام الإمام الحسن عليه السلام خطيباً وقال: قد غررتوني كما غررتم من كان قبلي! مع أي إمام تقتاتلون بعدي! مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قط، ولا أظهر الإسلام هو ولا بنو أمية إلا فرقاً من السيف؟! ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوز درداء لبغت دين الله عوجاً! وهكذا قال رسول الله ﷺ). وشرح النهج (٢٩١/٦) والهداية الكبرى ١٨٩.

ومعنى العجوز الدرداء العجوز الأموية الوحيدة المريضة ولا قوة لها، لكنها تخطط بما بقي من قوتها ضد الإسلام، لأن عداء الإسلام وبني هاشم في دمها!

الشجرة الملعونة في القرآن

قال الله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا. وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِهِمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ. فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ. أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا. إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ. فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ.

نلعن بني أمية قاطبة ونترك الاستثناء لله

فقد ورد ذلك عن أئمتنا عليهم السلام وأفتى به فقهاؤنا. ففي كامل الزيارات ٣٢٩، في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: (يا أبا عبد الله إني سلم لمن سالمك وحرب لمن حاربك إلى يوم القيامة، فلعن الله آل زياد وآل مروان، ولعن الله بني أمية قاطبة، ولعن الله ابن مرجانة، ولعن الله عمر بن سعد، ولعن الله شمراً، ولعن الله أمة أسرجت وألجمت وتبئات لقتالك).

ومعنى ذلك أنه يجب على الأمة الحذر من هذه الشجرة الملعونة، وأن عليها أن تتحصن منها بلعنها قاطبة، أما الطيب النادر فيها فالله يتولى استثناءه!

فلعن بني أمية قاطبة طريقي، ولا يعني أنهم جميعاً غير مؤمنين، ولا يتنافى مع وجود مؤمنين منهم، فلا عموم له من هذه الجهة، بل يعني أن على الأمة أن تلعنهم جميعاً وتحذر وتبرأ منهم، لأنهم كأسرة خطرون على الإسلام حتى يفنوا أو تقوم القيامة!

فالحذر اللازم منهم وتحصين الأمة من شرهم لا يتحقق إلا بتعميم لعنهم، وأي استثناء منهم سيكون باباً ينفذون منه للإفساد في الأمة! فيجب أن يترك الاستثناء لله تعالى.

وعليه فلا يقال: ما ذنب المؤمنين منهم حتى يشملهم اللعن! لأن استثناءهم حاصل بفعل الله تعالى واللعنة لا تصيب مؤمناً حسب تعبير النبي ﷺ.

• وهذا يشبه تحذير النبي ﷺ من اليهود، مع أنه كان منهم مؤمنون أبرار! ويشبه لعن النبي ﷺ كل قادة الأحزاب وكل أتباعهم إلى يوم القيامة.

ففي الإحتجاج (٤١/١): (يوم الأحزاب يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عينية بن حصين بن بدر بغطفان، فلعن رسول الله القادة والأتباع، والساقة إلى يوم القيامة. فقليل يا رسول الله أما في الأتباع مؤمن؟ قال: لا تصيب اللعنة مؤمناً من الأتباع، أما القادة فليس فيهم مؤمن ولا مجيب، ولا ناج). (والخصال / ٣٩٨، وشرح الأخبار: ٢ / ٥٣٥، والاحتجاج: ١ / ٤٠٩، وشرح النهج: ٦ / ٢٩٠، والغدير: ١٠ / ٨٢، وجمهرة خطب العرب: ٢ / ٢٥ وتفسير الطبري: ١ / ١٦٩). وذكر بعضها أن ذلك كان في غزوة الحديبية.

وفي المناقب والمثالب للقاضي النعمان (٢٣٣): (روي أن رسول الله ﷺ أشرف يوم أحد على عسكر المشركين فقال: اللهم العن القادة والأتباع، فأما الأتباع فإن الله يتوب على من يشاء منهم، وأما القادة والرؤوس فليس منهم نجيب ولا ناج ومن القادة يومئذ أبو سفيان ومعاوية).

ويبدو أنه تكرر منه ﷺ.

وفي المحتضر للحلي (٧١): (وروي عنه ﷺ أنه لعن يوماً آل فلان فقليل: يا رسول الله! إن فيهم فلاناً وهو مؤمن. فقال: إن اللعنة لا تصيب مؤمناً).





الفصل الخامس والأربعون

المُطَلَب أخو هاشم وعم النبي ﷺ

المُطَلَب أخو هاشم شخصية استثنائية

نقرأ عن المطلب أخ هاشم فتتفاجأ بأنه رجل استثنائي في صفاته وصدقه وإخلاصه، فقد كان الأخ الأصغر لهاشم، وكان معجباً بشخصية أخيه حتى سمى ابنه هاشماً، وأوصى له هاشم بالرياسة بعده، فكان بعد وفاة أخيه رئيس قريش وقام بمهام الرياسة في الإدارة خير قيام. ولما أخبره شخص بأنه رأى شبيه بن أخيه هاشم في المدينة عند أخواله فتى مرافقاً، لام المطلب نفسه لماذا لم يأت به الى مكة ليشاركه في الرياسة، ثم يوصي له بها ليكون بعده دون أبنائه! وهذا أمر عجيب أن يرى أن الرياسة لأخيه هاشم ولأبناء هاشم، ولم يقل إنه أخوه فهو شريكه في الرياسة، ولم يفكر بأن يوصي بها لأولاده.

قال المجلسي في البحار (١٢٢/١٥): (وولدت سلمى عبد المطلب وشب عند أمه فمر به رجل من بني الحارث بن عبد مناف، وهو مع صبيان يتناضلون فرآه أجملهم وأحسنهم إصابة، وكلما رمى فأصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء، فأعجب الرجل ما رأى منه ودنا إليه فقال: من أنت؟ قال: أنا شبيه بن هاشم بن عبد مناف، قال: بارك الله فيك وكثر فينا مثلك، قال: من أنت يا عم؟ قال: رجل من قومك، قال: حياك الله ومرحباً بك، وسأله عن أحواله وحاجته، فرأى الرجل منه ما أعجبه، فلما أتى مكة لم يبدأ بشيء حتى أتى المطلب بن عبد مناف فأصابه جالساً في الحجر فخلاً به وأخبره خبر الغلام وما رأى منه، فقال المطلب: والله لقد أغفلته، ثم ركب قلو صاً ولحق بالمدينة، وقصد محلة بني النجار).

وقال ابن هشام في سيرته (٨٩/١): (وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بنبي عدي بن النجار، وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الحريش فولدت له عمرو بن أحيحة. وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلاً فارقت، فولدت لهاشم عبد المطلب فسمته شيبه، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً (غلاماً ناشئاً) أو فوق ذلك، ثم خرج إليه عمه المطلب لقبضه فيلحقه ببلده وقومه، فقالت له سلمى: لست بمرسلته معك. فقال لها المطلب: إني غير منصرف حتى أخرج به معي، إن ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت شرف في قومنا نلي كثيراً من أمورهم، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم، أو كما قال.

وقال شيبه لعمه المطلب فيما يزعمون: لست بمفارقها إلا أن تأذن لي، فأذنت له ودفعته إليه، فاحتمله فدخل به مكة مردفه معه على بعيره فقالت قريش: عبد المطلب ابتاعه، فيها سمى شيبه عبد المطلب. فقال المطلب: ويحكم! إنما هو ابن أخي هاشم، قدمت به من المدينة).

قال اليعقوبي (٢٤٦/١): (ولما حضر رحيل المطلب إلى اليمن قال لعبد المطلب: أنت يا ابن أخي أولى بموضع أبيك فقم بأمر مكة. فقام مقام المطلب، فتوفي المطلب في سفره ذلك بردمان، فقام عبد المطلب بأمر مكة، وشرف وساد، وأطعم الطعام، وسقى اللبن والعسل، حتى علا اسمه وظهر فضله، وأقرت له قريش بالشرف، فلم يزل كذلك).

قال ابن هشام في سيرته (٩٢/١): (ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه، وعظم خطره فيهم).

وقال ابن هشام في سيرته (٩٠/١): (ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن، فقال رجل من العرب يبيكه:

قد ظمئ الحجيح بعد المطلب بعد الجفان والشراب المنثعب

ليت قريشاً بعده على نصب

وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبيكى المطلب وبني عبد مناف جميعاً:

يا عين جودي وذرى الدمع وانهمري
يا عين واسحنفري بالدمع واحتفلي
وابكي على كل فياض أخي ثقة
محض الضريبة عاليهم مختلق
صعب البديهة لا نكس ولا وكل
صقر توسط من كعب إذا نسبوا
ثم اندبي الفيض والفياض مطلباً
أمسى بردمان عنا اليوم مغترباً
وابكي لك الويل إماكنت باكية
وهاشم في ضريح وسط بلقعة
ونوفل كان دون القوم خالصتي
لم ألق مثلهم عجماً ولا عرباً
أمست ديارهم منهم معطلة
أفناهم الدهر أم كلت سيوفهم
أصبحت أرضى من الأقوام بعدهم
يا عين فابكي أبا الشعث الشجيات
يبكين أكرم من يمشى على قدم
يبكين شخصاً طويل الباع ذا فخر
يبكين عمرو العلاء إذ حان مصرعه
يبكينه مستكينات على حزن
يبكين لما جلاهن الزمان له

وابكي على السر من كعب المغيرات
وابكي خبيثة نفسي في الملمات
ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات
جلد النحيزة ناء بالعظيمات
ماضي العزيمة متلاف الكريكات
مجبوحة المجد والشم الرفيعات
واستخرطي بعد فيضات بحمات
يا لهف نفسي عليه بين أموات
لعبد شمس بشرقي البنيات
تسقى الرياح عليه بين غزات
أمسى بسلمان في رمس بمومة
إذا استقلت بهم أدم المطيات
وقد يكونون زيناً في السريات
أم كل من عاش أزواد المنيات
بسط الوجوه والقاء التحيات
يبكينه حسراً مثل البلديات
يعلنه بدموع بعد عبرات
أبي الهزيمة فراج الجليلات
سمح السجية بسام العشيات
يا طول ذلك من حزن وعولات
خضر الحدود كأمثال الحميات

مختَرِمَات على أوساطهن لما جبر الزمان من أحداث المصيبات
 أييت ليلى أراعي النجم من ألم أبكى وتبكي معي شجواً بنياتي
 ما في القروم لهم عدل ولا خطر ولا لمن تركوا شروى بقيات
 أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم خير النفوس لدى جهد الأليات
 كم وهبوا من طمرٍ سايح أرِن ومن طِمْرَةٍ نهب في طمرات
 ومن سيوف من الهندي مخلصه ومن رماح كأشطان الركيات
 ومن توابع مما يفضلون بها عند المسائل من بذل العطيات
 فلو حبست وأحصى الحاسبون معي لم أقض أفعالهم تلك الهنيات
 هم المدلون إما معشر فخرُوا عند الفخار بأنساب نقيات
 زين البيوت التي خلوا مساكنها فأصبحت منهم وحشى خليات
 أقول والعين لا ترقأ مدامعها لا يبعد الله أصحاب الرزيات).

بنو المطلب وبنو هاشم واحد

قال ابن إسحاق في سيرته (١٣٧/٢): (فلما مضى رسول الله ﷺ على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه، إلا أنهم أنفوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه، فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد ﷺ معهم اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب، ألا يناكحوه ولا يبايعوهم ولا يبايعونهم ولا يتعاون منهم، فكتبوا صحيفة في ذلك وكتب في الصحيفة منصور ابن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وعلقوها بالكعبة).

ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وأذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم، وزلزلوا زلزالاً شديداً، فخرج أبو لهب عدو الله يظاهر عليهم إلى قريش وقال: نصرت اللات والعزى يا معشر قريش. فأنزل الله عز وجل: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ.

سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ).

وقال الشيخ الطوسي في الخلاف (٤/٢١٣): (روى جبير بن مطعم قال: لما كان يوم خيبر وضع النبي ﷺ سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب، وترك بني نوفل وبني عبد شمس، فانطلقت أنا وعثمان حتى أتينا النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ينكر فضلهم لموضعك الذي وضعك الله فيهم، فما بال إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركنا وقرابتنا واحدة؟ فقال رسول الله ﷺ: إنا وبني المطلب لم نفرق في جاهلية ولا إسلام، وإنما نحن وهم شيء واحد، وشبك بين أصابعه).

وقال المحقق الحلي في المعبر (٢/٦٣١): (وفي بني المطلب للأصحاب قولان، أحدهما: يستحقون في الخمس نصيباً كبني هاشم، وبه قال ابن الجنيد وأحد قولي المفيد، وبه قال الشافعي، لقول النبي ﷺ: إنا وبني المطلب لم نفرق في جاهلية ولا إسلام. وقوله ﷺ: إنا بنو هاشم وبني المطلب شيء واحد والآخر لا يستحقون شيئاً. وبه قال الشيخ رحمه الله وأبو حنيفة. لنا: أنهم يستحقون الزكاة فلا يستحقون الخمس، وإنما قلنا يستحقون الزكاة لتناول الآية لهم بعمومها. وروي عن العبد الصالح قال: والذين جعل الله لهم الخمس هم بنو عبد المطلب ليس فيهم من بيوتات قريش ولا من العرب أحد).

وقال صاحب الجواهر (١٣/٣٥٤): (ثم بناء على ترجيح الهاشمي لنسبه ففي ترجيح المطلبي على غيره نظر، من اقتصار أكثر الفتاوى على الأول، ومما روي عن النبي ﷺ: نحن وبني المطلب لم نفرق في جاهلية ولا إسلام. نعم الهاشمي أولى منه قطعاً، وحينئذ في ترجيح أفخاذ بني هاشم بسبب شرف الآباء كالتالي والعباسي والحرثي واللهبي والعلوي والحسني والحسيني والصادقي والموسوي والرضوي والهادي، بالنسبة إلى غيرهم، وبعضهم مع بعض، احتمالاً بين، إذ الترجيح دائر مع شرف النسب).

أولاد المطلب بن عبد مناف

قال ابن دريد في الإشتقاق (٨٣/١): (ولد المطلب بن عبد مناف: مخزومة، وأبورهم، وهاشم، وأبو عمرو، وأبورهم الأصغر، وعباد، والحارث، وأبو شمران، ومحسن، وعلقمة، وعمرو،

لأمهات شتى . فمخرمة مفعلة من قولهم: اخترمهم الدهر إذا أفناهم، أو من حرمت الشيء أخرمه خرمًا).

وفي جمهرة النسب لابن الكلبي/٦٠، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم/٧٢، ونسب قريش للزبير/٨٣: (وُلد المطلب بن عبد مناف: مخرمة، وأبورهم الأكبر، وأنيس وهو أبورهم الأصغر، وهاشم، وأبو عمر، وأبو شمran، والحارث، وعمرو، وعباد، ومحسن، وعلقمة. وعبيدة، والطفيل، وحصين، بنو الحارث بن المطلب، شهد هؤلاء الثلاثة بدرًا مع رسول الله ﷺ وضرب عبيدة على رجله ضربة مات منها بالصفراء. وعبيدة والطفيل والحصين، بنو الحارث بن المطلب بدريون من المهاجرين الأولين).

ومن ذرية المطلب: عبد الله بن حصين الشاعر، ومحمد وعبد الله بن قيس بن مخرمة، وجهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب الذي رأى الرؤيا يوم بدر. ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب ممن قال بالإفك وقد شهد بدرًا مسلمًا، وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب الشديد الذي صرعه النبي ﷺ. والسائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، أسر يوم بدر، وكان يشبهه بالنبي ﷺ ومن ولده: عياش، وعلي، وشافع. ومن بني شافع: الشافعي الفقيه، وعمرو بن علقمة بن المطلب، وكان يقال لعبد يزيد بن هاشم بن المكلب: المحض لأن أمه الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف).

أقول: الرؤيا التي رآها جُهميم المطلبِي وكان مع المشركين، رواها البيهقي في دلائل النبوة (١٥/٣) فقال: (فخرجوا بخمسين وتسعمائة مقاتل وساقوا مائة فرس ولم يتركوا كارهاً للخروج ولا مسلمًا يعلمون إسلامه ولا أحدًا من بني هاشم إلا أشخصوه معهم، فكان ممن أشخصوا العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وطالب بن أبي طالب، وعقيل بن أبي طالب في آخرين. فهناك يقول طالب بن أبي طالب:

يارب إما يخرجن طالب بمقنب من هذه المقانب

في نفر مقاتل محارب فليكن المسلوب غير السالب

والراجع المغلوب غير الغالب

فساروا حتى نزلوا الجحفة نزلوها عشاء يتروون من الماء، وفيهم رجل من بني المطلب بن عبد مناف يقال له جهيم بن الصلت بن مخرمة، فوضع جهيم رأسه فأغفى ثم فرغ فقال لأصحابه: هل رأيتم الفارس الذي وقف علي أنفأ؟ فقالوا: لا، فإنك مجنون! فقال: قد وقف علي فارس أنفأ فقال: قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البخري وأمّية بن خلف، فعد أشرافاً، فقال له أصحابه: إنما لعب بك الشيطان! ورفع حديث جهيم إلى أبي جهل فقال: قد جئتمونا بكذب بني المطلب مع كذب بني هاشم، سترون غداً من يقتل!

أقول: معناه أن بني المطلب كان هواهم مع النبي ﷺ حتى غير المسلم منهم.

هذا، وقد نجا جهيم من بطش أبي جهل لكن طالباً أخا علي عليه السلام لم ينج، فلم يظهر له أثر لا في بدر ولا بعدها، والمؤكد عندي أن عتاة قريش قتلوه لأجل أبياته.





الفصل السادس والأربعون

عبد المطلب الجد الأول للنبي ﷺ

سموه عبد عمه المطلب لأنه أتى به

قال اليعقوبي (٢٤٥/١): (ودخل المطلب مكة وهو خلفه، والناس في أسواقهم ومجالسهم، فقاموا يرحبون به ويحيونه ويقولون: من هذا معك؟ فيقول: عبدي ابتعته بشرب، ثم خرج حتى أتى الحزورة فابتاع له حلة، ثم أدخله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم، فلما كان العشي ألبسه، ثم جلس في مجلس بني عبد مناف وأخبرهم خبره، وجعل بعد ذلك يخرج في تلك الحلة، فيطوف في سكك مكة وكان أحسن الناس فتقول قريش: هذا عبد المطلب! فلجَّ (غلب) إسمه عبد المطلب، وترك شيبته).

ألهم الله عبد المطلب أن يحفر زمزم

أقرب الروايات وأكثرها معقولة في حفر زمزم، ما رواه ابن إسحاق عن علي بن أبي طالب (سيرة ابن هشام: ٩٢/١) قال: (وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها، كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري، عن مرثد بن عبد الله الزني، عن عبد الله ابن زريق الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب عليه السلام يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها قال: قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: إحفر طيبة. قال قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: إحفر برة. قال فقلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: إحفر المزنونة. قال فقلت: وما المزنونة؟ قال: ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني

فقال: إحفر زمزم، قال قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تدم، تسقى الحجاج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل. فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدّق، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم، فقالوا له: فأنصفنا فإننا غير تاركين حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد هذيم قال: نعم، قال: وكانت بأشراف الشام. فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال: والأرض إذ ذاك مفاوز، قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فني ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً. قالوا: نعم ما أمرت به، فقام كل واحد منهم فحفر حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً. ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا، لَعَجْزُ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، إرتحلوا فارتحلوا. ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرّب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملؤوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلم إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا، فجاءوا فشرّبوا واستقوا، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا

بينه وبينها. قال ابن إسحاق: فهذا الذي بلغني من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام في زمزم).

وقد اعتمد اليعقوبي رواية ابن إسحاق عن علي عليه السلام وأضاف إليها، قال: (٢٤٦/١): (قال محمد بن حسن: لما تكامل لعبد المطلب مجده وأقرت له قريش بالفضل رأى وهو نائم في الحجر آتياً أتاه فقال له: قم يا أبا البطحاء، واحفر زمزم حفيرة الشيخ الأعظم. فاستيقظ فقال: اللهم بين لي في المنام مرة أخرى فرآه يقول: قم فاحفر برة... فلم يحفر إلا قليلاً، حتى بدا الطي فكبر واجتمعت قريش، فعلمت لما رأت الطي أنه قد صدق، وليس له من الولد يومئذ إلا الحارث، فلما رأى وحدته قال: اللهم إن لك علي نذراً إن وهبت لي عشرة ذكوراً، أن أنحر لك أحدهم. وحفر حتى وجد سيوفاً وسلاحاً وغزلاً من ذهب مقرطاً مجزعاً ذهباً وفضة فلما رأت قريش ذلك قالوا: يا أبا الحارث من فوق الأرض ومن تحتها، فأعطنا هذا المال الذي أعطاك الله، فإنها بئر أبينا إسماعيل فأشركنا معك! فقال: إني لم أؤمر بالمال إنما أمرت بالماء فأمهلوني! فلم يزل يحفر حتى بدا الماء فكبر، ثم قال: بحرها لا تنزف، وبنى عليها حوضاً وملاء ماء، ونادى: هلم إلى الماء الرواء، أعطيته على رغم العدا.

وكانت قريش تفسد ذلك الحوض وتكسره فرأى في المنام: أن قم فقل: اللهم إني لا أحله لمغتسل، ولكن لشارب حل، فقام عبد المطلب فقال ذلك، فلم يكن يفسد ذلك الحوض أحد إلا رمي بداء من ساعته فتركوه!

ولما استقام له الماء دعا بستة قدام، فجعل لله قدحين أسودين، وجعل للكعبة قدحين أبيضين، وجعل لقريش قدحين أحمرين، ثم أخذها بيده، واستقبل الكعبة ثم أفاض وهو يقول:

يا رب أنت الأحد الفرد الصمد إن شئت ألهمت الصواب والرشد

وزدت في المال وأكثرت الولد إني مولاك على رغم معد

ثم ضرب فخرج الأسودان لله، فقال قال ربكم: هو مالي، ثم أفاض وهو يقول:

لاهم أنت الملك المحمود وأنت ربي المبدئ المعيد

من عندك الطارف والتليد إن شئت ألهمت بما تريد

فخرج الأبيضان للكعبة فقال: أخبرني ربي أن المال كله له فحلى به الكعبة، وجعله صفائح

على باب الكعبة، وكان أول من حل الكعبة).

حسدت قريش عبد المطلب وتحالفت ضده

قال اليعقوبي (٢٤٧/١): (ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزوا، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب، فمشت بنو عبد الدار إلى بني سهم فقالوا: إمنعونا من بني عبد مناف! فلما رأى ذلك بنو عبد مناف اجتمعوا خلا بني عبد شمس، فإن الزبيري قال: لم يكن ولد عبد شمس في حلف المطيين، ولا ولد عبد مناف، وإنما كان فيهم هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل.

وقال آخرون: كانت بنو عبد شمس معهم، فأخرجت لهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب طيباً في جفنة ثم وضعتها في الحجر فتطيب بنو عبد مناف وأسد وزهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر، فسموا حلف المطيين، فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة، وقالوا: من أدخل يده في دمها ولعق منه فهو! فأدخلت أيديها بنو سهم وبنو عبد الدار وبنو جمح وبنو عدي وبنو مخزوم، فسموا اللعقة! وكان تحالف المطيين ألا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضاً، وقالت اللعقة: قد أعتدنا لكل قبيلة قبيلة).

وقال في شرح النهج (٢٠٢/١٥) ورسائل الجاحظ (٤١٤/١): (قال أبو عثمان: ثم حلف الفضول وجلالته وعظمته، وهو أشرف حلف كان في العرب كلها، وأكرم عقد عقدته قريش في قديمها وحديثها قبل الإسلام لم يكن لبني عبد شمس فيه نصيب).

قال النبي ﷺ وهو يذكر حلف الفضول: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لودعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت. ويكفي في جلالته وشرفه أن رسول الله ﷺ شهد هذه وهو غلام، وكان عتبة بن ربيعة يقول: لو أن رجلاً خرج مما عليه قومه لدخلت في حلف الفضول، لما أرى من كماله وشرفه، ولما أعلم من قدره وفضيلته. قال: ولفضل ذلك الحلف وفضيلة أهله سمي حلف الفضول، وسميت تلك القبائل الفضول، فكان هذا الحلف في بني هاشم، وبني المطلب، وبني أسد بن عبد العزى، وبني زهرة، وبني تيم بن مرة، تعاقدوا في دار ابن جدعان في شهر حرام قياماً يتماسحون بأكفهم صعداً ليكونن مع المظلوم حتى يؤدوا إليه حقه

ما بل بحر صوفة، وفي التأسي في المعاش والتساهم بالمال. وكانت النباهة في هذا الحلف للزبير بن عبد المطلب ولعبد الله بن جدعان، أما ابن جدعان فلأن الحلف عقد في داره، وأما الزبير فلأنه هو الذي نهض فيه ودعا إليه وحث عليه وهو الذي سماه حلف الفضول.

وذلك لأنه لما سمع الزبيدي المظلوم ثمن سلعته قد أوفى على أبي قبيس قبل طلوع الشمس رافعاً عقيرته وقريش في أنديتها قائلاً:

يا للرجال لمظلوم بضاعته بيطن مكة نائي الحي والنفر
إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوبي لابس الغدر

هَمِي وَحَلَفَ لِيَعْقِدْنَ حَلْفًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَطُونٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَمْنَعُونَ الْقَوِيَّ مِنْ ظَلَمِ الضَّعِيفِ،
وَالْقَاطِنِ مِنْ عَنَفِ الْغَرِيبِ ثُمَّ قَالَ:

حلفت لتعقدن حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالي البيت أنا أباة الضيم نهجر كل عار

فبنو هاشم هم الذين سموا ذلك الحلف حلف الفضول، وهم كانوا سببه، والقائمين به دون جميع القبائل العاقدة له والشاهدة لأمره، فما ظنك بمن شاهده ولم يقم بأمره!

قال أبو عثمان: وكان الزبير بن عبد المطلب شجاعاً ألباً، وجميلاً بهياً، وكان خطيباً شاعراً، وسيداً جواداً، وهو الذي يقول:

ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا
ثيابهم شمال أو عباء بها دنس كما دنس الحميت
ولكننا خلقنا إذا خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت
وكأس لو تبين لهم كلاماً لقاتل إنما لهم سبيت
تبين لنا القذى إن كان فيها رضين الحلم يشربها هبيت
ويقطع نخوة المختال سيف رقيق الحد ضربته صموت

بكف مجرب لا عيب فيه إذا لقي الكريمة يستमित

قال: والزبير هو الذي يقول:

وأسحم من راح العراق مملاً محيط عليه الجيش جلد مرأثره
صبحت به طلقاً يراح إلى الندى إذا ما انتشى لم يختصره معاقره
ضعيف بجانب الكاس قبض بنانه كليل على جلد النديم أظافره

قال: وبنو هاشم هم الذين ردوا على الزبيدي ثمن بضاعته، وكانت عند العاص بن وائل،
وأخذوا للبارقي ثمن سلعته من أبي بن خلف الجمحي، وفي ذلك يقول البارقي:

ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتي بني جمح والحق يؤخذ بالغصب

وهم الذين انتزعوا من نبيه بن الحجاج قتول الحسنة بنت التاجر الخثعمي، وكان كابره عليها
حين رأى جمالها، وفي ذلك يقول نبيه بن الحجاج:

وخشيت الفضول حين أتوني قد أراني ولا أخاف الفضولا
إني والذي يحج له شمط إياد وهللوا تهليلاً
لبراء مني قتيلة يا للناس هل يتبعون إلا القتولا

وفيها أيضاً يقول:

لولا الفضول وأنه لا أمن من عروائها
لدنوت من أبياتها ولطفت حول خبائها
حي النخيلة إذ نأت منا على عدوائها
لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائها
حلت بمكة حلة في مشيها ووطائها

في رجال كثير انتزعوا منهم الظلامات، ولم يكن يظلم بمكة إلا رجال أقوياء ولهم العدد
والعارضة، منهم من ذكرنا قصته).

استنجد عبد المطلب بأخواله لمنع ظلم أعمامه

قال الماوردي في أعلام النبوة/١٩٤: مات [المطلب] فوثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف في رُكح كان له فاغتصبه إياه والرُكح الساحات، فسأل عبد المطلب رجالات قومه النصره على عمه فقالوا: لسنا داخلين بينك وبين عمك، فلما رأى عبد المطلب ذلك كتب إلى أخواله من بني النجار يقول:

يا طول ليلي لأشجاني وأشغالي	هل من رسول إلى النجار أخوالي
ينبئ عدياً وديناراً ومازنها	ومالكاً عصمة الجيران عن حالي
وكنت ما كنت حياً ناعماً جذلاً	أمشي الغضية سحاباً لأذيالي
حتى ارتحلت إلى قومي وأزعجني	عن ذاك مطلب عمي بترحالي
فغاب مطلب في قعر مظلمة	وقام نوفل كي يعدو على مالي
أئن رأى رجلاً غابت عمومته	وغاب أخواله عنه بلا والي
أنحى عليه ولم يحفظ له رحماً	ما أمنع المرء بين العم والخال
فاستنفروا وامنعوا ضيم ابن أختكم	لا تخذلوه وما أنتم بخذالي
ما مثلكم في بني قحطان قاطبة	حي لجار وإنعام وإفضال
أنتم ليان لمن لانت عريكته	سلماً لكم وسماً الأبلج العالي

فقدم عليه ثمانون راكباً من بني النجار ونصروه على عمه نوفل وارتجعوا منه الرُكح (الساحات) وعادوا، وقد اشتد بهم عبد المطلب.

فدعا ذلك نوفلاً أن حالف بني عبد شمس على عبد المطلب ودعا ذلك عبد المطلب على أن حالف بني هاشم على نوفل، وبني عبد شمس فقوي عبد المطلب وضعف نوفل، وانتقلت السقاية والوفادة والرئاسة إلى عبد المطلب، وأخذ نوفل عهداً من أكاسرة العراق وصارت رحلته إليها، وأخذ عبد المطلب عهداً من ملوك الشام وأقيال حمير باليمن، وصارت رحلته إليها).

وقال الطبري (١١/٢): (فقدم عليه منهم ثمانون راكباً فأناخوا بفناء الكعبة فلما رآهم نوفل بن عبد

مناف قال لهم أنعموا صباحاً فقالوا له لا نَعِمَ صباحك أيها الرجل، أنصف ابن أختنا من ظلامته. قال أفعَل بالحب لكم والكرامة، فرد عليه الأركاح وأنصفه، قال: فانصرفوا عنه إلى بلادهم). وفي المنمق لابن حبيب/٨٣، ملخصاً: (قال الكلبي: فلما هلك المطلب وثب نوفل بن عبد مناف على ساحات كانت لهاشم وهي الأركاح فوهبها لابنه عبد المطلب فأخذها، ثم ذكر استنصاره بأخواله وشعره، وقال: فأقبلوا على كل صعب وذلول حتى انتهوا إلى مكة فكلّموا نوفلاً حتى رد على عبد المطلب أركاحه فأنشأ عبد المطلب يقول:

أبلغ بني النجار إن جئتهم أي منهم وابنهم والخميس
رأيهم قوماً إذا جئتهم هووا لقائي وأحبوا حسيبي

قال فأخبرني ابن الكلبي قال: لما بعث عبد المطلب إلى أخواله بني النجار أقبل منهم ثمانون رجلاً قد تقلدوا وتنكبوا القسي وعلقوا التراس في منابكهم فأنأخوا بفناء الكعبة، فلما رأهم نوفل قال: ما أشخص هؤلاء إلا الشر فخافهم، فرد على ابن أخيه الأركاح وأحسن إليه، فقال شمر بن عويمر الكناني: يمدح بني النجار لنصرهم عبد المطلب:

لعمري لأخوال ابن هاشم نصره من اعمامه الأذنين أحسن أفضل
أجابوا على نأي دعاء ابن أختهم وقد رامه بالظلم والغدر نوفل
فما برحوا حتى تدارك حقه ورد عليه بعد ما كاد يؤكل
جزى الله خيراً عصابة خزرجية تواصلوا على بر وذو البر أفضل

عبد المطلب مع أبرهة قائد الجيش لهدم الكعبة

في كنز الفوائد ٨١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما ظهرت الحبشة باليمن وجّه يكسوم ملك الحبشة بقائدين من قواده، يقال لأحدهما أبرهة والآخر أرباط في عشرة من الفيلة كل فيل في عشرة آلاف، لهدم بيت الله الحرام، فلما صاروا ببعض الطريق وقع بأسهم بينهم واختلفوا، فقتل أبرهة أرباط واستولى على الجيش، فلما قارب مكة طرد أصحابه عيراً لعبد المطلب بن هاشم فصار عبد المطلب إلى أبرهة، وكان ترجمان أبرهة والمستولي عليه ابن داية لعبد المطلب،

فقال الترجمان لأبرهة: هذا سيد العرب وديانها فأجله وأعظمه، ثم قال لكتابه: سله ما حاجته؟ فسأله فقال: إن أصحاب الملك طردوا لي نِعماً! فأمر بردها ثم أقبل على الترجمان فقال: قل له عجباً لقوم سودوك ورأسوك عليهم حيث تسألني في غير لك، وقد جئت لأهدم شرفك ومجدك، ولو سألتني الرجوع عنه لفعلت! فقال: أيها الملك إن هذه العير لي وأنا ربها فسألتك إطلاقها، وإن لهذه البنيّة رباً يدفع عنها! قال: فإني غاد لهدمها، حتى أنظر ماذا يفعل!

فلما انصرف عبد المطلب حلّ أبرهة بجيشه، فإذا هاتف يهتف في السحر الأكبر: يا أهل مكة أتاكم أهل عكة، بجحفل جرار يملأ الأندار ملء الجفار فعليهم لعنة الجبار! فأنشأ عبد المطلب يقول:

أيها الداعي لقد أسمعني	كلّما قلت وما بي من صمم
إن للبيت لرباً مانعاً	من يُرده بأثمٍ يصظم
رامه تُبّع في أجناده	حميرٌ والحَيُّ من آل إرم
هلكت بالبغي فيه جرهم	بعد طُسمٍ وجديسٍ وجُثم
وكذاك الأمر فيمن كاده	ليس أمر الله بالأمر الأمم
نحن آل الله فيما قد خلا	لم يزل ذاك على عهد ابرهم
لم يزل الله فينا حجة	يدفع الله بها عنها النقم
نعرف الله وفينا شيمة	صلة الرحم ونوفي بالذمم
ولنا في كل دور كرة	نعرف الدين وطوراً في العجم
فإذا ما بلغ الدور إلى	منتهى الوقت أتى طير القدم
بكتب فصلت آياته	فيه تبيان أحاديث الأمم

فلما أصبح عبد المطلب جمع بنيه وأرسل الحارث ابنه الأكبر إلى أعلى جبل أبي قبيس فقال: أنظر يا بني ماذا يأتيك من قبل البحر؟ فرجع فلم ير شيئاً. فأرسل واحداً بعد آخر من ولده، فلم يأت أحد منهم عن البحر بخبر، فدعا ولده عبد الله وإنه لغلام حين أيفع وعليه ذؤابه تضرب إلى عجزه فقال له: إذهب فداك أبي وأمي فاعلُ أباقيس وانظر ماذا ترى يجرى من البحر؟ فنزل

مسرعاً فقال: يا سيد النادي رأيت سحاباً من قبل البحر مقبلاً، يُسْفِلُ تارة ويرتفع أخرى! إن قلت غيباً قلت، وإن قلت جهاماً خلته، يرتفع تارة وينحدر أخرى!

فنادى عبد المطلب: يا معشر قريش، أدخلوا منازلكم فقد أتاكم الله بالنصر من عنده، فأقبلت الطير الأبابيل في منقار كل طير حجر وفي رجليه حجران، فكان الطائر الواحد يقتل ثلاثة من أصحاب أبرهة! كان يلقي الحجر في قمة رأس الرجل فيخرج من دبره! وقد قص الله تبارك وتعالى نبأهم فقال سبحانه: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ).

والسجيل: الحجر الصلب. العصف المأكول: ورق الزرع الذي أكلته وداسته الحيوانات. وطير القدم: مثل ضرب عبد المطلب لأصحاب ولده المهدي عليه السلام الذين يجمعهم الله له في ليلة من أقاصي العالم ليكونوا وزراء في دولته.

فقد روى علي بن يقطين عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «من أعز أخاه في الله وأهان أعداءه في الله، وتولى ما استطاع نصيحته، أولئك يتقبلون في رحمة الله، ومثلهم مثل طير يأتي بأرض الحبشة في كل صيفة يقال له القدم فيبيض ويفرخ بها، فإذا كان وقت الشتاء صاح بفراخه فاجتمعوا إليه وخرجوا معه من أرض الحبشة، فإذا قام قائمنا اجتمع أولياؤنا من كل أوب! ثم تمثل بقول عبد المطلب:

فإذا ما بلغ الدور إلى منتهى الوقت أتى طيرُ القدم
بكتاب فصلت آياته فيه تبيان أحاديث الأمم

(مستدرك الوسائل: ١٣ / ١٣٧، وجامع أحاديث الشيعة: ١٧ / ٢٩٧).

وفي أمالي الطوسي/ ٨٠، بسنده عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: (لما قصد أبرهة بن الصباح ملك الحبشة لهدم البيت، تسرعت الحبشة فأغاروا عليها وأخذوا سرحاً لعبد المطلب بن هاشم، فجاء عبد المطلب إلى الملك فاستأذن عليه، فأذن له وهو في قبة ديباج على سرير له، فسلم عليه فرد أبرهة السلام، فجعل ينظر في وجهه فراقه حسنه وجماله وهيئته. فقال له: هل كان في آبائك مثل هذا النور الذي أراه لك والجمال؟ قال: نعم أيها الملك، كل آبائي كان لهم هذا الجمال والنور والبهاء. فقال له أبرهة: لقد فقتم الملوك فخراً وشرفاً، ويحق لك أن تكون سيد قومك. ثم أجلسه معه على سريريه وقال لسائس فيه الأعظم وكان فيلاً أبيض عظيم الخلق، له نابان مرصعان

بأنواع الدرر والجواهر، وكان الملك يباهي به ملوك الأرض: إئتني به فجاء به سائسه وقد زين بكل زينة حسنة، فحين قابل وجه عبد المطلب سجد له ولم يكن يسجد للملكه، وأطلق الله لسانه بالعربية فسلم على عبد المطلب، ولما رأى الملك ذلك ارتاع له وظنه سحراً فقال: ردوا الفيل إلى مكانه. ثم قال لعبد المطلب: فيم جئت؟ فقد بلغني سخاؤك وكرمك وفضلك، ورأيت من هيبتك وجمالك وجلالك ما يقتضي أن أنظر في حاجتك فسلني ما شئت، وهو يرى أنه يسأله في الرجوع عن مكة، فقال له عبد المطلب: إن أصحابك غدوا على سرح لي فذهبوا به فمرهم برده عليّ. قال: فتغيظ الحبشي من ذلك وقال لعبد المطلب: لقد سقطت من عيني، جئتني تسألني في سرحك وأنا قد جئت لهدم شرفك وشرف قومك، ومكر متكم التي تتميزون بها من كل جيل، وهو البيت الذي يحج إليه من كل صقع في الأرض، فتركت مسألتي في ذلك وسألتي في سرحك!

فقال له عبد المطلب: لست برب البيت الذي قصدت لهدمه، وأنا رب سرحي الذي أخذه أصحابك، فجئت أسألك فيما أنا ربه، وللييت رب هو أمتع له من الخلق كلهم وأولى به منهم! فقال الملك: ردوا إليه سرحه، وانصرف إلى مكة وأتبعه الملك بالفيل الأعظم مع الجيش لهدم البيت، فكانوا إذا حملوه على دخول الحرم أناخ، وإذا تركوه رجع مهرولاً. فقال عبد المطلب لغلماؤه: ادعوا لي ابني، فجئ بالعباس فقال: ليس هذا أريد، ادعوا لي ابني فجئ بأبي طالب فقال: ليس هذا أريد، ادعوا لي ابني، فجئ بعبد الله أبي النبي ﷺ فلما أقبل إليه قال: إذهب يا بني حتى تصعد أباقيس، ثم اضرب ببصرك ناحية البحر فانظر أي شيء يجئ من هناك وخبرني. قال: فصعد عبد الله أباقيس فما لبث أن جاء طير أبايل مثل السيل والليل، فسقط على أبي قيس ثم صار إلى البيت فطاف به سبعاً، ثم صار إلى الصفا والمروة فطاف بهما سبعاً، فجاء عبد الله إلى أبيه فأخبره الخبر، فقال: أنظر يا بني ما يكون من أمرها بعد فأخبرني به، فنظرها فإذا هي قد أخذت نحو عسكر الحبشة، فأخبر عبد المطلب بذلك، فخرج عبد المطلب وهو يقول: يا أهل مكة، أخرجوا إلى العسكر فخذوا غنائمكم. قال: فأتوا العسكر وهم أمثال الخشب النخرة، وليس من الطير إلا ما معه ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، يقتل بكل حصاة منها واحداً من القوم! فلما أتوا على جميعهم انصرف الطير، ولم ير قبل ذلك ولا بعده، فلما هلك القوم بأجمعهم جاء

عبد المطلب إلى البيت فتعلق بأستاره وقال:

يا حابس الفيل بذى المغمس حبسته كأنه مكوكس
في محبس تزهق فيه الأنفس).

وفي البحار (٢٣٣/٦٢): «وأصيب أبرهة حتى تساقط أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر! حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره وطائرٌ يخلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة، فلما انتهى وقع عليه الحجر فخر ميتاً بإذن الله بين يديه!»
وفي سيرة ابن هشام (٢٨١/١) ملخصاً: (ثم إن أبرهة بنى القليس بصنعاء، ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها الملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب. ثم ذكر أن رجلاً من العرب أهان الكنيسة وتغوط فيها، فغضب أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه! ولا يبعد أن تكون قصة إهانة الكنيسة مفتعلة لتكون حجة لأبرهة.

ثم قال ابن هشام: فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان فقال: حاجتي أن يرد على الملك مئتي بعير أصابها لي. قال: أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه! قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه. قال: ما كان ليمنع مني، قال: أنت وذاك.

فانصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب، تخوفاً عليهم من معرفة الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة: لا هم إن العبد يمنع رحله.. فامنع رجاله..

قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجذري بأرض العرب ذلك العام، فلما رد الله الحبشة عن مكة، أعظمت العرب قريشاً وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم، فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله

بالحبشة، وما رد عن قريش من كيدهم. فقال عبدالله بن الزبعرى:

تتكلموا عن بطن مكة إنها كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تخلق الشعري ليالي حرمت إذ لا عزيز من الأنعام يرومها
سائل أمير الحبش عنها ما رأى ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم ولم يعيش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبوقيس بن الأسلت الأنصاري ثم الخطمي:

فقوموا فصلوا ربكم ومسحوا بأركان هذا البيت بين الأخشب
ف عندكم منه بلاء مصدق غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تسي ورجله على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعاً هاربين ولم يؤب إلى أهله ملحبش غير عصائب

قال ابن إسحاق: وقال طالب بن أبي طالب بن عبدالمطلب:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وجيش أبي يكسوم إذ ملؤوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شئ غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.
قال ابن هشام: وقال عبدالله بن قيس الرقيات، أحد بني عامر بن لؤي ابن غالب يذكر أبرهة
وهو الأشرم والفيل:

كاده الأشرم الذي جاء بالفيل فولى وحيشه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجنديل حتى كأنه مرجوم
ذاك من يغزه من الناس يرجع وهو فل من الجيوش ذميم

وهذه الأبيات في قصيدة له. قال ابن إسحاق: فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة وبه كان يكنى، فلما هلك يكسوم بن أبرهة، ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة).
أقول: القصيدة التي أشار إليها ابن هشام أوردها في (٥٤٨/٢): (قال طالب بن أبي طالب، يمدح رسول الله ﷺ ويبيكي أصحاب القليب من قريش يوم بدر:

ألا إن عيني أنفذت دمعها سكبا تبكي على كعب وما إن ترى كعبا
ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكي للملمات غدوة فياليت شعري هل أرى لهما قربا
هما أخوأي لن يعدا لغية تعد ولن يستام جارهما غصبا
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلاً فدى لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تصبحوا من بعد ود وألفة أحاديث فيها كلكم يشتكي النكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وجيش أبي يكسوم إذا ملؤوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شئ غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا
فما إن جنينا في قريش عظيمة سوى أن حمينا خير من وطأ التربا
أخا ثقة في النائبات مرزاً كريماً ثناه لا بخيلاً ولا ذربا
يطيف به العافون يغشون بابه يؤمون بجرأ لا نزوراً ولا صربا).

أقول: جمعت هذه القصيدة بين مدح النبي ﷺ ومدح قريش رغم طغيانهم، فإن صحت فهي تقية منهم لأنه في مكة. وهي تلقي ضوءاً على مصير طالب بن أبي طالب، فقد ذكر المؤرخون أن قريشاً أجبرته وغيره من بني هاشم على المسير معهم إلى بدر لحرب النبي ﷺ، ثم انقطع خبره.
وفي هذه القصيدة يقول طالب إنه ضد الحرب ويطالب بالسلام بين بني هاشم وقريش، ويقول إن بني هاشم لم يرتكبوا ذنباً إلا أنهم حموا رسول الله ﷺ خير الخلق من أن تقتله قريش، ويعلن إيمانه بالنبي ﷺ. ومعناه أنه حضر بدرًا ولم يقاتل، ولعل قريشاً قتلته في بدر أو في طريق ذهابه وكتمت قتله رضي الله عنه.

وفد قريش برئاسة عبد المطلب لتهنئة سيف بن ذي يزن

روى الصدوق في كمال الدين ١٧٧/١، عن ابن عباس قال: (لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي ﷺ بستين أتاها وفد العرب وأشرافها وشعراؤها بالتهنئة، تمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بئثار قومه، فأتاه وفد من قريش ومعهم عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن عبد شمس وعبد الله بن جذعان وأسدي بن خويلد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف في أناس من وجوه قريش، فقدموا عليه صنعاء فاستأذنوا فإذا هو في رأس قصر يقال له: غمدان فدخل عليه الأذن فأخبره بمكانهم، فأذن لهم فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه فاستأذنه في الكلام فقال له: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك، قال: فقال عبد المطلب: إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته، وعذبت جرثومته، وثبت أصله وبسق فرعه، في أكرم موطن وأطيب موضع، وأحسن معدن، وأنت أبيت اللعن ملك العرب وربيعها الذي تخصب به. وأنت أيها الملك رأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، سلفك خير سلف وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يخمل من أنت سلفه ولن يهلك من أنت خلفه.

نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنة لا وفد المرزئة.

قال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن أختنا؟ قال: نعم، قال: أدن، فدنا منه، ثم أقبل على القوم وعليه فقال: مرحباً، وأهلاً، وناقة ورحلاً، ومستنخاً سهلاً، وملكاً ربحلاً (معطاء)، قد سمع الملك مقالكم وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، فأنتم أهل الليل وأهل النهار، ولكم الكرامة ما أقمتهم، والحباء إذا ظعنتم.

قال: ثم أنهضوا إلى دار الضيافة والوفود فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالإنصراف، ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه، ثم قال له: يا عبد المطلب إني مفوض إليك من سر علمي أمراً ما لو كان غيرك لم أبح له به، ولكنني رأيتك معدنه فأطلعك طلعة، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره، إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبنا دون غيرنا، خبراً عظيماً وخطراً جسيماً، فيه

شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة، فقال عبد المطلب: مثلك أيها الملك من سر وبر فما هو فذاك أهل الوبر زمراً بعد زمر، فقال: إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة ولكم به الدعامة إلى يوم القيامة.

فقال له عبد المطلب: أبيت اللعن لقد أبت بخبر ما آب بمثله وافد، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته عن مساره إياي ما ازداد به سروراً فقال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد فيه، إسمه محمد، يموت أبوه وأمه ويكلفه جده وعمه، وقد ولد سراراً، والله باعته جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، ليعز بهم أولياؤه ويذل بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عرض، ويستفتح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويخمد النيران، ويعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

فقال عبد المطلب: أيها الملك عز جدك وعلا كعبك ودام ملكك وطال عمرك فهل الملك ساري بإفصاح، فقد أوضح لي بعض الإيضاح، فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب، إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب، قال: فخر عبد المطلب ساجداً فقال له: إرفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك، فهل أحسست شيئاً مما ذكرته؟ فقال: كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً فزوجته بكريمة من كرائم قومي إسمها آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمداً، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه، فقال ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت لك، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون له الرئاسة، فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبال، وهم فاعلون أو أبناؤهم، ولولا علمي بأن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى صرت يثرب دار ملكه نصره له، لكنني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب دار ملكه، وبها استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره، ولولا أني أخاف فيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره في هذا الوقت، ولأوطن أسنان العرب عقبه، ولكنني صارف إليك عن غير تفصيل مني بمن معك.

قال: ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد، وعشر إماء، وحلتين من البرود، ومائة من الإبل،

وخمسة أرطال ذهب، وعشرة أرطال فضة، وكرش مملوءة عنبراً. قال: وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال: إذا حال الحول فأتتني، فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول، قال: فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وإن كثر فإنه إلى نفاذ، ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبتي من بعدي ذكره وفخره وشرفه. وإذا قيل متى ذلك؟ قال: ستعلمن نبأ ما أقول ولو بعد حين. وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس:

جلبنا الضح تحمله المطايا على أكوار أجمال ونوق
مغلغلة مغالقها تغالي إلى صنعاء من فج عميق
يؤم بنا ابن ذي يزن ويهدي ذوات بطونها أم الطريق
وتزجي من مخائله بروقا مواصلة الوميض إلى بروق
فلما وافقت صنعاء صارت بدار الملك والحسب العريق
إلى ملك يدر لنا العطايا بحسن بشاشة الوجه الطليق

أقول: تلفتك شخصية سيف بن ذي يزن، وعقله، ومعرفته بالنبي ﷺ والمرجع عندي أن الجيش الفارسي الذي انتصر به على الحبشة، قتلوه وحكموا اليمن!



كانت قريش تسمي عبد المطلب: إبراهيم الثاني

ذلك بعد هزيمة أبرهة وأصحاب الفيل، وما ظهر للناس من آيات الكعبة. قال المؤرخ اليعقوبي (١٠١/١): « وكان عبد المطلب جد رسول الله يكفله، وعبد المطلب يومئذ سيد قريش غير مدافع، قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحداً، وسقاه زمزم وذا الهرم، وحكمته قريش في أموالها، وأطعم في المحل حتى أطعم الطير والوحوش في الجبال. قال أبو طالب: ونطعم حتى تأكل الطير فضلنا إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد

ورفض عبادة الأصنام ووحداً الله عز وجل، ووفى بالنذر وسن سنناً نزل القرآن بأكثرها، وجاءت السنة بها من رسول الله ﷺ وهي: الوفاء بالنذور، ومائة من الإبل في الدية،

وَأَلَّا تَنْكَحَ ذَاتَ مُحَرَّمٍ، وَلَا تَوْتِيَ الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا، وَقَطَعَ يَدَ السَّارِقِ، وَالنَّهْيَ عَنْ قَتْلِ الْمُؤَوَّدَةِ، وَالْمُبَاهِلَةِ، وَتَحْرِيمَ الْخَمْرِ، وَتَحْرِيمَ الزَّنا وَالْحَدَّ عَلَيْهِ، وَالْقِرْعَةَ، وَأَلَّا يَطُوفَ أَحَدٌ بِالْبَيْتِ عَرِياناً، وَإِضَافَةَ الضَّيْفِ، وَأَلَّا يَنْفَقُوا إِذَا حَجَّوْا إِلَّا مِنْ طَيِّبِ أَمْوَالِهِمْ، وَتَعْظِيمَ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ. وَنَفْيَ ذَوَاتِ الرِّايَاتِ. وَلَمَّا قَدِمَ صَاحِبُ الْفِيلِ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنَ الْحَرَمِ فَارَةً مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ: وَاللَّهِ لَا أَخْرَجُ مَنْ حَرَّمَ اللَّهُ وَأَبْتَغِي الْعِزَّ فِي غَيْرِهِ. فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَقُولُ: عَبْدُ الْمَطْلَبِ إِبْرَاهِيمُ الثَّانِي. وَكَانَ الْمُبَشِّرُ لْقُرَيْشٍ بِمَا فَعَلَ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ: قَدْ جَاءَكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بِشِيراً وَنَذِيراً، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا نَزَلَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ فَقَالُوا: إِنَّكَ كُنْتَ لِعَظِيمِ الْبِرِّ لَمِيمُونَ الطَّائِرَ.

وَفِي الْكَافِي (٤٤٧/١)، قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ ع: «يَبْعَثُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ أُمَّةً وَحِدَهُ، عَلَيْهِ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَسِيَاءُ الْأَنْبِيَاءِ ع»، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِالْبَدَاءِ. وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ عَلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ هِيَ التَّسْلِيمُ الْمَطْلُوقُ لِلَّهِ تَعَالَى فِيمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى لَوْ كَانَ عَلَى خِلَافٍ تَوَقَّعْنَا. فَقَدْ أَنْبَأَ اللَّهُ عَبْدَ الْمَطْلَبِ أَنَّهُ سَيَدْفَعُ جَيْشَ أِبْرَهَةَ عَنِ الْبَيْتِ، فَأَخْبَرَ أَهْلَ مَكَّةَ وَأَبْرَهَةَ بِذَلِكَ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ بَيْتِهِ، ثُمَّ خَاطَبَهُ قَائِلاً: إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَعْبَتُنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ» أَي: االلَّهُمَّ إِنِّي لَا أَحْتَمِ عَلَيْكَ، بَلْ أَنَا مُسَلِّمٌ لِأَمْرِكَ وَمُؤْمِنٌ بِكَ، حَتَّى لَوْ لَمْ تَفْعَلْ مَا أَحْبَبَهُ وَأَخْبَرْتَنِي بِهِ، فَلَا يَحِقُّ لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَحْتَمِ عَلَيْكَ، وَلَكَ الْبَدَاءُ!

وَمَنْ قَرَأَ سِيرَةَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ يُوحِي إِلَيْهِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ نَزُولِ وَحْيٍ غَيْرِ وَحْيِ النُّبُوَّةِ عَلَى أَمْثَالِهِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ.



أَوْلَادُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فِي لِبَابِ الْأَنْسَابِ لِابْنِ فَرْدَوَسٍ الْبَيْهَقِيِّ (١٤٤/١): (قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي حَكِيمُ الْعَرَبِ: دَخَلَتْ الْبَطْحَاءُ، فَرَأَيْتُ بَنِي هَاشِمٍ حَوْلَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ كَأَنَّهُمْ بِدَوْرٍ وَنَجُومٌ، فَقُلْتُ لِقَوْمِي: يَا بَنِي تَيْمٍ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْشِئَ رَفْعَةً وَدَوْلَةً أَنْبَتَ بِهَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ، هَذَا غَرَسَ اللَّهُ لَا غَرَسَ النَّاسُ). وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ (٧١/١): (فَوُلَدَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ عَشْرَةُ نَفَرٍ وَسِتُّ نِسْوَةٍ: الْعَبَّاسُ، وَحَمْزَةُ،

وعبدالله، وأباطالب، واسمه عبد مناف، والزبير، والحارث، وحجلاً، والمقوم، وضارار، وأبلهـب - واسمه عبد العزى، وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرة.

فأم العباس وضرار: نتيـلة بنت جنـاب بن كـليب بن مالـك بن عمرو بن عامر... بن النمر بن قاسط. وأم حمزة والمقوم وحجل، وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيرته وسعة ماله، وصفية: هالة بنت وهيب بن عبد مناف ابن زهرة

وأم عبدالله، وأبي طالب، والزبير، وجميع النساء غير صفية: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: فولد عبدالله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ سيد ولد آدم، محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله. وأمه: آمنـة بنت وهـب بن عبد مناف بن زهرة. فرسول الله ﷺ أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه ﷺ.

نَذَرُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَحَدَ أَبْنَائِهِ قَرْبَانًا لِلَّهِ تَعَالَى!

كان عرب الحجاز وعرب العراق يقدسون صنم العزى أكثر من غيره، ويقدمون له القرابين في مكان قرب منى.

ولما وقعت الحرب بين دولة المناذرة التابعة للفرس ودولة الغساسنة التابعة للروم، أسر المنذر بن ماء السماء الحارث بن شمر، ابن ملك الغساسنة فذبحه قرباناً للعزى! (تاريخ الأدب العربي للدكتور شوقي ضيف/٤١).

في ذلك العصر نذر عبد المطلب إذا رزقه عشرة أبناء أن يذبح أحدهم قرباناً لربه تعالى، فكان عمله مقابل ذبح العرب قرايـنهم إلى أصنامهم!

ويكفيـنا لإثبات شرعية عمل عبد المطلب ﷺ في نذره وفي طريقة وفائه به قول نبيـائـه ﷺ: أنا ابن الذبيحين. يضاف إليه ما ثبت عن شخصيته وإيمانه العميق وإلهامه حفر زمزم وظهور المعجزة له لما أرادت قريش أخذها منه، وإخباره بآية أصحاب الفيل. فهذا يوجب الإطمئنان بأنه لم يندر ولا تحلل من نذره، إلا بحجة من ربه عز وجل، بل بأنه كان يوحى إليه وحي غير نبوة.

وفي دعائم الإسلام (٥٢٢/٢)، عن الإمام الصادق عليه السلام أن القرعة مشروعة فيها أشكال، وذكر القرعة

في قصة يونس في السفينة، وقصة زكريا في كفالته مريم وقصة عبد المطلب: «نذر ذبح من يولد له فولد له عبد الله أبورسول الله ﷺ فألقى الله عليه محبته فألقى عليه السهام وعلى إبل ينحرها يتقرب بها مكانه، فلم تزل السهام تقع عليه وهو يزيد حتى بلغت مائة، فوقع السهم على الإبل فأعاد السهام مراراً، وهي تقع على الإبل فقال: الآن علمت أن ربي قد رضي ونحرها».

وقد كتبنا في سيرة النبي ﷺ عند أهل البيت ﷺ ما خلاصته:

(قال رسول الله ﷺ: أنا ابن الذبيحين، يقصد إسماعيل وعبد الله ﷺ). وهذا يدل على أن نذر جده عبد المطلب ﷺ لأحد أبنائه قرباناً إلى الله تعالى، وتحلله من نذره بالقرعة، عمل شرعي صحيح. وعندما تم له عشرة اقترح بينهم فخرجت القرعة على والد النبي ﷺ، فعزم أن يذبحه فأمره الله تعالى أن يفديه بقربان من الإبل، فاقترح فجاءت القرعة على مئة من الإبل. فكانت قصته كجده إبراهيم ﷺ.

وفي الخصال ٥٥، والعيون (١٨٩/٢) عن علي بن فضال قال: «سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ عن معنى قول النبي ﷺ: أنا ابن الذبيحين؟ قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل وعبد الله بن عبد المطلب. أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله به إبراهيم: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، وَلَمْ يُقْلَ لَهُ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا رَأَيْتَ، سَجَدْنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فلما عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح، يأكل في سواد ويشرب في سواد وينظر في سواد، ويمشي في سواد ويبول ويبرر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أمي، وإنما قال الله جل وعز له كن فكان ليفدي به إسماعيل، فكل ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة. فهذا أحد الذبيحين.

وأما الآخر فإن عبد المطلب كان تعلق بحلقة باب الكعبة، ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته، فلما بلغوا عشرة قال: قد وفي الله لي فلا أفين الله عز وجل، فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله ﷺ وكان أحب ولده إليه، ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبد الله، ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله، فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك،

واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن، فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل ابنك. قال: فكيف أعذر يا بنية فإنك مباركة؟ قالت: إعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل، وأعط ربك حتى يرضى. فبعث عبد المطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام فخرج سهم عبد الله، فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة فضرب فخرج السهم على الإبل، فكبرت قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة، فقال عبد المطلب: لا، حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات، فضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل، فلما كان في الثالثة اجتذبه الزبير وأبوطالب وإخوانه من تحت رجله، فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذي كان على الأرض، وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه، ويمسحون عنه التراب. وأمر عبد المطلب أن تنحر الإبل بالحزورة، ولا يمنع أحد منها وكانت مائة).

وأضاف الصدوق رحمه الله: «ولولا أن عبد المطلب كان حُجَّةً، وأن عزمه على ذبح ابنه عبد الله عليه السلام شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام لما افتخر النبي ﷺ بالانتساب إليهما لأجل أنها الذبيحان في قوله ﷺ: أنا ابن الذبيحين. والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله، وهي كون النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في صلبهما فبركة النبي والأئمة رفع الله الذبح عنهما فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم».

وفي الخصال/ ٣١٢، من وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: «يا علي إن عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الإسلام، حرم نساء الآباء على الأبناء فأُنزل الله عز وجل: وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ. ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به فأُنزل الله عز وجل: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ.. الآية. ولما حفر زمزم سماها سقاية الحاج. وسن في القتل مائة من الإبل فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام. ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن فيهم عبد المطلب سبعة أشواط، فأجرى الله ذلك في الإسلام. يا علي إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام».

وفي من لا يحضره الفقيه (٣٦٨/٤): «يا علي أنا ابن الذبيحين. يا علي أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام». كما تدل الرواية التالية (الفقيه: ٨٩/٣)، عن الإمام الباقر عليه السلام أن الله تعالى نهى عبد المطلب عن

ذبح ولده وأمره بالقرعة، وقد يكون ذلك بعد كلام عاتكة، قال ﷺ: أول من سوهم عليه مريم بنت عمران، وهو قول الله عز وجل: وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَاحُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ، والسهم ستة، ثم استهموا في يونس ﷺ لما ركب مع القوم فوقعت السفينة في اللجة، فاستهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرات قال: فمضى يونس إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى نفسه. ثم كان عند عبد المطلب تسعة بنين فنذر في العاشر إن رزقه الله غلاماً أن يذبحه، فلما ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله ﷺ في صلبه فجاء بعشر من الإبل فساهاهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله، فزاد عشراً فلم تزل السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشراً، فلما أن خرجت مائة خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل فقال: الآن علمت أن ربي قد رضي فنحرها.

وتوجد رواية عن الزهري أنهم رجعوا إلى كاهنة بني سعد فقالت لهم إقرعوا بينه وبين الإبل، ولا تصح عندنا (مناقب آل أبي طالب: ٢١/١)

ونلاحظ أن النبي ﷺ ضحى في حجة الوداع بمئة ناقة، وهي عدد فداء جده لأبيه ﷺ، وأشرك فيها علياً ﷺ لشرأخته في وراثته عبد المطلب.

وقد صحح علماء السنة حديث: أنا ابن الذبيحين، رواه الحاكم (٥٥٤/٢) وصححه الذهبي، والسرخسي: ٨ / ١٤١، وبدائع الصنائع: ٨٥/٥، وتخريج الأحاديث: ١٧٧ / ٣ وفيض القدير: ٣ / ٧٦٢.

هذا، وقالت اليهود إن الذبيح الأول هو إسحاق، وقال الطوسي في أماليه: ٥٧؛ «والصحيح أنه إسماعيل لمكان الخبر، ولإجماع علماء أهل البيت ﷺ على أنه إسماعيل». وفي كشف الخفاء (١٩٩/١): (إسماعيل هو الذبيح على القول بالصواب عند علماء الصحابة والتابعين). وفي أضواء على المسيحية: ٦٦: «يقول برنابا: فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك البكر واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة. والبكر هو إسماعيل ﷺ وقد ولد لإسحاق ﷺ بعده بسبع سنين».



كان يعرف أن النبي الموعود حفيده يتيم عبد الله ﷺ

١. صحت الرواية بأن عبد المطلب كان يعرف أن النبي الموعود حفيده محمد ﷺ.

منها كلامه مع سيف بن ذي يزن، وقد تقدمت روايته من كمال الدين/١٧٧: (فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه، ثم قال له: يا عبد المطلب إني مفوض إليك من سر علمي أمراً ما لو كان غيرك لم أبح له به، ولكني رأيتك معدنه فأطلعك طلعة، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره، إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجنا دون غيرنا، خبراً عظيماً وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة، فقال عبد المطلب: مثلك أيها الملك من سر وبر فما هو فذاك أهل الوبر زمرأ بعد زمر، فقال: إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة ولكم به الدعامة إلى يوم القيامة. فقال له عبد المطلب: أبيت اللعن لقد أبت بخبر ما آب بمثله وافد، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته عن مساره إياي ما أزداد به سروراً فقال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد فيه، إسمه محمد، يموت أبوه وأمه ويكلفه جده وعمه، وقد ولد سراراً، والله باعته جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، ليعز بهم أولياؤه ويذل بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عرض، ويستفتح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويحمد النيران، ويعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبيطله.

فقال عبد المطلب: أيها الملك عز جدك وعلا كعبك ودام ملكك وطال عمرك فهل الملك ساري بإفصاح، فقد أوضح لي بعض الإيضاح، فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب، إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب، قال: فخر عبد المطلب ساجداً فقال له: إرفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك، فهل أحسست شيئاً مما ذكرته؟ فقال: كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رقيقاً فزوجته بكريمة من كرائم قومي إسمها آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمداً، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه، فقال ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت لك، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون له الرئاسة، فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل، وهم فاعلون أو أبناءهم، ولولا علمي بأن الموت محتاجي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى صرت يثرب دار ملكه نصره

له، لكنني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب دار ملكه، وبها استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره، ولولا أنني أخاف فيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره في هذا الوقت، ولأوطئن أسنان العرب عقبه، ولكنني صارف إليك عن غير تقصير مني بمن معك).

٢. وكان علماء أهل الكتاب يخبرون عبد المطلب بأن النبي الموعود ﷺ من ذريته.

قال اليعقوبي (١٢/٢): (وحج أكتهم بن صيفي في ناس من بني تميم فرآهم يخترقون البطحاء كأنهم أبرجة الفضة يلحقون الأرض جيرانهم. فقال: يا بني تميم إذا أحب الله أن ينشئ دولة نبت لها مثل هؤلاء. هؤلاء غرس الله لا غرس الرجال.

وكان يفرش لعبد المطلب بفناء الكعبة، فلا يقرب فراشه حتى يأتي رسول الله، وهو غلام، فيتخطى رقاب عمومته، فيقول لهم عبد المطلب: دعوا ابني، إن لابني هذا شأنًا.

وكان عبد المطلب قد وفد على سيف بن ذي يزن مع جلة قومه لما غلب على اليمن، فقدمه سيف عليهم جميعاً وآثره. ثم خلا به فبشره برسول الله ووصف له صفته، فكبر عبد المطلب وعرف صدق ما قال سيف، ثم خرّ ساجداً فقال له سيف: هل أحسست لما قلت نبأ؟ فقال له: نعم! ولد لابني غلام على مثال ما وصفت أيها الملك. قال: فاحذر عليه اليهود وقومك، وقومك أشد من اليهود، والله متمم أمره ومعل دعوته).

وكان أصحاب الكتاب لا يزالون يقولون لعبد المطلب في رسول الله منذ ولد فيعظم بذلك ابتهاج عبد المطلب. فقال: أما والله لئن نفستني قريش الماء، يعني ماء سقاه الله من زمزم وذوي الهرم، لتنفسنني غداً الشرف العظيم والبناء الكريم والعز الباقي والسناء العالي إلى آخر الدهر ويوم الحشر).

٣. وأجذبت مكة فاستسقى عبد المطلب بالنبي ﷺ وهو صبي!

قال اليعقوبي: (وتوالت على قريش سنون مجذبة حتى ذهب الزرع وقحل الضرع، ففزعوا وقالوا: قد سقانا الله بك مرة بعد أخرى فادع الله أن يسقينا فخرج عبد المطلب ومعه رسول الله، وهو يومئذ مشدود الإزار، فقال عبد المطلب: اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلم، مسؤول غير مبخل، وهؤلاء عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك، يشكون إليك سنيهم التي أقحلت الضرع وأذهبت الزرع، فاسمعن اللهم وأمطرن غيثاً مريعاً مغدقاً. فما راموا

حتى انفجرت السماء بمائها، وكظَّ الوادي بشجِّه).

واشتهرت رواية رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم، وفيها: « قام فاعتصد ابن ابنه محمداً فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب، ثم قال.. فوَرَب الكعبة ما راموا حتى انفجرت السماء بمائها). (الدعاء للطبراني / ٦٠٦، الكبير: ٢٤ / ٢٦٠، والزوائد: ٢ / ٢١٤، وشرح النهج: ٧ / ٢٧١).

٤. وأوصى عبد المطلب إلى ابنه الزبير بالحكومة وأمر الكعبة، وإلى أبي طالب برسول الله ﷺ وسقاية زمزم وقال له: قد خلفت في أيديكم الشرف العظيم الذي تطؤون به رقاب العرب. وقال لأبي طالب:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بمفرد بعد أييه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد فكنت كالأم له في الوجد
تدنيه من أحشائها والكبد فأنت من أرجى بني عندي
لدفع ضيم أولشد عقد).

فكفل رسول الله ﷺ بعد وفاة عبد المطلب أبو طالب عمه فكان خير كافل، وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً).





الفصل السابع والأربعون

القاعدة النبوية: دعوا مقادير الله تجري

معنى مقادير الله وتدبير الله تعالى

ما أجهلنا بالله تعالى وأفعاله، وما أقل ما نملك في معرفته ومعرفة فاعلياته.

فالنملة تتصور أن لربها قرنين كقرنيها، ونحن نتصور ربنا إنساناً مثلاً!

نقرأ آيات القرآن الكريم، ونقرأ الأحاديث الشريفة، لكننا لا نستوعبها!

اقرأ معي قوله: اللَّهُ يُعَلِّمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الرَّحَامُ وَمَا تَزِدَادُ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ.. وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ.. وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ.

فمعناه أن المسألة مدروسة فلا يولد مولودٌ إلا بسابق علم وتخطيط وهدف. بل لا تسقط ورقة خضراء أو يابس من شجرة أو نبتة، ولا تُبرعم حبة في تراب الأرض إلا بحساب وكتاب: وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

فكل مخلوق له خطة كاملة قبل وجوده ومعه وبعده، فكيف بالإنسان وهو أكبر كلمات الله تعالى! ولو عرف الناس خطط الله تعالى وأرادوا أن يكتبوها، فلا تكفيهم بحار الدنيا حبراً لأقلامهم، أو لأجهزة الطباعة: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا.

قرأت أن خرائط طائرة الميراج التي سرقها عملاء إسرائيل من فرنسا كانت خمسة أطنان. والنبته في مجاهل الصحراء لا تقل خرائطها عن طائرة الميراج.

فكيف بالإنسان وهو سيد المخلوقات!

أنت تتصور أن خلقك وخلقني يتم ببساطة، لأنك بسيط ساذج، لا تعلم!

لا يكون شيء إلا بسبع مراحل أو سبعة شروط

قال الإمام الكاظم عليه السلام (الكافي: ١٤٩/١): (لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبع: بقضاء، وقدر، وإرادة، ومشية، وكتاب، وأجل، وإذن. فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله، أو رد على الله عز وجل).

فولادة نجم في السماء أو سقوط ورقة عن شجرتها، لا فرق، يحتاج الى أن يقضي الله ذلك، ويقدره، ويريده، ويشاؤه، ويكتبه، ويوقته بأجل، ويأذن في حدوثه، فيحدث، وإلا فلا يحدث! ولكل واحدة من هذه المراحل في مصنع الخلق والإدارة، مراحل، وفروع وقواعد، وأحكام، وخرائط تفصيلية!

فهل عرفت كم نحن بسطاء، وجاهلون بقوانين فاعليات الله تعالى؟

الأئمة عليهم السلام يبينوا معنى القدر

روى الكليني بسند صحيح (الكافي: ١٥٧/١): (عن يونس بن عبد الرحمن قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا يونس، لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار ولا بقول إبليس! فإن أهل الجنة قالوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ. وقال أهل النار: قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ. وقال إبليس: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي. فقلت: والله ما أقول بقولهم، ولكني أقول: لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدر وقضى. فقال: يا يونس ليس هكذا، لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى. يا يونس تعلم ما المشية؟ قلت: لا. قال: هي الذكر الأول. فتعلم ما الإرادة؟ قلت: لا. قال: هي العزيمة على ما يشاء. فتعلم ما القدر؟ قلت: لا. قال: هو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء.

قال ثم قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين.

قال: فاستأذنته أن أقبل رأسه وقلت: فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة).

فمقادير الله تعالى تعني خطته في كل شيء، وهندسته الشاملة لكل موجود.

المقادير في حياتنا ثلاثة أقسام

فمنها: من صنع الله تعالى ولا عمل لغيره فيه، مثل خلقك وموتك وطولك ولونك، وكافة الأمور التكوينية.

ومنها: من صنع الناس خيراً كانت أو شراً، كما ترى من أنواع أفعالهم.
ومنها: من فعلك أنت، مثل ذهابك ومجيئك، وبرك بالناس أو ظلمك لهم.
والإنسان مسؤول عن فعله هو، ومنهي عن التدخل في أمور الناس، إلا ما كان واجباً لحفظ المجتمع كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكن الذي نراه أننا ننشغل بمقادير الله تعالى ومقادير الناس، نريد أن نصححها، وننسى مقاديرنا وما يجب علينا عمله! بل الواجب علينا أن نرضى بمقادير الله تعالى، وندعها تجري، ونقوم بما أوجب علينا تجاه الناس، وبما جعله لنا ووجهنا فيه من مقاديرنا.

مقادير الله وتدبيره بمعنى واحد

معنى قَدَّرَ: هندس. ومعنى دَبَّرَ: أدار. ويشمل التقدير مراحل متعددة في مسار كل شيء من خلقه الى نهايته، ويشمل التدبير كل ما يتعلق بخلق الشيء وتنميته، ولعله أعم من التقدير.
في الإحتجاج (٤٤/١): قال رسول الله ﷺ في تغيير القبلية: (بل ذلك كان حقاً وهذا حق، يقول الله: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. إذا عرف صلاحكم أيها العباد في استقبالكم المشرق أمركم به وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به. وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله في عبادته، وقصده إلى مصالحكم).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام (نهج البلاغة: ١٩٤/٢): (الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين، الغالب لمقال الواصفين، الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين، الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين).

وفي توحيد المفضل ٧٩: (فكر يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها، لإقامة دولتي النهار والليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله.. فلم يكن الناس يسعون في معاشهم، ويتصرفون في أمورهم، والدنيا مظلمة عليهم، ولم يكونوا يتهنون بالعيش.. ثم كانت الأرض تستحي بدوام الشمس بضيائها ويحمي كل ما عليها من حيوان ونبات، فقدرها الله بحكمته وتدبيره،

تطلع وقتاً وتغرب وقتاً، بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤا ويقروا، فصار النور والظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين لما فيه صلاح العالم وقوامه).

لو أن الناس رضوا بمقادير الله تعالى وتديره لتغير العالم

لو أن الأمم آمنت بمقادير الله تعالى وترتيباته لها في حياة رسلها وبعد وفاتهم، لتغيرت صورة العالم والتاريخ كلياً. فقد رتب الله تعالى بعد آدم أن يكون شيثاً عليه السلام ابنه هو النبي المبلغ والحاكم، فلم يرض بذلك قابيل وأولاده وعادواً شيثاً عليه السلام والمؤمنين، وفرضوا تقديرهم هم وترتيبهم للأمر. وقد رتب الله تعالى ورتب بعد إدريس عليه السلام فغلب الطغاة وفرضوا ترتيبهم وتقديرهم. وكذلك الأمر بعد نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام.

لم يرتض الناس بترتيب كبار الرسل عليهم السلام، وفرضوا ترتيباتهم هم للأمر بميزان دنيوي وقبلي، وزعموا أن تديرهم أكمل من تدير الله ورسوله ﷺ، وأنهم أعرف من الله ورسوله ﷺ بمصلحة الأمة.

وقد أخبرهم النبي ﷺ بما سيفعلون بعده فقال لهم: (لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحَرَ ضَبَّ تبعتموهم! قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن!).

وقال لهم في مناسبة أخرى: (والذي نفسي بيده لتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً فباعاً، حتى لو دخلوا جُحَرَ ضَبَّ لدخلتموه! قالوا ومن هم يا رسول الله، أهل الكتاب؟ قال: فَمَهْ!).

وقد روت ذلك عامة المصادر، كالبخاري: ٩/ ١٢٦ و: ٨/ ١٥١، ومسلم: ٤/ ٢٠٥٤، ونحوه: ٢٠٥٥، ومصنف عبد الرزاق: ١١/ ٣٦٩، وأحمد: ٢/ ٣٢٧ و ٣٢٥ و ٤٥٠، ونحوه: ٣٣٦ و ٣٦٧ و ٥٢٧ و: ٣/ ٨٤ و ٩ و ٩٤ و: ٤/ ١٢٥، والرويانى: ح ١٠٨٥، والبغوي في المصابيح: ٣/ ٤٥٨، وجامع الأصول: ١٠/ ٤٠٩، وجمع الجوامع: ١/ ٩٠٢، والجامع الصغير: ٢/ ٤٠١، ومجمع الزوائد: ٧/ ٢٦١، وفيض القدير: ٥/ ٢٦١.

دعوا الناس يرزق بعضهم بعضاً

أراد بعض المسلمين أن يتلقوا البدو القادمين الى المدينة وينبهوهم الى أسعار سلعهم حتى لا يغلبهم تجار المدينة ، أو يتوكلوا عنهم لبيعوا سلعهم بسعر أفضل ، فمنعهم النبي ﷺ وقال: لا يبيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض . (أما لي الطوسي/ ٣٩٧ وصحيح مسلم/ ٦/٥).

قال في جواهر الكلام (٤٦١/٢٢): (ومنها: أن يتوكل حاضر لباد غريب قروي أو بدوي، لخبر عروة بن عبد الله عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا يتلقى أحدكم تجارة خارجاً من المصر، ولا يبيع حاضر لباد، والمسلمون يرزق بعضهم من بعض.

وخبر جابر عن رسول الله ﷺ: لا يبيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض) وغير ذلك كقوله ﷺ: دعوا الناس على غفلاتها).

وفي رواية: دعوا الناس بغفلاتهم يعيش بعضهم مع بعض . (شرح النهج: ٣٧/١٧).

وفي رواية: لا تعلموا العلم لغير أهله فتظلموه، ولا تمنعوه من أهله فتظلموهم. دعوا الناس على ما اختار الله لهم من ضلال. (تعليقة اللاري/ ٢٣٩/١)

وفي مختصر بصائر الدرجات/ ١٠٤: (عن سليم بن قيس قال: سمعت علياً عليه السلام يقول في شهر رمضان وهو الشهر الذي قتل فيه وهو بين ابنه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر وخاصة شيعته وهو يقول: دعوا الناس وما رضوا لأنفسهم، وألزموا أنفسهم السكوت في دولة عدوكم).

وقد ورد شبهه في تفسير: فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ.

اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ.

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ.

قوله تعالى: فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ، فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ.

فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ.

هذا في السلوك العام، ومثله السلوك الفردي

قال السيد ابن طاووس في فتح الأبواب (١٢٤/١): (إعلم أنني وجدت الله جل جلاله يقول عن الملائكة إذ عارضوه لما قال لهم: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ. فقال جل جلاله لهم: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. فعرفهم بذلك أن علومهم وأفهامهم قاصرة عن أسرارهِ في التدبير، حتى اعترفوا: فقالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. فلما رأيت الملائكة عاجزين وقاصرين عن معرفة تدبيره، علمت أنني أعظم عجزاً وقصوراً، فالتجأت إليه جل جلاله في معرفة ما لا أعرفه، إلا من مشاورته جل جلاله في قليل أمري وكثيره).

وفي الإرشاد للمفيد (٢٠١/١): (جاءت الرواية: أن بعض أبحار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال: أنت خليفة نبي هذه الأمة؟ فقال له: نعم،، فقال: فإننا نجد في التوراة أن خلفاء الأنبياء أعلم أمهم، فخبّرني عن الله تعالى أين هو في السماء أم في الأرض؟ فقال له أبو بكر: في السماء على العرش، فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكان دون مكان. فقال أبو بكر: هذا كلام الزنادقة أغرب عني وإلا قتلتك. فولى الخبر متعجباً يستهزئ بالإسلام! فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا يهودي، قد عرفت ما سألت عنه وما أجبت به وإنا نقول: إن الله جل وعزَّ أَيْنَ الْأَيْنِ فلا أَيْنَ له، وجل عن أن يحويه مكان، وهو في كل مكان بغير مماسة ولا مجاورة، يحيط علماً بما فيها، ولا يخلو شئ منها من تدبيره).

وفي إقبال الأعمال لابن طاووس (٤٨/١): (حال رضاه بتدبير الله جل جلاله، هل هو راض في جميع أموره، أو تارة يرضى وتارة يكره ما يختاره الله جل جلاله من تدبيره. وكيف توكله على الله جل جلاله، هل هو على غاية ما يراود منه من السكون إلى مولاه، أو يحتاج في الثقة بالله جل جلاله إلى غير الله جل جلاله من علائق دنياه؟!)

ترك النبي ﷺ مقادير الله تجري في الحسين عليه السلام

روى القاضي المغربي في كتابه القيم دعائم الإسلام (١٤٦/٢): (عن علي عليه السلام أنه قال: اعتلَّ الحسين فاشتد وجعه، فاحتملته فاطمة فأنت به النبي ﷺ مستغيثة مستجيرة، فقالت: يا رسول الله

أدع الله لابنك أن يشفيه، ووضعت بين يديه، فقام ﷺ حتى جلس عند رأسه ثم قال: يا فاطمة يا بنية إن الله هو الذي وهبه لك هو قادر على أن يشفيه!

فهبط عليه جبرئيل فقال: يا محمد، إن الله لم ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها فاء، وكل فاء من آفة! ما خلا (الحمد لله) فإنه ليس فيها فاء، فادع بقدر من ماء فاقرأ فيه الحمد أربعين مرة ثم صبه عليه، فإن الله يشفيه! ففعل ذلك، فكأنما أنشط من عقال!).

فاعجب لقدرة معمار القرآن عز وجل، كيف يحسب حساباً للحرف أين يضعه، وأين لا يضعه! ثم في دلالات الحروف فوق دلالات الكلمات، فهذا الحرف يدل على نوع من الأحداث، وهذا يدل على نوع، وذاك على نوع آخر! وعدم حرف له دلالة كوجوده!

ثم فكر في تأثير تلاوة سورة الحمد في الماء لأنها بلا فاء! ثم تأثير الماء في بدن المريض، وتأثير التكرار سبع مرات أو عشرًا أو أربعين!

وتأمل في طريقة تفكير الزهراء ع وتصرفها، لما وجدت أن حالة ابنها خطيرة فحملته الى النبي ﷺ.

وتأمل في طريقة تفكير النبي ﷺ وتصرفه لما جلس عند رأسه ليدعو له، فرأى أنه كالمحتضر، ففكر لعل الله تعالى بدا له في وعده بالحسين، فتوقف عن الدعاء له وقال لها: بل أترك أمر الطفل، ولا أتدخل في مقادير الله تعالى!

ثم تأمل لماذا كان الحسين ع هبة مبتدأة من الله بدون أن تقترح الزهراء ع على ربها شيئاً؟ كما كان تزويجها بعلي ع أمراً مبتدئاً منه تعالى منذ أن تقبلها من أبيها وأمها، ولم يكن لهما حق شرعاً في تزويجها!

أقول: يظهر أن النبي ﷺ رأى ولده الحسين ع في حالة احتضار، وأن عمره يومها كان خمس سنوات أو ستاً، لأنه قام وجلس عند رأسه. فقد كان كبيراً نسبياً، وقد تكون الزهراء حملته وأتت به وأنامته أمام النبي ﷺ أو استعانت بأبيه علي ع. فلما رآه النبي ﷺ يحتضر احتمل أن الله تعالى يريد أن يأخذه، فامتنع أن يدعو له وقال لها: يا فاطمة يا بنية إن الله هو الذي وهبه لك هو قادر على أن يشفيه! يعني إني لا أتدخل فيما يحتمل أن يكون من مقادير الله تعالى، بل أترك مقادير ربي تجري! ولم يقل إن ربي وعدني أن يجعل الأئمة من ذريته، لأن النبي ﷺ يؤمن بالبداة

ويقول أنا لا أحتم على ربي، ولا أحاسب ربي عز وجل، فهو أعلم وأنا لا أعلم.
فلما نزل جبرئيل عليه السلام عرف النبي ﷺ أن مقادير الله تعالى كانت إظهار كرامة الحسين عليه السلام
ومعجزة القرآن! ولا نقص على النبي ﷺ أن لا يعرف مجرى بعض مقادير الله لأن بعضها
يختص الله تعالى بعلمه، أو لم يأت وقت تعليمها للنبي ﷺ.

تعامل نبينا ﷺ وأئمتنا أرقى من تعامل الأنبياء عليهم السلام

أبونا آدم عليه السلام عصى وأكل من الشجرة، ولو كان نبينا ﷺ مكانه لما أكل!
ونبي الله إدريس عليه السلام طلب منه الله أن يدعو لقومه بالمطر فلم يفعل لشدة إيدائهم له، ولو كان
مكانه نبينا ﷺ لدعا لهم!

ونبي الله نوح عليه السلام طلب من ربه نجاة ابنه، ولو كان مكانه نبينا ﷺ لما طلب!
ونبي الله إبراهيم عليه السلام طلب من ربه أن يجعل من ذريته أئمة، ونبينا ﷺ لم يطلب لهم الإمامة
حتى أمره الله تعالى بذلك.

ونبي الله موسى عليه السلام لما انحرف بنو إسرائيل وعبدوا العجل غضب وأخذ برأس أخيه
هارون، ونبينا ﷺ أخبر علياً عليه السلام بانحراف أمته من بعده، وأخذ عليه الميثاق أن يصبر ولا يجرّد
ذا الفقار! وما ذلك إلا لأن تعامله ﷺ مع الله تعالى أرقى من تعاملهم عليه السلام.

في تفسير القمي (٣٥١/١): (ولما أمر الملك بحبس يوسف عليه السلام في السجن ألهمه الله تأويل الرؤيا
فكان يعبر لأهل السجن فلما سأله الفتيان الرؤيا وعبر لهما.

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ. ولم يفرع في تلك الحالة إلى الله، فأوحى الله إليه:
من أراك الرؤيا التي رأيتها؟ قال يوسف: أنت يا رب. قال: فمن حبيبك إلى أبيك؟ قال أنت يا
رب. قال: فمن وجه إليك السيارة التي رأيتها؟ قال أنت يا رب. قال: فمن علمك الدعاء الذي
دعوت به حتى جعلت لك من الجب فرجاً؟ قال أنت يا رب. قال: فمن أنطق لسان الصبي
بعذكرك؟ قال: أنت يا رب. قال: فمن ألهمك تأويل الرؤيا؟ قال: أنت يا رب. قال فكيف
استعنت بغيري ولم تستعن بي، وأملت عبداً من عبيدي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي وفي
قبضتي ولم تفرع إليّ، فلبث السجن بضع سنين! فقال يوسف: أسألك بحق آبائي وأجدادي

عليك إلا فرجت عني. فأوحى الله إليه: يا يوسف وأي حق لآبائك وأجدادك علي؟
إن كان أبوك آدم خلقتة بيدي ونفخت فيه من روحي وأسكنته جنتي وأمرته أن لا يقرب
شجرة منها فعصاني وسألني فتبت عليه.

وإن كان أبوك نوح انتجته من بين خلقي وجعلته رسولا إليهم فلما عصوا دعاني فاستجبت
له وأغرقتهم وأنجيتهم ومن معه في الفلك. (ولم تذكر الرواية مطالبة بابه!)
وإن كان أبوك إبراهيم اتخذته خليلاً وأنجيتهم من النار وجعلتها برداً وسلاماً. وإن كان أبوك
يعقوب وهبت له اثني عشر ولداً فغيبت عنه واحداً فما زال يبكي حتى ذهب بصره، وقعد
في الطريق يشكوني إلى خلقي! فأأي حق لآبائك وأجدادك علي؟ قال: فقال جبرئيل يا يوسف
قل: أسألك بمنك العظيم، وسلطانك القديم. فقالها، فرأى الملك الرؤيا، فكان فرجه فيها).

وفي تفسير البرهان (٤/٦٥): (فقال أيوب: يا رب، لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت
بحجتي. فبعث إليه غمامة سوداء مظلمة فيها رعد وبرق وصواعق متداركات، ثم نودي منها
بأكثر من عشرة آلاف صوت: يا أيوب إن الله تعالى يقول لك: أدلني بحجتك فقد أقعدتك
مقعد الحكم، وها أنا قريب منك، ولم أزل قريباً دائماً).

فقال: يا رب، إنك تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط كلاهما لك طاعة إلا أخذت بأشدهما على
نفسي، ألم أحمذك، ألم أشكرك، ألم أسبحك، وأذكرك، وأكبرك؟

فنودي من الغمامة بعشرة آلاف لسان: يا أيوب، من صيرك تعبد الله والناس عنه غافلون،
وتحمده وتشكره، والناس عنه لاهون! تمن على الله فيه، بل المن لله تعالى عليك!

فأخذ التراب ووضع في فيه ثم قال: لك العتبي. يا رب أنت فعلت ذلك.

فلما كان في الغد وهو يوم الجمعة عند الزوال هبط الأمين جبرئيل عليه السلام عليك،
يا أيوب فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فمن أنت يا عبد الله، فإني أسمع منك نعمة
حسنة، وأجد منك رائحة طيبة، وأرى صورة جميلة؟ فقال له: أنا جبرئيل، رسول رب العالمين،
أبشرك يا أيوب بروح الله، وبرحمته منها شفاؤك، وأن الله تعالى قد وهب لك أهلك ومثلهم
معهم، وما لك ومثله معه، ليكون آية لمن مضى وعبرة لأهل البلاء).

أقول: تراجع أيوب عليه السلام بسرعة عن تصوره أن له حقاً على ربه! ونجا من غضب الله تعالى، بعد أن حوّم فوق رأسه، كما دل عليه قوله: فبعث إليه غمامة سوداء مظلمة فيها رعد وبرق، وصواعق متداركات، ثم نودي منها بأكثر من عشرة آلاف صوت!

فقايس هذه الحالة بقول الإمام زين العابدين عليه السلام: اللَّهُمَّ إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإِلَى عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اِشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثَقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلَا فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَقْضِلْ عَلَيَّ.. يَا إِلَهِي لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتَّى تَسْقُطَ أَشْفَارُ عَيْنِي، وَانْتَحَبْتُ حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَقُمْتُ لَكَ حَتَّى تَتَسَرَّ قَدَمَايَ، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّى يَنْخَلِعَ صُلْبِي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتَّى تَتَفَقَّأَ حَدَقَتَايَ، وَأَكَلْتُ تُرَابَ الْأَرْضِ طَوْلَ عُمْرِي، وَشَرِبْتُ مَاءَ الرَّمَادِ آخِرَ دَهْرِي، وَذَكَرْتُكَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ حَتَّى يَكِلَّ لِسَانِي، ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفِي إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ اسْتِخْيَاءً مِنْكَ مَا اسْتَوْجَبْتُ بِذَلِكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَيِّئَاتِي. وَإِنْ كُنْتُ تَغْفِرُ لِي حِينَ اسْتَوْجَبْتُ مَغْفِرَتَكَ، وَتَعْفُو عَنِّي حِينَ أَسْتَحِقُّ عَفْوَكَ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ لِي بِاسْتِحْقَاقٍ، وَلَا أَنَا أَهْلٌ لَهُ بِاسْتِجَابٍ، إِذْ كَانَ جَزَائِي مِنْكَ فِي أَوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ النَّارَ! فَإِنْ تُعَذِّبْنِي فَأَنْتَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِي).

واعجب لهذا الأفق الراقي الذي يتكلم فيه علي بن الحسين عليه السلام مع ربه، والأفق العادي الذي تكلم به أيوب عليه السلام مع ربه، وإن كان كل منهما أفقاً مقبولاً شرعاً.

وينبغي التأكيد هنا على المقام العظيم لأيوب والأنبياء عليهم السلام، فنحن لانريد أن نتقص منه حرفاً، لكن مقامات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم درجات، ولا يقاس بمحمد وآل محمد ﷺ أحد، حتى من الأنبياء عليهم السلام.

تقول: إذا لم يكن للأنبياء عليهم السلام حق على الله تعالى، فما معنى قولنا: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد؟ جوابه: أنا نسألك بالحق الذي جعلته لمحمد وآله ﷺ، ولا نقول بأن لهم على الله حقاً غير ما جعله لهم ووعدهم به من الشفاعة والمقام المحمود عنده.

ترك النبي ﷺ مقادير الله تجري في أمته

في تفسير العسكري عليه السلام (٤٨٠/): (فلما مات سعد بن معاذ بعد أن شفى نفسه من بني قريظة بأن قتلوا أجمعين، قال رسول الله ﷺ: يرحمك الله يا سعد، فلقد كنت شجياً في حلق الكافرين، لو بقيت لكففت العجل الذي يراد نصبه في بيضة المسلمين كعجل قوم موسى! قالوا: يا رسول الله أو عجل يراد أن يتخذ في مدينتك هذه! قال: بلى، والله يراد، ولو كان سعد فيهم حياً لما استمر تدبيرهم، ويستمرون ببعض تدبيرهم ثم الله تعالى يبطله! قالوا: أخبرنا كيف يكون ذلك؟ قال: دعوا ذلك لما يريد الله أن يدبره).

ملاحظات

١. الرسول ﷺ مكلف بالتبليغ، وليس مسؤولاً عما لا يستجيب:

قال تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.
وقال تعالى: فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ.
وقال تعالى: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.
وقال تعالى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا.
أقول: هذا لا يتنافى مع أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بالجهاد أحياناً، وبكشف المنافقين أحياناً، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بل معناه أنك مسؤول عن عملك وإبلاغ رسالة ربك، والقيام بما أمرت ودع الباقي لله تعالى، ودع مقاديره تجري فيمن استجاب ومن كذب وعصى وطغى. قال تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُحْوِفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا.

ومعناه أنا أخبرناك بما سيعملون بعدك، وما ستثمره الشجرة الملعونة في مجتمعك، ونحن نعلم أن تخويفنا لهم لا يردهم عن طغيانهم بل يزيد فيه، فاتركهم لتجري فيهم مقادير الله تعالى، فلنا خطة، وسيرجعون إلينا!

٢. إن اختلاف أصحاب الرسول بعد وفاته، أمر طبيعي بل سنة إلهية شاملة فما من رسول إلا اختلفت أمته من بعده، ووصل اختلافهم الى حد القتال، قال الله تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

فاختلافهم واقتتالهم رغم البينات التي قدمها لهم الرسول. والسبب الحقيقي لخلافهم أن بعضهم آمن وبعضهم كفر.

ثم بين الله تعالى أن هذه حقيقة مرة، لكنه تعالى يفعل ما يريد، فقد سمح بهذا الخلاف ليميز المؤمنين من الكفار، ويدخل المؤمنين الجنة، والكفار النار!

٣. تقدم في عطايا النبي ﷺ أن لكل نبي بطانتين، وأنها تختلفان بعده فيغلب أهل الباطل على أهل الحق!

فقد روى الطبراني في الأوسط (٣٧٠/٧): (عن ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها).





الفصل الثامن والأربعون

التسليم للنبي ﷺ وأوصيائه عليه السلام

صلوا عليه وسلموا تسليماً، وليس سلاماً

قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. وقد فسر بعضهم بأنه أمر بالسلام على النبي ﷺ وهو خطأ، فهو لم يقل وسلموا سلاماً، بل معناه سلموا لأمر الله ورسوله ﷺ وأطيعوه وانقادوا له.

ففي معاني الأخبار للصدوق ٣٦٨/ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. فَإِنَّهُ يَعْنِي التَّسْلِيمَ لَهُ فِيمَا وَرَدَ عَنْهُ).

وفي تفسير القمي (١٩٦/٢): (يعني سلموا له بالولاية وبما جاء به).

وفي المحاسن (٢٧١/١): (قال: التسليم له في كل شيء جاء به).

وقال في تفسير قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا: لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنع الله تعالى أو صنع النبي ﷺ: ألا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكنوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية: فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.. الآية.. ثم قال عليه السلام: عليكم بالتسليم).

وقد امتاز الشيعة بالتزامهم حرفياً بقول النبي ﷺ وأمره ونهيه، وكان أسلافهم في

عهد النبي ﷺ معروفون بذلك وكان المنافقون وقليلوا الدين يسخرون منهم ويسمونهم عبّاد محمد ﷺ! ويتهمونهم بالغلو في النبي ﷺ لأنهم يؤمنون بمقاماته، ويتعبدون بنص كلامه! وقد ساهم بذلك أبو بكر وسهيل بن عمرو في خطبتيهما في اليوم الثاني لوفاة النبي ﷺ فقال هذا في المدينة وهذا في مكة: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات).

ففي معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤٥٣/٢): (قال سفيان: فلما مات النبي ﷺ نفر أهل مكة، فقام سهيل بن عمرو عند الكعبة، فقال: من كان محمد إله فإن محمداً قد مات والله جل وعلا حي لا يموت). ومعناه يا عبّاد محمد مات معبودكم، ولم يكن أحد يعبد النبي ﷺ فلا بد أنهم يقصدون الذين اعتبروهم مغالين بالنبي ﷺ لأنه يتقيدون بكلامه حرفياً!

روى البخاري (٧١/٢) عن ابن عباس قال: (إن أبا بكر قال عند وفاة النبي ﷺ: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت).

وقد قال هذا نفسه سهيل بن عمرو في مكة!

لذلك فكل ما تراه من أحاديث تنهى عن الغلو في النبي ﷺ والصلاة والتجمع عند قبره، وأن يعني اتخاذ قبره صنماً، وأحاديث تنهى عن التوسل والإستشفاع به لأنه ميت، وأحاديث تنفي أن يكون خص أهل بيته ﷺ بشيء من العلم، أو جعل لهم حقاً على الأمة، وأحاديث ترفع من الصحابة في مقابلتهم ﷺ وتمدحهم وتغالي فيهم، حتى وضعوا الأحاديث عن لسان أهل البيت ﷺ في مدح الصحابة من زعماء قريش، الذين صاروا حكاماً.

كل هذه الأحاديث يظهر ضعفها تحت مجهر البحث، وسوف تلمس تناقضها وكذبها!

مشكلة المسلمين معصيتهم لنبيهم ﷺ في حياته وبعد وفاته

من محاور القرآن: التأكيد على طاعة النبي ﷺ والنهي عن معصيته، وقد كشف القرآن عن وجود عصاة للنبي ﷺ في أصحابه، وكشف وجود من يتناجون سرّاً بمعصية الرسول ﷺ وأنهم خلايا يتعاونون على معصيته.

كما كشف الذين يشاققونه ويعادونه، من الكفار ومن أصحابه المنافقين.

قال تعالى: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ.

فجعل التولي عن النبي ﷺ ومعصيته كفراً.

وقال تعالى: فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا.

ومعناه أنهم كانوا يكتُمون معصيتهم للرسول ﷺ وعملهم لذلك.

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. فجعل معصية النبي ﷺ خيانة للأمانة وخيانة لله تعالى.

وقال تعالى: أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

وهاتان الآيتان تكشفان عن خلايا مؤامرة من الصحابة لمعصية النبي ﷺ.

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ وقال تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

وقال تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

ومشاققة الرسول: معاداته، وقد تكون من كفر يصدون عن سبيله، وقد تكون من صحابة منافقين يعملون ضد النبي ﷺ ويظهرون أنهم مؤمنون به، أو من صحابة يتخذون بعد النبي ﷺ طريقاً منحرفاً. وقد رسم الله تعالى مشهداً لصحابي يعرض على أصابعه ندماً يوم القيامة لأنه اتبع صاحبه المنافق فأغواه وأضله، ولم يتبع الرسول ﷺ!

قال تعالى: وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا. وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا.

وتدل الآيات الأخيرة على أن هؤلاء الصحابة اتخذوا القرآن مهجوراً وحرفوا معانيه ليوافق أهواءهم، وأنهم كانوا أعداء للنبي ﷺ من زمن حياته!

وقد كشف الله تعالى أن مشكلة جمهور هؤلاء أنهم أطاعوا رؤساء قبائلهم، قال تعالى:
يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ. وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا.





الفصل التاسع والأربعون

بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ مُسْتَقْبِلَ أُمَّتِهِ بِالتَّفْصِيلِ

الإنكار والطمس منهج اليهود وقريش!

من أكبر الجرائم التي ارتكبتها اليهود أنهم حذفوا ما لا يروق لهم مما أوحاه الله إلى أنبيائهم ﷺ، وطمسوا ما قاله وفعله أنبياءهم ﷺ، وعادوا من خالف رأيهم وقتلوه، حتى لو كان يهودياً منهم، أو كان نبياً أو وصياً!

قال الله تعالى عنهم: أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ..
فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ..

إلى آخر الآيات التي تصف جرائمهم وطمسهم ما لا يعجبهم من الدين أو تحريفه!
وأوضح دليل على ذلك أنهم حذفوا من التوراة كل ما يتعلق بالآخرة والحساب والعقاب والجنة والنار، فلا تجد فيها آية واحدة عن الآخرة!

كما حذفوا وصية موسى ليوشع بن نون عليه السلام وعزلوا يوشع بعد وفاة موسى ونصبوا خليفة من رؤساء الأسباط، ثم آخر، ثم آخر، حتى ساءت أوضاعهم فرجعوا إلى يوشع وبايعوه لينقذهم، فخرجت عليه صفورة أو الصفراء زوجة موسى عليه السلام وجندوا لها جيشاً من مائة وعشرين ألفاً.

وهو ما حدث بعينه لعلي عليه السلام حتى خرجت عائشة عليه!

وقد اتبعهم صحابة النبي ﷺ حرفاً بحرف! كما قال لهم ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فطمسوا ما لا يعجبهم.

طمسوا لعن النبي ﷺ وذمه لزعماء قريش، ولعنه وذمه لبعض عشائرها الذين مردوا على الكفر أو النفاق وإيذاء الرسول ﷺ. وزعموا أن النبي ﷺ لعن كفار قومه المؤذنين فنزل عليه الوحي من الله تعالى موبخاً وقال له: إني أرسلتك رحمة ولم أرسلك لعاناً فحاشاً، فادع لقومك وقل اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!

لكن الرحمة في موضعها، والنقمة والعقاب في موضعه، والرحمة على المشرك المؤذي معصية الله تعالى، وترك العقوبة لمستحقها معصية أيضاً!

كما طمسوا ما استطاعوا من مديح النبي ﷺ لعترته، وبيان مقامهم الذي خصهم الله تعالى به، وحرفوا الآيات الصريحة في مدحهم ومقاماتهم، كآية التطهير: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.

وآية المودة في القربى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى..

وآية الخمس: وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ.. حرفوا معانيها وأدخلوا غيرهم معهم!

كما طمسوا نصبه لعلي عليه السلام في أوئل بعثته يوم نزلت آية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَخَفِضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فجمع بني هاشم واتخذ منهم علياً عليه السلام وزيراً وأخاً ووصياً وخليفة من بعده، وهو الحديث المعروف بحديث الدار.

كما طمسوا إخبار النبي ﷺ وأحاديثه المفصلة عن انحراف أمته بعد وفاته، وظلمها لأهل بيته عليه السلام وعزلهم وتشريدهم وتقتيلهم. وأن هذه الظلامة تستمر فيهم وفي شيعتهم حتى يظهر المهدي الموعود من ولده فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد أن ملأها المنحرفون ظلماً وجوراً!

أُنْكَرْتَ قُرَيْشٌ أَنَّهُ أَوْصَى لِعَلِيٍّ أَوْ تَحَدَّثَ عَنِ الْخِلَافَةِ بَعْدَهُ أَبَدًا أَبَدًا!

أَصْعَبُ سَوَالٍ يُوْجِهُهُ أَجْنَبِيٌّ إِلَى مُسْلِمٍ: مَاذَا فَعَلَ نَبِيِّكُمْ لِمُسْتَقْبَلِ أُمَّتِهِ، هَلْ اسْتَخْلَفَ أَحَدًا وَعَيْنَ لَهَا مِنْ يَقُودُهَا، هَلْ وَضَعَ لَهَا آلِيَةً لِاخْتِيَارِ الْحَاكِمِ؟

لَقَدْ فَرَضَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَوْصِيَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَهَلْ أَوْصَى هُوَ إِلَى أَحَدٍ، أَوْ أَوْصَى بِشَيْءٍ لِمُضَامِنِ مُسْتَقْبَلِ أُمَّتِهِ؟ وَهَلْ تَبَنَّى بِهَا سَيَحْدِثُ لِأُمَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ؟

وَهَلْ أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ بِخِلَافَتِهِ لِأَهْلِ بَيْتِهِ؟ وَهَلْ خَصَّهُمْ بِالْعِلْمِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أُمَّتِهِ؟

قَالَ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ): مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتْرَكَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ سَدَى! بَلْ أَوْصَى لِعَلِيٍّ وَالْأَئِمَّةِ الْأَحَدَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَأَخَذَ لَهُمُ الْبَيْعَةَ مِنَ الْأُمَّةِ، وَأَكَّدَ وَصِيَّتَهُ مَرَّاتٍ فَكَانَ يَقُولُ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتَرَتِي، وَخَصَّهُمْ بِالْعِلْمِ، وَنَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَشَهِدَ بِهِ الْوَاقِعُ.

لَكِنْ قُرَيْشًا قَامُوا بِعِزْلِ عَتَرَتِهِ وَنَصَبُوا بِدَلْهِمْ قُرَشِيًّا وَأَجْبَرُوهُمْ عَلَى بَيْعَتِهِمْ!

إِنْ عَمِرَ وَقُرَيْشًا مُضْطَرُونَ لِإِنْكَارِ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَنْ إِقْرَارَهُمْ بِهَا يَفْتَحُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابًا مِنَ الْأَسْئَلَةِ الْمَفْحَمَةِ، لِذَا أَنْكَرُوا الْوَصِيَّةَ مِنْ أَصْلِهَا!

وَقَالُوا: كَلَّا، لَمْ يَسْتَخْلَفِ النَّبِيُّ أَحَدًا، وَلَمْ يَوْصِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ وَلَا خَصَّهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا عَيْنَ طَرِيقَةٍ لِاخْتِيَارِ الْحَاكِمِ، وَلَا أَخْبَرَ عَنْ مُسْتَقْبَلِ أُمَّتِهِ!

قَالُوا: تَوَفَّى وَتَرَكَ أُمَّتَهُ هَكَذَا فَبَادَرَ كِبَارُ أَصْحَابِهِ وَتَدَارَكُوا الْأُمَّةَ مِنَ الضِّيَاعِ، وَأَنْقَذُوهَا مِنَ الْأَخْطَارِ، وَاخْتَارُوا أَحَدَهُمْ لِلْخِلَافَةِ!

لَكِنْ عَمِرَ نَاقِضٌ نَفْسَهُ، فَقَالَ فِي خِلَافَتِهِ إِنَّ يَجِبُ عَلَى الْحَاكِمِ أَنْ يَعِينَ مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِ أُمَّتِهِ بَعْدَهُ، وَلَا يَتْرُكُهَا كَالْغَنَمِ بِلَا رَاعٍ فَيُضَيِّعُهَا!

فَقَدْ نَقَلَ عَبْدُ الرَّزَاقِ أَسْتَاذُ الْبُخَارِيِّ فِي مُصَنَّفِهِ (٤٤٨/٥) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ حَوَارِأً بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَبِيهِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: (دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقَالَتْ: عَلِمْتَ أَنَّ أَبَاكَ غَيْرُ مُسْتَخْلَفٍ؟ قَالَ قُلْتُ: مَا كَانَ لِيَفْعَلَ، قَالَتْ: إِنَّهُ فَاعِلٌ، قَالَ: فَحَلَفْتُ أَنْ أَكَلِمَهُ فِي ذَلِكَ، فَسَكَتَ حَتَّى غَدَوْتُ وَلَمْ أَكَلِمَهُ قَالَ: وَكُنْتُ كَأَنَّمَا أَهْمَلُ بِيَمِينِي جَبَلًا حَتَّى رَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْ حَالِ النَّاسِ وَأَنَا أَخْبَرْتُهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ مَقَالَةً فَالَيْتُ أَنْ أَقُولَهَا لَكَ، زَعَمُوا

أنك غير مستخلف، وإنه لو كان لك راعي إبل وراعي غنم ثم جاءك وتركها رأيت أن قد ضيعها فرعاية الناس أشد! قال: فوافقه قولي، فوضع رأسه ساعة ثم رفعه إلي فقال: إن الله يحفظ دينه وإني إن لا أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبابكر قد استخلف).
فالنبي ﷺ ضيع أمته! وأبوبكر وعمر لم يضيعها!

وأصروا على طعنهم بالنبي ﷺ وأنه لم يوص إلى أحد واكتفى بالقرآن!
روى البخاري (١٨٦/٣): (سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل كان النبي أوصى؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية! قال: أوصى بكتاب الله!)
لكن القرآن ليس رجلاً يقود الأمة، ولا يرفع اختلافهم لأنهم اختلفوا فيه!

تفننت عائشة في الإنكار!

قال البخاري (١٨٦/٣): (ذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً فقالت: متى أوصى إليه، وقد كنت مسندته إلى صدري أو قالت حجري، فدعا بالطست فلقد انخنث في حجري فما شعرت أنه قد مات، فمتى أوصى إليه!)

وتعبر عائشة عن موت النبي ﷺ غير مؤدب، وهي تقصد أنه كان متكئاً على صدرها فلوى رأسه ومات دفعة واحدة ولم يوص بشيء، فكيف يقولون أوصى! وكأن تلك اللحظة هي الوقت الوحيد للوصية!

قال العيني في شرح البخاري (٣٢/١٤): (قوله: انخنث، أي انثنى ومال إلى السقوط، ومادته خاء معجمة ونون وطاء مثلثة، وقال ابن الأثير: انخنث أي انكسر وانثنى لاسترخاء أعضائه عند الموت. وقال صاحب العين: انخنث السقاء وخنث إذا مال، ومنه المخنث للينه وتكسر أعضائه!)

وقالت عائشة (فضائل الصحابة للنسائي/٨): (قبض رسول الله ولم يستخلف! وقال رسول الله: لو كنت مستخلفاً أحداً لاستخلفت أبابكر وعمر!)

بل قالت عائشة: إن النبي ﷺ قال لها أدعي لي أباك وأخاك عبد الرحمن، لأكتب لهما الخلافة بعدي! ولم تذكر لماذا لم تدعوها؟!

قالت: (دخل عليّ رسول الله في اليوم الذي بدئ فيه فقلت: وارأساه فقال: وددت أن ذلك كان وأنا حي فهيأتك ودفنتك. قالت: فقلتُ غَيْرِي (أي من غيرتي): كَأَنِّي بكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَرُوسًا بَبَعْضِ نِسَائِكَ! قال: وأنا وارأساه، أدعوا لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً فإني أخاف أن يقول قائل أويتمنى متمن أنا أولى، ويأبى الله عز وجل والمؤمنون إلا أبا بكر).

قال الألباني: (وهذا سند صحيح على شرط الشيخين). (إرواء الغليل (١٦١/٣).

وروى مسلم في صحيحه (٧٥/٥) وغيره: (عن عائشة قالت: ما ترك رسول الله ديناراً، ولا درهماً، ولا شاة، ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء)!

لكن الحاكم روى حديثاً وصححه (١٣٨/٣) بأن النبي ﷺ لم يتوف في حجر عائشة، بل توفي وهو يناجي علياً رضي الله عنه قال: (عن أم سلمة قالت والذي أحلف به أن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ. عدنا رسول الله غداة وهو يقول جاء علي جاء علي مراراً؟ فقالت فاطمة: كأنك بعثته في حاجة، قالت فجاء بعد قالت أم سلمة فظننت أن له إليه حاجة فخرجن من البيت فقعنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكب عليه رسول الله وجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله من يومه ذلك. فكان علي أقرب الناس عهداً).

أقول: هذا يدلنا على أن عائشة كانت تريد الخلافة لعشيرتها الضئيلة بني تيم، لأبيها ثم لأخيها عبد الرحمن، فلم تنجح! ثم أرادت لابن عمها طلحة التيمي فلم تنجح، ثم ادعت لموسى بن طلحة أنه المهدي الموعود، فلم يملأ الدنيا عدلاً! ونفت أن يكون النبي ﷺ بلغ أموراً للناس دون ناس وغرضها من ذلك أن تقول إنه لم يخص عترته بعلم ولا بشيء، ولا كانت له أسرار أبداً، ولا بلغ الخاصة أحياناً وكنتم عن العامة!

قالت عائشة (البخاري: ١٨٨٠/٥): (من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ).

ويرد قولها قول الله تعالى: وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرِضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنَّ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ عَسَى رَبُّهُ إِنْ

طَلَقُكُمْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا).

ويرده قول عائشة: ادعاء أبيها أن النبي ﷺ كتم عن عترته وعن ورثته وعن جميع المسلمين أنه لا يورث، وأسرها إلى أبي بكر فقط، فلم يروها ولم يعرفها غيره! فلو صدقت أبا ينبغي أن تكذب نفسها بأن النبي ﷺ لم يكتم شيئاً!

ويرد قول عائشة: أن النبي ﷺ في السنوات الثلاث الأولى من بعثته لم يبلغ إلا عترته حتى نزل قوله تعالى: فاصدع بما تؤمر!

ويرد قول عائشة: أن النبي ﷺ كتم أسماء الذين أرادوا قتله في عودته من تبوك ليلة العقبة. وكذلك في عودته من حجة الوداع في عقبة هرشى.

ويرد قولها: أنها هي قالت: إن النبي ﷺ كتم أمر الخلافة ولم يتكلم فيها أبداً!

وقال أهل البيت: الكتمان والإعلان يتبع المصلحة

ففي بصائر الدرجات/٥٣٨: (عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى: ونحن قوام الله على خلقه، وخزانه على دينه، نخزنه ونستره ونكتم به من عدونا كما كتم رسول الله ﷺ، حتى أذن له في الهجرة وجهاد المشركين. فنحن على منهاج رسول الله ﷺ حتى يأذن الله بإظهار دينه بالسيف. ولنضربهم عليه عوداً كما ضربهم رسول ﷺ الله عليه بدءاً).

فالإظهار والكتمان تابع للمصلحة، والمصلحة يقتضيها هدف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى، وإقناع الناس وتقريبهم من الهدى، وهدفه في إنشاء أمة وإقامة دولة وإيجاد مد حضاري، وهو يحتاج إلى مداراة الناس، وأن يعلن أحياناً أو أموراً، ويكتم أحياناً أخرى وأموراً أخرى، كما يوجه ربه، وقد أمره بكتمان أسماء الذين أرادوا قتله ليلة العقبة في رجوعه من تبوك! وقد حدث علماً وأهل البيت عليه السلام عما سيجري عليهم من أمته بعده وكتمه عن الآخرين. وهذا طبيعي في كل نبي عليه السلام.

جعلت قريش رواية الطعن بأهل البيت عليهم السلام عن لسانهم!

فقد وضعوا نفي الوصية على لسان علي عليه السلام فزعموا أنه قال: (إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهداً نأخذ به في الإمارة، ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمن أنفسنا، ثم استخلف أبوبكر فأقام واستقام، ثم استخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه). (الرياض النضرة للمحب الطبري/٢٣١).

وهم يعلمون أن علياً عليه السلام احتج عليهم مرات بعشرات الأحاديث في نصب النبي ﷺ إياه خليفة على أمته، وذَكَرَ عمر وأبا بكر بأنهم بخبخوا له وبايعوه يوم الغدير، وكان يصدق باتهامهم فيقول (نهج البلاغة: ٣٠/١): (أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي. ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه! فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى. وفي الحلق شجاً أرى تراثي نهبا! حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده!

فيا عجباً بينا هو يستقيها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته! لشدَّ ما تشطَّرَ أضرعيها... فصبرت على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أي أحدهم! فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر! لكنني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهن.

إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه، ما بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع! إلى أن انتكث به فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته، فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي، ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفائي مجتمعين حولي كربيضة الغنم. فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون! كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا

فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ! بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها.

أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز).

الى عشرات الموارد التي سجل فيها علي عليه السلام رأيه وموقفه!

كما وضعوا على لسانه أنه حلف بيمينه المعروفة: والذي فلق الحبة، نافياً أن يكون النبي ﷺ خصه والعتره بشيء من العلم، فقالوا إنه حلف أن النبي ﷺ لم يخصهم بشيء ولا هم الذين قال الله فيهم: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..

ولا الذين قال الله تعالى فيهم: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

وقد روى البخاري ذلك في صحيحه ثمان مرات على الأقل! كلها عن علي وأولاده عليه السلام يحلفون فيها على براءتهم من تهمة توريث النبي ﷺ إياهم شيئاً من العلم إلا صحيفة صغيرة معلقة في قراب سيف علي عليه السلام!

قال البخاري (٢٢١/٢): (عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله، وهذه الصحيفة).

وقال البخاري (٣٠/٤): (عن أبي جحيفة قال قلت لعلي: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة. قلت وما في الصحيفة؟ قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر)!

وكرر البخاري ذلك: ٦٧/٤ و ٦٩ و ١٠/٨ و ٤٥ و ٤٧ و ١٤٤. وتفاوتت روايته عن مضمون الصحيفة. ثم قلده المصادر كمسلم: ٢١٧ و ١١٥/٤ و ٨٥/٦ وابن ماجه: ١٦٨/٢ وأبي داود: ١٦٨/١ و ١٧٧، والنسائي:

٢٣/٨، ورواه أحمد في المجلد الأول من مسنده وحده عشر مرات!

كل ذلك لإقناع المسلمين بأن نبيهم كان بدعاً من الرسل والأنبياء عليه السلام! فقد أمر الأنبياء عليه السلام أمهم بالوصية وأوصى كل منهم إلى وصيه وأهل بيته! إلا نبينا ﷺ فإنه

أمر المسلمين بالوصية وشدد عليها، وحج بالمسلمين حجة الوداع، ثم مات ولم يوص إلى أحد، ولم يتكلم بكلمة عن خليفته!

وزعموا أنه كان بدعاً من الرسل والأنبياء ﷺ! فكل نبي اختار له ربه أحد تلاميذه فعلمه علومه وأعده ليعلم أمته من بعده، إلا نبياً ﷺ زعموا أنه لم يخص أحداً من أهل بيته وصحابته بعلم، فاضطروا أن يأتوا بالخليفة الأول والثاني، وكانا كما قال ابن حجر لا يعرفان معنى آية: وَفَاكِهَةً وَأَبًّا!

كلا.. لم يكن الأمر كما قالوا، بل هي قريش قررت أن تعزل عترة النبي ﷺ وتنكر وصيته بهم وتورثهم علمه، وتأخذ دولته، وتنصب من تختاره باسم خليفة، وليس عندها علماء فاختارت جهلاء لا يعرفون مفردات القرآن!





الفصل الخمسون

التحالف الثلاثي بعد فتح مكة: عمر وأبو بكر وسهيل

بدأ عمر بالدفاع العلني عن قريش يوم فتح مكة!

(عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة قام أهل مكة سباطين، قال وعبد الله بن رواحة يمشي ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزل الهام عن مقليله ويذهل الخليل عن خليله
يا رب إني مؤمن بقليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة أتقول الشعر بين يدي رسول الله! فقال له النبي: مه يا عمر! لهذا أشد عليهم من وقع النبل). (صحيح ابن حبان: ١٠٥/١٣).

فعمر لا يريد ذم القرشيين، خاصة أن الشاعر أنصاري، فأخفى غرضه واحتج بأن الشعر لا يناسب محضر النبي ﷺ! فأسكته النبي ﷺ وقال له إن ابن رواحة يجاهد الكفار بشعره.

بعد حنين رجع عمر وحده الى مكة وعقد الصفقة مع سهيل!

فاجأ النبي ﷺ قريشاً في مكة بجيش جرار لا طاقة لها به، فأعلنت خضوعها واستسلمت، وأسلم القرشيون شكلياً فقبل النبي ﷺ منهم، وأخذهم معه الى حنين لحرب هوازن النجدية، فخرجوا مبهورين على مضض!

وحاولوا في حنين قتله أو هزيمته فعجزوا، ونصره الله نصراً مبيناً، فعرفت قريش أن دولة

محمد ﷺ قوية، وحولت جهودها الى أخذ دولته بعد وفاته! ورسمت الخطة أن تبعد بني هاشم عن خلافته وتأخذها، وبما أنه لا يمكن لطليق أن يكون خليفة محمد، فلا بد من قرشي من أصحابه يوافقها في تفكيرها فتقدمه أمامها في مشروعه، فكان عمر بغيتها المطلوبة.

وقد كتبنا فصلاً في السنتين اللتين حكم فيهما سهيل بن عمرو مكة بعد فتحها وكيف شل سهيل عمل الحاكم الذي عينه النبي ﷺ.

وبعد حنين جاء عمر وحده الى مكة ومعه جاريتان سهمه من سبي هوازن! وبقي مدة في مكة لم يذكرها كم هي، ولا بد أنه اتفق معهم على الصفقة!

قال البخاري في صحيحه (٥٨/٤): (إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله إنه كان عليّ اعتكاف يوم في الجاهلية، فأمره أن يفي به! قال: وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة).

ومعناه: أن عمر استأذن النبي ﷺ فأذن له وهو يعلم هدفه، لكنه يدع مقادير الله تجري. فذهب عمر مع جاريتيه ووضعهما في بيتٍ نرجح أنه بيت سهيل بن عمرو، فقد عزلت قريش أباسفيان ورأست سهيلاً بعده، وكان سهيل من فراعنتها الأثرياء!

ثم راسل سهيل النبي ﷺ ثم جاء الى المدينة يطالبه أن يرجع اليهم من هاجر اليه فنزل عند عمر وذهب معه عمر وأبوبكر الى النبي ﷺ وأيدا مطلبه، فغضب النبي ﷺ وهدد قريشاً!

قال عمر: أراد رسول الله ومنعته فكان ما أراد الله!

اتفق قادة قريش الجدد سهيل وأبوبكر وعمر على نقل ألوف الطلقاء الى المدينة قبيل وفاة النبي ﷺ ليساندوهم في أخذ الخلافة.

وسرعان ما بلغ عددهم أكثر من خمسة آلاف، لأن الذين كتبهم النبي ﷺ ليكونوا في جيش أسامة بلغوا سبع مئة قرشي كما قال ابن حجر والواقدي.

وكان دورهم حاسماً لما أراد النبي ﷺ أن يكتب عهده لأمته، فقال عمر إنه يهجر لاجاجة لنا بالعهد حسبنا كتاب الله! فصاحوا وقد ملؤوا ساحة المسجد والسكة: القول ما قاله عمر، القول ما قاله عمر! لا تقربوا له شيئاً. ولن تجد أنصارياً يقول هذا الكلام!

وبمساندة الطلقاء المستميتة برز عمر قوة هائلة في المدينة مقابل النبي ﷺ!

قال ابن أبي الحديد السني المعزلي في شرح نهج البلاغة (٧٨/١٢): (وروى ابن عباس قال: خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته، فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتبعته فقال لي: يا ابن عباس، أشكو إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل ولم أزل أراه واجداً، فيم تظن موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم، قال أظنه لا يزال كثيباً لقوت الخلافة. قلت: هو ذاك، إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له، فقال: يا ابن عباس، وأراد رسول الله الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك! إن رسول الله أراد أمراً وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسوله! أو كلما أراد رسول الله كان! إنه أراد إسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم!

وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ وهو قوله: إن رسول الله أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم!

وقال السيد المؤيدي القاسمي، الملقب بالهادي الثاني، وهو من أكابر علماء الزيدية في كتابه التحفة العسجدية ١٤٤: قال عمر: (ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعته من ذلك إشفافاً وحيلة على الإسلام. ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها! فعلم رسول الله أنني علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم! ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً).

أقول: أحمد ابن أبي طاهر مؤرخ موثق، له عدة مؤلفات ينقل منها المؤرخون، وقد طبع بعض المستشرقين جزءاً من كتابه تاريخ بغداد.

والعجيب قول عمر: (ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعته!

فمن أنت يا عمر حتى تمنع رسول الله ﷺ من عمل مصيري كهذا؟

ومن أنت حتى تزايد على رسول الله ﷺ وتكون أحرص على أمته منه؟!

وأعجب منه قوله: أراد رسول الله الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك! فمن أنت يا عمر حتى تجعل منعك للنبي ﷺ إرادة الله! وتزعم أنك غلبت بها إرادة النبي ﷺ، والنبي لا ينطق إلا وحياً يوحي! فهل أوحى لك الله تعالى برد ما أراد رسول الله ﷺ؟!

وكان ينبغي أن يصف ما حدث فيقول: أراد النبي في مرض وفاته أن نلتزم له بعهد الذي يريد أن يكتبه، وفيه أن الإمامة بعده لعلي والأحد عشر من عترته، فتصديت له وخلفي كل قريش وهددناه بالردة وصاح الطلقاء: القول ما قاله عمر، حسبنا كتاب الله، لا نريد أن تكتب لنا شيئاً! فاضطر النبي للتراجع وانتصر إسلام عمر وقريش على إسلام محمد وبني هاشم!

أنكر عمر وقريش مئات الأحاديث في انحراف الأمة وظلم العترة!

إذا سألت عمر والقرشيين عن مستقبل الأمة بعد النبي ﷺ بادروا إلى القول إن النبي لم يوص إلى أحد، ولا خص أحداً بالعلم ليكون خليفته، ولا أخبر أن الأمة ستظلم أهل بيته ﷺ وتأخذ خلافته، وأنهم سيردون بعده كالكفار يضرب بعضهم رقاب بعض على الدنيا!

١. وأول ما ينكرونه آية الانقلاب الصريحة وهي قوله تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ. فيقولون إن الآية مجرد تحذير، لكنها تحذير واستنكار لانقلابهم الحتمي الآتي!

٢. ثم ينكرون آية الشجرة الملعونة أي العشيرة الطاغية التي قال الله عنها: وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا.

وقد روى الجميع أن النبي ﷺ رأى قروداً ينزون على منبره يردون الناس إلى الكفر!

٣. ثم ينكرون قوله تعالى في حكام الجور المدعين الإسلام: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا.

٤. ثم ينكرون حديث النبي ﷺ المتواتر بأن أمته ستنحرف بعده! وتحذيره لهم: ألا لأعرفنكم تتردون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض!

وتأكيد في حجة الوداع: لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه! قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذا؟

الحديث من مصادر غيرنا

في صحيح البخاري (١٢٦/٥): (قال: إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض. السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى).

قال: فأى بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فسيألكم عن أعمالكم. ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا ليلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه).

وفي سنن ابن ماجه (١٣٠٠/٢): (في حجة الوداع استنصت الناس فقال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.. ويحكم أو ويلكم، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض).

وفي ابن ماجه (١٠٦/٢): قال رسول الله وهو على ناقته المخضرمه بعرفات: ألا وإني مستنقذ أناساً ومستنقذ مني أناس، فأقول: يا رب أصيحابي! فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك «!

أقول: الذين حذرهم النبي ﷺ من الإقتال ليسوا إلا الصحابة القرشيين وحدهم لا غير. فالخوف ليس من القبائل التي خضعت للإسلام مهما كانت كبيرة وموحدة مثل هوازن وغطفان، فهي لا تطمح إلى قيادة هذه الدولة، وإن طمحت فلا حظاً لها في النجاح، إلا بواسطة الصحابة. واليهود انكسروا وأجلى النبي ﷺ قسماً منهم من الجزيرة، ولم تبق لهم قوة عسكرية تذكر، ومكائدهم لا حظاً لها في النجاح إلا بواسطة الصحابة.

وزعماء قريش، مع أنهم يملكون جمهور قبائل قريش، لا يستطيعون أن يدعوا حقاً في قيادة دولة النبي ﷺ لأنهم كلهم أعداؤه وطلقاؤه، أي كان له الحق أن يقتلهم، أو

يتخذهم عبيداً، فاتخذهم عبيداً وأطلقهم.. فلا طريق لهم إلى القيادة إلا بواسطة بضعة من الصحابة القرشيين المهاجرين.

فتحذيره ﷺ من الصراع بعده على السلطة ينحصر بالصحابة المهاجرين!

الحديث من مصادرنا

قال علي بن إبراهيم الكوفي القمي الثقة في تفسيره (١٧١/١): (وحج رسول الله ﷺ حجة الوداع لتهام عشر حجج من مقدمه المدينة، فكان من قوله بمنى أن حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس: إسمعوا قولي واعقلوه عني، فإني لا أدري لا ألقاكم بعد عامي هذا.

ثم قال: هل تعلمون أي يوم أعظم حرمة؟ قال الناس: هذا اليوم. قال: فأأي شهر؟ قال الناس: هذا. قال: وأي بلد أعظم حرمة؟ قالوا: بلدنا هذا. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم. ألا هل بلغت أيها الناس؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد. ثم قال: ألا وكل مأثرة أو بدعة كانت في الجاهلية، أو دم أو مال، فهو تحت قدمي هاتين، ليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى.

ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: ألا وكل ربا كان في الجاهلية فهو موضوع، وأول موضوع منه ربا العباس بن عبد المطلب. ألا وكل دم كان في الجاهلية فهو موضوع، وأول موضوع دم ربيعة. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: ألا وإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه راض بما تحتقرون من أعمالكم، ألا وإنه إذا أطيع فقد عبد!

ألا أيها الناس: إن المسلم أخو المسلم حقاً، لا يحل لا مرئ مسلم دم امرئ مسلم وماله إلا ما أعطاه بطيبة نفس منه. وإني أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله. ألا هل بلغت أيها الناس؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: أيها الناس: إحتفظوا قولي تنتفعوا به بعدي، وافهموه تنعشوا. ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا، فإن فعلتم ذلك ولتفعّلنّ لتجدوني في كتيبة بين جبرئيل وميكائيل أضرب وجوهكم بالسيف! ثم التفت عن يمينه فسكت ساعة، ثم قال: إن شاء الله، أو علي بن أبي طالب.

ثم قال: ألا وإني قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا، ومن خالفهما فقد هلك. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: ألا وإنه سيرد علي الحوض منكم رجال فيدفعون عني فأقول: رب أصحابي؟ فيقول: يا محمد إنهم أحدثوا بعدك وغيروا سنتك! فأقول: سحقاً سحقاً. فلما كان آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، فقال رسول الله ﷺ: نعت إلى نفسي. ثم نادى الصلاة جامعة في مسجد الخيف فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: نضر الله امرء سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم يسمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزم جماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم. المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

أيها الناس: إني تارك فيكم الثقلين. قالوا: يا رسول الله وما الثقلان؟ قال: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، كإصبعي هاتين - وجمع بين سبابتيه - ولا أقول كهاتين وجمع سبابته والوسطى، فتفضل هذه على هذه.

فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا: يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته، فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة، وتعاهدوا وتعاهدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمد أو قتل أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً! فأنزل الله على نبيه في ذلك: أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ. أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام (نهج البلاغة: ٨٢/١): (والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا، فكانوا كما قال الأول:

أدمتَ لعمرى شُرْبَكَ المخضَّ صابحاً وأكلك بالزبد المقشرة البُجرا
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن علينا وحُطنا حولك الجُرْدَ والسُّمرا).
وقال عليه السلام (نهج البلاغة: ٢٧/٢): (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً
علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم! بنا يستعطي الهدى،
ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم،
ولا تصلح الولاية من غيرهم).

٥. ثم ينكرون الحديث المتواتر الذي أخبر فيه النبي صلى الله عليه وآله عن أئمة الضلال والدعاة إلى النار،
وحذر أمته منهم! وقد عقدنا فصلاً في معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام خاصاً بالأئمة المضلين،
ومن أحاديثه من مصادر السنة :

فقد رووا أن النبي حذر الأئمة عامة وعمر خاصة من أئمة الضلال وولاية السوء!
روى أحمد في مسنده (٤٢/١): (عن عمير بن سعد الأنصاري، قال له عمر: إني أسألك عن أمر
فلا تكتمني. قال والله لا أكتمك شيئاً أعلمه. قال ما أخوف شيء تخوفه على أمة محمد؟ قال أئمة
مضلين! قال عمر: صدقت، قد أسرّ ذلك إليّ وأعلمنيه رسول الله)!

المرة الوحيدة التي جاء فيها النبي صلى الله عليه وآله إلى بيت عمر!

في حلية الأولياء (١١٩/٥): (عن أبي عبيدة بن الجراح، عن عمر بن الخطاب قال: أخذ رسول الله
بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! أتاني جبريل آنفاً فقال لي: إنا
لله وإنا إليه راجعون، فقلت: أجل إنا لله وإنا إليه راجعون فممّ ذاك يا جبريل؟ فقال: إن أمتك
مفتنة بعدك بقليل من دهر غير كثير! فقلت فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ فقال: كل سيكون! فقلت:
ومن أين وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: فبكتاب الله يفتنون وذلك من قبل أمرائهم وقرائهم،
يمنع الناس الأمراء الحقوق فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها فيقتتلون ويفتنون، ويتبع القراء
أهواء الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون! فقلت كيف يسلم من سلم منهم؟ قال بالكف
والصبر، إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعه تركوه).

وفي رواية الحكيم الترمذي، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥/٣): (أتاني رسول الله وأنا أعرف الحزن في وجهه، فأخذ بلحيتي فقال إنا لله وإنا إليه راجعون). ومعنا أنه أتى عمر إلى بيته، ولم يسجل التاريخ أنه أتى غير هذه المرة! وشكى له النبي ﷺ من مشروع الأئمة المضلين، وتكلم مع من يعنيه الأمر في هذا المشروع!

الخطر فقط من الأئمة المضلين!

في مسند أحمد (١٢٣/٤): (وإني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، فإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة).

وفي مسند أحمد (١٤٥/٥)، عن أبي ذر قال: (كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: لَغَيْرُ الدجال أخوفني على أمتي، قالها ثلاثاً، قال قلت: يا رسول الله، ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك؟ قال: أئمة مضلون).

وابن أبي شيبه (١٤٢/١٥)، عن علي قال: (كنا عند النبي ﷺ جلوساً وهو نائم فذكرنا الدجال فاستيقظ محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم عندي من الدجال: أئمة مضلون).

وفي مسند أحمد (٣٨٩/٥): (ذكر الدجال عند رسول الله فقال: لأننا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال). وصححه في الزوائد (٣٣٥/٧).

وقد روينا تحذير النبي ﷺ من الأئمة المضلين لأنهم سيسفكون دماء عترته ﷺ لكن رواة الخلافة حذفوا ذلك من الأحاديث!

ففي أمالي الطوسي (١٢٦/٢) وطبعة ٥١٢، عن عبد الله بن يحيى الحضرمي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كنا جلوساً عند النبي ﷺ وهو نائم ورأسه في حجره فتذكرنا الدجال فاستيقظ النبي محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم من الدجال: الأئمة المضلون، وسفك دماء عترتي من بعدي، أنا حربٌ لمن حاربهم وسلمٌ لمن سالمهم).

وفي كنز العمال (٧٦١/٥): (عن بشر بن عاصم ابن شقيق الثقفي أن عمر بن الخطاب كتب له عهده فقال: لا حاجة لي فيه فإني سمعت رسول الله يقول: إن الولاة يجاء بهم فيوقفون على جسر جهنم، فمن كان مطواعاً لله تناوله بيمينه حتى ينجيه، ومن كان عاصياً لله انخرق به الجسر إلى

وادٍ من نار يلتهب التهاباً! فأرسل عمر إلى أبي ذر وسلمان فقال لأبي ذر: أنت سمعت الحديث من رسول الله؟ قال: نعم والله وبعد الوادي واد آخر من نار. وسأل سلمان فكره أن يخبره بشيء! فقال عمر: من يأخذها بما فيها؟ فقال أبو ذر: من سَلَتَ الله أنفه وعينه وأمرَغَ خَدَّه إلى الأرض). أقول: قول عمر: من يأخذها بما فيها؟ يقصد من يأخذ مني الخلافة ويخلصني من خطرها في الآخرة؟ فلم يقبل أحد، وأجابه أبو ذر بأنه يأخذها منك من أهانه الله وكتب له جهنم! وهذه لحظة مر فيها عمر وانتهدت، وكلامه فيها غير جدي!

فلو أن شخصاً قال له: أنا آخذها فاصعد المنبر وأخبر المسلمين أنك تنازلت لي عن الخلافة، لفعل به عمر الأفاعيل!

وصف علي عليه السلام حكماً بأنهم أئمة الضلالة والدعاة إلى النار!

فقد روى في الكافي (٦٢/١) بسند صحيح، ونهج البلاغة (١٨٨/٢): (ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعمماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً. ولقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيباً فقال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس :

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله ﷺ رأى وسمع منه ولقف عنه فياًخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك فقال عز وجل: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ! ثم بقوا بعده، وتقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله! فهذا أول الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذباً، فهو في يده يرويه ويعمل به ويقول أنا سمعته من رسول الله ﷺ، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه

منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث: سمع من رسول الله ﷺ شيئاً يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع: لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله ﷺ ولم يهمل، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه. وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عنى رسول الله ﷺ، فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله.

وليس كل أصحاب رسول الله كان يسأله فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم، حتى أن كانوا يحبون أن يجي الطارئ والأعرابي فيسأل رسول الله حتى يسمعوا منه، وكنت أدخل على رسول الله ﷺ كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث دا، وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد غيري، وربما كان ذلك في منزلي فإذا دخلت عليه في بعض منازل خلا بي وأقام نساء فلم يبق غيري وغيره، وإذا أتاني للخلوة في بيتي لم تقم من عندنا فاطمة ولا أحد من ابني، إذا أسأله أجابني، وإذا سكنت أو نفدت مسائل ابتدائي، فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني، فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها، وعلمني تأويلها فحفظته وأملاه علي فكتبته، وماترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام، أو أمر ونهي أو طاعة ومعصية كان أو يكون إلى يوم القيامة إلا وقد علمنيه وحفظته، ولم أنس منه حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وفهماً وفقهاً وحكماً ونوراً، وأن يعلمني فلا أجهل، وأن يحفظني فلا أنسى، فقلت له ذات يوم: يا نبي الله إنك منذ يوم دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً مما علمتني فلم تمل به علي وتأمرني بكتابته أتتخوف علي النسيان؟ فقال يا أخي لست أتخوف عليك النسيان ولا الجهل، وقد أخبرني الله أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك، قلت

يا نبي الله ومن شركائي؟ قال الذين قرنهم الله بنفسه وبني معه، الذين قال في حقهم: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول. قلت يا نبي الله ومن هم؟ قال: الأوصياء إلى أن يردوا علي حوضي، كلهم هاد مهتد، لا يضرهم كيد من كادهم ولا خذلان من خذلهم هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقونه ولا يفارقهم، بهم ينصر الله أمتي وبهم يمطرون ويدفع عنهم بمستجاب دعوتهم، فقلت يا رسول الله سمهم لي، فقال ابني هذا ووضع يده على رأس الحسن، ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن له على اسمي اسمه محمد، باقر علمي وخازن وحي الله، وسيولد علي في حياتك يا أخي فاقرأه مني السلام، ثم أقبل على الحسين فقال سيولد لك محمد بن علي في حياتك فاقرأه مني السلام، ثم تكلمة الاثني عشر إماماً من ولدك يا أخي. فقلت يا نبي الله سمهم لي فسماهم لي رجلاً رجلاً!

منهم والله يا أخا بني هلال مهدي هذه الأمة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. والله إني لأعرف جميع من يبايعه بين الركن والمقام، وأعرف أسماء الجميع وقبائلهم).

وفي الكافي (٥٩/٨): (ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته، فقال: قد عملت الولاية قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين لخلافه، ناقضين لعهد مغيرين لسنته! ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله ﷺ لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي! أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ!)

أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ ورددت فذلك إلى ورثة فاطمة عليها السلام..

إلى أن قال: والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيّرت سنة عمر! ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً! ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري! ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار!

وفي الكافي (٢٠٥/١) وتفسير القمي (٢٠٦)، عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا

نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاغُوتِ- فلان وفلان- وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. تقول الأئمة الضالة والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد وأوليائهم سبيلًا. أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرًا. أم لهم نصيب من الملك يعني الإمامة والخلافة فإذا لا يؤثرون الناس نقيرًا. نحن الناس الذين عنى الله، والنقير النقطة التي رأيت في وسط النواة.

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. فنحن المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله جميعاً.

فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. يقول: فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرون بذلك في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمد. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا.

قال قلت: قوله في آل إبراهيم: وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. ما الملك العظيم؟ قال: أن جعل منهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم.

قال ثم قال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ الذي في أيديكم، إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا.

قال: إيانا عنى أن يؤدي الأول منا إلى الإمام الذي بعده الكتب والعلم والسلاح.

ثم قال للناس: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فجمع المؤمنين إلى يوم القيمة. أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ. إيانا عنى خاصة. فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَإِنْ خِفْتُمْ تَنَازَعًا فِي الْأَمْرِ فَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، وكيف يأمرهم بطاعة أولي الأمر ويرخص لهم في منازعتهم، إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ. فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا.



الفصل الحادي والخمسون

أخبر النبي ﷺ عن ظلم أمته لأهل بيته ﷺ بالتفصيل

أحاديث النبي ﷺ عن مستقبل أمته والعالم تبلغ مجلداً!

من المحال أن تفهم الإسلام وسيرة النبي ﷺ، وتاريخ الإسلام بعد النبي ﷺ، إذا لم تفهم عداوة بطون قريش وبغضهم الشديد لبني هاشم!

فإن سبب رفض بطون قريش لنبوّة نبيّنا ﷺ وغضبهم عليه، وعملهم لقتله أن قبولهم بنبوته يعطي بني هاشم قيادة قريش، وهذا كفر عظيم عند قريش!

وقد اشتهر ذلك حتى صار مثلاً فقالوا: أربعة لم يكونوا ومحال أن يكونوا: زبيري سخي، ومخزومي متواضع، وهاشمي شحيح، وقرشي يجب آل محمد. (ثمار القلوب ١/ ١٧٧)

وحتى الذين أسلموا من قريش بقيت عندهم الحمية للبطون والحساسية من بني هاشم. فقد كان عمر والصحابة القرشيون يسألون أي صحابي عما سمعه من رسول الله ﷺ في الموضوع الفلاني والفلاني، لكنهم لا يسألونه أبداً عما قاله في قريش، وفي الخلافة، وفي أهل بيته ﷺ. لأنهم يرفضون مسبقاً ذم النبي ﷺ لقريش ومدحه لبني هاشم، ويقول بعضهم هذا من عنده ولم ينزله الله عليه! وقد اتفقوا على أن يقولوا: إن النبي لم يوص إلى علي وإلى أهل بيته ﷺ أبداً، ولا ذم قريشاً ولا لعن قادتها أبداً، ولا تكلم عن الخلافة بعده بكلمة أبداً، بل ترك أمر الأمة هكذا بلا وصية، فبادروا هم وملأوا الفراغ القيادي في الأمة، حرصاً منهم على الإسلام والمسلمين!

أما الواقع فقد بلغت أحاديث النبي ﷺ عن المستقبل والمغيبات مجلدين، جمعتهما مؤسسة المعارف الإسلامية بمساعدة الشيخ نظري منفرد، باسم الأحاديث الغيبية نحو أربع

مئة حديث! ولا مجال لاستيفائها بل إن استيفاء ما أخبر به ﷺ عن ظلم علي وفاطمة عليهما السلام وما يجري عليها، قد يبلغ مجلداً.

وقد أخبر علياً السلام أن الأمة ستغدر به وأخبره بها الأمة صانعة معه حرفاً حرفاً كما قال علي السلام، وبمن يقاتلونه ويعادونه بالتفصيل وبأسمائهم!

مضافاً إلى أنه أخبر عن مستقبل أمته وانحرافها وضلالها، وعن الفتن الموعودة فيها، ودخولها في فتنة عمياء حتى يبعث الله المهدي من ولده السلام.

وحذر من أئمة الضلال وأنهم أعظم خطر على أمته ووصف أعمالهم!

وأخبر عن مصير أمته يوم القيامة وأنها توافيه في المحشر فئات مختلفة ورايات متعددة لكل راية قائد، منهم الصالحون ومنهم المنافقون!

إلى آخر ما بلغه وأخبر به وأقام به الحجة، صلوات الله وسلامه عليه وآله.

من نماذجه يوم أجهد النبي ﷺ بالبكاء!

فقد كان يمشي مع علي السلام فرأى حديقة فقال علي السلام: ما أحسنها، فبشره النبي ﷺ بأن له في الجنة أحسن منها، ثم وضع رأسه على كتفه وبكى بكاء عالياً وأخبره بغدر الأمة به، وبأنها ستعامله بأضغانها وأحقاد بدر وحنين، وأنه مع ذلك سيقوم بقتالها على التأويل ويستشهد غدرًا! روى المحب الطبري في الرياض النضرة (١٨٤/٣): (عن علي السلام قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في بعض طرق المدينة فمررنا على حديقة فقلت يا رسول الله: ما أحسن هذه الحديقة؟ قال: لك في الجنة أحسن منها).

ثم أتينا على حديقة أخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها! قال: لك في الجنة أحسن منها، حتى أتينا على سبع حدائق، أقول يا رسول الله ما أحسنها: فيقول: لك في الجنة أحسن منها.

وفي رواية فلما خلى الطريق اعتنقني وأجهدش باكياً فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي! فقلت: في سلامة من ديني؟ فقال: في سلامة من دينك).

قال المحب الطبري: أخرجه أحمد في المناقب. ورواه في مجمع الزوائد (١١٨/٩) بروايات وثق بعضها. وكثر العمال (١٧٦/١٣).

أخبر النبي ﷺ عن ظلم أمته لأهل بيته ﷺ بالتفصيل ١٣٧

عن البزار وابن النجار، ورواه البلاذري (٥/٤) والخوارزمي في المناقب/٦٥، وابن حجر في المطالب العالية (١٠١/١٦) وتاريخ دمشق (٣٢٢/٤٢) وفي ٣٢٤، وفيه: (قال ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك حتى أفارق الدنيا! فقال علي: فما أصنع يا رسول الله؟ قال: تصبر).

وقال في الصحيح من السيرة (١٤٢/٣١): (وفي بعض المصادر: أن ذلك كان منه ﷺ حين حضرته الوفاة).

وفي كتاب سليم/١٣٧: (اعتنقني ثم أجهدني بأكياً وقال: بأبي الوحيد الشهيد! فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي! أحقاد بدر وترأت أحد. يا علي ما بعث الله رسولا إلا وأسلم معه قوم طوعاً وقوم آخرون كرهاً، فسلط الله الذين أسلموا كرهاً على الذين أسلموا طوعاً، فقتلوهم ليكون أعظم لأجورهم! يا علي، وإنه ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإن الله قضى الفرقة والإختلاف على هذه الأمة، ولو شاء الله لجعلهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من خلقه، ولا يتنازع في شئ من أمره، ولا يُجحد المفضول ذا الفضل فضله!

ولو شاء عجل النعمة، فكان منه التغيير حتى يكذب الظالم، ويعلم الحق أين مصيره. ولكن جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. فقلت: الحمد لله شكراً على نعمائه، وصبراً على بلائه، وتسليماً ورضاً بقضائه).

ومن نماذجه يوم دخل أبوبكر وعمر أمام علي عليه السلام

(في الإحتجاج: ٢٩١/١): «عن أحمد بن همام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر، فقلت: يا عبادة أكان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف، فقال: يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا، ولا تبحثونا فوالله لعلي بن أبي طالب كان أحق بالخلافة من أبي بكر، كما كان رسول الله ﷺ أحق بالنبوة من أبي جهل، قال: وأزيدكم: إنا كنا ذات يوم عند رسول الله ﷺ فجاء علي وأبوبكر وعمر إلى باب رسول الله ﷺ فدخل أبوبكر ثم دخل عمر ثم دخل علي على أثرهما، فكأنما سفي على وجه رسول الله الرماد! ثم قال: يا علي أيتقدمانك هذان، وقد أمرك الله عليهما؟ فقال أبوبكر: نسيت يا رسول الله، وقال عمر: سهوت يا رسول الله! فقال رسول الله: ما نسيتم ولا سهوتما، وكأني بكما قد سلبتما ملكه، وتحازبتما عليه وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله! وكأني

بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا ولكأني بأهل بيتي وهم المقهورون المشتتون في أقطارها، وذلك لأمر قد قضي!

ثم بكى رسول الله ﷺ حتى سالت دموعه، ثم قال: يا علي الصبر الصبر حتى ينزل الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن لك من الأجر في كل يوم ما لا يحصيه كاتباك، فإذا أمكنك الأمر: فالسيف السيف، القتل القتل، حتى يفيتوا إلى أمر الله وأمر رسوله، فإنك على الحق ومن ناواك على الباطل، وكذلك ذريتك من بعدك إلى يوم القيامة).

أقول: لهذا السبب كان علي عليه السلام حريصاً على تطبيق قول النبي ﷺ أن لا يكون مأموراً منهما، ففي حربه للمرتين ومشاركته في الفتوحات لم يقبل أن يكون قائد جيش من قبلهما، نعم كان مشاوراً. وقد نهض بنفسه في الردة للدفاع عن المدينة وخرج معه فرسان المدينة على خيولهم، وحمل ليلاً على قائد المهاجرين جبال وقتله فانهزم جيشه، كما نص الشاعر زياد بن حنظلة.

ثم كان يعطي المشورة لأبي بكر، ولم يكن جندياً عنده أو قائداً من قبله، كما توهم أستاذنا السيد الصدر. وقد وثقنا ذلك في قراءة جديدة لحروب الردة.

أخبر النبي ﷺ علياً عليه السلام بما الأمة صانعة به!

١. في كتاب سليم بن قيس/٢١٥: (قال له الأشعث: فما منعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك؟ فقال له علي عليه السلام: يا ابن قيس، قلت فاسمع الجواب: لم يمنعني من ذلك الجبن، ولا كراهية لقاء ربي، وأن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لي من الدنيا والبقاء فيها، ولكن منعني من ذلك أمر رسول الله ﷺ وعهده إلي. أخبرني رسول الله بما الأمة صانعة بي بعده، فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم مني ولا أشد يقيناً مني به قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله ﷺ أشد يقيناً مني بما عاينت وشهدت. فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إلي إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعواناً فانذب إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكفف يدك واحقن دمك، حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتي أعواناً).

وأخبرني ﷺ أن الأمة ستخذلني وتبايع غيري وتتبع غيري، وأخبرني أني منه بمنزلة هارون من موسى، وأن الأمة سيصيرون من بعده بمنزلة هارون ومن تبعه والعجل ومن تبعه، إذ قال

له موسى: يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي. وإنما يعني أن موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم إن ضلوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكف يده ويحقن دمه ولا يفرق بينهم. وإني خشيت أن يقول لي ذلك أخي رسول الله ﷺ: لم فرقت بين الأمة ولم ترقب قولي وقد عهدت إليك إن لم تجد أعواناً أن تكف يدك وتحقن دمك ودم أهل بيتك وشيعتك؟

فلما قبض رسول الله ﷺ مال الناس إلى أبي بكر فبايعوه وأنا مشغول برسول الله بغسله ودفنه، ثم شغلت بالقرآن فأليت على نفسي أن لا أرتدي إلا للصلاة حتى أجمعه في كتاب، ففعلت. ثم حملت فاطمة وأخذت بيد ابني الحسن والحسين، فلم أدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلا ناشدتهم الله في حقي ودعوتهم إلى نصرتي، فلم يستجب لي من جميع الناس إلا أربعة رهط: سلمان وأبوذر والمقداد والزبير، ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به ولا أقوى به، أما حمزة فقتل يوم أحد، وأما جعفر فقتل يوم مؤتة، وبقيت بين جلفين جافيين ذليلين حقيرين عاجزين: العباس وعقيل، وكانا قريبي العهد بكفر. فأكرهوني وقهروني. فقلت كما قال هارون لأخيه: ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْني وَكَادُوا يَقْتُلُونِي! فلي بهارون أسوة حسنة ولي بعهد رسول الله ﷺ حجة قوية).

٢. وقد أتم الله الحجة لعلينا يوم الغدير، فدعاه النبي ﷺ ورفع بيده وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.. الخ. وأمر أن تنصب له خيمة وأن يهتئ المسلمون ويبايعونه، فبخبخ له أبو بكر وعمر، وجاءته نساء النبي ﷺ فبايعنه، غمسن أيدين في تب ماء فغمسن فيه يده.

وعصمه الله من اعتراض قريش وارتدادها يوم الغدير كما قال له الله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. ومعناه أن الذي يرد على رسول الله ﷺ أمره كافر.

ومع ذلك حاولوا قتله في عودته في عقبة هرشى فكررُوا نفس محاولتهم في رجوعه من تبوك! ثم جاءه مبعوثهم إلى المدينة معترضاً، وهو جابر بن النضر العبدي في رواية أبي عبيد بن سلام الهروي في كتابه: غريب القرآن.

قال ابن شهر آشوب في المناقب (٢٤٠/٢): (أبو عبيد، والثعلبي، والنقاش، وسفيان بن عيينه، والرازي، والقزويني، والنيسابوري، والطبرسي، والطوسي في تفاسيرهم، أنه لما بلغ رسول الله ﷺ بغدير خم ما بلغ وشاع ذلك في البلاد، أتى الحارث بن النعمان الفهري وفي رواية أبي عبيد: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه! فهذا شئ منك أم من الله؟!

فقال رسول الله ﷺ: والذي لا إله إلا هو إن هذا إلا من الله. فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله وأنزل الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ.. (الآية).

وقد أحصى علماؤنا كصاحب العبا، وصاحب الغدير، وصاحب إحقاق الحق، وصاحب نفحات الأزهار، عدداً من أئمة السنين الذين أوردوا هذا الحديث في مصنفاتهم فزادت على الثلاثين.. وقد فصلناه في آيات الغدير.

لقد سكنت قريش على إعلان النبي ﷺ في يوم الغدير لكنها لم تسكت لما أراد أن يكتب وصيته ويعهد عهده في مرض وفاته، وقد جهرت بموقفها بأن ما يقوله محمد من ذم قريش ومدح أهل بيته هو من عنده ولم ينزله الله عليه، نعم القرآن نزل عليه، وحسبنا كتاب الله!

٣. وفي كتاب سليم بن قيس ٢١٤/١، من كلام النبي ﷺ مع فاطمة عليها السلام: (أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي أقدمهم سلماً، وأعظمهم حُلماً، وأكثرهم علماً. فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بها قال لها رسول الله ﷺ).

ثم قال ﷺ: يا بنية إن لبعلك مناقب: إيمانه بالله ورسوله قبل كل أحد، فلم يسبقه إلى ذلك أحد من أمتي، وعلمه بكتاب الله عز وجل وستي، وليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي غير علي، وإن الله عز وجل علمني علماً لا يعلمه غيري وعلم ملائكته ورسله علماً، فكلما علمه ملائكته ورسله فأنا أعلمه، وأمرني الله أن أعلمه إياه ففعلت، فليس أحد من أمتي يعلم جميع

علمي وفهمي وحكمتي غيره. وإنك بابنيه زوجته، وابناه سبطاي حسن وحسين وهما سبطا أمتي، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فإن الله جل وعز آتاه الحكمة وفصل الخطاب وبابه. إننا أهل بيت أعطانا الله عز وجل ست خصال لم يعطها أحداً من الأولين كان قبلكم، ولم يعطها أحداً من الآخرين غيرنا: نبينا سيد الأنبياء والمرسلين وهو أبوك، ووصينا سيد الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا سيد الشهداء وهو حمزة بن عبد المطلب عم أبيك. وجعفر بن أبي طالب ذوالجناحين الطيار في الجنة مع الملائكة، وابناك حسن وحسين سبطا أمتي وسيدا شباب أهل الجنة، ومنا والذي نفسي بيده مهدي هذه الأمة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. قالت وأي هؤلاء الذين سميتهم أفضل؟ قال: علي بعدي أفضل أمتي، وحمزة وجعفر أفضل أهل بيتي بعد علي، وبعذك وبعد ابنيّ وسبطي حسن وحسين وبعد الأوصياء من ولد ابني هذا وأشار إلى الحسين، منهم المهدي.

ثم نظر رسول الله ﷺ إليها وإلى بعلمها وإلى ابنيها فقال: يا سلمان أشهد الله أني سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم، أما إنهم معي في الجنة. ثم أقبل على علي عليه السلام فقال: يا أخي أنت ستبقى بعدي وستلقى من قريش شدة من تظاهروا عليك وظلمهم لك، فإن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم وقاتل من خالفك بمن وافقك، وإن لم تجد أعواناً فاصبر وكف يدك ولا تلق بها إلى التهلكة، فإنك مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه، فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهروا عليك، فإنك بمنزلة هارون ومن تبعه، وهم بمنزلة العجل ومن تبعه.

يا علي إن الله تبارك وتعالى قد قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من هذه الأمة ولا ينازع في شيء من أمره، ولا يجحد المفضل الذي الفضل فضله.

ولو شاء لعجل النعمة وكان منه التغير حتى يُكذَّب الظالم ويُعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. فقال علي: الحمد لله شكراً على نعمائه، وصبراً على بلائه).

جيش أسامة الى مؤتة!

أمر النبي ﷺ قرب وفاته بإخلاء المدينة من معارضي علي عليه السلام!

قال ابن حجر في فتح الباري (١١٥/٨) وهو من كبار أئمة السلطة: «أنكر ابن تيمية في كتاب الرد على ابن المطهر أن يكون أبوبكر وعمر في بعث أسامة، ومستند ما ذكرناه ما أخرجه الواقدي بأسانيده في المغازي، وذكره ابن سعد وأخر الترجمة النبوية بغير إسناد، وذكره ابن إسحاق في السيرة المشهورة ولفظه: بدأ برسول الله وجعه يوم الأربعاء فأصبح يوم الخميس فعقد لأسامة فقال: أغز في سبيل الله وسر إلى موضع مقتل أبيك، فقد وليتك هذا الجيش.

فذكر القصة وفيها: لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبوبكر وعمر... وعند الواقدي أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف، فيهم سبع مائة من قریش.

أقول: أوردنا كلام ابن حجر لإثبات أن النبي ﷺ تعمد أن يُفرغ المدينة من القرشيين، ومن يمكن أن يعارض استخلاف علي عليه السلام.

كما تعمد أن يؤمّر عليهم أسامة الشاب الأسود ابن الثامنة أو السابقة عشرة سنة لئلا يعترض أحد على سن علي عليه السلام الذي كان في الثالثة وثلاثين من عمره.

كما نلاحظ أنه ﷺ أخبر عن النتائج السيئة لما يجري حوله، وأطلق تحذيره لأجيال الأمة من الفتن التي سيسببها طمع قریش في خلافته!

وروى ابن هشام (١٠٥٧/٤): «قول النبي ﷺ لعائشة لما رجع من البقيع وتحدث عن الفتن: «ما ضرك لو متّ قبلي فقامت عليك وكفتك وصليت عليك ودفنتك؟ قالت قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساءك!»

وهذا يدل على أفقه العالي ﷺ وأنه يفكر بنجاة عائشة في الآخرة، بينما هي تعيش قبل كل شيء وبعد كل شيء: الغيرة من ضراتها!

قال أمير المؤمنين عليه السلام (الخصال/٣٧١) في جواب الخبر اليهودي: «وأما الثانية يا أخا اليهود، فإن رسول الله ﷺ أمّرني في حياته على جميع أمته.. ثم أمر رسول الله بتوجيه الجيش الذي وجهه

مع أسامة بن زيد، عند الذي أحدث الله به من المرض الذي توفاه فيه، فلم يدع النبي أحداً من أفناء العرب ولا من الأوس والخزرج وغيرهم من سائر الناس، ممن يخاف عليّ نقضه ومنازعة، ولا أحداً ممن يراني بعين البغضاء ممن قد وترته بقتل أبيه أو أخيه أو حميمه، إلا وجهه في ذلك الجيش، ولا من المهاجرين والأنصار والمسلمين وغيرهم، والمؤلفة قلوبهم والمنافقين، لتصفو قلوب من يبقى معي بحضرته، ولئلا يقول قائل شيئاً مما أكرهه، ولا يدفعني دافع من الولاية والقيام بأمر رعيته من بعده.

ثم كان آخر ما تكلم به في شيء من أمر أمته أن يمضي جيش أسامة ولا يتخلف عنه أحد ممن أنهض معه، وتقدم في ذلك أشد التقدم، وأوعز فيه أبلغ الإيعاز، وأكد فيه أكثر التأكيد!

فلم أشعر بعد أن قبض النبي ﷺ إلا برجال من بعث أسامة بن زيد وأهل عسكره، قد تركوا مراكزهم وأخلوا مواضعهم، وخالفوا أمر رسول الله فيما أنهضهم له وأمرهم به، وتقدم إليهم من ملازمة أميرهم والسير معه تحت لوائه، حتى ينفذ لوجهه الذي أنفذه إليه، فخلفوا أميرهم مقيماً في عسكره، وأقبلوا يتبادرون على الخيل ركضاً إلى حل عقدة عقدها الله عز وجل لي ولرسوله ﷺ في أعناقهم، فحلوها، وعهد عاهدوا الله ورسوله فنكثوه، وعقدوا لأنفسهم عقداً ضجت به أصواتهم، واختصت به آراؤهم، من غير مناظرة لأحد منا بني عبد المطلب، أو مشاركة في رأي، أو استقالة لما في أعناقهم من بيعتي! ففعلوا ذلك وأنا برسول الله ﷺ مشغول، وبتجهيزه عن سائر الأشياء مصدود، فإنه كان أهمها وأحق ما بدئ به منها «.

شكى علي عليه السلام قريشاً كما شكاه النبي ﷺ

❖ كان عليه السلام يقول (نهج البلاغة: ٨١/١): (مالي ولقريش! والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلهم مفتونين. وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم! والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا، فكانوا كما قال الأول:

أدُمْتُ لعمري شُربك المحض صابحاً وأكلك بالزبد المقشرة البُجراً
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن علياً وحطنا حولك الجرد والسمرا

❖ وكان عليه السلام يقول (نهج البلاغة: ٢٧/٢): (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً

وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم. بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم).

✽ وكان عليه السلام يقول (شرح النهج: ٢٠٠/٢٩٨): (اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم أضمروا لرسولك ﷺ ضرباً من الشر والغدر فعجزوا عنها، وحلّت بينهم وبينها، فكانت الوجبة بي والدائرة عليّ! اللهم احفظ حسناً وحسيناً، ولا تمكن فجرة قريش منهما ما دمت حياً، فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد).

✽ وقال عليه السلام (شرح النهج: ٤/١٠٨): (ما رأيت منذ بعث الله محمداً ﷺ رخاء، لقد أخافتني قريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً، حتى قبض الله رسوله فكانت الطامة الكبرى، والله المستعان).

✽ وروى الصدوق في الإعتقادات/١٠٥، أن علياً عليه السلام قال: (ما زلت مظلوماً منذ ولدتني أمي، حتى أن عقيلاً كان يصيبه الرمد فيقول: لا تذروني حتى تذروا علياً، فيذروني وما بي رمد)!
✽ وفي الغارات للثقفى (٢/٧٦٨): (ما زلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله ﷺ حتى يوم الناس هذا. اللهم اجز قريشاً فإنها منعتني حقي وغصبتني أمري).

✽ وقال عليه السلام: فجزى قريشاً عني الجوازي فإنهم ظلموني حقي واغتصبوني سلطان ابن أمي.

✽ وقال عليه السلام: وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم فقال: هلم فلنصرخ معاً فإني ما زلت مظلوماً.

✽ وقال عليه السلام: إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرى.

✽ وقال عليه السلام: ما زلت مستأثراً عليّ مذعوفاً عما أستحقه وأستوجه).

✽ وروى النعماني في الغيبة/١٤٤، حديث علي عليه السلام لحذيفة بن اليمان، وفيه: (يا حذيفة: لا تحدث الناس بما لا يعرفون فيطغوا ويكفروا، إن من العلم صعباً شديداً محمله، لو حملته الجبال عجزت عن حمله. إن علمنا أهل البيت سيُنكر ويُبطل ويُقتل رواته، ويساء إلى من يتلوه، بغياً وحسداً لما فضل الله به عترة النبي ﷺ).

يا ابن اليمان، إن قريشاً لا ينشر صدورها، ولا ترضى قلوبها، ولا تجري ألسنتها ببيعة علي وموالاته، إلا على الكره والعمى والصغار.

يا ابن اليان، ستبايع قريش علياً، ثم تنكث عليه وتحاربه، وتناضله وترميه بالعظام، وبعد علي يلي الحسن وستنكث عليه، ثم يلي الحسين فتقتله أمة جده! فلعنت أمة تقتل ابن بنت نبيها ولا تُعزُّ من أمة، ولعن القائد لها والمرتب لفاسقها. فوالذي نفس علي بيده لا تزال هذه الأمة بعد قتل الحسين ابني في ضلال وظلمة وعسف وجور واختلاف في الدين، وتغير وتبدل لما أنزل الله في كتابه وإظهار البدع وإبطال السنن، واختلال وقياس مشتهات وترك محكمات حتى تنسلخ من الإسلام وتدخل في العمى والتلدد والتسكع ما لك يا بني أمية، لا هديت، وما لك يا بني العباس الأتعاس، فما في بني أمية إلا ظالم، ولا في بني العباس إلا معتمد متمرد على الله بالمعاصي قتال لوُلدي، هتاك لستري وحرمتي!

فلا تزال هذه الأمة جبارين يتكالبون على حرام الدنيا، منغمسين في بحار الهلكات، حتى إذا غاب المتغيب من ولدي عن عيون الناس، وتدلّعت وأكثرت في قولها إن الحجة هالكة، والإمامة باطلة، فرب علياً إن حجتها عليها قائمة ماشية في طرقها، داخله في دورها وقصورها، جواله في شرق هذه الأرض وغربها، تسمع الكلام وتسلم عن الجماعة، ترى ولا ترى إلى الوقت والوعد ونداء المنادي من السماء: ألا ذلك يومٌ فيه سرور ولد علي وشيعته).

هذا، وتقدم في فصل ظلمات النبي ﷺ أن أول قضية ترفع إلى الله تعالى يوم القيامة ظلامة قريش، وأن علياً عليه السلام يكون وكيلاً للنبي ﷺ في الشكاية عليها، وأصيلاً عن نفسه!

وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام في آخر ساعة من عمره الشريف

روى ابن طاووس في الطرف (١٦٢/١) بسنده والمجلسي في البحار (٤٨٤/٢٢): (عن الكاظم، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام حين دفع إليه الوصية: اتخذ لها جواباً غداً بين يدي الله تبارك وتعالى رب العرش، فإني محاجك يوم القيامة بكتاب الله حلاله وحرامه، ومحكمه ومتشابهه على ما أنزل الله، وعلى ما أمرتك، وعلى فرائض الله كما أنزلت وعلى الأحكام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتنابه، مع إقامة حدود الله وشروطه، والأمور كلها، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة لأهلها، وحج البيت، والجهاد في سبيل الله، فما أنت قائل يا علي؟

فقال علي: بأبي أنت وأمي أرجو بكرامة الله لك ومنزلتك عنده ونعمته عليك أن يعينني ربي،

ويثبتني فلا ألقاك بين يدي الله مقصراً ولا متوانياً ولا مفرطاً، ولا أمغر وجهك، وقاه وجهي ووجوه آبائي وأمهاتي، بل تجدني بأبي أنت وأمي مشمراً متبعاً لوصيتك ومنهاجك وطريقك ما دمت حياً حتى أقدم بها عليك، ثم الأول فالأول من ولدي لا مقصرين ولا مفرطين.

قال علي عليه السلام: ثم انكبت على وجهه وعلى صدره وأنا أقول: وا وحشته بعدك، بأبي أنت وأمي، ووحشة ابتك وبنيك، بل واطول غمي بعدك يا أخي، انقطعت من منزلي أخبار السماء، وفقدت بعدك جبرئيل وميكائيل، فلا أحس أثراً ولا أسمع حساً، فأغمي عليه طويلاً ثم أفارق ﷺ. قال أبو الحسن الكاظم عليه السلام: فقلت لأبي عليه السلام: فما كان بعد إفاقته؟ قال: دخل عليه النساء يبكين وارتفعت الأصوات وضج الناس بالباب من المهاجرين والأنصار، فبينما هم كذلك إذ نودي: أين علي؟ فأقبل حتى دخل عليه، قال علي عليه السلام: فانكبت عليه فقال: يا أخي إفهم فهمك الله وسددك وأرشدك ووفقك وأعانك وغفر ذنبك ورفع ذكرك.

إعلم يا أخي أن القوم سيغلهم عني ما يشغلهم، وإنما مثلك في الأمة مثل الكعبة نصبها الله للناس علماً، وإنما تؤتى من كل فج عميق ونأي سحيق ولا تأتي، وإنما أنت علم الهدى، ونور الدين، وهو نور الله.

يا أخي، والذي بعثني بالحق لقد قدمت إليهم بالوعيد بعد أن أخبرتهم رجلاً رجلاً ما افترض الله عليهم من حقك، وألزمهم من طاعتك، وكل أجاب وسلم إليك الأمر، وإني لأعلم خلاف قولهم، فإذا قبضت وفرغت من جميع ما أوصيك به وغيتني في قبري فالزم بيتك، واجمع القرآن على تأليفه، والفرائض والأحكام على تنزيلها، ثم امض على غير لائمة على ما أمرتك به، وعليك بالصبر على ما ينزل به وبها حتى تقدموا علي).

بعد رجوعه عليه السلام من حجة الوداع أكد على أهل بيته عليه السلام

في الكافي (٢٩٣/١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « فلما قدم المدينة أتته الأنصار فقالوا: يا رسول الله إن الله جل ذكره قد أحسن إلينا وشرفنا بك وبنزولك بين ظهرانينا، فقد فرح الله صديقنا وكبت عدونا. وقد يأتيك وفود فلا تجد ما تعطيه فيشمت بك العدو، فنحب أن تأخذ ثلث أموالنا حتى إذا قدم عليك وفد وجدت ما تعطيه. فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئاً، وكان ينتظر

ما يأتيه من ربه، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، ولم يقبل أموالهم، فقال المنافقون: ما أنزل الله هذا على محمد وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمه ويحمل علينا أهل بيته! يقول أمس: من كنت مولاه فعلي مولاه واليوم: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى. ثم لما نزل عليه آية الخمس فقالوا: يريد أن يعطيهم أموالنا وفيأنا!

ثم أتاه جبرئيل فقال: يا محمد إنك قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند علي فإني لم أترك الأرض إلا ولي فيها علمٌ تُعرف به طاعتي وتعرف به ولايتي، ويكون حجة لمن يولد بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر. قال: فأوصى إليه بالاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة، وأوصى إليه بألف كلمة وألف باب، يفتح كل كلمة وكل باب ألف كلمة وألف باب «.

وفي الإرشاد (١٧٩/١) أن النبي ﷺ قال: «أيها الناس، إني فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض، ألا وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربي ذلك فأعطانيه. ألا وإني قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فلا تسبقوهم فتفرقوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

أيها الناس، لا ألينكم بعدي ترجعون كفاراً يضرب بعض فتلقوني في كتيبة كمجرى السيل الجرار! ألا وإن علي بن أبي طالب أخي ووصيي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فكان يقوم مجلساً بعد مجلس بمثل هذا الكلام ونحوه).

أقول: كان الأنبياء عليهم السلام يقولون لأممهم إنهم لا يطلبون منهم أجراً على تبليغ الرسالة، وكذلك نبينا ﷺ: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وقال تعالى: وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لكنه خص هذه الأمة بأن جعل أجر نبيها ﷺ طاعتها لعترته عليهم السلام فقال: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى،

ثم بين أن هذا الأجر هو السبيل إلى رضا الله تعالى وثوابه فقال: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا.

ثم قال لهم إن هذا الأجر ليس أجراً له، ولا غمماً عليهم بل غنمٌ لهم، فقال: قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ. أي أنتم المنتفعون به لأنكم بمودتهم وطاعتهم لا تضلون).

أخبر النبي ﷺ أن علياً عليه السلام سيقا تل على تأويل القرآن

وقد روى السنة والشيعية روايات صحيحة بأن النبي ﷺ أخبرهم بأن علياً سيقا تل قريشاً على تأويل القرآن، كما قاتلهم النبي ﷺ على تنزي له. (الترمذي: ٢٩٨/٥ وصححه، والحاكم: ١٢٢/٣ و: ٢٩٨/٤ وصححهما على شرط الشيخين، وأحمد: ٨٢/٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٣٣/٩: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة).

واشتهر حديثه بحديث خاصف النعل، الذي رواه الترمذي: (قال النبي ﷺ: يا معشر قريش لتنتهن أو لبيعن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلوبهم على الإيمان، قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال له أبوبكر من هو يا رسول الله؟ وقال عمر من هو يا رسول الله؟ قال: هو خاصف النعل، وكان أعطى علياً نعله يخصفها، قال ثم التفت إلينا علي فقال: إن رسول الله قال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). ورواه الحاكم: ١٣٨/٢ و: ٢٩٨/٤ وقال في الموردين: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ورواه أحمد: ٣٣/٣ عن أبي سعيد، وكذا في ٨٢ وفيه: إن منكم من يقا تل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزي له فاستشر فنا وفينا أبوبكر وعمر فقال: لا ولكنه خاصف النعل. قال فجئنا نبشره، قال وكأنه قد سمعه. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٨٦/٥ عن أبي سعيد وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. ورواه في: ١٣٣/٩، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة).

أمر النبي ﷺ علياً عليه السلام أن يعلن تهديده بقتال المرتدين!

ومعناه أن النبي ﷺ شعر بنية قريش أن ترتد لأنه عين خليفته من بني هاشم فقالوا ما أنزل الله ذلك! فهو موقف وقائي لمنع قريش من التفكير بالردة!

قال ابن عباس: «إن علياً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يقول: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله تعالى. والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت. لا والله. إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه، فمن أحق به مني!» (الحاكم: ١٢٦/٣، والنسائي: ١٢٥/٥، والمحامي: ١٦٣، والطبراني الكبير: ١٠٧/١ ومجمع الزوائد: ١٣٤/٩، وصححه. والاحتجاج: ٢٩١/١، وأما لي الطوسي: ٥٠٢).

حديث أم سلمة عن الناكثين والقاسطين والمارقين

في مجمع الزوائد (٢٣٨/٧): (عن علي قال: عهد إلي رسول الله ﷺ في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين. والبزار والطبراني في الأوسط وأحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان).

وفي أمالي الصدوق ٤٦٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (بلغ أم سلمة زوجة النبي ﷺ أن مولى لها ينتقص علياً عليه السلام ويتناوله فأرسلت إليه، فلما أن صار إليها قالت له: يا بني بلغني أنك تنتقص علياً وتتناوله! قال لها: نعم يا أماه. قالت: أقعد ثكلتك أمك حتى أحدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ثم اختر لنفسك. إلى أن قالت: فدخلت وعليّ جاث بين يديه وهو يقول: فذاك أبي وأمي يا رسول الله، إذا كان كذا وكذا، فما تأمرني؟ قال: أمرك بالصبر. ثم أعاد عليه القول الثانية فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة، فقال له: يا علي يا أخي، إذا كان ذاك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك واضرب به قدماً قدماً، حتى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم! ثم التفت ﷺ إلي فقال لي: ما هذه الكأبة يا أم سلمة؟ قلت: للذي كان من ردك لي يا رسول الله. فقال لي: والله ما رددتك من مَوْجدة وإنك لعلّ خير من الله ورسوله لكن أتيتني وجبرئيل عن يميني وعليّ عن يساري، وجبرئيل يخبرني بالأحداث التي تكون من بعدي، وأمرني أن أوصي بذلك علياً!

يا أم سلمة إسمعي واشهدي: هذا علي بن أبي طالب، أخي في الدنيا وأخي في الآخرة. يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، وزيري في الدنيا ووزير في الآخرة.

يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، حامل لوائ في الدنيا، وحامل لوائي غداً في القيامة.

يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدي، وقاضي عداقي، والذائد عن حوضي.

يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت: يا رسول الله من الناكثون؟ قال: الذين يبائعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة.

قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهر وان. فقال مولى أم سلمة: فرجت عني فرج الله عنك، والله لا سببت عليك أبداً).

حديث أبي أيوب عن الناكثين والقاسطين والمارقين

في من لا يحضره الفقيه (٤/١٩٤): (عن الأصبع بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين في بعض خطبه: أيها الناس إسمعوا قولي واعقلوه عني فإن الفراق قريب: أنا إمام البرية ووصي خير الخليقة، وزوج سيدة نساء الأئمة، وأبو العترة الطاهرة والأئمة الهادية. أنا أخو رسول الله ﷺ ووصيه ووليه، ووزيره وصاحبه وصفيه، وحيبيه وخليفه.

أنا أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وسيد الوصيين، حربي حرب الله، وسلمى سلم الله، وطاعتي طاعة الله، وولايتي ولاية الله، وشيعتي أولياء الله، وأنصاري أنصار الله. والذي خلقني ولم أك شيئاً لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ أن الناكثين والقاسطين والمارقين ملعونون على لسان النبي الأمي، وقد خاب من افترى).

وفي كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر/١١٤، في حديث طويل عن حرب الجمل: (ونزل أبو أيوب في بعض دور الهاشمين، فجمعنا إليه ثلاثين نفساً من شيوخ أهل البصرة فدخلنا إليه وسلمنا عليه وقلنا: إنك قاتلت مع رسول الله ﷺ ببدر وأحد المشركين، والآن جئت تقاتل المسلمين! فقال: والله لقد سمعت من رسول الله ﷺ يقول لي: إنك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، مع علي بن أبي طالب!

قلنا: آله إنك سمعت من رسول الله ﷺ في علي؟ قال: سمعته يقول: علي مع الحق والحق معه، وهو الإمام والخليفة بعدي، يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، وابناه الحسن والحسين سبطاي من هذه الأمة، إمامان إن قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما، والأئمة بعد الحسين تسعة من صلبه، ومنهم القائم الذي يقوم في آخر الزمان كما قمت في أوله ويفتح حصون الضلالة.. الحديث.. وهو طويل فيه معراج النبي ﷺ وذكر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وجاء في آخره:

قلنا: فما لبني هاشم؟ قال: سمعته يقول لهم: أنتم المستضعفون من بعدي. قلنا: فمن القاسطين

والناكثين والمارقين؟ قال: الناكثين الذين قاتلناهم، وسوف نقاتل القاسطين والمارقين، فإني والله لا أعرفهم غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: في الطرقات بالنهر وانات!

قلنا: فحدثنا بأحسن ما سمعته من رسول الله ﷺ قال: سمعته يقول: مثل مؤمن عند الله عز وجل مثل ملك مقرب، فإن المؤمن عند الله تعالى أعظم من ذلك، وليس شيء أحب إلى الله عز وجل من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة.

قلنا: زدنا يرحمك الله. قال: نعم سمعته يقول: من قال لا إله إلا الله مخلصاً فله الجنة. قلنا: زدنا يرحمك الله. قال: نعم سمعته ﷺ يقول: من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع فإني سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: المكر والخديعة في النار. قلنا: جزاك الله عن نبيك وعن الإسلام خيراً.



أخبر النبي بما يجري على ابنته فاطمة وأبنائها ﷺ

✻ أخبر النبي ﷺ عن فاطمة قبل ولادتها، قال الإمام الصادق عليه السلام: (فلما حملت بفاطمة كانت ﷺ تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة ﷺ، فقال لها: يا خديجة، من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني. قال: يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وإن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه). (أمالى الصدوق/٦٩١)

وقد كتبنا في الفصل الثامن عشر شريطاً موجزاً لسيرتها ﷺ، ونورد هنا نماذج:

✻ في أمالي الصدوق/١٧٥: « عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن، فلما رآه بكى ثم قال: إليّ يا بني، فما زال يدينه حتى أجلسه على فخذه اليمنى، ثم أقبل الحسين فلما رآه بكى، ثم قال: إليّ يا بني، فما زال يدينه حتى أجلسه على فخذه اليسرى. ثم أقبلت فاطمة فلما رآها بكى ثم قال: إليّ يا بنية فأجلسها بين يديه.

ثم أقبل أمير المؤمنين فلما رآه بكى ثم قال: إليّ يا أخي، فما زال يدينه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما ترى واحداً من هؤلاء إلا بكيت أو ما فيهم

من تُسَرُّ برؤيته! فقال ﷺ: والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية، إني وإياهم لأكرم الخلق على الله عز وجل، وما على وجه الأرض نسمة أحب إلي منهم!

أما علي بن أبي طالب فإنه أخي وشقيقي وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كل مسلم، وإمام كل مؤمن، وقائد كل تقى، وهو وصيي وخليفتي على أهلي وأمتي في حياتي وبعد مماتي. محبه محبي ومبغضه مبغضي، وبولايته صارت أمتي مرحومة وبعداوته صارت المخالفة له منها ملعونة!

وإني بكيت حين أقبل لأني ذكرت غدر الأمة به بعدي، حتى إنه ليزال عن مقعدي وقد جعله الله له بعدي، ثم لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تحضب منها لحيته في أفضل الشهور شهر رمضان، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روعي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربه جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي أنظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمامي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أي قد أمنت شيعتها من النار! وإني لما رأيته ذكرت ما يصنع بها بعدي! كأني بها وقد دخل الدل بيتها، وانتهكت حرمتها، وغصبت حقها، ومنعت إرثها، وكسر جنبها، وأسقطت جنينها وهي تنادي: يا محمداه فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث! فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية، تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة، وتتذكر فراقني أخرى، وتستوحش إذا جنها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى ذكره بالملائكة، فناداتها بما نادت به مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. يا فاطمة: اقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ. ثم يبتدىء بها الوجع فتمرض، فيبعث الله عز وجل إليها مريم بنت عمران تمرضها وتؤنسها في علتها، فتقول عند ذلك: يا رب إني قد سئمت الحياة وتبرمت بأهل الدنيا فألحقني بأبي، فيلحقها الله عز وجل بي، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم علي محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة

مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها وعاقب من غصبها، وأذلّ من أذلّها وخلد في ناركَ من ضرب جنبها حتى أَلقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين.

وأما الحسن فإنه ابني وولدي، ومنيتي، وقرّة عيني، وضيء قلبي، وثمرة فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة وحجة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني ومن عصاه فليس مني، وإني لما نظرت إليه تذكّرت ما يجري عليه من الذل بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسّم ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته، ويبكيه كل شيء حتى الطير في جو السماء والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمي العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام.

وأما الحسين فإنه مني، وهو ابني وولدي، وخير الخلق بعد أخيه، وهو إمام المسلمين ومولى المؤمنين، وخليفة رب العالمين، وغياث المستغيثين، وكهف المستجيرين وحجة الله على خلقه أجمعين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وباب نجاة الأمة، أمره أمري وطاعته طاعتي، من تبعه فإنه مني ومن عصاه فليس مني، وإني لما رأيته تذكّرت ما يصنع به بعدي، كأني به وقد استجار بحرمي وقبري فلا يجار، فأضمه في منامه إلى صدري، وأمره بالرحلة على دار هجري وأبشره بالشهادة، فيرتحل عنها إلى أرض مقتله، وموضع مصرعه، أرض كرب وبلاء وقتل وفناء، تنصره عصابة من المسلمين، أولئك من سادة شهداء أمتي يوم القيامة، كأني أنظر إليه وقد رُمي بسهم فخرّ عن فرسه صريعاً، ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً!

ثم بكى رسول الله ﷺ وبكى من حوله وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثم قام وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي بعدي، ثم دخل منزله «!

❖ وفي أمالي الشيخ الطوسي (١٨٨): (عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله الوفاة بكى حتى بليت دموعه لحيته، ف قيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي وما يصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي).

❖ وفي البحار (٤٩٢/٢٢)، عن الإمام الكاظم عليه السلام: «قال ﷺ: يا علي ما أنت صانع لو قد تأمر القوم

عليك بعدي وتقدموا عليك، وبعث إليك طاغيتهم يدعوك إلى البيعة، ثم لَبَّيْتَ بثوبك تقاد كما يقاد الشارد من الإبل مذموماً مخذولاً مخزوناً مهموماً، وبعد ذلك ينزل بهذه الذل؟!

قال: فلما سمعت فاطمة ما قال رسول الله ﷺ صرخت وبكت، فبكى رسول الله ﷺ لبكائها وقال: يا بنية لا تبكي ولا تؤذي جلساءك من الملائكة هذا جبرئيل بكى لبكائك وميكائيل وصاحب سر الله إسرافيل! يا بنية لا تبكي فقد بكت السماوات والأرض لبكائك!

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أنقأ للقوم وأصبر على ما أصابني، من غير بيعة لهم، وما لم أصب أعواناً لم أناجز القوم. فقال رسول الله ﷺ: اللهم اشهد.

فقال: يا علي ما أنت صانع بالقرآن والعزائم والفرائض؟ فقال: يا رسول الله أجمعه، ثم آتيهم به، فإن قبلوه وإلا أشهدت الله عز وجل وأشهدتك عليهم. قال: اللهم اشهد «

❖ وروى في كمال الدين/٢٦٢: (عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت سلمان الفارسي يقول: كنت جالساً بين يدي رسول الله ﷺ في مرضته التي قبض فيها فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك، فاغروقت عينا رسول الله بالبكاء، ثم قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا، وأنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض أطلاعةً فاخترني من خلقه فجعلني نبياً، ثم أطلع إلى الأرض أطلاعةً ثانية فاختر منها زوجك وأوحى إلي أن أزوجك إياه وأتخذه ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمتي، فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي.

ثم أطلع إلى الأرض اطلاعةً ثالثةً فاخترتك ولديك، فأنت سيدة نساء أهل الجنة، وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدي أخي علي، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم.. الحديث).

❖ وفي تأويل الآيات/٣٧٢: (عن عيسى بن داود النجار قال: حدثني مولاي أبو الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جمع رسول الله ﷺ أمير المؤمنين وفاطمة

والحسن والحسين ﷺ وأغلق عليه وعليهم الباب وقال: يا أهلي وأهل الله إن الله عز وجل يقرأ عليكم السلام، وهذا جبرئيل معكم في البيت يقول: إن الله عز وجل يقول: إني قد جعلت عدوكم لكم فتنة، فما تقولون؟ قالوا: نصبر يا رسول الله لأمر الله وما نزل من قضائه حتى نقدم على الله عز وجل ونستكمل جزيل ثوابه، فقد سمعناه يعد الصابرين الخير كله، فبكى رسول الله حتى سمع نحيبه من خارج البيت فنزلت هذه الآية: وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا).

❖ وفي الطُّرْف لابن طاووس (١٦٩/١): (لما كان اليوم الذي ثقل فيه وجع النبي ﷺ وخيف عليه فيه الموت، دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، وقال لمن في بيته: أخرجوا عني، وقال لأم سلمة: تكونين ممن على الباب فلا يقربه أحد، ففعلت أم سلمة فقال: يا علي أدن مني فدنا منه فأخذ بيد فاطمة فوضعها على صدره طويلاً وأخذ بيد علي بيده الأخرى.

فلما أراد رسول الله ﷺ الكلام غلبته عبرته فلم يقدر على الكلام، فبكت فاطمة بكاءً شديداً وعليّ والحسن والحسين ﷺ لبكاء رسول الله ﷺ فقالت فاطمة: يا رسول الله قد قطعت قلبي وأحرقت كبدي ببكائك يا سيد النبيين من الأولين والآخرين، يا أمين ربه ورسوله، يا حبيبه ونيبه، من لولدي بعدك؟ ولذل ينزل بي بعدك؟ من لعلي أخيك وناصر الدين؟ من لوحي الله وأمره؟ ثم بكت وأكبت على وجهه فقبلته، وأكب عليه علي والحسن والحسين ﷺ فرفع رأسه إليهم، ويدها في يده، فوضعها في يد علي وقال له: يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعه رسول الله محمد عندك، فاحفظ الله واحفظني فيها، وإنك لفاعل. يا علي هذه والله سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين، هذه والله مريم الكبرى، أما والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم، فأعطاني ما سألته.

يا علي، أنفذ لما أمرتك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمرني بها جبرئيل ﷺ. واعلم يا علي أني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته. يا علي، ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها، وويل لمن انتهك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى جنينها وشج جنينها، وويل لمن شاقها وبارزها. اللهم إني منهم برئ وهم مني براء! ثم ساهم رسول الله ﷺ! وضم فاطمة إليه وعلياً والحسن والحسين ﷺ وقال: اللهم إني لهم ولن شايعهم سلم، وزعيم

يدخلون الجنة، وحرب وعدو لمن عاداهم وظلمهم تقدمهم أو تأخر عنهم وعن شيعتهم، زعيم لهم يدخلون النار، ثم والله يا فاطمة لا أرضى حتى ترضي، ثم لا والله لا أرضى حتى ترضي، ثم والله لا أرضى حتى ترضي».

❖ ومن أعجب ما رواه مخالفونا حديث النبي ﷺ في مرض وفاته مع فاطمة عليها السلام، رواه الطبراني في معجمه الكبير (٥٧/٣) والأوسط (٣٢٧/٦) ورواه أبو نعيم وغيره بإسنادهم عن أبي سعيد الخدري وعن جابر الأنصاري قال:

(دخلتُ على رسول الله ﷺ في شكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه، قال فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله ﷺ طرفه إليها فقال: حبيتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ فقالت: أخشى الضيعة من بعدك! فقال: يا حبيتي أما علمت أن الله عز وجل اطلع إلى الأرض إطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطلع إطلاعة فاختار منها بعلك، وأوحى إلي أن أنكحك إياه! يا فاطمة: ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يُعْطَها أحد قبلنا، ولا يُعْطى أحد بعدنا: أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل، وأنا أبوك. ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله، وهو بعلك.

وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله وهو عمك حمزة بن عبد المطلب، وهو عم أبيك وعم بعلك. ومنا من له جناحان أخضران يطيران في الجنة مع الملائكة حيث يشاء، وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك.

ومنا سبطا هذه الأمة، وهما ابنك الحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما والذي بعثني بالحق خير منهما.

يا فاطمة: والذي بعثني بالحق إن منهما مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً، ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عز وجل عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً.

يا فاطمة: لا تحزني ولا تبكي فإن الله عز وجل أرحم بك، وأرأف عليك مني وذلك لمكانك مني وموضعك من قلبي، وزوجك الله زوجك وهو أشرف أهل بيتك حسباً وأكرمهم منصباً،

وأرحمهم بالرعية، وأعدلهم بالسوية، وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربي عز وجل أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي! قال علي رضي الله عنه فلما قبض النبي ﷺ لم تبق فاطمة بعده إلا خمسة وسبعين [وتسعين] يوماً حتى ألحقها الله به).

وفي رواية أبي سعيد: ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابنك الحسن والحسين، وسوف يخرج الله من صلب الحسين تسعة من الأئمة أمناء معصومون. ومنا مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاء ومرجاء، وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل. فيبعث الله عند ذلك مهدينا التاسع من صلب الحسين، يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً، يقوم بالدين في آخر الزمان، كما قمت به في أول الزمان، ويملاً الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً).

✽ وعن أبي سعيد الخدري قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسين: أنت الإمام، ابن الإمام، أخو الإمام، تسعة من صلبك أئمة أبرار، والتاسع قائمهم). (كفاية الأثر: ٢٨).

✽ ومن صحاح أخبار من خالفنا، ما رواه البخاري (٤١/٤): (فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبابكر، فلم نزل مهاجرة حتى توفيت).

✽ وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة (٣٠/١)، وأعلام النساء (٣/١٢١٤): (فقال عمر لأبي بكر: إنطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليها فكلما هأأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام! فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله! والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني متُّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرfk وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله، إلا أني سمعت أباك رسول الله يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة. فقالت: رأيتمك إن حدثتكم حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا: نعم. فقالت: نشدتكم الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أَرْضى فاطمة فقد أَرْضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ! قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكم أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكم إليه! فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا

فاطمة، ثم انتحب أبوبكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهد، وهي تقول: والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها! ثم خرج باكياً فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه! لا حاجة لي في بيعتكم أقولوني بيعتي! قالوا: يا خليفة رسول الله، إن هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنه إن كان هذا لم يقيم لله دين. فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة، بعدما سمعت ورأيت من فاطمة).

هذا، وقد خصصنا المجلد السابع من كتاب الانتصار لسيرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وأوردنا فيه عدداً من إخبارات النبي ﷺ بما يجري عليها.



أخبر النبي ﷺ بما يجري على الحسن والحسين ﷺ

يتفاجأ المسلم بشدة اهتمام النبي ﷺ بالحسن والحسين ﷺ وأنواع تعامله معهم، وأقواله فيهما، من مراسم ولادتهما، وتسميتهما، والعقيقة عنهما، وكان يراهما يومياً، ويقبلهما، ويتابع أحوالهما! ولما مشيا.. كان يأخذهما معه إلى المسجد ويجلسهما إلى جنبه ويصلي، وقد يركب الواحد منهما على ظهره، ف يريد المسلمون أن يبعدوه فيقول أتركوه!

وكان مع سلوكه هذا معهما، يطلق فيهما أقواله النبوية الخالدة:

❖ قال عمران بن حصين: قال لي رسول الله ﷺ: يا عمران إن لكل شئ موقعا من القلب، وما وقع موقع هذين الغلامين من قلبي شئ قط، فقلت: كل هذا يا رسول الله! قال: يا عمران وما خفي عليك أكثر. إن الله أمرني بحبهما.

❖ وكان يقول: يا علي لقد أذهلني هذان الغلامان يعني الحسن والحسين أن أحب بعدهما أحداً أبداً، إن ربي أمرني أن أحبهما، وأحب من يحبهما.

❖ وعن أبي ذر قال: أمرني رسول الله ﷺ بحب الحسن والحسين ﷺ، فأنا أحبهما، وأحب من يحبهما، لحب رسول الله ﷺ إياهما.

❖ وقال: رأيت رسول الله ﷺ يقبل الحسن والحسين وهو يقول: من أحب الحسن والحسين وذريتهما مخلصاً لم تلمح النار وجهه، ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج، إلا أن يكون ذنبه ذنباً يخرج من الإيمان.

❖ وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان يحبني فليحب ابني هذين، فإن الله أمرني بحبهما.

❖ إن الله أمرني بحب الحسن والحسين فأحبوهما. اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما..

❖ الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة..

❖ الحسن والحسين سبطان من الأسباط..

❖ الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا..

✽ الحسن والحسين ابناي من فاطمة وعلي..

✽ وقال: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط.

✽ قال الإمام الكاظم عليه السلام: أخذ رسول الله ﷺ بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال: من أحب هذين الغلامين وأباهما وأمهما، فهو معي في درجتي يوم القيامة.

✽ قال الإمام الباقر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: خذوا بحجزة هذا الأئمة، فإنه الصديق الأكبر والهادي لمن اتبعه، ومن سبقه مرق من دين الله، ومن خذله محقه الله، ومن اعتصم به فقد اعتصم بالله، ومن أخذ بولايته هداه الله، ومن ترك ولايته أضله الله. ومنه سبطا أمتي الحسن والحسين، وهما ابناي ومن ولد الحسن الأئمة الهداة والقائم المهدي، فأحبوهم وتو الوهم، ولا تتخذوا عدوهم وليجة من دونهم، فيحل عليكم غضب من ربكم وذلة في الحياة الدنيا، وقد خاب من افترى.

✽ وقال الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: من أبغض الحسن والحسين جاء يوم القيامة وليس على وجهه لحم، ولم تنله شفاعتي!

(عامة هذه الأقول: في مصادر الحديث الصحيحة، ومنها: كامل الزيارات/١١٤، وبعدها).

كان النبي ﷺ يخبر أهل بيته وخاصته بخط قريش ضدهم

فقد روى في الكافي: ٥٢٩/١، وكمال الدين: ٢٧٠، والخصال: ٤٧٧، والإحتجاج: ٢٨٥/١، وكشف الغمة: ٥٠٨/٢، وسُليم: ٢٣١، واللفظ له:

(حدثني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: كنت عند معاوية ومعنا الحسن والحسين، وعنده عبد الله بن عباس، فالتفت إلي معاوية فقال: يا عبد الله (بن جعفر)! ما أشد تعظيمك للحسن والحسين! وما هما بخير منك ولا أبوهما خير من أبيك، ولولا أن فاطمة بنت رسول الله لقلت: ما أمك أسماء بنت عميس بدونها! فقلت: والله! إنك لقليل العلم بهما وبأبيهما وبأمهما، بل والله لهما خير مني وأبوهما خير من أبي، وأمهما خير من أمي.

يا معاوية، إنك لغافل عما سمعته أنا من رسول الله ﷺ يقول فيهما وفي أبيهما وأمهما قد حفظته ووعيته ورويته. قال: هات يا ابن جعفر فوالله ما أنت بكذاب ولا متهم. فقلت: إنه

أعظم مما في نفسك، قال: وإن كان أعظم من أحد وحرء جميعاً، فلست أبالي إذ قتل الله صاحبك وفرق جمعكم وصار الأمر في أهله، فحدثنا فما نبالي بما قُلتُم ولا يضرنا ما عددتم.

قلت: سمعت رسول الله ﷺ وقد سئل عن هذه الآية: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ، فقال: إني رأيت اثني عشر رجلاً من أئمة الضلالة يصعدون منبري وينزلون، يردون أمتي على أدبارهم القهقري، فيهم رجلان من حيين من قريش مختلفين، وثلاثة من بني أمية، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص.

وسمعتَه يقول: إن بني أبي العاص إذا بلغوا خمسة عشر رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دِولاً.

يا معاوية إني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر وأنا بين يديه، وعمر ابن أبي سلمة، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وأبوذر، والمقداد، والزبير بن العوام، وهو يقول: ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقلنا: بلى، يا رسول الله، قال: أليس أزواجي أمهاتكم؟ قلنا: بلى، يا رسول الله. قال: مَنْ كُنْتُ مولاه فعليٌّ مولاه وضرب بيديه على منكب علي وقال: اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه.

أيها الناس: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر، وعلي من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر، ثم ابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر.

ثم عاد فقال: أيها الناس إذا أنا استشهدت فعلي أولى بكم من أنفسكم، فإذا استشهد علي فابني الحسن أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فإذا استشهد الحسن فابني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فإذا استشهد الحسين فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر.

ثم أقبل على علي فقال: يا علي، إنك ستدركه فاقرأه مني السلام، فإذا استشهد فابني محمد أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، وستدركه أنت يا حسين! فاقرأه مني السلام، ثم يكون في عقب محمد رجال واحد بعد واحد، وليس منهم أحد إلا وهو أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر، كلهم هادون مهتدون. فقام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وهو يبكي، فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله أتقتل! قال: نعم، أهلك شهيداً بالسم، وتقتل أنت بالسيف، وتخضب لحيتك من دم رأسك، ويقتل ابني الحسن بالسم، ويقتل ابني الحسين بالسيف يقتله طاغ ابن

طاغ، دعيّ ابن دعي!

فقال معاوية: يا ابن جعفر لقد تكلمت بعظيم، ولئن كان ما تقول حقاً لقد هلكت أمة محمد من المهاجرين والأنصار غيركم أهل البيت وأوليائكم وأنصاركم! فقلت: والله إن الذي قلت حقاً، سمعته من رسول الله ﷺ. قال معاوية: يا حسن ويا حسين ويا ابن عباس: ما يقول ابن جعفر؟ فقال ابن عباس: إن لم تؤمن بالذي قال فأرسل إلى الذين ساءلهم فاسألهم عن ذلك. فأرسل معاوية إلى عمر بن أبي سلمة وإلى أسامة بن زيد، فسألهم، فشهدا أن الذي قال ابن جعفر قد سمعناه من رسول الله ﷺ كما سمعته.

فقال معاوية: يا ابن جعفر، قد سمعناه في الحسن والحسين وفي أبيهما، فما سمعت في أمّهما؟ ومعاوية كالمستهزئ والمنكر!

فقلت: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: ليس في جنة عدن منزل أشرف ولا أفضل ولا أقرب إلى عرش ربي من منزلي، ومعني ثلاثة عشر من أهل بيتي: أخي علي، وابنتي فاطمة، وابناي الحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، هداة مهتدون، وأنا المبلغ عن الله، وهم المبلغون عني، وهم حجج الله على خلقه، وشهداؤه في أرضه، وخزانه على علمه ومعادن حكمه، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، لا تبقى الأرض طرفة عين إلاّ بقاءهم، ولا تصلح إلاّ بهم، يخبرون الأمة بأمر دينهم، حلالهم وحرامهم، يدلونهم على رضا ربهم، وينهونهم عن سخطه، بأمر واحد ونهي واحد ليس فيهم اختلاف ولا فرقة ولا تنازع، يأخذ آخرهم عن أولهم إملائي، وخطّ أخي علي بيده يتوارثونه إلى يوم القيامة، وأهل الأرض كلهم في غمرة وغفلة وتيهة وحيرة غيرهم وغير شيعتهم وأوليائهم، لا يحتاجون إلى أحد من الأمة في شيء من أمر دينهم والأمة تحتاج إليهم. هم الذين عنى الله في كتابه وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسول الله فقال: **أَمَّنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ**.

فأقبل معاوية على الحسن والحسين وابن عباس والفضل بن عباس وعمر بن أبي سلمة وأسامة بن زيد، فقال: كلكم على ما قال ابن جعفر؟ قالوا: نعم.

قال: يا بني عبد المطلب إنكم لتدعون أمراً عظيماً، وتحتجون بحجج قوية إن كانت حقاً،

وإنكم لتضمرون على أمر تسرونه والناس عنه في غفلة عمياء، ولئن كان ما تقولون حقاً لقد هلكت الأمة وارتدت عن دينها، وتركت عهد نبينا غيركم أهل البيت، ومن قال بقولكم فأولئك في الناس قليل!

فقلت: يا معاوية، إن الله تبارك وتعالى يقول: وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ، ويقول: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ، ويقول: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ، ويقول لنوح: وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ.

يا معاوية! المؤمنون في الناس قليل، وإن أمر بني إسرائيل أعجب حيث قالت السحرة لفرعون: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا، فأمنوا بموسى وصدقوه واتبعوه، فسار بهم وبمن تبعه من بني إسرائيل، فأقطعهم البحر وأراهم الأعاجيب، وهم يصدقون به وبالتوراة، يقرون له بدينه فمر بهم على قوم يعبدون أصناماً لهم فقالوا: يَا مُوسَى اجْعَلْ لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، ثم اتخذوا العجل فعكفوا عليه جميعاً غير هارون وأهل بيته، وقال لهم السامري: هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَانْسِي. فاحتذت هذه الأمة ذلك المثل سواء، وقد كانت فضائل وسوابق مع رسول الله ﷺ ومنازل منه قريبة مقرين بدين محمد والقرآن حتى فارقهم نبينهم ﷺ، فاختلفوا وتفرقوا وتحاسدوا، وخالفوا إمامهم ووليهم حتى لم يبق منهم على ما عاهدوا عليه نبينهم غير صاحبنا الذي هو من نبينا بمنزلة هارون من موسى، ونفر قليل لقوا الله عز وجل على دينهم وإيمانهم، ورجع الآخرون القهقري على أدبارهم كما فعل أصحاب موسى عليه السلام بالتخاذل العجل وعبادتهم إياه، وزعمهم أنه ربهم، وإجماعهم عليه غير هارون وولده ونفر قليل من أهل بيته. ونبينا ﷺ قد نصب لأئمة أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خم وفي غير موطن، واحتج عليهم به وأمرهم بطاعته، وأخبرهم أنه منه بمنزلة هارون من موسى، وأنه ولي كل مؤمن بعده، وأنه كل من كان وليه فعلياً وليه، ومن كان أولى به من نفسه فعلياً أولى به، وأنه خليفته فيهم ووصيه، وأن من أطاعه أطاع الله، ومن عصاه عصى الله، ومن والاه والى الله، ومن عاداه عادى الله، فأنكروه وجهلوه وتولوا غيره.

يا معاوية! أما علمت أن رسول الله ﷺ حين بعث إلى مؤتة أمر عليهم جعفر بن أبي طالب، ثم قال: إن هلك جعفر فزيد بن حارثة، فإن هلك زيد فعبداً لله بن رواحة، ولم يرض لهم أن

يختاروا لأنفسهم، أفكان يترك أمته، لا يبين لهم خليفته فيهم؟! بلى، والله ما تركهم في عمياء ولا شبهة، بل ركب القوم ما ركبوا بعد نبينهم وكذبوا على رسول الله ﷺ فهلكوا وهلك من شايعهم، وضلوا وضل من تابعهم، فبعداً للقوم الظالمين.

فقال معاوية: يا ابن عباس! إنك لتفوه بعظيم، والاجتماع عندنا خير من الاختلاف، وقد علمت أن الأمة لم تستقم على صاحبك.

فقال ابن عباس: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما اختلفت أمة بعد نبيا إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها!



أخبر النبي ﷺ عن تكريم ابنته الزهراء عليها السلام يوم القيامة!

روى السنة والشيعة أحاديث صحيحة في فاطمة الزهراء عليها السلام تدل على مقامها العظيم، وأنها سيدة نساء أهل الجنة، وأنها تعبر المحشر في موكب خاص، ويأمر الله الخلائق أن يحنوا رؤوسهم احتراماً وإجلالاً لها!

في تاريخ بغداد (١٣٦/٨): (عن عائشة قالت: قال رسول الله: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق طأطئوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد).

وفي سبل الهدى والرشاد للدمشقي (٥٠/١١): (روى تمام في الفوائد والحاكم والطبراني عن علي، وأبوبكر الشافعي عن أبي هريرة، وتمام عن أبي أيوب أبوالحسين بن بشران، والخطيب عن عائشة، والأزدي عن أبي سعيد بأسانيد ضعيفة إذا ضم بعضها إلى بعض أفاد القبول، أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش:

أيها الناس، وفي لفظ يا أهل الجمع: غضوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد إلى الجنة. وفي لفظ: حتى تمر على الصراط، فتمر وعليها ريطتان خضراوان).

وفي كشف الخفاء للعجلوني (٩٦/١): (رواه الحاكم عن علي ورواه أبوبكر الشافعي في الغيلانيات عن أبي هريرة بلفظ: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة إلى الجنة).

وفي ميزان الاعتدال للذهبي (٢/٦١٨): (عن عبد السلام بن عجلان، عن أبي يزيد المدني، عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: أول شخص يدخل الجنة فاطمة. أخرجه أبو صالح المؤذن في مناقب فاطمة). ومقتل الحسين للخوارزمي/٥٦، وفردوس الأخبار للديلمي (١/٣٨)، والخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٢٢٥) ونظم درر السمطين/١٨٠، ومناقب ابن شهر آشوب).

وفي أمالي الصدوق/٦٩، بسنده عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: (سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقه من نوق الجنة مدبجة الجنين، خطامها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها ياقوتتان حمراوان، عليها قبة من نور يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، داخلها عفو الله، وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركنًا، كل ركن مرصع بالدر والياقوت، يضيء كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك، وعن شمالها سبعون ألف ملك، وجبرئيل أخذ بخطام الناقة، ينادي بأعلى صوته: غضوا أبصاركم، حتى تجوز فاطمة بنت محمد ﷺ)!

أخبر النبي ﷺ عن تكريم ولده زين العابدين عليه السلام!

كتبنا في المجلد الرابع/ ٨، من جواهر التاريخ، في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام: (إن الذي سماه زين العابدين جده رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فقد كان الزهري: (إذا حدث عن علي بن الحسين قال: حدثني زين العابدين علي بن الحسين فقال له سفيان بن عيينة: ولم تقول له زين العابدين؟ قال: لأنني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين؟ فكأنني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي يخطر بين الصفوف). (علل الشرائع: ٢٢٩).

لكن رواية بني أمية غَضُّوا بهذا الحديث والإعجاز النبوي فتجاهلوه وقالوا: (سمي زين العابدين لفرط عبادته). (تهذيب التهذيب: ٧/٣٠٦).

وحرَّفه بعضهم وقال: إن الشيطان ظهر لعلي بن الحسين وأراد أن يلهيه عن صلاته فلم يستجب له ولعنه فسماه زين العابدين، أو سمع الناس هاتفاً سماه به!

وهذا أحد أساليبهم في التنقيص من أهل البيت ﷺ مع أن هذا السند عندهم من أصح الأسانيد على الإطلاق! قال ابن الصلاح/١٨: (روينا عن أبي بكر بن أبي شيبه قال: أصح الأسانيد كلها: الزهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي).

وسير الذهبية: ٣٩١/٤، وسلسلة الذهب لابن حجر ٩/، وغيرها.

وروى محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول/٣١: حديث جابر: (كنت مع رسول الله ﷺ والحسين في حجره وهو يلعبه، فقال: يا جابر يولد لابني الحسين ابن يقال له علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم سيد العابدين. فيقوم علي بن الحسين. ويولد لعلي ابن يقال له محمد، يا جابر إن رأيته فاقرأه مني السلام واعلم أن بقاءك بعد رؤيته يسير. فلم يعيش جابر بعده إلا قليلاً).

أخبر النبي ﷺ عن ولده محمد الباقر ﷺ!

كتبنا في المجلد الرابع/ ٨، من جواهر التاريخ، في سيرة الإمام الباقر ﷺ ملخصاً:

✽ (سماه جده ﷺ باقر علم النبوة وبشر به الأمة: وقد اشتهر ﷺ بهذا الاسم ورواه المؤلف والمخالف. قال الزبيدي في شرح القاموس (١٠٥/٦): (وقد ورد في بعض الآثار عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي قال له: يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدًا لي من الحسين يقال له محمد يبقّر العلم بقراً، فإذا لقيت فاقراه مني السلام. خرّجه أئمة النسب).

✽ وقال في لسان العرب (٧٤/١): (والتبقر: التوسع في العلم والمال. وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي الباقر، رضوان الله عليهم، لأنه بقّر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتبقر في العلم. لأنه بقّر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه).

✽ وصح عندنا حديث النبي ﷺ (الكافي: ٤٦٩/١)، عن الصادق ﷺ قال: (إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر إنك ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف في التوراة بالباقر، فإذا لقيت فاقراه مني السلام، فدخل جابر إلى علي بن الحسين فوجد محمد بن علي عنده غلاماً فقال له: يا غلام أقبل فأقبل، ثم قال: أدبر فأدبر، فقال جابر: شمائل رسول الله ﷺ ورب الكعبة، ثم أقبل علي بن الحسين

فقال له: من هذا؟ قال: هذا ابني وصاحب الأمر بعدي محمد الباقر، فقام جابر فوق على قدميه يقبلهما ويقول: نفسي لنفسك الفداء يا ابن رسول الله، إقبل سلام أبيك. إن رسول الله يقرأ عليك السلام. قال: فدمعت عينا أبي جعفر ثم قال: يا جابر على أبي رسول الله السلام ما دامت السماوات والأرض، وعليك السلام يا جابر بما بلغت).

✽ وفي تاريخ يعقوبي (٣٢٠/٢): (وكان يسمى أبا جعفر الباقر لأنه بقر العلم. قال جابر بن عبد الله الأنصاري: قال لي رسول الله ﷺ: إنك ستبقى حتى ترى رجلاً من ولدي أشبه الناس بي، إسمه على اسمي، إذا رأيته لم يخف عليك، فآقرئه مني السلام! فلما كبرت سنُّ جابر وخاف الموت جعل يقول: يا باقر يا باقر أين أنت؟ حتى رآه فوق عليه يقبل يديه ورجليه وهو يقول: بأبي وأمي شبيه أبيه رسول الله! إن أباك يقرؤك السلام).

✽ ورواه من السنة أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية/٣٢، ونصه: (يا جابر إنك ستعيش حتى تدرك رجلاً من أولادي اسمه اسمي، يقر العلم بقرأ، فإذا رأيته فآقرأه مني السلام، ففعل ذلك جابر ﷺ).

ورواه ابن قتيبة في عيون الأخبار (٩١/٢) وفيه: (يا جابر إنك ستعيش بعدي حتى يولد لي مولود اسمه كاسمي يقر العلم بقرأ فإذا لقيته فآقرئه مني السلام). ورواه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج (٢٧٧/١٥) مرسلًا وصححه، قال: (وهو سيد فقهاء الحجاز ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه، وهو الملقب بالباقر باقر العلم، لقبه به رسول الله ﷺ ولم يُخلق بعد، وبشر به ووعد جابر بن عبد الله برؤيته وقال: ستره طفلاً، فإذا رأيته فأبلغه عني السلام)!

ورواه ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة (٨٨٢/٢) وفيه: (يقر العلم بقرأ، أي يفجره تفجيراً، فإذا رأيته فآقرأه عني السلام).

✽ ورواه الزرندي الشافعي في معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول/١٢٢، قال: (سماه رسول الله الباقر، وأهدى إليه سلامه على لسان جابر بن عبد الله فقال: يا جابر إنك تعيش حتى تدرك رجلاً من أولادي اسمه اسمي يقر العلم بقرأ، فإذا رأيته فآقرأه مني السلام. فأدركه جابر بن عبد الله الأنصاري وهو صبي في الكتاب فآقرأه عن رسول الله وقال: هكذا أمرني رسول الله ﷺ).

✽ ورواه ابن حجر الهيتمي في الصواعق (٥٨٥/٢)، قال: (أبو جعفر محمد الباقر، سمي بذلك من بَقَر الأرض أي شققها وأثار مخبئاتها ومكامنها، فكَذلك هو أظهر من مخبئات كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه، عمرت أوقاته بطاعة الله وله من الرسوخ في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة. وكفاه شرفاً أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير: رسول الله يسلم عليك، فقل له وكيف ذاك؟ قال: كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه فقال: يا جابر يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم سيد العابدین، فيقوم ولده. ثم يولد له ولد اسمه محمد الباقر، فإن أدركته يا جابر فاقرئه مني السلام).

✽ وقال محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول/٨١ وطبعة ٤٢٥: (الإمام محمد الباقر: هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، ومتفوق دره وواضعه، ومنمق دره وراضعه، صفا قلبه وزكا عمله، وطهرت نفسه، وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت عليه سمات الإزدلاف، وطهارة الإجتباء، فالمناقب تسبق إليه، والصفات تشرف به).

✽ وقال في شرح إحقاق الحق (٢٣٤/٢٨): (رواه في سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب/٣٢٩، طبعة بيروت، وفيه: يا جابر يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين اسمه كاسمي، يقر العلم بقرأ، أي يفجره تفجيراً).

✽ وقال في هامش نهج الحق/٢٥٧، إن الخطيب في تاريخ بغداد (٢٠٤/٢) رواه، ولم نجده هناك فلا بد أن تكون يد المحررين حذفته من المطبوع!

أقول: إنما سماه النبي ﷺ (الباقر) باقر العلم، لأنه يعلم أن علم النبوة سيظمسه الحكام، ويأتي في أواخر القرن الأول محمد بن علي بن الحسين، فيبقره ويشق عنه!

بشر النبي ﷺ الأمة بالأئمة الإثني عشر من عترته ﷺ!

من سنة الله تعالى في أنبيائه ﷺ أن يورث عترتهم الكتاب، كما قال تعالى: ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا. وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. والذين اصطفاهم الله هم علي وأبناؤه من فاطمة ﷺ، فالسابقون بالخيرات الأئمة المعصومون ﷺ منهم، والمقتصد المؤمن بهم منهم، والظالم لنفسه من حسدهم وأنكرهم! ولا يستقيم معنى الآية إلا بهذا التفسير.

وقد بلغ النبي ﷺ ولاية عترته بحكمة بالتدرج بالتلويع والتصريح، لعلمه بحسد قريش لهم، وبشر بالأئمة الإثني عشر منهم في حجة الوداع لكن رواة قريش أبهموا كلامه وحذفوا منه! ❖ ففي صحيح بخاري (١٢٧/٨): «يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش»!

❖ وفي صحيح مسلم: ٣/٦: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش»! ثم روى ثانية وفيها: «ثم تكلم بشئ لم أفهمه». وثالثة فيها: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة، فقال كلمة صَمَّنِيهَا النَّاسُ! فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش».

مسكين هذا الراوي القرشي أصمه الناس فجعلوه أصم لا يسمع، بصراخهم وضجيجهم، وهم الصحابة المحرمون لرهم المنصتون لخطبة نبيهم ﷺ!

ولم يقل بخاري إن هذا الحديث من خطب حجة الوداع!

لكن عدداً من المصادر قالت، كمسند أحمد: ٩٣/٥ و ٩٦ و ٩٩: «عن جابر بن سمره قال: خطبنا رسول الله بعرفات». وفي ٨٧: «يقول في حجة الوداع». وفي ٩٩: «سمعت رسول الله يخطب بمنى».

وهذا يعني أنه ﷺ كرهه في عرفات ومنى، ثم أعلنه صريحاً في غدير خم!

✽ وأصل الحديث: اثنا عشر إماماً كلهم من أهل بيتي غرسوا في هذا البطن من هاشم، لكن راوي السلطة قال: «قال كلمة لم أفهمها، قلت لأبي: ما قال؟ قال: قال كلهم من قريش». (أحمد: ١٠٠/٥ و ١٠٧).

✽ وزعم أحمد (٩٠/٥ و ٩٨) أن النبي ﷺ أخفاها وخفض بها صوته وهمس بها همساً!

✽ وروى الحاكم (٦١٧/٣): «قال كلمة خفيت عليّ، وكان أبي أدنى إليه مجلساً مني فقلت: ما قال؟ فقال كلهم من قريش».

✽ وروى الحاكم (٦١٨/٣): «فقلت لعمي وكان أمامي: ما قال يا عم؟ قال: قال يا بني: كلهم من قريش».

✽ وفي الطبراني الكبير (٢١٣/٢ و ٢١٤): «قال: يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً لا يضرهم من خذلهم، ثم همس رسول الله ﷺ بكلمة لم أسمعها، فقلت لأبي: ما الكلمة التي همس بها النبي؟ قال أبي: كلهم من قريش».

فالناس المحرمون المصغون لكل كلمة، صاروا عند الكلمة الحساسة مشاغبين: يلغظون، ويضجون، ويكبرون، ويتكلمون، ويقومون ويقعدون!

ففي سنن أبي داود (٣٠٩/٢): «قال: فكبر الناس وضجوا، ثم قال كلمة خفية، قلت لأبي: يا أبة ما قال؟ قال: كلهم من قريش».

وفي مسند أحمد (٩٨/٥): أصمّنيها الناس. وفي صحيح مسلم: صمّنيها الناس.

فهل سمعت بأمة يودعها نبيها ويشرها بأئمة ربانيين بعده أئمة علمهم من الرب أعدهم وعلمهم ليقودوا الأمة بعد وفاة رسولها، فتلغظ في خطبته وتقوم وتقعّد وتضجّ حتى تضعع هوية هؤلاء الربانيين في عشرين قبيلة!

وهل سمعت بأمة يشرها نبيها ﷺ بأن الله عز وجل حلّ مشكلة القيادة فيها، وعين لها اثني عشر إماماً ربانياً، ثم تقول إنه لم يحدد هويتهم لا بأسمائهم ولا بأسرّتهم، بل ضيعهم في كل قبائل قريش، ثم لم يسأله أحد من أمته من هم؟!

ويكفيك دليلاً أنهم رويوا أن النبي ﷺ أعاد البشارة بالأئمة الإثني عشر بعد رجوعه من الحج في المدينة، فخفيت على الراوي نفس الكلمة عن هويتهم!

ففي مسند أحمد (٩٢/٥) أن النبي ﷺ قال: (يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش. قال: ثم رجع إلى منزله، فأتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج). أي رجع إلى منزله في المدينة، ومعناه أنه أعاد النص عليهم بعد عودته من حجة الوداع وأهمل تحديد هويتهم أيضاً، فجاءته قريش، وقريش في المدينة تعني عمر وجماعته، ولم يسألوه عن تحديد هوية الخلفاء أو الأئمة الإثني عشر بل عما يكون بعدهم، فزعموا أنه قال يكون بعدهم الفوضى والضعف والإقتال مقدمة لقيام القيامة! فقد أبعدوهم عن عصرهم وجعلوهم قرب يوم القيامة! وإذا فسرنا: رجع إلى منزله في الحديث، بمنزله في الحج بمنى، يأتي الكلام نفسه!

أحاديث البشارة النبوية بالأئمة لإثني عشر عندنا متواترة

ألف الفقيه المحدث الخزاز الرازي القمي رحمه الله من علماء القرن الرابع، كتاباً سماه: كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر، روى عن عدد من الصحابة أحاديث نص فيها النبي ﷺ على الأئمة الإثني عشر بعده.

❖ منها صفحة ٦١: (حدثنا علي بن حسن بن مندة قال: حدثنا أبو محمد بن هارون بن موسى رضي الله عنه، قال حدثنا محمد بن يعقوب الكليني، قال حدثني محمد بن يحيى العطار، عن سلمة بن الخطاب، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة وصالح بن عقبة، جميعاً عن علقمة بن محمد الحضرمي، عن جعفر بن محمد رضي الله عنه).

وحدثنا محمد بن وهبان قال: حدثنا علي بن الحسين الهمداني قال: حدثنا عبد الله بن سليمان الحضرمي قال: حدثنا الحسن بن سهل الخياط قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن محمد رضي الله عنه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ للحسين بن علي رضي الله عنهما: يا حسين يخرج من صلبك تسعة من الأئمة، منهم مهدي هذه الأمة، فإذا استشهد أبوك فالحسن بعده، فإذا سُم الحسن فانت، فإذا استشهدت فعلي ابنك، فإذا مضى علي فمحمد ابنه، فإذا مضى محمد فجعفر ابنه، فإذا مضى جعفر فموسى ابنه، فإذا مضى موسى فعلي ابنه، فإذا مضى علي فمحمد ابنه، فإذا مضى محمد فعلي ابنه، فإذا مضى علي فالحسن ابنه، فإذا مضى الحسن فالحجة بعد الحسن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً).

❖ وفي صفحة ٧٣: (حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش الجوهري قال: حدثنا محمد بن أحمد الصفواني قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحمصي قال: حدثنا ابن حماد، عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك، قال: صلى بنا رسول الله صلاة الفجر، ثم أقبل علينا فقال: معاشر أصحابي من أحب أهل بيتي حشر معنا، ومن استمسك بأوصيائي من بعدي فقد استمسك بالعروة الوثقى.

فقام إليه أبوذر الغفاري فقال: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقباء بني إسرائيل، قال: كلهم من أهل بيتك؟ قال: كلهم من أهل بيتي، تسعة من صلب الحسين، والمهدي منهم).

❖ وفي صفحة ١٣٢: (أخبرنا أحمد بن محمد بن عبيد الله الحسن العطاردي قال: حدثني جدي عبيد الله بن الحسن، عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال: حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي قال: حدثنا جعفر بن سلمان الضبعي، عن يزيد الرشك ويقال قيس فقير، عن مطرف بن عبد الله، عن عمران بن حصين قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: معاشر الناس إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيراً. فقام إليه سلمان فقال: يا رسول الله أليس الأئمة بعدك من عترتك؟ قال: نعم الأئمة بعدي من عترتي عدد نقباء بني إسرائيل، تسعة من صلب الحسين، ومنا مهدي هذه الأمة، فمن تمسك بهم فقد تمسك بحبل الله، لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، واتبعوهم فإنهم مع الحق والحق معهم، حتى يردوا علي الحوض).

❖ وفي صفحة ١٣٢: (باب ما جاء عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ في النصوص على عدد الأئمة عليه السلام: حدثنا علي بن الحسن بن محمد قال: حدثنا هارون بن موسى قال: حدثنا جعفر بن علي بن سهل الدقاق الدوري قال: حدثنا علي بن الحارث المروزي قال: حدثنا أيوب بن عاصم الهمداني قال: حدثنا حفص بن غياث، عن يزيد بن مكحول، عن واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ناداني ربي جل جلاله فقال: يا محمد. فقلت: لبيك سيدي. قال: إني ما أرسلت نبياً فانقضت أيامه إلا أقام بالأمر بعده وصيه، فاجعل علي بن أبي طالب الإمام والوصي من بعدك فإني خلقتكما من نور واحد وخلقت الأئمة الراشدين من أنوار كما، أحب أن تراهم يا محمد؟ قلت: نعم يا رب. قال: إرفع رأسك. فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار الأئمة بعدي اثنا عشر نوراً، قلت: يا رب أنوار من

هي؟ قال: أنوار الأئمة بعدك أمناء معصومون.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد قال: حدثنا الحسين بن علي البزوفري قال: حدثنا محمد بن إسحاق الأنصاري قال: حدثنا علي بن الحسين قال: حدثنا عيسى بن يونس قال: قال ثور يعني ابن يزيد، عن خالد بن معدان، عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: أنزلوا أهل بيتي بمنزلة الرأس من الجسد وبمنزلة العينين من الرأس، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعينين، اقتدوا بهم من بعدي لن تضلوا. فسألنا عن الأئمة قال: الأئمة بعدي من عترتي عدد نقباء بني إسرائيل).

❖ وفي صفحة ١٨٨: (فأخذ النبي فأجلسه على فخذه فقال له جبرئيل: أما إنه سيقتل. فقال رسول الله ﷺ: ومن يقتله؟ قال: أمتك تقتله! قال رسول الله ﷺ: تقتله! قال: نعم وإن شئت أخبرتك بالأرض التي يقتل فيها، وأشار إلى الطف بالعراق وأخذ منه تربة حمراء فأراها وإياها وقال: هذه من مصرعه، فبكى رسول الله ﷺ فقال له جبرئيل: يا رسول الله لا تبك فسوف ينتقم الله منهم بقائمتكم أهل البيت. فقال رسول الله ﷺ: حبيبي جبرئيل ومن قائمتنا أهل البيت؟ قال: هو التاسع من ولد الحسين، كذا أخبرني ربي جل جلاله أنه سيخلق من صلب الحسين ولداً وسماه عنده علياً، خاضعاً لله خاشعاً، ثم يخرج من صلب علي ابنه وسماه محمداً، قانتاً لله ساجداً، ثم يخرج من صلبه ابنه وسماه عنده جعفرأ، ناطقاً عن الله صادقاً في الله، ويخرج الله من صلبه ابنه وسماه عنده موسى واثقاً بالله محباً في الله، ويخرج الله من صلبه ابنه وسماه عنده علياً الراضي بالله والداعي إلى الله عز وجل، ويخرج من صلبه ابنه وسماه عنده محمداً المرغب في الله والذاب عن حرم الله، ويخرج من صلبه ابنه وسماه عنده علياً المكتفي بالله والولي لله، ثم يخرج من صلبه ابنه وسماه الحسن مؤمناً بالله مرشداً إلى الله، ويخرج من صلبه كلمة الحق ولسان الصدق، ومظهر الحق حجة الله على بريته، له غيبة طويلة يظهر الله تعالى به الإسلام وأهله، ويخسف به الكفر وأهله).

❖ وفي صفحة ١٩٥: بسنده عن سهل بن سعد الأنصاري قال: سألت فاطمة بنت رسول الله ﷺ عن الأئمة فقالت: كان رسول الله يقول لعلي عليه السلام: يا علي أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنه علي

بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمة الحق والسنة الصديق، منصور من نصرهم مخذول من خذلهم).





الفصل الثاني والخمسون

أخبر النبي ﷺ أمته بأنها ستسقط في الفتن بعده مباشرة!

قال لهم: إن الفتن على أبوابهم تنتظر وفاته!

عرض النبي ﷺ وهو على فراش المرض على أمته كنزاً لم يعرضه نبي على أمته أبداً! أن تلتزم بإطاعة عهده الذي سيكتبه فيضمن لها أن تكون على الهدى ولا تضل أبداً، وتكون سيدة الأمم إلى يوم القيامة! فواجهه عمر بن الخطاب ورفض أن يكتب عهده، وأيده طلقاء قريش وكانوا كثروا في المدينة وصاحوا: القول ما قاله عمر! لا تقربوا له دواة وقرطاساً، حسبنا كتاب الله! أي نرفض سنتك ولا نريد أن تكتب لنا عهداً! ولدخل في الفتن والضلال!

وقد دافع أتباع عمر عن موقفه ضد النبي ﷺ وما زالوا إلى اليوم! وقد رواه بخاري في سبعة مواضع من كتابه! وروى أن النبي ﷺ طردهم!

وقال أسامة بن زيد: (أشرف النبي على أطم من أطام المدينة فقال: هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر).

وقالت أم سلمة: (استيقظ النبي ذات ليلة فقال سبحانه الله ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا فُتح من الخزائن! أيقظوا صواحب الحجر، فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة!) (البخاري: ٣٧/١). وقال عبد الله بن عمر: (رأيت رسول الله يشير إلى المشرق فقال: ها إن الفتنة ههنا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان). (البخاري: ٩٣/٤).

وقال عبد الله بن عمر: (قام النبي خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة ثلاثاً، من حيث يطلع قرن الشيطان). (البخاري: ٤٦/٤).

وقال أبوذر: (سمعتة يقول: غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال، فلما خشيت أن يدخل منزله قلت: يا رسول الله أي شيء أخوف على أمتك من الدجال؟ قال: الأئمة المضلون). (مسند أحمد: ١٤٥/٥).

وروى الطبراني في الكبير (٦٩/٢٢) ومسند الشاميين (٥٦١/٣: ١٢٤): قال ﷺ: يوحى إليّ أني مقبوض غير ملبث، وإنكم متبعي أفناداً، يضرب بعضكم رقاب بعض. ثم تأتون من بعدي أفناداً! يقتل بعضكم بعضاً).

وهذه نصوص نبوية صريحة في أصح كتب أتباع الخلافة بأن الفتنة في بيوتهم وفي بيت عائشة و تبدأ بوفاته! فهي فتنة يسقط فيها الصحابة وبعض نساء النبي ﷺ!

وأخبر أمته بأن الفتنة تبدأ بظلمهم لأهل بيته ﷺ

تقدم في فصل أحقاد قریش وبغضها لني هاشم، الحديث الصحيح المتواتر عند الجميع عن ابن مسعود، وفيه قول النبي ﷺ: (إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاء وتطريداً وتشريداً، حتى يأتي قوم من هاهنا من نحو المشرق أصحاب رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه مرتين أو ثلاثاً..) وقد ذكرنا مصادره.

وقالت الزهراء ﷺ صدق أبي ﷺ فقد سقطوا في الفتنة!

قالت الزهراء ﷺ في خطبتها الشهيرة في المسجد بعد وفاة أبيها ﷺ: (فلما اختار الله لنيه ﷺ دار أنبيائه ومأوى أصفياه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلاباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ حامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم ووردم غير شربكم. هذا، والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة! ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين..). «الإحتجاج: ١٣١/١».

أخبر النبي ﷺ أمته بأنها ستسقط في الفتن بعده مباشرة! ١٧٧

وعملت قريش لتبعد أحاديث الفتنة عن عصر خلفائها!

فقد سارعت قريش وحرقت أحاديث الفتن وأخرت وقتها عن زمن خلفائها، وقالت إنها فتن بين يدي الساعة! فصار عليك الحذر من أحاديثهم في الفتن!

وقالوا إن كان ولا بد فالفتنة بدأت بمقتل عثمان وخلطوا خلافة علي عليه السلام بمقتل عثمان فصارت خلافته من الفتنة! فقبل مقتل عثمان لا فتنة عندهم، وبعد أن سيطر ابن عمه معاوية الأموي لا فتنة عندهم!

قال البخاري (٢٠/٥): (وقعت الفتنة الأولى يعني مقتل عثمان، فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية يعني الحرة فلم تبق من أصحاب الحديبية أحداً. ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طُباح). أي من فيه خير!

قادة الفتن أئمة مضلون دعاة إلى النار أخطر من الدجال!

في صحيح مسلم (٢٢١٥/٤) وأحمد (١٢٣/٤) عن شداد بن أوس قال النبي ﷺ: (إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين).

وابن ماجة (١٣٠٤/٢) وفيه: وستعبد قبائل من أمتي الأوثان، وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين.. ولن تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل. قال أبو الحسن (راوي ابن ماجة): لما فرغ أبو عبد الله (ابن ماجة) من هذا الحديث قال: ما أهول له! وينحوه أبوداود: ٩٧/٤، والترمذي: ٤١٠/٤، وحسنه وصححه. والبيهقي: ١٨١/٩. وصحح مجمع الزوائد: ٢٣٩/٥، آخره برواية أحمد. وكذا الألباني / ٧، أوله عن مسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجة وأحمد.

وروى أحمد (١٤٥/٥) عن أبي ذر قال: (كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: لَعَنُ الدجال أخوفني على أمتي، قالها ثلاثاً، قال قلت: يا رسول الله، ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك؟ قال: أئمة مضلون). وابن أبي شيبة (١٤٢/١٥) وأحمد (٣٨٩/٥) وصححه الزوائد (٣٣٥/٧) والألباني / ٢٧١ ح ٥٤.

وفي البخاري (٢٠٧/٣): (وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فمر به النبي ﷺ ومسح عن رأسه الغبار، وقال: ويح عمار تقتله الفئة الباغية! عمار، يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام (الكافي: ٦٢/١، ونهج البلاغة: ١٨٨/٢): (سأله سائل عن أحاديث البدع وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً. ولقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيباً فقال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله ﷺ رأى وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك فقال عز وجل: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ إثم بقوا بعده، وتقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله!

فشل رواة السلطة في تنزيه الصحابة عن الفتن!

لا يمكنهم إبعاد أحاديث الفتن والأئمة المضلين عن الصحابة، لأن أحاديث الحوض الصحيحة عندهم نصّت على أن أكثر الصحابة يُغيّرون ويبدّلون بعد النبي ﷺ فيدخلون النار! بل نصت رواية بخاري على أنهم في النار ولا ينجو منهم إلا قلة كهمل النعم، يخالفون البقية ويتعدون عن قطيعهم!

فقد روى في صحيحه (٢٠٨/٧) أن النبي ﷺ وصف الصحابة في المحشر فقال: (بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ! قلت: أين؟! قال: إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همّل النعم).

ومعناه أن الأئمة المضلين منهم!

وفشلوا في إبعاد الفتن عن الصحابة وعصرهم، لأن النبي ﷺ أخبرهم بأنهم سيقتلون

أخبر النبي ﷺ أمته بأنها ستسقط في الفتن بعده مباشرة! ١٧٩

الحسين عليه السلام، قال ابن عباس: (إن رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم فدخل الحسين فقال ﷺ: كأي أنظر إليه وقد رُمي بسهم فخرّ عن فرسه صريعاً، ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً! ثم بكى رسول الله ﷺ وبكى من حوله وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثم قام وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي بعدي، ثم دخل منزله «! (أمالي الصدوق/١٧٥).

وروى الحاكم (١٤٩/٣) عن أبي هريرة قال: (نظر النبي ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: أنا حربٌ لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم. وصححه واستشهد بحديث زيد بن أرقم: أنا حربٌ لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم).

كما رَواه عن زيد بن أرقم والخدري وأم سلمة وغيرهم، وأن النبي ﷺ قاله مكرراً لما نزلت آية التطهير فكان يذهب أربعين صباحاً إلى باب دار علي عليه السلام فيدق عليهم الباب ويقرأ الآية ويقول هذا الكلام، وأنه قاله في حيٍّ في المدينة، وفي مرض وفاته، وفي مناسبات أخرى!

ونحوه مسند أحمد (٤٤٢ / ٢) وابن ماجه (٥٢ / ١) والترمذي (٣٦٠ / ٥) والزوائد (١٦٩ / ٩) وابن شيبه (٥١٢ / ٧) وأما المصنف (٤٤٧)، وابن حبان (٤٣٤ / ١٥) وأوسط الطبراني (١٧٩ / ٣)، و: ١٨٢ / ٥، و: ١٩٧ / ٧، والأصغر (٣ / ٢) والأكبر (٤٠ / ٣) و: ١٨٤ / ٥، وفضائل سيدة النساء لعمر بن شاهين / ٢٩، وموارد الظمآن (٢٠١ / ٧) وتفسير الثعلبي (٣١١ / ٨) وشواهد التنزيل (٤٤ / ٢) وتاريخ بغداد (١٤٤ / ٧) وتاريخ دمشق (٢١٨ / ١٣)، و: ١٤٤ / ١٤، وسير الذهبية (١٢٢ / ٢).

وفي النهاية لابن كثير (٢٠٥/٨): (عن محمد بن عمرو بن حسن قال: كنا مع الحسين بنهري كربلاء، فنظر إلى شمر بن ذي الجوشن فقال: صدق الله ورسوله، قال رسول الله ﷺ: كأي أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي! وكان شمر قبحه الله أبرص).

وتبلغ فتنهم أوجها بسفك دماء عترة النبي ﷺ

فقد رويناه في أحاديث الأئمة المضلين تحذير النبي ﷺ من أنهم سيسفكون دماء عترة ﷺ لكن رواة الخلافة حذفوا ذلك!

ففي أمالي الطوسي (١٢٦/٢) وطبعة (٥١٢) عن عبد الله بن يحيى الحضرمي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كنا جلوساً عند النبي ﷺ وهو نائم ورأسه في حجر في فتدكرنا الدجال فاستيقظ النبي محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم من الدجال: الأئمة المضلون، وسفك دماء عتري

من بعدي، أنا حربٌ لمن حاربهم وسلمٌ لمن سالمهم).

وفي أمالي الطوسي/٦٥، وأمالي المفيد/٢٨٨، عن علي عليه السلام قال: (لما نزلت على النبي ﷺ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، قال لي: يا عليُّ لقد جاء نصر الله والفتح، فإذا رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. يا علي إن الله تعالى قد كتب على المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم جهاد المشركين معي. فقلت: يا رسول الله وما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد؟ قال: فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وهم مخالفون لستتي وطاعنون في ديني! فقلت: فعلى مَن نقاتلهم يا رسول الله، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؟ فقال: على إحدائهم في دينهم وفراقهم لأمري، واستحلهم دماء عترتي.

قال فقلت: يا رسول الله، إنك كنت وعدتني الشهادة فسل الله تعجيلها لي. فقال: أجل قد كنت وعدتك الشهادة فكيف صبرك إذا خُضبت هذه من هذا؟ وأومى إلى رأسي ولحيتي، فقلت: يا رسول الله أما إذا بَيَّنَّتْ لي ما بينت فليس هذا بموطن صبر لكنه موطن بشرى وشكر! فقال: أجل فأعدَّ للخصومة فإنك تخاصم أمتي. قلت: يا رسول الله أرشدني الفلج. قال: إذا رأيت قوماً قد عدلوا عن الهدى إلى الضلال فخاصمهم، فإن الهدى من الله والضلال من الشيطان. يا علي إن الهدى هو أتباع أمر الله دون الهوى والرأي، وكأنك بقوم قد تأولوا القرآن وأخذوا بالشبهات، واستحلوا الخمر بالنبذ، والبخس بالزكاة، والسحت بالهدية!

قلت: يا رسول الله فما هم إذا فعلوا ذلك أهم أهل ردة أم أهل فتنة؟ قال: هم أهل فتنة يعمهون فيها إلى أن يدرتهم العدل! فقلت: يا رسول الله العدل منا أم من غيرنا؟ فقال: بل منا، بنا يفتح الله وبنا يختم، وبنا ألفت الله بين القلوب بعد الشرك، وبنا يؤلف الله بين القلوب بعد الفتنة، فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله).

أقول: فالفتنة التي نص عليها النبي ﷺ تأتي بعد وفاته مباشرة، وهي انحراف الأمة عن أهل بيته عليه السلام، وقد روت مصادرهم جزءاً من هذا الحديث وحذفوا منه ذكر الأئمة المضلين! وهذه عاداتهم في تجزئة الأحاديث وتضييعها!



الفصل الثالث والخمسون

أتم النبي ﷺ الحجة على أمته بالحسين عليهما السلام!

أنكروا أحاديث النبي ﷺ بأن أمته سقتل ابنه الحسين عليهما السلام!

لما ولد الحسين عليهما السلام أخذ تربة قبره التي جاء بها جبرئيل عليهما السلام إلى المسجد وقال للصحابه وهو يبكي إنهم سيقتلونه!

ثم حملة طفلاً إلى المسجد وأعاد كلامه وبكاءه!

ثم لما بلغ سنتين أخذه إلى المسجد وصعد به المنبر وأعاد كلامه وبكاءه!

وكان كلامه يهز حتى أحجار المقابر، ولكنهم سكتوا سكوت الجمادات!

وكان القرشيين فرحوا بأنه يقول إنهم سيتصرون على عترته بعده!

وقد فصلنا ذلك في كتابنا: الجديد في الحسين عليهما السلام، ومما جاء فيه:

✽ جاء جبرئيل عليهما السلام إلى النبي ﷺ بقبضة من تربة كربلاء: فقد روى ابن قولويه في كامل الزيارات ١٢٨/، بسند صحيح عن الصادق عليهما السلام قال: (إن جبرئيل أتى رسول الله ﷺ، والحسين عليهما السلام يلعب بين يديه، فأخبره أن أمته ستقتله، قال: فجزع رسول الله ﷺ، فقال: ألا أريك التربة التي يقتل فيها، قال: فخنس ما بين مجلس رسول الله ﷺ إلى المكان الذي قتل فيه الحسين عليهما السلام حتى التقت القطعتان فأخذ منها، ودحيت في أسرع من طرفه عين، فخرج وهو يقول: طوبى لك من تربة وطوبى لمن يقتل حولك.

قال: وكذلك صنع صاحب سليمان، تكلم باسم الله الأعظم فخنس ما بين سرير سليمان وبين العرش من سهولة الأرض وحزونها، حتى التقت القطعتان فاجترأ العرش، قال سليمان:

يخيل إلي أنه خرج من تحت سريري، قال: ودُحيت في أسرع من طرفة العين).

❖ وفي مجمع الزوائد (٩١٨/٩): (عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي رسول الله في بيتي فنزل جبريل فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، وأوماً بيده إلى الحسين! فبكى رسول الله ﷺ وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة وديعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله وقال: ريح كرب وبلاء! يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل! قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً تحوّلين دماً ليوم عظيم!) (تهذيب ابن حجر: ٣٠١/٢).

وهو حديث متواتر في مصادرنا، ومستفيض في مصادر السنين، ومنه رواية الطبراني وأحمد، وقد وثقها الهيثمي في (مجمع الزوائد: ١٨٨/٩) وفيها أن النبي ﷺ كان ينشج نشيجاً. وصححوه (مجمع الزوائد: ١٨٥/٩).

قرأ النبي ﷺ تعزية الحسين عليه السلام وحذر قاتليه ومسببي قتله!

روى الطبراني (٢٨٥/٨): (فقال جبريل عليه السلام: إن أمتك ستقتل ابنك هذا! فقال النبي ﷺ: يقتلونه وهم مؤمنون بي؟ قال: نعم يقتلونه! فتناول جبريل تربة فقال بمكان كذا وكذا! فخرج رسول الله ﷺ قد احتضن حسيناً كاسف البال مهموماً إلى أصحابه وهم جلوس فقال لهم: إن أمتي يقتلون هذا! وفي القوم أبو بكر وعمر وكانا أجرأ القوم عليه فقالا: يا نبي الله يقتلونه وهم مؤمنون! قال: نعم، وهذه تربته، وأراهم إياها!)

وفي رواية: أن عمر سأله: وهم مؤمنون؟ فقال: يقتلونه، ولم يشهد بإيمانهم.

وقال في (مجمع الزوائد: ١٨٨/٩): (كان رسول الله جالساً ذات يوم في بيتي قال: لا يدخل عليّ أحد، فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج رسول الله ﷺ يبكي فأطلت، فإذا حسين في حجره والنبي يمسح جبينه وهو يبكي فقلت: والله ما علمت حين دخل فقال إن جبريل عليه السلام كان معنا في البيت، قال أفتحبه؟ قلت: أما في الدنيا فنعم، قال إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء! فتناول جبريل من تربتها فأراها النبي ﷺ فلما أحيط بحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا كربلاء. فقال صدق الله ورسوله: أرض كرب وبلاء. رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها ثقات).

المشهد العجيب بين النبي ﷺ وأتمه!

لما جاءه جبرئيل عليه السلام بترية الحسين عليه السلام هرع النبي ﷺ الى المسجد: (كاسف البال مهموماً، إلى أصحابه وهم جلوس، فقال لهم: إن أمتي يقتلون هذا! وفي القوم أبو بكر وعمر!) (الطبراني (٢٨٥/٨).

فلم ينفجروا بالبكاء، ولا صعقوا من التعجب، ولا نسوا بنت شقة!

ولا سألوه عن الخبر الفادح، وهل يمكنهم منع قتل الحسين عليه السلام؟!

والسبب أنهم منذ فتح مكة يعملون لعزل أهل بيت النبي ﷺ من بعده، وقد فهموا من هذا الخبر بقتل الحسين عليه السلام ما لم يفهمه غيرهم! فهموا أن مشروعههم بعزل أهل بيت النبي ﷺ سينتصر! فهم بالفرح أولى منهم بالبكاء!

ولعلم فهموا أنه أن علياً سيقاومهم ويقتل هو وأولاده، فليكن ذلك!

لك الله يارسول الله، تخبرهم بارتدادهم وقتلهم ابنك، فكأنك تخبرهم بالنصر على عترتك! وتقول لهم: ستتحرفون بعدي وتقتلون ولدي هذا، ثم يسكتون ويمسحون بشواربهم! وهذا يعني كشف ما سيفعلون باختيارهم ولا يعني الجبر، فحاشا لله العادل أن يجبر أحداً على معصيته ثم يعاقبه، بل أتم الحجّة عليهم فلم ينفعهم!

أحاديث النبي ﷺ مطابقة لنص التوراة والإنجيل

قال الحسين عليه السلام لأصحابه: إن جدي رسول الله ﷺ قال لي: يا بُنَيَّ إنك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين عليهم السلام، وهي أرض تدعى عمورا، وإنك تستشهد بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد، وتلا: قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. تكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً. فأبشروا فوالله لئن قتلونا فإننا نردّ على نبينا ﷺ).

هذا واحد من النصوص التي ربطت شهادة الحسين عليه السلام بالأنبياء السابقين عليه السلام. وقد وصفت التوراة في سفر إرميا ذبيحة لله في كركميش على شاطئ الفرات.

وكتبت عالمة اللاهوت إيزابيل بنيامين ماما آشوري ما خلاصته:

عندما بحثت في معجم الكتاب المقدس وجدت أن كركميش تعني كربلاء فمن هذا السيد الذي ذُبح بجانب شط الفرات، ولماذا يصف الكتاب المقدس هذه الواقعة، وكأن مصير البشرية يتوقف عليها؟

جاء في سفر إرمياء الإصحاح ٤٦، النبوءة التالية وهي تحكي عن المستقبل البعيد حيث كان وصف إرمياء النبي صحيحاً مائة بالمائة، فقد كان الوصف مهيباً رهيباً، كأنك ترى ذلك المقتول والجيوش التي التفت حوله:

(أسرجوا الخيل، واصعدوا أيها الفرسان وانتصبوا بالخذ، إصقلوا الرماح، إلبسوا الدروع. لماذا أراهم مرتعين ومدبرين إلى الوراء، وقد تحطمت أبطاهم وفروا هارين، في الشمال بجانب نهر الفرات، حيث عثروا وسقطوا لأن للسيد رب الجنود ذبيحة عند شط الفرات.

(من هذا الصاعد كالنيل كأنهار تتلاطم أمواها. تصعد مصر كالنيل وكأنهار تتلاطم المياه. فيقول أصعد وأغطي الأرض. أهلك المدينة والساكنين فيها. إصعدي أيتها الخيل وهيجي أيتها المركبات ولتخرج الأبطال. كوش وفوط القابضان. المجن واللوديون القابضون والمادون القوس. فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للإنتقام من مبغضيه فيأكل السيف ويشبع ويرتوي من دمه. لأن للسيد رب الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات. إصعدي إلى جلعاد وخذي بلساناً يا عذراء بنت مصر باطلاً تكثرين العقاقير. لارفادة لك. قد سمعت الأمم بخزبك وقد ملأ الأرض عويلك، لأن بطلاً يصدم بطلاً فيسقطان كلاهما معاً).

تقول النبوءة عن أسباب ذهاب هذا السيد إلى ذلك المكان:

ذهب ليُرْد سلطته، إلى كركميش ليُحارب عند الفرات في الصحراء العظيمة التي يُقال لها رعاوي عند الفرات).

وكلمة كركميش تعني كربلاء، وكلمة رعاوي هي الصحراء الواسعة التي تمتد من حدود بابل إلى عرعر والتي يسميها الكتاب المقدس رعاوي، وهي بالقرب من مدفن مقدس لأهل الكتاب اسمه النواويس...).

إلى آخر ما كتبت هذه الراهبة وقد نشرناه في الجديد في الحسين عليه السلام.





الفصل الرابع والخمسون

خلافنا مع عبّاد قريش في العقيدة بالنبي ﷺ

لو كانت عقيدتنا في النبي ﷺ واحدة لما اختلفنا في الإمامة!

إن خلافنا مع أتباع السلطة القرشية في الإمامة ناتج عن خلافنا معهم في النبوة، فنحن نقول بعصمة نبينا ﷺ الكاملة الشاملة، وهم يقولون بعصمته المحدودة في التبليغ عن الله تعالى دون غيرها، ثم ينتقصون قولهم حتى بعصمته في التبليغ!

ونحن نقول إن كل سنته ﷺ واجبة الإتياع: قوله وفعله وتقريره، لأنه لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

وهم يقولون إنه بشر يغضب فيقول من عنده ويذم قريشاً ويلعن زعماءها في صلاته، ويرضى فيمدح عترته وأهل بيته ﷺ وعشيرته بني هاشم من عنده!

فتجب طاعته فيما كان من الله، ولا تجب طاعته فيما كان من عنده!

القرشيون أصحاب عقدة من بني هاشم حتى من أسلم منهم!

عقدة القرشيين من النبي ﷺ حتى الذين أسلموا منهم إلا الشاذ النادر، أنه يذم زعماء قريش ويلعنهم في صلاته ويمدح عترته ﷺ وعشيرته بني هاشم.

ولذا قالوا لعبد الله بن عمرو العاص لا تكتب كل ما يقوله لأنه بشر يرضى ويغضب! أي يرضى فيمدح آل محمد ﷺ ويغضب فيذم زعماء قريش ويلعنهم! فأخبر الصبي النبي ﷺ بما قالوا فأشار إلى فمه الشريف وقال له: أكتب، فما يخرج منه إلا الحق! وأيد الله عز وجل قول

نبيه ﷺ فأنزل: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ.

لكن قريشاً كاليهود لا يقتنعون ولا يتراجعون، فقالوا إن النبي ﷺ مع ذلك يجتهد ويخطئ، فإن أمرنا بشيء من الله تعالى نقبل منه، وإن كان الأمر من عنده فيجوز لنا الإجتهد مقابل اجتهاده! ولهذا سألوه لما خطب في غدير خم ورفع يده علي ﷺ ونصبه ولياً للأمة بعده فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقالوا له: أملك هذا أم من الله؟!

وتعلم منهم سعد بن عباد فقال يوم حنين عن الغنائم التي حُرم منها الأنصار، إن كانت قسمتها من الله قبلنا، وإن كانت من النبي ﷺ لم نقبل!

ثم وضع القرشيون لمطلبهم صيغة شرعية فقالوا: سنة النبي إن كان يبلغ فيها عن الله يجب اتباعها، لكن قسم منها اجتهاد منه يصيب فيه ويخطئ، وهذا لا يجب اتباعه!

وكذبوا على النبي ﷺ فقالوا إنه اعترف بعدم وجوب اتباع سنته التي من عنده! ورووها في أصح كتبهم، عن كبار أصحابهم!

وقد عقد مسلم في صحيحه (٩٥/٧) باباً بعنوان: باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره معاش الدنيا على سبيل الرأي، وروى عن طلحة قال: (مررت مع رسول الله ص يقوم على رؤس النخل فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا: يلحقونه يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح. فقال رسول الله ص: ما أظن يغني ذلك شيئاً قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله ص بذلك فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل)

وروى ابن ماجه (٨٢٥/٢): (عن عائشة، أن النبي ﷺ سمع أصواتاً فقال: ما هذا الصوت؟ قالوا: النخل يؤبرونها. فقال: لو لم يفعلوا لصلح، فلم يؤبروا عامئذ فصار شيصاً (تمراً فاسداً) فذكروا للنبي ﷺ فقال: إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به، وإن كان من أمور دينكم، فإليّ).

وقد كتبنا في: ألف سؤال وإشكال، مسألة: ١٤٧: اهتموا النبي ﷺ بأنه ساذج لم يكن يعرف تلقيح النخل فنهاهم عنه وخرّب الموسم! ليشبوا مقولتهم بأنه صاحب اجتهاد وظن، وقد يخطئ ويصيب غيره، والنبي ﷺ نفسه يتبعه!

قال القاضي عياض في الشفا (١٨٤/٢): (حدثنا رافع ابن خديج قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة

وهم يؤبرون النخل فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه، قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً فتركوه فنفضت، فذكروا ذلك له فقال: إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر. وفي رواية أنس: أنتم أعلم بأمر دنياكم.

وفي حديث آخر: إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذني بالظن. وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله ﷺ: إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب!

ويظهر من رواية ابن خديج أن حادثة التأبير كانت لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة، ويظهر من رواية عائشة أنها كانت بعد سنتين من هجرته ﷺ.

والتفاوتات في رواية التأبير عديدة، في مكان الحادثة ووقتها وقول النبي ﷺ فيها، وهل خرج كل موسم تمر المدينة شيصاً، أم تمر الذين أطاعوا النبي ﷺ فقط.. الخ.

قال النووي في المجموع (٣٥٣/١١): (أبصر النبي ﷺ الناس يلحقون النخل فقال: ما للناس؟ قالوا: يلحقون، فقال: لا لقاح! أو لا أرى اللقاح يغني شيئاً! قال فتركوا اللقاح فخرج تمر الناس شيصاً، فقال النبي ﷺ: ما شأنه؟ قالوا: كنت نهيت عن اللقاح! فقال: ما أنا بزارع ولا صاحب نخل، لقموا!).

أقول: عنون له مسلم باباً في صحيحه، طاعناً بالنبي ﷺ بأنه ساذج!

وقال المناوي في فيض القدير (٦٦/٣): (قال بعضهم: فبين بهذا أن الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا أحذق الناس في أمر الوحي والدعاء إلى الله تعالى، فهم أسرج الناس قلوباً من جهة أحوال الدنيا، فجميع ما يشعرونه إنما يكون بالوحي وليس للأفكار عليهم سلطان).

أي أبسط الناس! ولم يبين المناوي حدود حذاقة النبي ﷺ وذكائه في أمور الآخرة، وسراجته وبلايته في أمور الدنيا!

وأما الشعراوي الصوفي صاحب ابن عربي، فتفضل على نبينا ﷺ بأن معرفته بأمر الدنيا اكتملت لما كبر! قال في العهود المحمدية/١١٤: (قال بعض العارفين: ولم يمت ﷺ حتى صار أعلم الناس بأمر الدنيا).

وأما السر خسي فأخذ المعنى الجنسي للتلقيح! قال في مبسوطه (١٠٩/٢٣): (تلقيح النخل أنواع معلومة عند أرباب النخيل، منها ما يشترى فيدق ويذر على مواضع معلومة من النخيل، ومنها ما يوجد من فحولة النخل، مما يشبه الذكر من بني آدم ثم يشق النخلة التي تحمل، فيغرز ذلك فيها على صورة الوطأ بين الذكور والإناث. ولما رأى رسول الله ﷺ هذا النوع من أهل المدينة فاستقبحه ونهاهم عن ذلك، فأحشفت النخل في تلك السنة! فقال: عهدي بشار نخيلكم على غير هذه الصفة! قالوا: نعم وإنما كانت تجيد الثمار بالتلقيح، فانتهينا إذ منعنا فأحشفت! فقال: إذا أتيتكم بشيء من أمر دينكم فاعملوا به، وإذا أتيتكم بشيء من أمور دنياكم فأنتم أبصر بدنياكم). أقول: ما جواب السر خسي وأمثاله إن قيل لهم: كيف تقبلون هذا الحديث المخالف للقرآن والعقل؟ وأنتم تعرفون أن التمر عصب اقتصاد المدينة يومذاك كموسم القطن في ساحل مصر وموسم الحنطة في سرحس؟ فهل يعقل أن يكون أهل المدينة ساذجين، فيقبلون عدم تلقيح نخيلهم وخسارة موسمهم! وأن تكون هذه الحادثة حصلت في المدينة خربت موسمها ولم ينتشر خبرها، ولم يعرفها إلا عائشة وابن عمها طلحة. ولم يسم الناس عامها: عام الشيص أو عام اجتهد النبي الخاطيء!

ولماذا لم يقل أحد للنبي ﷺ: هل نسيت ما بلغته عن الله تعالى من شمول نظام الزوجية لكل ما تنبت الأرض؟ كقوله تعالى: وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وقوله: وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ. فلماذا تحرم التلقيح!

ولماذا لم يشنع بها اليهود على النبي ﷺ ولم تصل إلينا إلا من طلحة وعائشة؟! اللهم غفرانك، فقد كذبت قريش على نبيك ﷺ في حياته لتأخذ خلافته حتى قام خطيباً محذراً، ثم كثرت عليه الكذابة بعد وفاته!

أصل المشكلة أن عمر قال: نقبل من السنة ونرفض!

أصل المشكلة أن عمر تجرأ وواجه النبي ﷺ في مرض وفاته وقال إنه يهجر، وأيده الطلقاء الذين سكن ألوف منهم المدينة، ثم طبق عمر رأيه بعد وفاة النبي ﷺ.

روى ابن عساكر (٥٠١/٤٠): (عن عبد الرحمن بن عوف قال: والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله ﷺ فجمعهم من الآفاق: عبدالله بن حذافة، وأبا الدرداء، وأبذر،

وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟ قالوا أتنهانا! قال لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت! فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكم. فما فارقه حتى مات).

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ (٧/١): (أن عمر حبس ثلاثة ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبامسعود الأنصاري فقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله!) وفي رواية: أنه حبسهم حتى أطلقهم عثمان.

وروى الدارمي (١٣٦/١): (ثنا الأوزاعي، حدثني أبو كثير، حدثني أبي قال: أتيت أباذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال: ألم تُنه عن الفتيا! فرفع رأسه إليه فقال: أرقب أنت علي! لو وضعت المصمصاة على هذه وأشار إلى قفاه، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله قبل أن تحيزوا علي لأنفذتها!)

أقول: هذه النصوص صريحة في أن مؤسس مقولة أن سنة النبي ﷺ قد تكون من اجتهاده، هو نفسه الذي رفض السنة وقال إنه يهجر، وحسبنا كتاب الله!

وقد أطاعه طلقاء قريش الذين ملؤوا المكان في مرض النبي ﷺ، وقالوا: لا تقربوا له شيئاً، القول ما قاله عمر! ثم أطاعه المحدثون والفقهاء والمفتون من علماء السلطة الى يومنا هذا، وقالوا ليس كل السنة حجة، والقول ما قاله عمر!

وقد اعترف محمد رشيد رضا في تفسير المنار فقال: (٧٦٦/١٠ و: ٥١١/١٩) على كبار الصحابة وفضحهم بأنهم لم يريدوا جعل كل سنة النبي ﷺ من الدين! قال: (إذا أضفت إلى هذا ماورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبتهم عنه بل في نهيم عنه، قوي عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث كلها ديناً عاماً دائماً كالقرآن!)

وكبار الصحابة عنده عمر وأبو بكر، ويدهم بزعمه أن يجعلوا هذا وذاك من الدين أو لا يجعلوه!

أجمعت المذاهب السنية على أن النبي ﷺ يجتهد وقد يخطئ!

قال الناصبي محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٤٠٢/١٠): (وقد كان الإذن المعاتب عليه اجتهاداً منه ﷺ فيما لانص فيه من الوحي، وهو جائز وواقع من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم،

وليسوا بمعصومين من الخطأ فيه، وإنما العصمة المتفق عليها خاصة بتبليغ الوحي ببيانه والعمل به، فيستحيل على الرسول أن يكذب أو يخطئ فيما يبلغه عن ربه أو يخالفه بالعمل، ويؤيده حديث طلحة في تأييد النخل إذ رآهم يلحقونها فقال: ما أظن يغني ذلك شيئاً. فأخبروا بذلك فتركوه ظناً منهم أن قوله هذا من أمر الدين فنفضت النخل وسقط ثمرها، فأخبر بذلك فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل. رواه مسلم).

وقال محمد بن عبد الوهاب في كتابه: تفسير آيات من القرآن/٢٥٢: (الثاني: ما يتعلق بأحوال الأنبياء وفيه مسائل: الأولى: أن النبي يجوز عليه الخطأ. الثانية: أنه يجوز عليه النسيان).

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج (٢١٣/١٠): (ذهب خلق كثير من علماء أصول الفقه إلى أن الرسول ﷺ كان يجوز له أن يجتهد في الأحكام والتدبير، كما يجتهد الواحد من العلماء، وإليه ذهب القاضي أبو يوسف، واحتج بقوله تعالى: لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ).

أقول: فسرُوا: بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، أي باجتهادك وما تصل إليه! مع أن الآية: إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، أي أراك من الوحي والقرآن.

وقال السلمي في شرح العقيدة الطحاوية (٢٠/٢): ليس هناك مانع من أن يخطئ النبي في غير الوحي، فإن الوحي لا يخطئ فيه النبي، لكن غير الوحي يمكن أن يحصل منه الخطأ، فإذا حصل منه الخطأ فإنه يتوب منه في الدنيا، وأما الكبائر فإنهم معصومون منها).

وزعم السرخسي بأن اجتهاد النبي متقلب كاجتهاد عمر، فقد حكم بسبعين رأياً في قضية واحدة، قال في المبسوط (٨٤/١٦): «روي أن عمر كان يقضي في حادثة بقضية ثم ترفع إليه تلك الحادثة فيقضي بخلافها! فكان إذا قيل له في ذلك قال: تلك كما قضينا، وهذه كما نقضي! وقال الشعبي: حفظت من عمر في الجد سبعين قضية لا يشبه بعضها بعضاً! وبهذا يتبين أن الاجتهاد لا ينقص باجتهاد مثله، ولكنه فيما يستقبل يقضي بما أدى إليه اجتهاده».

وقال الشيخ أبوزهرة في تفسيره (١٧٤/٤): (ويجوزنا الكلام في هذا إلى الكلام في اجتهاد النبي ﷺ: هل طاعته واجبة فيه بإذن من الله، وبعبارة أخرى: أهو لا يخطئ فتجب الطاعة، ويكون ما ينتهي إليه في الاجتهاد هو كالموحي به؟ والجواب عن ذلك: أنه يجوز الخطأ على النبي ﷺ في الاجتهاد

في بيان بعض الأحكام، ويجوز الخطأ عليه في القضاء إذا لبس الخصوم.
والخطأ الأول قد وقع فقد اجتهد مع أصحابه في معاملة الأسرى، وخطأهم الله في اجتهدهم في ذلك الموضع! وقد فرض ﷺ جواز الخطأ في القضاء، فقد قال: إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من البعض الآخر، فمن قضيت له بحق أخيه، فإنها أقطع له قطعة من النار.

وقال القرطبي في تفسيره ملخصاً (٣٠٩/١١): (اختلف العلماء في جواز الإجتهد على الأنبياء فمنعه قوم وجوزه المحققون، لأنه ليس فيه استحالة عقلية، لأنه دليل شرعي فلا إحالة أن يستدل به الأنبياء، كما لو قال له الرب سبحانه وتعال: إذا غلب على ظنك كذا فاقطع بأن ما غلب على ظنك هو حكمي فبلغه الأمة، فهذا غير مستحيل في العقل.

فإن قيل: إنما يكون دليلاً إذا عدم النص وهم لا يعدمونه. قلنا: إذا لم ينزل الملك فقد عدم النص عندهم، وصاروا في البحث كغيرهم من المجتهدين عن معاني النصوص التي عندهم.
والفرق بينهم وبين غيرهم من المجتهدين أنهم معصومون عن الخطأ وعن الغلط وعن التقصير في اجتهدهم، وغيرهم ليس كذلك.

كما ذهب الجمهور في أن جميع الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون عن الخطأ والغلط في اجتهدهم. وذهب أبو علي ابن أبي هريرة من أصحاب الشافعي إلى أن نبينا ﷺ مخصوص منهم في جواز الخطأ عليهم، وفرق بينه وبين غيره من الأنبياء أنه لم يكن بعده من يستدرك غلطه ولذلك عصمه الله تعالى منه، وقد بعث بعد غيره من الأنبياء من يستدرك غلطه.

وقد قيل إنه على العموم في جميع الأنبياء، وأن نبينا وغيره من الأنبياء في تجويز الخطأ على سواء إلا أنهم لا يقرون على إمضائه، فلم يعتبر فيه استدراك من بعدهم من الأنبياء. هذا رسول الله ﷺ وقد سأله امرأة عن العدة فقال لها: إعتدي حيث شئت ثم قال لها: أمكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله. وقال له رجل: أرأيت لو قتلت صبراً محتسباً أيجزني عن الجنة شيء؟ فقال: لا. ثم دعاه فقال: إلا الدين كذا أخبرني جبريل ﷺ).

وقال الشيخ أبوزهرة في تفسيره (١٧٤/٤): (وقد اختلف الناس في المجتهدين في الفروع إذا اختلفوا، فقالت فرقة: الحق في طرف واحد عند الله، وقد نصب على ذلك أدلة، وحمل المجتهدين على البحث

عنها، والنظر فيها، فمن صادف العين المطلوبة في المسألة فهو المصيب على الإطلاق، وله أجران أجر في الإجتهد وأجر في الإصابة، ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهداه مخطئ في أنه لم يصب العين فله أجر وهو غير معذور. وهذا سليمان قد صادف العين المطلوبة وهي التي فهم. ورات فرقة أن العالم المخطئ لا إثم في خطئه وإن كان غير معذور.

وقالت فرقة: الحق في طرف واحد ولم ينصب الله تعالى عليه دلائل، بل وكل الأمر إلى نظر المجتهدين فمن أصابه أصاب، ومن أخطأ فهو معذور مأجور، ولم يتعبد بإصابة العين بل تعبدنا بالإجتهد فقط.

وقال جمهور أهل السنة وهو المحفوظ عن مالك وأصحابه: إن الحق في مسائل الفروع في الطرفين، وكل مجتهد مصيب، المطلوب إنما هو الأفضل في ظنه، وكل مجتهد قد أداه نظره إلى الأفضل في ظنه، والدليل على هذه المقالة أن الصحابة فمن بعدهم قرر بعضهم خلاف بعض، ولم ير أحد منهم أن يقع الإنحمال (يقصد الحمل) على قوله دون قول مخالفه.

ومنه رد مالك للمنصور أبي جعفر عن حمل الناس على الموطأ، فإذا قال عالم في أمر حلال فذلك هو الحق فيما يختص بذلك العالم عند الله تعالى وبكل من أخذ بقوله، وكذا في العكس قالوا: وإن كان سليمان عليه السلام فهم القضية المثلى والتي أرجح فالأولى ليست بخطأ، وعلى هذا يحملون قوله عليه السلام: إذا اجتهد العالم فأخطأ، أي فأخطأ الأفضل!

فقد جعلوا النبي ﷺ كغيره من المجتهدين يخطئ وينطق عن الهوى! ونحن نمنع ذلك. أما حديث إمكان خطئه في القضاء فهو ليس خطأ لأنه مأمور أن يقضي بالظواهر بالآيمان والبيانات، وهو يعلم الحق أين ولا يقضي به.

وا افقنا الجبائي المعتزلي فرد مقولة اجتهد النبي ﷺ

قال الزركلي في الأعلام (٢٥٦/٦): (الجبائي - ٢٣٥ - ٣٠٣: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي: من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره وإليه نسبة الطائفة الجبائية، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبى من قرى البصرة، اشتهر في البصرة، ودفن بجبى).

وقد أورد الفخر الرازي في تفسيره (١٩٦/٢٢) أدلة الجبائي، وتمحل في ردها، قال: (احتج الجبائي

على أن الإجتهد غير جائز من الأنبياء ﷺ بأمور:

أحدها: قوله تعالى: قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ. وقوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ.

وأجاب الرازي عن الآية الأولى: في إبدال آية بآية، ولا علاقة لها بالإجتهد، وعن الثانية بأن اجتهداه ﷺ عن وحي! وكلا الجوابين ضعيفان.

وقال الجبائي: وثانيها: أن الإجتهد طريقه الظن وهو قادر على إدراكه يقيناً فلا يجوز مصيره إلى الظن كالمعاين للقبلة لا يجوز له أن يجتهد.

وأجاب الرازي بأن الحكم هنا مقطوع به والظن غير واقع فيه بل في طريقه! وهذا تلبيس من الرازي لأن النتيجة ظنية.

وقال الجبائي: ثالثها: أن مخالفة الرسول توجب الكفر لقوله تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ. ومخالفة المجتهدات لا توجب الكفر.

وقال الرازي: إن مخالفة المجتهدات ليست جائزة مطلقاً. ويقصد أن مخالفة اجتهدات النبي ﷺ جائزة أحياناً، والذي يعين ما يجوز مخالفته من اجتهدات النبي ﷺ هو الحاكم القرشي! فقد جعله أفضل من النبي ﷺ!

وقال الجبائي: ورابعها: لو جاز أن يجتهد ففي الأحكام غير جائز عليه.

وقال الرازي: لعله ﷺ كان ممنوعاً من الإجتهد في بعض الأنواع. وهو كما ترى ففيه لعل وفيه البعض، وكلاهما يبطل رده.

وقال الجبائي: وخامسها: أن الإجتهد إنما يجوز المصير إليه عند فقد النص، لكن فقدان النص في حق الرسول كالممتنع فوجب أن لا يجوز الإجتهد منه.

وقال الرازي: يجوز أن يحبس النص عنه في بعض الصور! وهو واهٍ كما ترى!

وقال الجبائي: وسادسها: لو جاز الإجتهد من الرسول لجاز أيضاً من جبريل وحيثئذ لا يحصل الأمان بأن هذه الشرائع التي جاء بها أهي من نصوص الله تعالى أو من اجتهد جبريل.

وقال الرازي: إن إجماع الأمة على خلافه. لكن هذا يؤيد كلام الجبائي.

ثم استدل الرازي على جواز الإجتهد على النبي بوجوه:

أحدها: إذا غلب على ظن النبي أن هذا حكم الله، وعنده مقدمة يقينية هي أن مخالفة حكم الله توجب استحقاق العقاب، فيتولد ظن استحقاق العقاب على مخالفة هذا الحكم المظنون. وهذا جارٍ في حق الأنبياء وحق جبرئيل عليه السلام.

وجوابه: أنه استدل بأن ظن العقاب يجعل المظنون منجزاً وهو أجنبي عن حجية الظن وجواز العمل بالظن للنبي ﷺ!

ثم قال الرازي: وثانيها: قوله تعالى: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ. أمر الكل بالإعتبار فوجب اندراج الرسول فيه لأنه إمام المعترين وأفضلهم.

وجوابنا: أن هذا من عدم فهمه للعربية ومن تلبسه، وهذا عامٌ في علماء السنة العجم، فقد استدلوا بقوله تعالى: إعتبروا، على وجوب الإعتبار أي القياس. والسبب أن الإعتبار في الفارسية الوزن فتصوروا أن قوله تعالى فَاعْتَبِرُوا، أي زنوا، والوزن هو القياس، أي قيسوا الأمور والأحكام!

ولذلك تجد في كتب الفقه وأصول الفقه على المذهب الحنفي بحثاً مطولة عن الإعتبار حتى أن بعضهم كتب مائة صفحة في الاستدلال على القياس بآية: فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ. مع أنها أجنبية عن القياس! ومعناها: خذوا العبرة من بني قريظة كيف أوصلهم ظلمهم وحقدهم إلى أن مزقوا عهدهم مع النبي ﷺ وانضموا إلى الأحزاب، فلما جاء الأحزاب خافوا أن يقاتلوا المسلمين معهم، ولما انهزم الأحزاب وانسحبوا حاصرهم النبي ﷺ وحكم عليهم بالجلاء وأن لهم ما حملته دوابهم وإبلهم، فكانوا يقلعون أبواب بيوتهم يأخذوها، فأنزل الله فيهم: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ. أي خذوا العبرة من الكفر والخيانة!

ثم قال الرازي:

وثالثها: أن الإستنباط أرفع درجات العلماء فوجب أن يكون للرسول فيه مدخل، وإلا لكان كل واحد من آحاد المجتهدين أفضل منه في هذا الباب!

وجوابه: أن هذه التليسة كمن قال: إن التوبة رحمة ودرجة، وهي لا تنال إلا بالمعصية، فيجب أن يكون للنبي معصية حتى ينالها! وهذه هرطقة يهودية! ثم قال الرازي:

ورابعها: العلماء ورثة الأنبياء. فوجب أن يثبت للأنبياء درجة الإجتهد ليرث العلماء عنهم ذلك. وجوابه: أنهم يرثون عنهم العلم وليس الظنون!

استدلت دار الإفتاء المصرية بآية يحكمان في الحرث

جاء في فتاوى دار الإفتاء المصرية (١٥٤/٨): (ذكر القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: وَذَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ. فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا. أن العلماء اختلفوا في جواز الإجتهد على الأنبياء، فمنعه قوم وجوزه المحققون لأنه ليس فيه استحالة عقلية، فالعقل دليل شرعي وهو يكون إذا لم يوجد نص، وفي بعض الأحيان لا يكون هناك نص في مسألة، بل لهم الإجتهد في النص. وهم معرضون للخطأ فيه إلا أن الله سبحانه لا يقرهم على خطئهم.

وذكر القرطبي أن النبي ﷺ سأله امرأة عن العدة، فقال لها: إعتدي حيث شئت. ثم قال لها: أمكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله. وقال له رجل: رأيت لو قتلت صبراً محتسباً أيحزني عن الجنة شيء؟ فقال لا. ثم دعاه فقال إلا الدين، كذا أخبرني جبريل عليه السلام.

وقد ثبت أن النبي ﷺ استشار أبا بكر وعمر في شأن أسرى بدر، ثم اختار رأى أبي بكر، وأقره الله عليه وأباح له فداءهم وأحل له المال الذي أخذه فدية، قال تعالى: لَوْلَا كِتَابُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا.

كما ثبت أنه قبل اعتذار بعض المنافقين عن تخلفهم عن الغزوة بناء على ما أبدوه من أعذار، فنزل في ذلك قوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. فالخلاصة أن الأنبياء لهم الإجتهد فيما لم يرد فيه نص، وفي فهم المراد من النص، ويجوز عليهم الخطأ على رأي الجمهور، إلا أنهم لا يقرون على خطئهم، وقد وقع الإجتهد من بعضهم كداود وسليمان ومن سيدنا محمد ﷺ وصوره كثيرة، وقد ثبت أنه ﷺ استعمل القياس في اجتهداده، فقد صح

في البخارى أن امرأة من جهينة قالت له: إن أُمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها، أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا فالله أحق بالقضاء. وروى مسلم أن رجلاً قدم من جيشان باليمن فسأل الرسول ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المززر فقال له أو مسكر هو؟ قال: نعم، فقال: كل مسكر حرام. وإذا كان الرسول ص اجتهد فللمسلمين فيه أسوة حسنة، أى يجوز لهم الإجتهد في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

فقد أقر سعد بن معاذ في بني قريظة حيث حكم بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء وأخذ أموالهم وقال له: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات. كما رواه البخاري ومسلم. ولما توجه الصحابة إلى بني قريظة قال لهم: لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة. فوقف بعضهم عند النص احتراماً له ولم يصل العصر إلا في بني قريظة وقد فات الوقت. وفهم بعضهم من النص أن المراد هو الإسراع والمبادرة فصلى العصر قبل الوصول إلى بنى قريظة حفاظاً على الوقت، ولما ذكروا ذلك للنبي ﷺ لم يعنف واحداً منهم، رواه البخاري ومسلم. وإقراره لمعاذ حين بعثه إلى اليمن حين قال في القضاء: أقضي بالكتاب فإن لم أجد فبالسنة، فإن لم أجد أجتهد رأيي ولا آلو، حيث قال له: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله. رواه أبو داود والترمذي).

والجواب:

أما قوله تعالى: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ..فَفَقَّهُمَهَا سُلَيْمَانُ. فقد تذاكروا فيها في مجلس داود عليه السلام، فأوحاها الله إلى سليمان عليه السلام، وليس في ذلك اجتهد.

وأما آية: مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَشْخَرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسْكُكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

فقد فسرناها في كتاب ألف سؤال وإشكال، وبيننا أنها من مكذوبات قريش على النبي ﷺ، فقد كانت بدر إرغاماً لأنف قريش بيد علي عليه السلام والأنصار، حيث قتلوا منهم سبعين، وجروا سبعين أسارى أذلاء، ثم أخذوا فداءهم عن كل واحد نحو أربعة آلاف درهم، فكانت ثقيلة

جداً على القرشيين، وحتى على المسلمين منهم الذين مازال فيهم حب قريش، فكذبوا على النبي أنه لم يشخن في الحرب والذي لم يشخن بعض المسلمين، وأنه أخطأ في أخذ الفداء! وأنه عصى ربه في ذلك فعاقبه الله بالهزيمة وبجرحه!

وكله كذب من قرشيين (مسلمين) لمصلحة قريش! وقد بلغ بهم الأمر أن سودة بنت زمعة زوجة النبي ﷺ كانت تستنكر أسر القرشيين وتحرض سهيل بن عمرو قائلة: كيف أعطيتكم بأيديكم! فقال لها النبي ﷺ: أعلّ رسول الله تحرضين!

وأما قوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. فليس فيه اجتهاد، فقد كان جائزاً له ﷺ أن يأذن لمن يرى بأن يتخلف عنه، فأذن لبعضهم فتخلف عنه في غزوة تبوك، فقال له الله تعالى كان عدم الإذن أولى لتكشفهم، وهذا ليس اجتهاداً بالمعنى المصطلح. والآية ليست عتياً على النبي ﷺ وتوبيخاً له لأنه اجتهد وأخطأ، كما صورته علماء السلطة، بل هو خطاب للأمة وللمتخلفين منها!

قال الإمام الرضا عليه السلام جواباً لسؤال المأمون: هذا مما نزل بإيائك أعني واسمعي يا جارة! خاطب الله عز وجل بذلك نبيه ﷺ وأراد به أمته وكذلك قوله تعالى: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وقوله عز وجل: وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً. فقال المأمون: صدقت يا بن رسول الله). (التوحيد/١٨٠).

فليس في المسألة اجتهاد من النبي ﷺ وعتاب وتوبيخ له، كما زعموا.

وأما وصف النبي ﷺ قضاء الحج بأنه كقضاء الدين، فهو إخبار بأن قضاء الصوم عليها دين حقيقي، وليس فيه اجتهاد ولا قياس.

وأما قوله ﷺ: كل مسكر حرام، فهو إعطاء قاعدة وليس فيه اجتهاد.

وأما حكم سعد في بني قريظة فليس اجتهاداً منه بل هو عمل بتخويل الله ورسوله بالحكم.

وأما اجتهاد المسلمين في قوله ﷺ: لا يصلين أحد إلا في بني قريظة، فهو اجتهاد في تطبيق النص لا في أصل الحكم.

وأما اجتهاد معاذ بن جبل فأصل الحديث مكذوب لأن النبي ﷺ لم يرسله قاضياً على اليمن،

بل أرسله لجمع الصدقات من أهل نجران، لما أراد مقرضوه منه أن يبيعه لهم النبي ﷺ بديونه! وقد وثقنا ذلك في السيرة النبوية.

هذا، ونلاحظ أنهم يريدون أن يجعلوا كل تصرفات النبي ﷺ اجتهادات من عنده، ويشبوا خطأ كثير منها ليقولوا إنه يجتهد وقد يخطئ!

ثم يقول أتقياؤهم إن الله لا يقره على خطئه بل ينبهه، ولا نرى تنبيه الله عز وجل لرسوله ﷺ فيما زعموه من اجتهاده وخطئه إلا توبيخه في لعن قريش وأمره بطاعة عمر في حجب نسائه، وتنبيه عمر له في قطع نخل خيبر وغيرها!

انتقص القرشيين قدر النبي ﷺ ورفعوا من قدر عمر وأبي بكر!

فقد كذبوا على النبي ﷺ في حياته، ليطلوا ذمه لقريش ومدحه لعترته عليه السلام.

ثم منعه في حياته من كتابة سنته ﷺ ما استطاعوا!

ثم صادروا ما جمعه المسلمون من سنته بعد وفاته وأحرقوه!

ثم نهوا عن التحديث عنه وضربوا من يفعله من الصحابة وحبسوه!

ولم يكتفوا بهذه الأساليب الأربعة، بل زادوا أسلوباً خامساً أخبث من الجميع، وهو الطعن في

شخصية النبي ﷺ ليستقوا حجة سنته!

وقد أخذنا في: ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت (عليهم السلام) (١٧٧/٢): البخاري نموذجاً

في أحاديثه التي طعن في عصمة النبي ﷺ، علماً أنه يوجد أضعافها في مصادرهم الأخرى!

فقد تبع البخاري قريشاً في تهوكها وطعنها بعصمة الأنبياء ﷺ! ففي

نبينا ﷺ انضمت القرشيات إلى الإسرائيليات وتعاونتا في طعن خبيث في شخصيته ﷺ!

فقد بدأ البخاري كتابه عن بدء الوحي بالفرية القرشية التي زعمت أن النبي ﷺ من الأساس

لم يكن على يقين من نبوته، بل كان في شك وحيرة! وأن قسيساً طمأنه بأنه نبي! ثم انقطع

عنه الوحي فغضب وقرر أن يتتحر!

ثم زعم البخاري أن النبي ﷺ غير معصوم حتى في تبليغ رسالة ربه، فقد غلبه الشيطان

فخان الرسالة وغير القرآن! واستبدل ذم أصنام قريش بمدحها وقال: أرأيتم اللات والعزى

ومناة الثالثة الأخرى، تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى! وسجد لها هو والمشركون، فعبد الأصنام وكفر بربه! وأن أحد المشركين لم يستطع السجود فحمل كف حصى ورفعه الى جبهته!

ثم زعم البخاري، أن نبيناً ﷺ ليس أفضل من أنبياء بني إسرائيل عليه السلام! فموسى على عيوبه ومعاصيه أفضل منه، ويونس على تركه قومه ومغاضبته خير منه، وعيسى خير منه ومن جميع الأنبياء!

وزعم البخاري رابعاً، أن نبيناً ﷺ عصبي المزاج سئ الأخلاق، غير مسدد في منطقته ولذا ينطق عن الهوى ويسب ويشتم ويلعن بغير حق! كما أنه غير مسدد في عمله فقد يؤذي ويجلد الناس ظلماً وعدواناً!

وزعم خامساً، أن النبي ﷺ ساذج ضعيف الشخصية والتدبير، يقع في أخطاء فظيعة، فيصححها له عمر، وينزل الوحي موبخاً له مؤيداً لعمر!

وزعم سادساً، أن النبي ﷺ ظلم قومه بطون قريش، في بدر وأخذ منهم أسارى بغير حق، وأخذ من الأسرى فدية مقابل إطلاقهم، فعاقبه الله بهزيمته وجرحه وكسر أسنانه في أحد! وزعم البخاري سابعاً، أن النبي ﷺ غير مسدد في حكمه وقضائه بين المسلمين، فقد يقضي لشخص بالباطل لأنه حاذق في كلامه!

وزعم ثامناً، أن النبي ﷺ ينهى عن الأمر ويرتكبه، فقد نهى المسلمين عن التمني وقول (لو) لكنه تمنى وقالها مرات!

وزعم تاسعاً، أن النبي ﷺ صاحب ذهن مشوش ينسى كثيراً، فقد نسي أنه جُنُب فلم يغتسل وبدأ في صلاته! كما نسي عدد ركعات الصلاة ونقص منها وزاد فيها! وأخطأ في قراءة القرآن في صلاته، فصحح له بدوي من آخر المسجد!

وعاشراً: زعمت عائشة أنه ﷺ سُحِرَ ففقد ذاكرته وسقط شعره! وظل شهوراً مسحوراً يتصور أنه فعل الشيء وهو لم يفعله، وأتى زوجته ولم يأتيها!

حادي عشر: زعم البخاري أن النبي ﷺ مفرط في الجنس، يأتي نساءه التسعة في ليلة واحدة،

وبياشر زوجته وهي حائض، ويتبدل تبذلاً لا يناسب وجهها اجتماعياً عادياً، فيبول وهو واقف، ويستقبل ضيوفه وهو مضطجع، ويستمتع الغناء ويشاهد الرقص، ويشرب النبيذ!

ثاني عشر: زعم البخاري أن النبي ﷺ كان مغرمًا بزوجه عائشة، فكان يفضلها على زوجاته ويستمتع معها الغناء من مغنيتين لها، ويحملها على كتفه ويضع خده على خدها لتشاهد من شباك الغرفة رقص الأحباش، ويأخذها معه في غزواته، وربما ترك جيشه وسابقها، وقد سبقها مرة، وسبقته مرة!

وقد نشرت عائشة أكثر من ألفي حديث، تضمنت العجائب من قصص حياتها الشخصية حتى نومها معاً، بما لا يناسب زوجين مسلمين محافظين!



رفعوا عمر الى درجة فوق العصمة وفوق النبي

روى البخاري حديث الرزية في كتابه سبع مرات! وسماها ابن عباس رزية يوم الخميس! وسيأتي بحثها.

وروا أن عمر بن الخطاب كان محافظاً أكثر من النبي ﷺ فقال له أحجب نساءك فلم يفعل، فأنزل الله آية الحجاب، وأمره بما أمره به عمر!

وافتروا على النبي ﷺ بأنه كان يشتم الناس ويلعن ويؤذي ويضرب بدون حق! أما عمر فكان غضبه حقاً وعزاً! وكذبوا على النبي ﷺ لإبطال اللعن بأنه اعترف بأنه غير معصوم، وأنه يغضب كما يغضب الإنسان العادي فيسب ويلعن ويؤذي ظلماً وعدواناً! وأنه دعا لمن لعنهم بأن يجعل الله لعنته عليهم: صلاة وقربة، وزكاة وأجرأ، وزكاة ورحمة، وكفارة له يوم القيامة، وقربة تقربه بها يوم القيامة، ومغفرة وعافية.. وبركة ورحمة ومغفرة وصلاة.. وكذا وكذا.. على حد تعابيرهم! ورووها بعشرات الروايات في أصح كتبهم!

وقال البخاري في صحيحه (٧ / ١٥٧) (وهو محمد بن إسماعيل بن برد زبه البخاري الخرتنكي مولى بني جعفر):

(باب قول النبي ﷺ من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: اللهم فأيا مؤمن سبته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة)!

وروى مسلم: (وهو مولى بني قشير مسلم بن حجاج النيشابوري) في صحيحه (٢٥/٨): (عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال: اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه، فإنسا أنا بشر، فأَيُّ المؤمنين آذيته أو شتمته أو لعنته أو جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة).

ورواه بسبع روايات أخرى!

وقالت عائشة (مسند أحمد: ١٦٠/٦): (كان رسول الله يرفع يديه يدعو حتى أسأم! ويقول: اللهم إنما أنا بشر فلا تعاقبني بستم رجل من المسلمين إن آذيته). ونحوه (٢٥٨ و ٢٥٦/٦).

وقالت (٣٣/٣): (فأَيُّ المؤمنين آذيته أو شتمته أو جلدته أو لعنته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها يوم القيامة).

وكلها مكذوبات لرفع لعن الملعونين القرشيين، والطعن في سنة النبي ﷺ!

سؤالهم النبي ﷺ: أهذا منك أو من الله؟!!

إن مجرد طرحهم السؤال للنبي ﷺ: أهذا منك أو من الله، فإن كان من الله قبلنا، وإن كان منك فلا نقبل، صريحٌ بأنهم لا يؤمنون بعصمته عن الهوى!

يعني أنهم يفرقون بين أمر الله تعالى وأمر نبيه ﷺ، فيزعمون أنهم يطيعون الله، ولا يطيعون الرسول في هذا الأمر.

ومعناه أنهم لا يؤمنون بقوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. بل يعتبرون قول النبي ﷺ فعلاً منه فلا تجب طاعته!

إنهم يعرفون جيداً معنى قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ.

وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ.

ولكنهم يحتالون ليعصوا النبي ﷺ بحجة أن هذا الأمر منه لا من الله تعالى.

وكل غرضهم إسقاط مدح بني هاشم، وذم بطون قريش!

انتقصت قريش النبي ﷺ وجعلت تعظيم عمر ديناً يداً به!

فقال إن الشيطان يهرب من عمر ولا يهرب من النبي ﷺ!

ففي مجمع الزوائد (٢٦٧/٨): (عن عبدالله بن عثمان بن خثيم قال: دخلت على أبي الطفيل عامر بن واثلة فوجدته طيب النفس، فقلت يا أبا الطفيل أخبرني عن النفر الذين لعنهم رسول الله ﷺ قال قال: اللهم إنما أنا بشر فأيا عبد من المؤمنين دعوت عليه بدعوة فاجعلها له زكاة ورحمة. رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له، وأحمد بنحوه، وإسناده حسن).

هذا عن غضب النبي ﷺ وإيذائه للمؤمنين ولعنهم وضربهم! أما عن غضب عمر، فقالوا إن الله أجرى الحق على لسانه وقلبه في الرضا والغضب! وإن الملائكة تحذره، والمملك ينطق على لسانه.

وإن جبرئيل جاء إلى النبي ﷺ فقال له: أقرئ عمر السلام، وأعلمه إن رضاه حكم وغضبه عز! فشهد له الله بزعمه بأنه معصوم في الرضا والغضب.

وقال السرخسي في المبسوط (١٧٩/٢): قال رسول الله ﷺ: إن ملكاً ينطق على لسان عمر رضي الله عنه. وقال: أينما دار عمر رضي الله عنه فالحق يدور معه.

وقال المناوي في فيض القدير (٢٧٨/٢): (إن الله جعل الحق، يعني أجره على لسان عمر، فكان كالسيف الصارم والحسام القاطع).

قال الطيبي: جعل بمعنى أجرى فعدها بعلي، وفيه معنى ظهور الحق واستعلائه على لسانه، ووضع جعل موضع أجره، إيذاناً بأن ذلك كان خلقاً ثابتاً لازماً مستقراً في قلبه، فكان الغالب على قلبه جلال الله، فكان الحق معتمله، حتى يقوم بأمر الله وينفذ بمقاله وحاله، وفاء بما قلده الله الخلق من رعاية هذا الدين الذي ارتضاه لهم.

ومن ثم جاء في خبر: إن غضبه عز ورضاه حكم، وذلك لأن من غلب على قلبه سلطان الحق فغضبه للحق عز للدين، ورضاه عدل لأن الحق هو عدل الله، فرضاه بالحق عدل منه على أهل ملته. ومعنى رضاه حكم: أنه إذا رضي رضي للحق).

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر (٧١/٤٤): (أن جبريل أتى النبي فقال: أقرئ عمر السلام، وأعلمه أن غضبه عز ورضاه عدل).

وفي تاريخ دمشق (٧٢/٤٤): (عن عقيل بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب:

خلافنا مع عبّاد قريش في العقيدة بالنبي ﷺ ٢٠٣

إن غضبك عز ورضاك حكم). (ورواه أبو الشيخ ابن حبان في طبقات المحدثين بأصبهان: ٣٤ / ٢، وابن أبي شيبة في المصنف: ٤٨٦ / ٧ و ٤٨٧، والطبراني في الأوسط: ٢٤٢ / ٦، والكبير: ٤٨ / ١٢، ومجمع الزوائد: ٦٩ / ٩، وفي كنز العمال: ٣٦٥ / ١٠، عن مصادر متعددة بروايات كثيرة، وفي: ١٢ / ٥٩٦ و ٦٠٣ وج: ٥٧٨ / ١١ و ٥٧٩، بعدة روايات فيها: إن الله عز وجل عند لسان عمر وقلبه. إن الله جعل الحق على قلب عمر ولسانه. لو لم أبعث فيكم لبعث عمر. أيد الله عز وجل عمر بملكين يوفقانه ويسددانه، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً).

فتأمل في هذه المصيبة حيث يقدسون عمر ويطعنون بالنبي ﷺ، فينقضون الدين من أساسه!

الأخطاء النبوية والتصحيحات العمرية!

الوضع الطبيعي للعلاقة بين النبي ﷺ وعمر أن تكون علاقة مسلم تابع بنبي متبوع مطاع، لكن عمر كان كثير الإعراض على النبي ﷺ!

والصحيح ما قرره مذهب أهل البيت عليه السلام من أن الإعراض على النبي ﷺ أمرٌ عظيم لأن الله تعالى قال عنه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.

لكن عمر ومحبيه ركبوا رؤوسهم وقالوا إن اعتراضات عمر كانت دائماً مصيبة، بينما كان النبي ﷺ يقع في الخطأ! وكان الوحي ينزل مؤيداً لرأي عمر منتقداً رأي النبي ﷺ، بل كان أحياناً يوبخ النبي ﷺ معاذ الله!

فالنبي ﷺ عندهم رجلٌ ساذج، يقع في أخطاء فيصححها له عمر! وكأن المطلوب أن يثبتوا لعمر فضائل، ولو بالطعن في النبي ﷺ! وقد ألفوا في هذا الطعن المغطى كتباً ونظموا أراجيز وسموها (موافقات عمر) ومعناها: موافقات الله تعالى لرأي عمر، ولو بتخطئة رأي النبي ﷺ!

ففي الأعلام للزركلي (٢٣/٢): (أبو بكر بن زيد بن أبي بكر الحسني الجراعي الدمشقي (٨٢٥- ٨٨٣)، له... نفائس الدرر في موافقات عمر).

وفي (٣٠١/٣): (الجلال السيوطي.. قطف الثمر في موافقات عمر).

وفي (٤٤/٧): (محمد بن جمال سراج الدين عمر، من علماء حلب، واستقضي بدمشق والقاهرة. له كتب منها.. الموافقات العمرية للقرآن الشريف).

وفي معجم المؤلفين (٢٢/٢): (أحمد بن النقيب المقدسي.. له الموافقات التي وقعت في القرآن لعمر

بن الخطاب).

وفي إيضاح المكنون (٤٤٧/١): (الدر المستطاب في موافقات عمر بن الخطاب، لحامد بن علي بن إِب راهيم العبادي، المفتي الدمشقي الحنفي م. سنة ١١٧١).

وفي (٦٥٨/٢): (نظم الدرر في موافقات عمر لبدر الدين محمد الغزي).

وفي هدية العارفين (٤٩٧/١): (ابن البدر الخطيب البعلي الدمشقي. من اقتطاف الثمر في موافقات عمر).

وفي (٢٣٣/٢): (محمد بن محمد بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان الغزي... من تصانيفه... شرح نظم الدرر في موافقات عمر).

وقال ابن حجر في فتح الباري (٢٠٠/١): (وروى البزار بإسناد حسن، من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ أذن لمعاذ في التبشير، فلقبه عمر فقال: لا تعجل، ثم دخل فقال: إن الناس إذا سمعوا ذلك اتركوا عليها! قال: فَرَدَّ! وهذا معدودٌ من موافقات عمر، وفيه جواز الإجتهد بحضرته ﷺ!)

وقال في فتح الباري (٤٢/٧)، وتحفة الأحوذ (١٢٥/١٠): (فإن يك في أمتي أحد أي من المحدثين فعمر بن الخطاب. والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات).

وفي تاريخ المدينة لابن شبة (٨٥٩/٣): (موافقاته رضي الله عنه... قال ابن عمر: ما أنزل الله أمراً قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر!) (أحمد (٩٥/٢) والترمذي (٢٨٠/٥).

وروى عن ابن عمر أن النبي قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه!

ثم ذكر عمر بن شبة عدداً من موافقات الله تعالى لعمر، بعضها واضح الكذب، وبعضها محرف، وفي بعضها تخطئة صريحة للنبي ﷺ!

فهل تقبل عقولكم أن يكون خير البشر وأفضل الأنبياء والمرسلين ﷺ بهذه المهانة التي تنسبونها إليه! فيخطئ في الأمور ويصيب عمر؟

وهل تقبل عقولكم أن عمر أفضل من النبي ﷺ وأولى بالنبوة!

ونختم بذكر عناوين افتراءاتهم في الموضوع من كتابنا: ألف سؤال وإشكال:

مسألة ١٤٥: افتروا على النبي ﷺ بأنه كان يشتم ويلعن ويؤذي ويضرب! بعكس عمر!

مسألة ١٤٦: زعموا أن النبي ﷺ كان يعمل بالظن وينطق عن الهوى، بعكس عمر!

مسألة ١٤٧: زعموا أن النبي ﷺ بأنه ساذج، لم يسمع بتلقيح النخل فخرّب الموسم!

مسألة ١٤٨: زعموا أن النبي ﷺ أمر بقطع كروم الطائف ونخيل خيبر فوبخه عمر!

مسألة ١٤٩: زعموا أن النبي ﷺ أمر المسلمين بذبح جمال جيش تبوك، فوبخه عمر!

مسألة ١٥٠: روى أن النبي ﷺ تأخر عن صلاة العشاء فصاح به عمر!

مسألة ١٥١: زعموا أن النبي ﷺ نام عن الصلاة حتى طلعت الشمس فأيقظه عمر!

مسألة ١٥٢: زعموا أن عمر انشغل يوم الخندق فصلى آخر الوقت أما النبي ﷺ ففاته!

مسألة ١٥٣: منهجهم في تعظيم عمر وتكبير شخصيته!

مسألة ١٥٤: اتهموا النبي ﷺ بأنه كان يذبح للأصنام، وأن ابن عم عمر ألقى منه!

مسألة ١٥٥: زعموا أن عمر أمر النبي ﷺ أن يحجب نساءه، فلم يطعه فنزل الوحي!

مسألة ١٥٦: اعترض عمر على النبي ﷺ لماذا أعطى قوماً من غنائم حنين!

مسألة ١٥٧: اعترض عمر على نبينا ﷺ لصلاته على جنازة منافق فأيده الله!

مسألة ١٥٨: زعم عمر أنه أصاب في أسرى بدر، وأن النبي ﷺ أخطأ فعاقبه الله!

مسألة ١٥٩: انقلاب الأمة على النبي ﷺ في حياته بقيادة عمر!

مسألة ١٦٠: قول عمر عندهم سنة مطاعة، يردون به سنة النبي ﷺ!

مسألة ١٦١: محمد ﷺ هو النبي الفعلي. لكن عمر أيضاً له درجة النبوة!

مسألة ١٦٢: تعظيمهم لأي خليفة قرشي وتفضيله على الرسول الهاشمي ﷺ!

المسألة ١٦٤: نسبوا القسوة إلى النبي ﷺ وقالت عائشة إن أباه وعمر أرحم منه!



الفصل الخامس والخمسون

أجمع علماء الشيعة على أن كل أفعال النبي وحي لا اجتهاد

النبي ﷺ معصوم بلطف الله تعالى عن الخطأ والنسيان!

في صراط النجاة للسيد الخوئي والتبريزي (٤٤٤/٣): (هل من الممكن أن يخطئ النبي في تبليغ آية أو ينساها في وقت معين ثم يصحح ما أخطأ به بعد ذلك، وهل من الممكن أن يتصدى لأمر من خلال أو ضاعه الشخصية التي تكون متأثرة بضغوط داخلية أو خارجية، ثم يتراجع؟ أفتونا مأجورين: جواب: إذا أمكن خطأ النبي في تبليغ آية أو نسيانها جاء احتمال الخطأ والنسيان في تصحيحه بعد ذلك أيضاً، وهذا مستلزم لبطلان النبوة، لاستلزامها العصمة، كما يدل عليه قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. وأما الشق الثاني من السؤال فهو باطل لأن مقتضى عصمة النبي ﷺ أن لا يتصدى، ولا يسعى لأي عمل إلا إذا كان مطابقاً للوظيفة الشرعية، ولا يصدر منه أي أمر أو نهى إلا إذا كان مطابقاً للوحي، كما هو مفاد الآية المباركة: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلَ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ).

وفي ظلال نهج البلاغة للشيخ محمد جواد مغنية (١٩٧/٣): (في كتب أصول الفقه للسنة بحث خاص في أن النبي هل له أن يجتهد ويحكم بما يرى. فأجاز ذلك جماعة ومنعه آخرون. وقال الشيعة بكلمة واحدة: إن النبي لا يجتهد إطلاقاً ولا ينطق بحكم من الأحكام إلا عن الوحي، بدليل ما رواه السنة والشيعة أن المسلمين كانوا يسألون النبي ﷺ في كثير من الأحيان عن بعض أمورهم فيقول: ما عندي بهذا علم من الله، ثم ينزل القرآن بالحكم فينبئهم النبي به. وكان يقول ويكرر: إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ).

أجمع علماء الشيعة على أن كل أفعال النبي وحي لا اجتهاد ٢٠٧

ونعطف على ذلك: أن القول بجواز الإجتهد على النبي ﷺ يفتح لأعداء الإسلام الطعن والشك فيه، وأن بعضه من ظن الرسول ﷺ واستحسانه.

وعليه يفلت الزمام ويهبط الإسلام من السماء إلى الأرض.

كلا، إن الاسلام واحد لا يتجزأ، إنه رسالة الله من ألفه إلى يائه، ولا شائبة فيه للأرض وأهل الأرض: **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ**. والإسلام حين يجرد البشرية كلها من حق التشريع يجرد في الوقت نفسه كل إنسان من حق السيطرة والاستعلاء على غيره، ويضع الجميع على مستوى واحد أمام الله، ولا يبقى لأحد فضلاً وامتيازاً على آخر إلا بما يقدم من عمل صالح، وبالتالي يبطل مزاعم الذين يرون لأنفسهم حقوقاً مقدسة.

ومن بحث عن أسباب الآلام التي عانتها وتعانيها الآن الإنسانية، وجدها أو وجد أكثرها يعود إلى القوانين التي شرّعها الإنسان لمصلحته كفرد، أو لمصلحة مجموعة من الأفراد يرتبط بهم المشرع بسبب من الأسباب.

أما الديانة المسيحية فإنها ربطت الدين بأصوله وفروعه، ودعائمه وأحكامه ربطته بإرادة الكنيسة ورجالها، الذين خاطبهم إنجيل متي الإصحاح ١٨ فقرة ١٨ وقال لهم: « كل ما تربطونه في الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تُحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء. فالكنيسة هي تحلل وتحرم ثم تنسخ متى تشاء ما حللت وحرمت! ومن هنا جاء تجريد السيد المسيح من طبيعة الناسوت، والغفران والحرمان وبيع أذرع في السماء والجنة، وتحريم زواج الكليروس، ولكن الكنيسة الإنكليزية التي حرمت الزواج على رجال الدين أباحت اللواط، كما أن بابا رؤساء برأ اليهود من دم السيد المسيح، وضرب بعرض الجدار النص الذي جاء في إنجيل متى.. إلى الكثير الكثير.. وكله عندهم حق من عند الله! ولا أدري كيف ينسب دين إلى الله، وهو من أوهام الناس؟

وكان من نتيجة هذه السلطة ثورة الملوك والأقوياء في أوروبا على الكنيسة لتدخلها في شؤونهم، وانفصال السياسة عن الدين، ولكن الثورة انتقلت من الحاكمين إلى داخل الكليروس أنفسهم، فمنذ بضع سنوات ثار جماعة منهم في هولندا على سلطة البابا، ومن مطالبهم الرئيسية السماح بالزواج لرجال الدين، وقامت ثورة مماثلة في فرنسا وإيطاليا وألمانيا.

ويستحيل أن يحدث هذا بين المسلمين لاتفاق مذاهبهم على أن التشريع لله وحده: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ).

وقرأت في جريدة « أخبار اليوم » المصرية (تاريخ ٣١-١٢-١٩٦٦) نقلاً عن كتاب « الإسلام في التاريخ الحديث » لصاحبه « ويلفريد سميث » ما نصه بالحرف: إن الإسلام نتيجة لتمييزه بالقوة الروحية صمد للأحداث بعد انهيار الدولة العربية في بغداد عام ١٢٥٦ م. وأرغم الفاتحين من المغول والتتار الذين قضوا على الدولة الإسلامية، أرغمهم الإسلام على اعتناقه، مما أدى إلى تجديد الدولة الإسلامية بعد انتقال الحكم فيها من العرب إلى الأتراك العثمانيين، وإلى اتساع الرقعة الجغرافية للإسلام على أيدي الأتراك، ولا شك في أن هذه القوة الروحية هي التي مكّنت الإسلام من الصمود أمام السيطرة الغربية في السنوات الأخيرة.

قال «راسل» في كتاب «السلطان» فصل العقائد منابع السلطان: « لا ريب في أن الديانة التي جاء بها محمد كانت عنصرًا أساسيًا في النجاح الذي حققته ببلاده وحققه قومه.. وقد أظهر المسلمون منذ بداية عهدهم تسامحاً في التعامل مع المسيحيين الذين أخضعوهم، ولا ريب أن الفضل في سهولة فتوحاتهم واستقرار أمبراطوريتهم يعود إلى هذا التسامح الذي يبدو بارزاً إذا ما قورن بالحماسة التعسفية والإضطهادية التي عرفت بها الكنيسة).

منطق النبي ﷺ وفعله وسكوته بوحى ربه!

قال الله تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ.

فالآية صريحة في أن كل حرف ينطقه النبي ﷺ حق، ووحى من الله تعالى، وليس مثل كلام الناس ينشأ من رغبة الشخص وهو اه في شيء أو أمر. فكل كلامه ﷺ سنة واجبة الإلتباع كآيات القرآن. وهذا مقام عظيم لم يبلغه أحد من أنبياء الله ورسله ﷺ.

وواضح لكل ذي لب أن نفي الهوى عن منطق النبي ﷺ يلزمه نفي الهوى عن فعله بطريق أولى، فما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، تقتضي ولا يفعل عن الهوى، فكل أفعاله حق وسنة، يجب على المسلمين التأسى والإقتداء بها.

أجمع علماء الشيعة على أن كل أفعال النبي وحي لا اجتهاد ٢٠٩

وبهذا الميزان، نعرف أن قول بعض الصحابة إن النبي ﷺ بشر يرضى ويغضب فيقول في الرضا والغضب! كما قالوا لعبد الله بن عمرو والعاص وأمره بأن لا يكتب كل ما يقوله النبي ﷺ! نعرف أن قولهم يدل على عدم إيمانهم بالنبي ﷺ، بل يدل على نفاقهم! وكذلك سؤال بعض الصحابة عن فعله ﷺ: أمنتك هذا أم من الله، فإن كان من الله قبلنا وإن كان منك فلا نقبل.

وكذلك قول القرشيين: حابي ابن عمه! لما رفع بيد علي عليه السلام وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وقال علي وليكم بعدي.

وكذلك قولهم إن كلامه اجتهاد منه وليس وحياً من الله تعالى لتجب طاعته! فكلها محاولات للتفريق بين قول النبي ﷺ وقول ربه، وبين أمره وأمر ربه، تكشف عن أنهم اشترطوا على ربهم في إسلامهم أن يكون لهم حق الإنتقاء فيقبلون من الإسلام ما أحبوا ويتركون ما لا يحبون! فهم من الذين قال تعالى لهم: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ! وقال عنهم: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ.

وواضح لكل ذي لب أن: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، تعني أن نطقه وسكوته ﷺ لا يكون عن الهوى بل من الوحي، لأن السكوت فعل من الأفعال. وإن قلنا ليس السكوت فعلاً بل عدم الكلام، فإن الكلام لا يكون إلا بوحي فعدمه بعدم الوحي، وعدم وحي الله الكلام للنبي ﷺ وحي بالسكوت.

نعم الفرق بين الكلام والسكوت أن الكلام يفسر نفسه، والسكوت يحتاج الى تفسير، لأنه أنواع متعددة، فقد يدل على الإقرار والرضا، وقد يكون مراعاة للناس، أو اعتراضاً، أو إعراضاً.. الخ.

أنواع الوحي الستة

أما كيف يتم وحي الله تعالى الى نبيه ﷺ فقد ذكرنا في الفصل الثاني عشر أن أنواع الوحي ستة، أما تسديد منطقه بالوحي فهو بأن يلقي الله في قلبه ﷺ: قال الله تعالى: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ.

وَحَيًّا: أي يكلمه فيوحي اليه مباشرة بدون جبرئيل عليه السلام .
 أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ: أي يكلمه الله تعالى فيخلق كلامه في شيء ويكلمه من وراء ستر .
 أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا: أي يكلمه بواسطة رسل من الملائكة كجبرئيل وغيره عليه السلام .
 فالوحي بالتكليم ثلاثة أنواع: بالوحي المباشر وهو الذي يصاب فيه الموحى اليه بالغشية ويتصبب عرقاً، وبالتكليم من وراء حجاب، وبالتكليم بالرسل .
 ويضاف اليها ثلاثة أنواع بدون تكليم: بالرؤيا الصادقة، وبالنقر في السمع، وبالقذف في القلب . وهذه الأنواع الستة هي أنواع الوحي الأساسية .

دلالة سكوت النبي ﷺ

ليس سكوت النبي ﷺ عن فعل أو قول بمعنى رضاه به كما زعم فقهاء المذاهب الأربعة! بل هو تابع للقرائن، فقد يدل على إقراره ورضاه إذا وجدت قرينة لذلك، وقد يكون مراعاة للناس، وقد يكون إعراضاً يتضمن الإنكار، وقد يكون اعتراضاً.. الخ.
 لقد أفتوا بأكل الضب لأن النبي ﷺ أعرض عنه ولم يأكله ولم ينطق بتحريمه! وكذا الحشرات والسباع كالذئب وابن آوى وحتى الكلاب، والجوارح آكلة اللحوم! أفتوا بأن أكلها حلال لأن النبي ﷺ سكت عنها!

وقد ورد في عيون أخبار الرضاء الشاه (٢٨٥/١) قول الحسين عن أبيه عليه السلام في صفات النبي ﷺ قال: (فسألته عن سكوت رسول الله ﷺ فقال: كان سكوته على أربع: الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر. فأما التقدير ففي تسويه النظر والاستماع بين الناس. وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى. وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه وجمع له الحذر في أربع: أخذه الحسن ليقترى به وتركه القبيح لينتهى عنه.

ومعنى الحلم: أنه ﷺ لا يريد أن يجيب المسيء اليه، بل يعرض عنه.
 والحذر: احتياطه ﷺ أن يكون كلامه مضرًا للطرف الآخر، لأنه لا يتحملة أو لا يفهم هدفه، أو يستغله من يسمعه.

ومعنى التقدير: السياسة وتقدير المصلحة مع المخاطب ومن يصل اليه كلامه ﷺ، فيرى

أن السكوت أصلح.

والتفكر: كما إذا سألوه وكان ينتظر أمر ربه فيه، فيسكت بانتظار الوحي.

مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٣٤، والعدد القوية / ١٢٠، وأحمد: ١/ ٩٦، والحاكم: ٢/ ٦٠٥، ومجمع الزوائد: ٨/ ٢٧١ و ٢٧٦، وابن أبي شيبه: ٧/ ٤٤٦، وشمال الترمذي / ١٥، ومسند أبي يعلى: ١/ ٣٠٤، والأحاديث الطوال / ٧٨، والمعجم الكبير: ٢٢/ ١٥٥، والفايق: ٢/ ١٨٦، الطبقات الكبرى: ١/ ٤٢٢، والشفا لمياض: ١/ ١٥٥، وغيرها.

هذا، وفي سيرة النبي ﷺ أنواع السكوت، وله أنواع من الدلالات.

ولعل أول سكوته لما أُنذر عشيرته الأقربين ودعاهم إلى الغداء، وأراهم معجزة إشباع أربعين رجلاً بطعام قليل، وأراد أن يتكلم (فبدرهم أبولهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل، فسكت النبي ﷺ يومئذ فلم يتكلم). (العمدة/ ٧٦). فعاود دعوتهم في اليوم الثاني وكلمهم وأُنذرهم.

ما ينطق عن الهوى رد على مشركي قريش وعلى منافقيها في المدينة

فقد كانت قريش في مكة تقول إن نبوته عن هوى وغرض دنيوي لتأسيس دولة لبني هاشم. ثم قال منافقوها في المدينة إن غضبه على قريش ولعنه إياهم من الهوى. وإن مدحه لعترته لينصبهم أئمة من بعده من الهوى! فأجابهم الله تعالى بأنه ما ينطق عن الهوى ولا يفعل عن الهوى. ووقد كشفوا موقفهم بصراحة في قولهم لعبد الله بن عمرو والعاص: لا تكتب ما يقوله محمد، فإنه بشر يغضب فيقول ويذم ويلعن، ويرضى فيقول ويمدح عترته، فقوله من الغضب البشري والرضا خطأ وليس حجة. وسنأخذ دولته بعد وفاته ونبطل ذمه لقريش، ومدحه لبني هاشم!

ما ينطق عن الهوى: كلامه وحي واجب الطاعة!

ومنه لعنه لزعماء بطون قريش لعناً مشدداً، ومدحه لعترته الأبطال مدحاً مؤكداً! وقد واصل سيرته في ذلك في بعثته كلها في مكة والمدينة، وكان هذا يؤرق قريشاً حتى الذين أسلموا منها، كأبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ثم عمرو والعاص وخالد..

فقد كانوا متعصين لقريش! ولذلك (نصحووا) النبي ﷺ أن يرجع ولا يقاتل قريشاً في بدر، ثم نصحوه أن لا يأخذ منهم أسرى وفدية، وكانت علاقتهم بزعماء قريش جيدة حتى أن زعماءها أوصوا في معركة أحد وغيرها أن لا يقتل أحداً من هؤلاء، ولحق عمر ضرار

بن الخطاب وهو ليس أخ عمر، ووضع الرمح بين كتفيه، وقال إحتفظ هذه عندك! وقد حفظها له فجعله في خلافته والياً! ثم تحالفوا مع سهيل بن عمر وأيدوا مطالبه.

ارتكب الصحابة القرشيون الكذب لإبطال مرجعية سنة النبي ﷺ!

كان القرشيون الذين أسلموا وهاجروا إلى المدينة نحو عشرين نفرًا، وقد بقي فيهم التعصب لقريش فكانوا يتألمون عندما يذم النبي ﷺ قريشاً ويلعنهم، ويحسدون بني هاشم والعتره عندما يرونه يمدحهم ويرفع بمقامهم.

فاخترع المتعصبون لقريش مقولات شيطانية لإبطال سنة النبي ﷺ بأن لهم الحق أن ينتقوا من سنته ما يريدون، ويرفضوا ما لا يريدون!

وحجتهم أن النبي ﷺ بشر يرضى فيقول وقد يخطئ، ويغضب فيقول وقد يخطئ، فلا يجوز أن نعتبر سنته حجة كالوحي، ولا يجوز أن ندونها!

روى أبو داود (١٧٦/٢): (عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا! فأمسكت عن الكتاب! فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بإصبعه إلى فيه فقال: أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق!) والحاكم: ٥٢٨/٣، وصححه، وأحمد: ١٩٢/٢.

فالذين نهوه عن الكتابة شيوخ قريش في المدينة وهم أبوبكر وعمر لا غير!

وقال عبد الله بن عمرو إن هؤلاء الذين نهوه عن كتابة السنة كانوا يكذبون على النبي ﷺ في حياته! قال: (كان عند رسول الله ﷺ ناس من أصحابه وأنا معهم وأنا أصغر القوم، فقال النبي ﷺ: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار! فلما خرج القوم قلت: كيف تحدثون عن رسول الله ﷺ وقد سمعتم ما قال! وأنتم تنهمكون في الحديث عن رسول الله ﷺ فضحكوا فقالوا: يا ابن أخينا إن كل ما سمعته منه عندنا فيه كتاب!) (الزوائد: ١٥١/١).

فهم قرشيون لقولهم له: يا ابن أخينا! وهم يكذبون على النبي ﷺ عمدًا مع أنهم سمعوه لتوهم يحذر من يكذب عليه بالنار! فضحكوا عليه وقالوا له: أيها الولد إن ما نسبناه إليه من الأقوال مكتوب عندنا، فلا تخف!

أما وقت القصة فبعد إسلام عمرو والعاص وخالد بعد خيبر، في السنة السابعة! فقد نهى القرشيون عن كتابة سنة النبي ﷺ في حياته، ثم أحرقوا ما جُمع منها بعد وفاته! حيث أن بعض الأنصار جمعوا قسماً من سنة النبي ﷺ فأرسل أبو بكر وجمعها منهم فتخللوا أنه يريد أن يبني عليها، أو يضيف إليها.. لكنه أحرقها!

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (٥/١): (قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيراً! قالت فغممني فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشئ بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئت بها فدعا بنار فحرقها! فقلت لم أحرقتها؟ قال خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد أئتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني، فأكون قد نقلت ذاك)!

أما عمر فأحرق السنة ولم يتأرق أبداً! قال ابن سعد (١٤٠/٥): (عبد الله بن العلاء قال: سألت القاسم يمي عليّ أحاديث فقال: إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها)!

هؤلاء القرشيون يريدون أن يقبلوا من الإسلام الإيمان بالنبي ﷺ والقرآن إيماناً مبهماً، بقدر ما يبرر أخذهم دولة النبي ﷺ وأكلهم الدنيا باسمه!

قال أمير المؤمنين عليه السلام (شرح النهج ٢٠٠/٢٩٨): «ولولا أن قريشاً جعلت إسمه ﷺ ذريعة إلى الرياسة وسُلماً إلى العز والإمرة، لما عبت الله بعد موته يوماً واحداً، ولا رتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكرة!»

ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت لولا أنه حق لما كان كذا! ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولائها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها! فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين! فكنا نحن ممن خل ذكره وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف ونشأ كثير ممن لا يعرف».



الفصل السادس والخمسون

حذفوا من السيرة سيطرة قريش سنتين على مكة بعد فتحها

خضعت قريش للنبي ﷺ عند فتح مكة ثم نقضت ذلك!

في السنة الثامنة لهجرته فاجأ النبي ﷺ قريشاً في مكة ببضعة آلاف مقاتل، فأسقط بأيديها ورأت أنها لا طاقة لها بقتاله، فجاءه أبوسفیان الى مركز قيادته، فأراه النبي ﷺ عرضاً للمقاتلين، وأرسل معه بياناً الى أهل مكة: من ألقى سلاحه فهو آمن، من دخل داره فهو آمن، فطلب أبوسفیان أن يعطيه النبي ﷺ شيئاً فقال له: ومن دخل دار أبي سفیان فهو آمن!

ودخل النبي ﷺ مكة فاتحاً فخضع له زعماء قريش، وخطب في المسجد فقال: يا معشر قريش لبئس جيران النبي كنتم، لقد كذبتهم وطردتهم، وأخرجتم وفللتهم، ثم ما رضيتهم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني! يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟

قال سهيل بن عمر: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. فعفا عنهم وقال: إذهبوا فأنتم الطلقاء، ولم يقل عتقاء!

وقال الطبري (٣٣٧/٢): (فأعتقهم رسول الله ﷺ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوةً وكانوا له فيئاً، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء).

قال البيهقي (٥٨١/٥): (فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام)

فالنبي ﷺ استرقهم فصاروا عبيداً له ولاؤهم له، ولأهل بيته ﷺ. ثم أطلقهم ولم يعتقهم كما زعم الطبري، ولم يسقط حقه في إعادتهم الى الرق!

دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً رحيماً

في الكافي (٢٢٥/٤) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما قدم رسول الله ﷺ مكة يوم افتتحها، فتح باب الكعبة فأمر بصور في الكعبة فطمست، فأخذ بعضادي الباب فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ماذا تقولون وماذا تظنون؟ قالوا: نظن خيراً ونقول خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت! قال: فيني أقول كما قال أخي يوسف: لا تُزَيِّبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، ألا إن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لا ينفر صيدها ولا يعصد شجرها، ولا يختلى خلاها (لا يحش حشيشها) ولا تحل لقطتها إلا لمنشد. فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه للقبر والبيوت؟ فقال رسول الله ﷺ إلا الإذخر».

ودخل وقت الظهر فأمر بلال فصعد على الكعبة وأذن فقال عكرمة: والله إن كنت لأكره أن أسمع صوت ابن رباح ينهق على الكعبة! وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أكرم أبا عتّاب من هذا اليوم من أن يرى ابن رباح قائماً على الكعبة!

وقال سهيل: هي كعبة الله، وهو يرى، ولو شاء لغير! وقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً والله لو نطقت لظننت أن هذه الجدر تخبر به محمداً! وبعث ﷺ إليهم فأخبرهم بما قالوا! فقال عتّاب: قد والله قلنا يا رسول الله ذلك، فنستغفر الله ونتوب إليه، فأسلم وحسن إسلامه).

عفا عنهم وأعطاهم الأمان ودعاهم إلى حرب النجديين معه

أعطى النبي ﷺ الأمان لجميع أهل مكة ما عدا بضعة نفر أصحاب جرائم خاصة مع النبي ﷺ. وبقي في مكة أسبوعين وعين عليها حاكماً أموياً مسلماً هو عتّاب بن أسيد، وعين له معاوناً من الأنصار، وأمر قريشاً بطاعته.

ثم ندبهم ليذهبوا معه إلى قتال هوازن وهي تجمع قبائل نجد الذين قصدوا مكة ليحتلوها وعسكروا في حنين قرب مكة، فخرج القرشيون معه على ثقاقلٍ وغِلٍّ وكان عددهم نحو ألفين،

وعدد جيش النبي ﷺ ستة آلاف وقيل عشرة، فانهزم خالد في خيل بني سليم، وانهزم الجميع من أول كمين نصبته هوازن، وثبت النبي ﷺ وبني عبد المطلب فقاتل النبي ﷺ قتالاً شديداً ثم حماه بنو هاشم، وكان علي بن أبي طالب وحده يقصد أصحاب الرايات أي قادة هوازن ويقطف رؤوسهم، فقتل أربعين منهم، فوقعت فيهم الهزيمة وكتب الله النصر لنبيه ﷺ.

سنتان من حكم سهيل بن عمرو لمكة حذفوها من السيرة!

بحثنا ما فعلته قريش بعد فتح مكة في كتابنا: آيات الغدير/١٩٨ وفي رسالتنا: صراع قريش مع النبي ﷺ، وقلنا إنها لم تعترف بفتح النبي ﷺ مكة ولا بالحاكم الذي عينه عليها، وأول ما قامت به أنها عزلت عن قيادتها أباسفيان واتهمته بأنه تأمر عليها مع محمد ﷺ!

قال في ابن هشام (٤/٨٦٢): لما رجع أبو سفيان ينادي قريشاً لوضع سلاحهم! (فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه فقالت: أقتلوا الحميت الدسم الأحمس (الزق الوسخ) قبحه الله من طليعة قوم)!

وفي الكامل في السقيفة للعماد الطبري (٣٢١/٢): لما سمعت هند المنادي: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالت: والله لحري (فرجها) أوسع من دار أبي سفيان. وقبضت عليه من لحيته وجرت من ثيابه ورأسه وقالت: صبت)!

فذهب أبو سفيان إلى النبي ﷺ معزولاً شاكياً، فعينه النبي ﷺ مسؤولاً على جمع صدقات نجران في اليمن.

واختارت قريش بدل أبي سفيان زعيماً قوياً برأيها يجيد العمل لمصلحة قريش المنكسرة عسكرياً، هو سهيل بن عمرو، العقل السياسي المفكر والداهية المخطط! وأجمع عليه رؤساء بطون قريش، وسرعان ما صار محور قريش، وورث زعماء المستهزئين الخمسة، وعتبة والد هند، وأباجهل!

فسهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود، هو في نظرهم قرشي أصيل. ولئن كان من بني عامر بن لؤي، الذين هم أقل درجة من بني كعب بن لؤي (سيرة ابن هشام: ٤٨٩/٢)، لكنه صاحب تاريخ في مواجهة محمد ﷺ فهو أحد الزعماء الذين فاضوا بأبطال ليسلمهم محمد ﷺ ليقتلوه.

حذفوا من السيرة سيطرة قريش سنتين على مكة بعد فتحها ٢١٧

وهو من أعضاء دار الندوة الذين اتخذوا قرار مقاطعة بني هاشم.
وهو أحد الزعماء الذين واصلوا العمل لقتل محمد ﷺ بعد وفاة أبي طالب، حتى أنجاه الله منهم بالهجرة!

وهو أحد الذين حبسوا المسلمين وعذبوهم على إسلامهم، فقد عذب ولده أبا جندل ثم هرب منه إلى المسلمين!

وهو أحد عشرة من أثرياء المشركين الذين كانوا يطعمون الجيش في بدر!
وهو أحد المنفقين أمواهم لتجهيز الناس لحرب النبي ﷺ في أحد والخندق..
وأحد الذين كانوا يؤلمون قلب رسول الله ﷺ بفعالياتهم الخبيثة، فلعنهم الله تعالى وأمر رسوله ﷺ أن يلعنهم في قنوت صلاته بأسمائهم! وفيهم نزلت آية: فَقَاتِلُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ. (تفسير الصنعاني: ٢٤٢/١).

حكم سهيل مكة وشل عمل الوالي الذي عينه النبي ﷺ

لم تعترف قريش بفتح النبي ﷺ لمكة فقد كانت ترى أن حاكمها سهيل بن عمر، وأن عتاب بن أسيد الذي نصبه النبي ﷺ حاكم مكة، ليس حاكمهم فهو من جماعة محمد ﷺ ومن بني عمه الأمويين!

وقد أحكم سهيل سيطرته على مكة وتجاوز حاكمها عتاباً، وكان يرأس النبي ﷺ باسم القرشيين على أنهم حلفاء له، لكن لهم دولتهم واستقلالهم!

وحاول أن ينتزع اعترافاً من النبي ﷺ بذلك، فكتب إليه يطالبه بأن يعيدهم أناساً أسلموا وتركوا مكة، فعليه أن يعيدهم اليهم حسب بنود اتفاقيتهم معه في الحديبية، أي قبل سنتين من فتح مكة!

كتب إليه سهيل ذلك، ثم جاء على رأس وفد قرشي ونزلوا في المدينة في بيت عمر وجاء معهم عمر وأبو بكر إلى النبي ﷺ، وأيدا مطلبه وكلامه بإرجاع من أراد، فكشف ذلك عن توافق بينهم بعد فتح مكة!

قال له سهيل هؤلاء الأبناء والعبيد زعموا أنهم هاجروا إليك ليتفقهوا في الدين، عملاً بالآية:

فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ. فَأَرْجِعْهُمْ إِلَيْنَا، وَنَحْنُ نَفْقَهُهُمْ!

رواه الحاكم (١٣٨/٢) وصححه بشرط مسلم: (لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، أتاه ناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا حلفاؤك وقومك، وإنه لحق بك أرقاؤنا ليس لهم رغبة في الإسلام، وإنما فروا من العمل فارددهم علينا! فشاور أبا بكر في أمرهم فقال: صدقوا يا رسول الله! فقال لعمر: ما ترى؟ فقال مثل قول أبي بكر! [فغضب رسول الله وقال]: يا معشر قريش ليعثن الله عليكم رجلاً منكم امتحن الله قلبه للإيمان فيضرب رقابكم على الدين! فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله قال: لا ولكنه خاصف النعل في المسجد وقد كان ألقى نعله إلى علي يخصفها).

وفي رواية الترمذي (٢٩٨/٥): (يا رسول الله، خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا، وليس لهم فقه في الدين، وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا، فارددهم إلينا فإن لم يكن لهم فقه في الدين سنفقهم!!)

وفي هذه الحادثة الخطيرة حقائق مهمة:

منها: تأييد أبي بكر وعمر مطلب قريش، وهما يعرفان أنه حيلة لانتزاع اعتراف النبي ﷺ بدولة قريش في مكة دولة مستقلة وليست مدينة مفتوحة تحت حكمه، وقد حذفت بعض الروايات غضب النبي ﷺ من كلام سهيل ومن عاونه، لكنه ظاهر من ذمه لقريش وتهديده إياهم! كما حذفت رواية أبي داود إسم أبي بكر وعمر! فلا بد للباحث أن يفترض علاقةً واتفاقاً مسبقاً بين سهيل وبين الشيخين! وهذا يكشف لنا سبب مجيء عمر إلى مكة بعد حين! فقد استجاز النبي ﷺ وزعم أن عليه نذراً بالعمرة! فأذن له وبقي في مكة مدة، عند سهيل وزعماء قريش!

ومنها: أن سهيل بن عمرو وسهمي عامري، أحد زعماء المشركين بالأمس وزعيم قريش اليوم. وأبا بكر التيمي وعمر العدوي، من قبيلتين لا وزن لهما في قريش، ولكن لهما اليوم وزن مهم عند قريش لأنهما من أصحاب النبي ﷺ الذين يؤيدون مطالب سهيل وقريش ضد النبي ﷺ وضد الإسلام!

ومنها: غضب النبي ﷺ من تفكير قريش ووقاحتها! وقد أعلن يأسه من أن تسلم قريش وتستقيم وتترك كبرياء اليهود وفرعتهم، وتخضع للحق، إلا بقوة السيف!

حذفوا من السيرة سيطرة قريش سنتين على مكة بعد فتحها ٢١٩

ففي عدة روايات أنه قال لهم: ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا أي على الإسلام! (الحاكم: ١٢٥/٢، وأبو داود: ٦١١/١، والبيهقي في سننه: ٢٢٩/٩، وكنز العمال: ١٠/٤٧٣) وهو تصريح نبوي بأنهم لم يسلموا، ولن يسلموا إلا تحت السيف!

ومنها: تهديد قريش بسيف الله وسيف رسوله علي عليه السلام الذي ترتعد منه فرائضهم، لأنهم ذاقوا منه الأمرين، فقد قتل في حروبهم مع النبي صلى الله عليه وآله نصف أبطالهم أو أكثر، وقتل كل المسلمين البقية! ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وآله كنى عن الشخص الذي سيعتبه الله تعالى على قريش فيضرب أعناقهم على الدين، بأنه أنا أو رجل مني (مجمع الزوائد: ٩/١٣٣).

وسماه لما سأله الشيخان عنه فقال: أنا أو خاصف النعل (كنز العمال: ٣٢٦/٧) وغرض النبي صلى الله عليه وآله من هذا الإجمال أن لا تتصور قريش أن المسألة بعيدة فتطمع في مشروعها! بل تحتل أن الأمر قد يصدر غداً إلى علي بغزو مكة وقتل فراعنة قريش!

وغرضه صلى الله عليه وآله من تعبير مني أن يبين مكانة علي عليه السلام وأن تعلم قريش أنه من ذلك الفرع الذي ما زالت تحسده وتموت منه غيضاً! فلو أنه صلى الله عليه وآله قال لهم: إن علياً عليه السلام سيقاتلهم على تأويل القرآن بعد ربع قرن، كما قاتلتهم أنا على تنزيله بالأمس لطمعوا وقالوا: إذن عندنا فرصة ربع قرن من الزمان، ولكل حادثٍ حديث!

أعلن علي عليه السلام أنه سيقاتل قريشاً في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد وفاته!

من أجل تقوية موقف النبي صلى الله عليه وآله وتخويف قريش من إعلان الردة، أعلن علي هذا الإعلان في زمن النبي صلى الله عليه وآله، كما رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، قال ابن عباس قال: (مجمع الزوائد: ٩/١٣٤): (إن علياً عليه السلام كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل يقول: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله تعالى. والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت. لا والله! إني لأخوه، ووليه، وابن عمه، ووارثه، فمن أحق به مني)!

وقد روت هذا الحديث مصادرهم، كخصائص النساء: ١٨، والسنن الكبرى (٥/١٢٥) والطبراني الكبير (١٠٧/١) والحاكم (٣/١٢٦) والرياض النضرة (٢/٢٢٦).

ومنها: أن النبي ﷺ لم يعترف بإسلامهم ولا بملكيتهم، لأنه لم يرجع اليهم أبناءهم ومماليكهم، وأعتق مماليكهم لأنه ملكيتهم غير شرعية، بل هم ومماليكهم شرعاً مملوكون له ولأهل بيته ﷺ، وإن أطلقهم فعلاً ولم يعتقهم!

رغم كل هذا واصلت قريش أعمالها العدائية للنبي ﷺ!

فقد قامت قريش بعد فتح مكة بالأعمال التالية:

حاولت في حنين قتل النبي ﷺ.

شلت عمل حاكم مكة الذي عينه النبي ﷺ، ولم تحج معه!

طالبت النبي ﷺ بإرجاع من يذهب اليه مسلماً!

شكلت غرفة عمليات لأخذ خلافته وعزل عترته، من عمر وسهيل بن عمرو وأبي بكر وأبي عبيده. ومعهم عائشة وحفصة وفيهما نزلت سورة التحريم.

وسهلة بنت سهيل بن عمر، التي علمت عائشة رضاع الكبير وكذبت على النبي ﷺ بأنه قال لها أرضعي سالماً وهو رجل كبير له لحية، فأرضعته ليحرم عليها.

وكان لهؤلاء اتصال باليهود، وقالوا لهم: سَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ. أي اتفاهم السري.

واتهموا زوجة النبي ﷺ مارية القبطية ﷺ، ونفوا عنه ابنه إبراهيم ﷺ.

وقد بحثنا الصحيفة الملعونة الثانية التي تعاهدوا فيها أن يعزلوا بني هاشم عن خلافة النبي ﷺ، ولا بد أنهم أطلعوا عليها سهيل بن عمرو فرحب بها!

قرروا اغتيال النبي ﷺ في رجوعه من تبوك، وباشروا بذلك فأحبط الله خطتهم!

أعادوا محاولة اغتياله في رجوعه من حجة الوداع بعد غدير خم في عقبة هرثى!

قاموا بتغيير ديمغرافي في المدينة فنقلوا من مكة ألوف الطلقاء إلى المدينة وكان ولاؤهم لسهيل بن عمرو ووكيله في المدينة عمر بن الخطاب!

أحبطوا خطة النبي ﷺ لإرسالهم في جيش أسامة إلى مؤتة، وكان فيهم أبو بكر وعمر وسبع

حذفوا من السيرة سيطرة قريش سنتين على مكة بعد فتحها ٢٢١

مئة من قريش كما قال ابن حجر (فتح الباري: ١١٦/٨) فيهم بضعة عشر من المهاجرين، والباقيون من الطلقاء الذي حشدوهم في المدينة!

أقول: هذه الأعمال كانت في مدة سنتين بعد فتح مكة، وكانت بمشاركة سهيل بن عمرو ومساندته. وكان أخطرها التغيير السكاني للمدينة، فقد حشدوا الطلقاء فيها فنقل سهيل منهم عدة آلاف من مكة.

وقاموا في المدينة بحملة لتسقيط بني هاشم، وكرروا قولهم إن محمداً نخلة نبتت في مزبلة! وقد واجهوا النبي ﷺ جهاراً في مرض وفاته ورفضوا أن يكتب وصيته وعهده! ولم يحضروا جنازة النبي ﷺ يوم الإثنين والثلاثاء، لأنهم انشغلوا بإقناع الأنصار! وركضوا إلى بيت سعد بن عبادَة وصفقوا على يد أبي بكر وأعلنوه خليفة! وزفّ الطلقاء أبا بكر إلى المسجد، وأرسل أبو بكر عمر وجماعة إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام ومن معهم يهددونهم إذا لم يأتوا ويبايعوا بأنه سيحرق البيت عليهم! وقد فصلنا ذلك في كتبنا: صراع قريش مع النبي ﷺ، والسيرة النبوية عند أهل البيت عليهما السلام، وآيات الغدير، وألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين.





الفصل السابع والخمسون

رزية يوم الخميس ونجاح مؤامرة قريش ضد النبي ﷺ!

المشكلة الأزمة عند قريش: لمن تكون خلافة محمد ﷺ؟

بعد البعثة بقليل أمره الله تعالى أن يدعو كل بني هاشم، وأنزل عليه من سورة الشعراء: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

فجمع النبي ﷺ بني هاشم وكانوا أربعين رجلاً، ودعاهم إلى الإسلام واختار منهم وزيره ووصيه وخليفته، كما أمره ربه عز وجل.

وانتشر الخبر فاعتبره زعماء قريش نبأً عظيماً، وأخذ يتساءلون عنه، وأنزل الله: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ. كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. وأرسلوا أباسفيان إلى النبي ﷺ يسأل عن الخبر، فزعماء البطون لا يهمهم مضمون دعوة النبي ﷺ ولا معجزاته! لأنهم لا يفهمون النبوة إلا انشقاقاً هاشمياً على قريش ومشروعاً لرئاسة الهاشميين!

وقام أبوسفيان باستطلاع الأمر، وروايته بسند صحيح عندهم، رواها في مناقب آل أبي طالب (٢٧٦/٢) من تفسير القطان عن وكيع، عن سفيان عن السدي، عن عبد خير، عن علي قال: أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد هذا الأمر بعدك، لنا أم لمن؟ قال: يا صخر الأمر بعدي لمن هو بمنزلة هارون من موسى! قال فأنزل الله تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ).

وبسبب وجود هذا الطمع بخلافته، كان ﷺ يشترط على كل من بايعهم أن لا ينازعوا الأمر أهله من بعده! وكلهم بايعوا على هذا الشرط ونقضوه!

وفي كل حياة النبي ﷺ كانت أكبر مشكلة عند قريش أنه ﷺ يسير قدماً في ترتيب الأمر بعده لعلي، وبعده للحسن والحسين أولاد ابنته فاطمة ؓ، وقريش لا تطيق علياً، ولا أحداً من بني هاشم.

ولما أخبرهم النبي ﷺ في حجة الوداع بأنه دُعي إلى لقاء ربه ويوشك أن يجيب، فرحت قريش وأخذوا ينتظرون!

ولما مرض النبي ﷺ استنفر القرشيون يعدون الأيام لينفذوا خطتهم بالصفق على يد أبي بكر وإعلانه خليفة!

وجاءت لحظة صعبة عليهم لما دعا النبي ﷺ المسلمين في مرض وفاته ليعهد إليهم عهده ويكتب لهم وصيته، فازدحموا في حجرته وملاً الطلقاء المسجد والسكة مع أنه ﷺ أمرهم أن يكونوا في معسكر أسامة، ولما طلب أن يقربوا له دواة وكتفاً ليكتب لهم كتاباً يؤمّنهم من الاختلاف والضلال إلى يوم القيامة، فنهض عمر الذي رتبته سهيل والطلقاء رئيساً لقريش، وقال بكل جرأة: لا تقربوا له شيئاً حسبنا كتاب الله، إن نبيكم غلب عليه الوجع، وفي طبعة البخاري في الهند قال: إن نبيكم ليهجر فاستفهموه، أي ليتكلم لأريكم أنه يهذي!

فصاح الطلقاء من خلفه الذين أحضرهم سهيل وعمر من مكة: القول ما قاله عمر، القول ما قاله عمر، لا تقربوا له شيئاً! ومنعوا النبي ﷺ من كتابة ذلك العهد! وأجابتهم بعض نساء النبي من وراء الحجاب وقلن: قربوا لنبيكم يكتب لكم! فشتمهن عمر! فأجابه النبي ﷺ: إنهن خير منكم!

وواصل عمر والطلقاء إصرارهم وشعارهم، فغضب النبي ﷺ فأمره جبرئيل عليه السلام أن يطردهم، فطردهم وقال لهم: قوموا عني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه!

أي إنكم تدعونني لأن أصرّ عليكم، فتعلنوا الردة!

وقد وصف المحامي الأردني أحمد حسين يعقوب/١٨٢، أجواء المواجهة في كتابه القيم: عدالة الصحابة، فكتب تحت عنوان: المواجهة الصاخبة:

«النبي على فراش الموت، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته، وأكثر ما كان يأتيه جبريل في مرضه. النبي على علم بمستقبل هذه الأمة وقد أدى دوره كاملاً وبلغ رسالات ربه، وبين لهم كل

شئ على الإطلاق، وهو على علم تام بما يجري حوله، ومدرّكٌ أنه السكون الذي يسبق الانفجار، فينسف الشرعية السياسية والمرجعية! وبنسف الشرعية السياسية والمرجعية يتجرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتعطل المولد الأساسي للدعوة والدولة.

ولكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة، ولا يقعه شئ عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة! وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة الإلهية والبيان الإلهي الشامل لكل شئ تحتاجه الأمة، بما فيه كيف يتبول وكيف يتغوط أفرادها، إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تهدي وحتى لاتضل، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تربص بها وتنتظر موت النبي لتفتح أشداقها فتعكر صفو الإسلام وتعيق حركته وتغير مساره!

النبي على فراش المرض، وبيته المبارك يغص بأكابر الصحابة، وقد أصر النبي على تلخيص الموقف والتذكير بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام، فقال: قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. ماهو الخطأ بهذا العرض النبوي؟

من يرفض التأمين ضد الضلالة؟ ولماذا؟ ولمصلحة من؟

ثم، إن من حق أي مسلم أن يوصي، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته، والذين يسمعون قوله أحرار فيما بعد بإعمال هذا القول أو إبطاله!

هذا إذا افترضنا أن محمداً مجرد مسلم عادي، وليس نبياً وقائداً للأمة.

فتصدى الفاروق عمر بن الخطاب ووجه كلامه للحضور وقال: إن النبي قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله!

فاختلف أهل البيت فاختموا، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، ومنهم من يقول: القول ما قاله عمر!

فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله: قوموا عني!

وفي رواية ثانية أن الرسول عندما قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، تنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا هجر رسول الله! قال النبي: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه!.

وفي رواية ثالثة، قال النبي: إئتوني بالكثف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقالوا: إن رسول الله يهجر.

وفي رواية رابعة للبخاري: إن النبي قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي غلبة الوجد وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وأكثروا اللغط! قال النبي: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع.

رواية بلفظ خامس للبخاري: إئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما شأنه أهجر؟ إستفهموه. فذهبوا يرددون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه.

رواية بلفظ سادس للبخاري: قال النبي: إئتوني بكثف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر، استفهموه، فقال النبي: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه.

رواية بلفظ سابع للبخاري: قال النبي: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي غلبه الوجد وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله! واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي قال: قوموا عني.

وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال: إن النبي يهجر. وقد اعترف الفاروق أنه صد النبي عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعل!

تحليل المواجهة:

أطراف المواجهة: الطرف الأول، محمد رسول الله وخاتم النبيين وإمام الدولة الإسلامية «رئيسها».

الطرف الثاني، عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة، ووزير من أبرز وزراء دولة النبي، والخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد.

مكان المواجهة: بيت النبي.

شهود المواجهة: كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

النتائج الأولية للمواجهة:

١- الإنقسام: إن الحاضرين قد انقسموا إلى قسمين: القسم الأول: يؤيد الفاروق فيما ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما يريد. وحجة هذا الفريق أن الفاروق من كبار الصحابة، وأحد وزراء النبي، ومشفق على الإسلام، وأن النبي مريض، وبالتالي فلا داعي لإزعاجه بكتابة هذا الكتاب. ثم إن القرآن وحده يكفي، فهو التأمين ضد الضلالة، ولا داعي لأي كتاب آخر يكتبه النبي!

القسم الثاني: يرفض المواجهة أصلاً بين التابع والمتبوع وبين نبي ومصدق به وبين رسول يتلقى تعليماته من الله، وبين مجتهد يعمل بما يوحى له اجتهداه وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت وبين واحد من وزرائه.

ويرى هذا القسم أن تتاح الفرصة للنبي ليقول ما يريد، ولكتابة ما يريد لأنه نبي وما زال نبياً حتى يتوفاه الله، ولأنه رئيس الدولة وما زال رئيساً للدولة حتى يتوفاه الله ويحل رئيس آخر محله. ثم على الأقل، لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره، ومن حقه أن يقول ما يشاء وأن يكتب ما يشاء. ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته فهو صاحب البيت ومن حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته.

وقال المحامي الأردني: برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين بمواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه! انتهى كلام المحامي.

أقول: جاء انقلاب يوم الخميس ثمره لصراع قريش مع النبي ﷺ الذي أخذ منحى جديداً بعد فتح مكة، فقد قرر زعماء قريش أن يخوضوا معه المواجهة حول خلافته وأن تكون مواجعتهم بزعامة عمر! ونشطوا في إسكان الطلقاء في المدينة ليشدوا ظهر عمر، فبلغوا ثلث أهل المدينة أو نصفها! لأن القرشيين الذين كتبهم النبي في جيش أسامة سبع مئة! (فتح الباري: ١١٦/٨).

وقد أخبر الله تعالى نبيه ﷺ أن أمته ستختلف بعده كالأمم السابقة فقال: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

فكان النبي ﷺ يؤكد على مكانة أهل بيته ﷺ ويحذر أمته أن يرتدوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، لأجل الحكم والخلافة!

وخطب فيهم في حجة الوداع خمس خطب بينَ فيها كل ما ينبغي بيانه، وبشرهم بالأئمة الإثني عشر ﷺ من عترته بعده، وأكد على وجوب اتباعهم وإلا وقعوا في الضلال والإنهيار!
ثم في خطبته السادسة في غدير خم ﷺ أخذ بيد علي ﷺ وأصعده المنبر وأعلنه خليفته، وأمرهم أن يهنتوه ويبايعوه ففعلوا، وكان عمر أول المهنتين!

فقد روى الخطيب البغدادي، والحافظ الحسكافي، وابن عساكر، وابن كثير، والخوارزمي، وابن المغازلي بسند صحيح بشرط الشيخين عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثنائي عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: أأست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم!

وفي مرض وفاته ﷺ أمره ربه عز وجل أن يدعو أصحابه ويتم عليهم الحجة فعرض عليهم أعظم عرض قدمه نبي لأئمة: أن يضمن لهم أن يكونوا سادة العالم إلى يوم القيامة، بشرط أن يقبلوا حكم الله ورسوله ﷺ ويلتزموا بتنفيذ ما يكتبه لهم!

فانبرى له عمر بالنيابة عن قريش فرد عليه وأعلن رفضهم لعرضه! فشد ظهر عمر أكثر الحاضرين وصاحوا في وجه نبيهم: القول ما قاله عمر، أي لا نريد أن تكتب لنا كتاباً، ولا نريد أمانك من الضلال، فقد غلب عليك الوجد وفقدت الصلاحية العقلية فأنت خرف!

لقد ردوا على رسوله ﷺ وأهانوه وحكموا عليه بأنه خرفان فقد عقله!
واختاروا الضلال عن عمد وإصرار، وصادروا من نبيهم ﷺ قيادة الأمة وأعطوها إلى عمر، زعيم قريش الجديد!

واضطرب النبي المظلوم ﷺ إلى السكوت، لأنهم خيروه بين الكف عن كتابة عهده أو تعلن قريش ارتدادها عن الإسلام وإعلان أن محمداً ليس نبياً، بل يريد تأسيس ملك لأسرته

كملك كسرى وقيصر! فاليوم ابن عمه ابن ثلاث وثلاثين سنة، وبعده أولاد ابنته الذين هم دون العاشرة، وإذا دخلت الخلافة فيهم فلن تخرج منهم ولا تصل إلى قبائل قريش أبداً، وهذا ظلم لقريش ما بعده ظلم!

لهذا، تقدم عمر بتخويل سهيل زعيم قريش وواجه النبي ﷺ بأن بني هاشم تكفيهم النبوة! وخلافته يجب أن تكون لبقية البطون ويكون بنو هاشم فيها كغيرهم لا أكثر! وسلاحه مقابل النبي ﷺ تهديد قريش بالردة!

وقد اعتبرت قريش أنها انتصرت عليه، فمنعته من كتابة عهده لعترته ﷺ! وما أن أغمض عينيه ﷺ حتى سارعت بالصفق على يد خليفته، وأسست نظام الخلافة القرشي على قانون الغلبة والتسلط!

وفتحت بذلك في الأمة صراعاً على السلطة لم تعرف أمة بعد رسولها أكثر منه سفكاً للدماء! وكانت نتيجة نظام الخلافة بعض فتوحات محدودة على غير منهج، ثم غلبة غلمان بني أمية على الخلافة، ثم غلمان بني العباس، ثم غلمان الشراكسة والعثمانيين، حتى انهارت الخلافة والأمة بيد الغربيين ودفنوها في استانبول!

كانت المدة بين يوم الغدير يوم الخميس ١٨ ذي الحجة، وبين يوم الخميس يوم الرزية ٢٤ صفر من نفس السنة، ستاً وستين يوماً فقط!

نشط فيها القرشيون في المدينة ومكة ضد خلافة عترة النبي ﷺ ووقعت أحداث ونزلت آيات، وصدرت من النبي ﷺ خطب وأحاديث!

ومن أبرزها دعوته المسلمين إلى كتابة عهده، فأفشلوا أمره كما رأيت! وقبلها إرساله الطلقاء والمنافسين لعلي عليه السلام في جيش أسامة ليخلو الجو منهم في المدينة، فیرتب الخلافة قبل وفاته! فأفشلوا جيش أسامة، وكان لحفصة وعائشة دور خطير كما قال الله تعالى: **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ.**

قال الطبري الشيعي في المسترشد/٦٨٠: أليس قال الرسول ﷺ وقد تغرغر (أي شرق بكلماته

حزنًا) إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم ما لاتضلون معه بعدي، فقال الثاني: هجر رسول الله، حسبنا كتاب الله!»!

وهنا بحوث لا يتسع لها المجال. راجع: ألف سؤال وإشكال: ٣٦٩/٢.

جرائم علماء السلطة في تحريف حديث الرزية!

ارتكب علماء السلطة في حديث رزية الخميس أو حديث الدواة والكتف أنواعاً من الجرائم الحقيقية: من تحريف، وتعتيم، وتليبس، وكذب صريح!

كل ذلك ليغطوا مواجهة عمر بن الخطاب الفظة للنبي ﷺ، بل حولوها الى منقبة لعمر! ليشبتوا صحة اتهمه للنبي ﷺ بأنه يهذي ويهجر ويسقطوا كلامه عن الحجية، وزعموا أنه كان عند عمر قرائن فهم منها أن طلب النبي ﷺ الدواة لم يكن طلباً حقيقياً، فلا تجب طاعته!

أما فقرة: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني اليه. في رواية البخاري (٣١/٤) وغيرها، فلم يشر حوها أبداً! فماذا يقصد النبي ﷺ بقوله: الذي أنا فيه؟ وماذا يقصد بقوله: مما تدعوني اليه، فالى ماذا دَعَوْه، وبماذا دَعَوْه؟

إنه نص صريح في أنهم مضافاً الى رفضهم كتابة عهده، دَعَوْه الى شئٍ خطير يردُّ الإسلام الى أسوأ مما هو فيه! فالنبي ﷺ يقول لهم: دعوتكم لتقبلوا كتابة عهدي وتلتزموا به، فتكونوا سادة العالم الى يوم القيامة، فرفضتم! ودعوتوني الى أمر يجعل الإسلام في وضع أسوأ مما أنا فيه! فقد دَعَوْهُ الى أن يصير على الكتابة فيعلنوا أنه خرفان يتكلم من عنده!

لقد تعمد علماء الخلافة القرشية امتهان القارئ، ليبرؤوا عمر من مواجهته الكافرة مع النبي ﷺ وفي المقابل اتهموا النبي ﷺ بأنه غلبه الوجد كما قال عمر، فلا تجب طاعته، وأنه طلب أن يوصي عن اجتهاد رأيه وليس بوحى من الله! فلا تجب طاعته في إحضار دواة وقرطاس! وزعموا يجوز لأي شخص أن يجتهد مقابل اجتهاد النبي ﷺ، فكيف إذا كان عمر الذي ينطق الملك على لسانه؟!!

لقد صادروا آية: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. وأعطوها لعمر! وقد وصل طعنهم بالنبي ﷺ وإهانتهم لشخصه المقدس الى مقاله عياض!

قال في الشفا (١٩٢/٢): (قال أئمتنا في هذا الحديث: إن النبي ﷺ غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه، معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدى إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في الكلام).

لاحظ تناقضهم! فالنبي ﷺ قد يغلب عليه الوجع ويهجر، فلا تجب طاعته، لكن هجره لا يطعن في نبوته! لقد نقضوا قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فقالوا لكن قد يهجر ويهذي فلا تطيعوه!

ونقضوا قوله تعالى: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فقالوا وإن هجر نبيكم فلا تطيعوه، ولا تضر معصيته بإيمانكم!

ونقضوا قوله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ، فقالوا إن هجر لا تطيعه وأعمالنا لا تبطل!

ونقضوا قوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، فقالوا إن صار نبيكم يهجر، فلا يجب طاعته فيما أمر ونهى!

ثم اتهموه بأن قوله وأمره ونهيه في مرض وفاته اجتهد منه لا تجب طاعته، وأبطلوا بذلك قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ.

فهم لأجل تصحيح كلام عمر وفعله حاضرون لأن يطعنوا في النبي ﷺ ويرفضوا آيات القرآن، فماذا يبقى لهم من الإسلام؟!

ثم لاحظ تبريرهم لقول عمر إن النبي ﷺ هجر، كما في فتح الباري (١٠٠/٨): (قال المازري: إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكانه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم بل على الاختيار، فاختلف اجتهداهم، وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم! وعزمه ﷺ كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن كان بالوحي فبالوحي وإلا فبالاجتهاد أيضاً، وفيه حجة لمن قال بالرجوع إلى الاجتهاد في الشرعيات! (أي

مخالفة اجتهاد النبي باجتهاد مقابله)!

وقال النووي: اتفق قول العلماء على أن قول عمر حسبنا كتاب الله، من قوة فقهه ودقيق نظره! لأنه خشي أن يكتب أموراً ربها عجزوا عنها، فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة، وأراد أن لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء!

وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر إشارة إلى تصويبه رأيه! وأشار بقوله: حسبنا كتاب الله، إلى قوله تعالى: مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ).

فعمر عنده قرائن تدل على أن النبي ﷺ لم يأمر بنحو الوجوب! وأمر النبي ﷺ هنا كان باجتهاده وليس بأمر ربه عز وجل، فيجوز الاجتهاد مقابله وقد اجتهد عمر!

وبهذا أبطلوا قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. فصار النبي ﷺ ينطق عن هوى واجتهاد، وعمر يجتهد بتسديد الملك الذي ينطق على لسانه! إنهم يستमितون في الدفاع عن الجبهة القرشية المضادة للنبي ﷺ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!



إحدى عشرة مسألة في حديث الرزية لم يستوفها الباحثون!

المسألة الأولى: كيف دعا النبي ﷺ الناس وأخبرهم بأنه سيكتب لهم عهده والمفروض أن أكثرهم في معسكر أسامة الذي يبعد سبع كيلومترات؟

المسألة الثانية: هل كان في الذين صاحوا: القول ما قاله عمر، أحدٌ من غير الطلقاء، من المهاجرين القرشيين أو غيرهم، أو من الأنصار؟

المسألة الثالثة: من كان حاضراً من شخصيات المهاجرين والأنصار وأهل البيت ﷺ؟ مثلاً أبوبكر، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وعبدالرحمن بن عوف، وخالد بن سعيد، وخالد بن الوليد، وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة وكبار الأنصار، والعباس وعلي ﷺ؟

المسألة الرابعة: هل كان سهيل بن عمرو يومها في المدينة أو في مكة، ومن كان أقرب الناس إليه في المدينة غير بنته سهيلة بنت سهل؟

المسألة الخامسة: من التي صاحت من أزواج النبي ﷺ: قربوا لنيكم دواة وكتفاً يكتب لكم، فشتمن عمر؟ وهل كانت عائشة وحفصة هناك؟

المسألة السادسة: ما الفرق بين يهجر وغلب عليه الوجع؟ ولماذا حذفوا يهجر من طبعة بولاق للبخاري؟ وهل يوجد دليل قاطع على أن عمر قالها؟

المسألة السابعة: ما هو جواب عمر إذا سئل: أراد النبي ﷺ أن يكتب وصيته في مرضه فممنعه، وأراد أبو بكر أن يكتب وصيته في مرضه فقلت للناس أسكتوا وأنصتوا يريد أن يكتب لكم وصيته! فما الفرق بين الحالتين؟

المسألة الثامنة: وإلى ماذا دعاهم النبي ﷺ بقوله: هلموا أكتب لكم.. الخ. وإلى ماذا دعوه هم فأجابهم: قوموا عني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه؟!

المسألة التاسعة: هل طرد النبي ﷺ أصحابه غير هذه المرة؟ وهل طرده إياهم يعني غضبه ﷺ عليهم أو على بعضهم؟ وما هو الحكم الشرعي لطرودي النبي ﷺ والمغضوب عليهم منه؟!

المسألة العاشرة: هل فقره: وأوصاهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.. الخ. التي وضعوها في الحديث بعد أن طردهم، وهي قوله: قوموا عني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، هل هي من حديث الرزية أم ألصقوها فيه إلصاقاً، وهي أجنبية عن حديث الرزية وذلك المجلس؟!

أما وقت طردهم فهو عندما لم يطيعوه ولغطوا: فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله: قوموا! (البخاري: ١٣٧/٥). وفي دلائل البيهقي (١٨٢/٧): (أوصاهم عند موته بثلاث). وهو يشير إلى عدم علاقة هذه الوصايا بمجلس حديث الرزية!

المسألة الحادية عشرة: ماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب في تلك الجلسة العاصفة؟! هم يقولون إنه أوصى في ذلك اليوم وبعده بما كان يريد أن يكتبه، وهي وصايا عامة ليس فيها تعيين خلفائه بعلي وعترته من أهل البيت!

وهذا قول بغير علم، يعارضه ما روينا نحن وهم، رواه النعماني في الغيبة/١٨٥، وابن عقدة

في فضائل علي عليه السلام بسند صحيح عند السنة والشيعه: (عن عبد الرزاق قال: حدثنا معمر بن راشد، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس: أن علياً عليه السلام قال لطلحة في حديث طويل عند ذكر تفاخر المهاجرين والأنصار بمناقبهم وفضائلهم: يا طلحة، أليس قد شهدت رسول الله ﷺ حين دعانا بالكف ليكتب فيها ما لا تضل الأمة بعده ولا تختلف فقال صاحبك ما قال: إن رسول الله يهجر، فغضب رسول الله وتركها؟ قال: بلى قد شهدته. قال: فإنكم لما خرجتم أخبرني رسول الله ﷺ بالذي أراد أن يكتب فيها ويشهد عليه العامة، وأن جبرئيل عليه السلام أخبره بأن الله تعالى قد علم أن الأمة ستختلف وتفترق، ثم دعا بصحيفة فأملى علي ما أراد أن يكتب في الكف، وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان الفارسي، وأبذر، والمقداد، وسمى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر المؤمنين بطاعتهم إلى يوم القيامة، فسماني أولهم، ثم ابني هذا حسن، ثم ابني هذا حسين، ثم تسعة من ولد ابني هذا حسين، كذلك يا أبذر وأنت يا مقداد؟ قالوا: نشهد بذلك على رسول الله ﷺ. فقال لطلحة: والله لقد سمعت من رسول الله ﷺ يقول لأبي ذر: ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء ذا لهجة أصدق، ولا أبر من أبي ذر، وأنا أشهد أنهما لم يشهدا إلا بالحق، وأنت أصدق وأبر عندي منهما).

أطول كلام لعلماء السلطة وعلمائنا في حديث الرزية

أطول محاولات الدفاع عن عمر بن الخطاب من علماء السلطة، ما كتبه القاضي عياض في الشفا، وبعده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري.

وهذا نموذج من دفاع عياض:

قال عياض (١٩٣/٢): (وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره ﷺ أن يأتيه بالكتاب، فقال بعضهم أوامر النبي ﷺ يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن، فلعل قد ظهر من قرائن قوله ﷺ لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال: استفهموه، فلما اختلفوا كف عنه إذ لم يكن عزمه ولما رأوه من صواب رأى عمر: ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقاً على النبي ﷺ من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبي ﷺ اشتد به الوجع، وقيل خشي عمر أن يكتب أموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة، ورأى

أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجوراً، وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال: اليوم أكملت لكم دينكم، وقوله ﷺ: أوصيكم بكتاب الله وعترتي. وقوله عمر: حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبي! لاحظ جرأة عياض العمري على الإفتاء حيث جعل قول عمر رداً على من نازعه وقد كان بعد كلام النبي ﷺ مباشرة قبل أن يتكلم أحد!

أما من علمائنا فأطول شرح لحديث الرزية ما كتبه آية الله الباحث السيد مهدي الخرسان حفظه الله في المجلد الأول من موسوعة ابن عباس، وقد بلغ ٢٢٤ صفحة، أورد فيه صيغ الحديث وألفاظه في خمس وعشرين صورة، ثم استعرض رواية الحديث ومصادره من القرن الأول الى القرن العاشر. ثم ناقش شراحه الذين ساهم علماء التبرير، فرد على الخطابي، وابن حزم الظاهري، والبيهقي، والمازري، والقاضي عياض، وابن الأثير، والنووي، وابن تيمية، والشاطبي، وابن حجر العسقلاني، والقسطلاني، والوشتاني الآبي المالكي، والبدر العيني، والدهلوي، واللاهوري، والعقاد. وقد وصفهم بأنهم عمريون أكثر من عمر نفسه! وما قاله ملخصاً:

(أوردنا نماذج من أقوال علماء التبرير، فوجدناهم في اندفاعهم يركبون الصعب والذلول، ويقولون المقبول وغير المقبول، بل وحتى غير المعقول، في سبيل تبرئة عمر من معرة كلمته الجافية النابية، والتي لم يتبرأ هو منها، ولكن القوم على مقولة: ملكيون أكثر من الملك. فعمر قال كلمته بملء فمه دون تورية أو كناية، متحدياً شعور النبي ﷺ ومشاعر الشريعة النبوية الربانية.

ثم قال: في الصورة الرابعة قال عمر: لما مرض النبي قال: إئتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي فكرهنا ذلك أشد الكراهية!

لماذا يا أبا حفص كرهتم ذلك أشد الكراهية؟ لا عليك أن تكشف السبب فإن علماء التبرير سيدافعون عنك، ولو كان على حساب الرسول ﷺ!

وعمر يقول لابن عباس بعد لأي من الزمن: ولقد أراد رسول الله أن يصرح باسمه يعني علياً فمנعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام!

وعلماء التبرير يقولون: ربما أراد أن يكتب شيئاً من الأحكام، أو أن يكتب خلافة أبي بكر من

بعده، لا كما يقول الرافضة؟

وعمر يقول أيضاً لابن عباس: إن رسول الله أراد ذلك وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسوله! أو كلّمَا أراد رسول الله كان!

وعلماء التبشير يقولون: ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على رسول الله! كما قال ذلك الخطابي وأضرابه.

وعمر يقول لابن عباس: لقد كان من رسول الله ﷺ ذرواً من قول، لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً!

وعلماء التبشير يقولون: كان ذلك من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره! ورابعة: عمر يقول لابن عباس: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر!

ويقولون: ومهما كانت كلمته فلا يظن به ذلك. كما مر عن ابن الأثير. وعمر يقول خامسة لابن عباس أيضاً: أول من راثكم عن هذا الأمر أبو بكر إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة!

وعلماء التبشير يقولون: فإن عمر اشتبه عليه هل كان قول النبي من شدة المرض فشك في ذلك فقال: ما له أهجر؟ كما مر عن ابن تيمية.

وبالتالي يقولون: وإنما قصده التخفيف عن النبي ﷺ. كما مر عن البيهقي.

ويقولون: كان ما اختاره عمر صواباً، كما مر عن العيني.

وهكذا ظهرت كوامن نفوسهم على ألسنتهم فخطوها بأقلامهم، وبانت عمريتهم أكثر من عمر نفسه!

وأعجب من ذلك كله ما سال به قلم العقاد في عبقرياته من مكابراته ولنقرأ ما يقول، فإنه جاوز القوم في عمريته، وأتى بالعجاب في عبقريته!

قال في عبقرية عمر: ونفس عمر بن الخطاب هي تلك النفس التي تدعم علم الأخلاق من الأساس، ذلك الصرح الشامخ الذي ننظر إلى أساسه فكأننا تسلقنا النظر إلى ذروته العليا،

لأنه قرب بين الآمال والقواعد أو جز تقريب، إذ هو التقريب الملموس .
فلا جرم يراجع النبي في كل عمل أو رأي لم يفهم مأتاه ومرماه ما أمكنته المراجعة وما قلقت
خواطره حتى تثوب إلى قرار .

اللهم إلا أن تستعصي المراجعة ويعظم الخطر، فهناك تأتي الخليقة العمرية بآية الآيات
من الإستقلال والحب والحزم الذي يضطلع بجلال المهام . فلما دخل النبي في غمرة الموت
ودعا بطرس يملي على المسلمين كتاباً يسترشدون به بعده، أشفق عمر من مراجعته فيما سيكتب
وهو جد خطير وقال: إن النبي غلبه الوجد وعندنا كتاب الله حسبنا، ومال النبي إلى رأيه (!) فلم
يَعد إلى طلب الطرس وإملاء الكتاب، ولو قد علم النبي أن الكتاب ضرورة لا محيص عنها،
لكان عمر يومئذ أول المجيبين!

هذا ما تفتقت عنه عبقرية العقاد ولا نطيل عند أقواله . ولكن قوله إن نفس عمر هي
تلك النفس التي تدعم الأخلاق من الأساس! هو من زخرف القول؟ فهذه كتب السيرة
والتاريخ تذكر أن عمر كان فظاً غليظاً!

ثم ليت العقاد تروى قليلاً ولم يرسل القول على عواهنه، وراجع الكلمة قبل أن يكتبها!
فقوله: وكثيراً ما جاره النبي ﷺ واستحب ما أشار به وعارض فيه؟ لماذا لم يوثق دعواه بشاهد
صدق واحد من ذلك الكثير الذي زعمه . وأين كان ذلك المستحب من مشورته الذي جراه
فيه النبي ﷺ .

وما أدري هل كان إعراض النبي ﷺ عن أبي بكر وعن عمر حين شاور الناس في يوم بدر
فتكلما فأعرض عنها، هل كان ذلك من شواهد الكثير الذي زعمه؟

وما أدري لماذا تغير وجه رسول الله ﷺ من كلام عمر في صلح الحديبية!

ثم حين جاء عمر بسهيل بن عمرو إلى النبي ﷺ في المدينة وقال أبو بكر في قريش: إنهم
جيرانك وحلفاؤك! فغضب وقال ﷺ: يا معشر قريش والله لتنتهن أو لبيعن الله عليكم رجلاً
منكم امتحن الله قلبه للإيمان فيضربكم على الدين). انتهى كلام السيد الخراسان.

الشيعه فقط فسروا قوله ﷺ : فما أنا فيه خير مما تدعوني اليه!

فقد اتفقت ألفاظ الحديث على أن النبي ﷺ ختم المجلس بطردهم فقال: قوموا عني، أو دعوني، أو ذروني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني اليه. (البخاري ٣١/٤) فلم يشرحها الشراح! بل حرفوا واقعة الطرد وكان النبي ﷺ اشتد به تعب المرض فدعا لهم وشكرهم، وقال تفضلوا أريد أن أرتاح!

وفسروا: الذي أنا فيه، بما يراه من الجنة وإكرام ربه، قبل موته بخمسة أيام! واختلفوا في تفسير قوله: مما تدعوني اليه، فقال بعضهم يقصد الكتابة، وقال ابن حجر يقصد عدم الكتابة! ولم يشر حوالى ماذا دَعَوْه وبماذا دعوه؟ إنه نص صريح في أنهم مضافاً إلى رفضهم كتابة عهده، دعوه الى شئٍ خطير يرُدُّ الإسلام الى أسوأ مما هو فيه!

فالنبي ﷺ يقول لهم: إني دعوتكم لتقبلوا كتابة عهدي وتلتزموا به، فتكونوا سادة العالم الى يوم القيامة، فرفضتم! ودعوتوني الى أمر يجعل الإسلام في وضع أسوأ مما أنا فيه! لكن علماء السلطنة يعرفون أن قوله ﷺ تدعوني اليه نص على أنهم دعوه الى أمر خطير فلم يطعهم به، ولو أطاعهم لزال الدين!

ومن دعاه منهم إلا عمر بقوله: استفهموه لأثبت لكم أنه يهجر! وهدفه من إثبات ذلك أن يفتح الباب لجمهوره الطلقاء عمر الذين أمده بهم سهيل، فيعلنوا هم في المدينة ثم يعلن سهيل شريكه في مكة ردة قريش لأنه ثبت عندها أن محمداً ليس نبياً بل طالب ملك لعترته! إن علماء السلطنة فيهم من أفهم الناس، لكنهم قرروا أن لا يفهموا شيئاً ينتقص من عمر، حتى لو كان ينتقص من النبي ﷺ!

وأي انتقاص للنبي ﷺ أكبر من اتهامهم إياه بأنه غلبه الوجد كما قال عمر، وبأنه لم يكن جاداً في كلامه، فلم تكن طاعته واجبة في إحضار دواة وقرطاس له! واتهامهم إياه بأن طلبه دواة لكتب عهده كان باجتهاد رأيه، وليس بوحي من الله تعالى!

إنها قضية واضحة وضوح الشمس فقد اضطر النبي ﷺ أن يصرف النظر عن كتابة العهد

ويتنازل عن تأمين مستقبل أمته، لأن ذلك خيرٌ من أن تعصف عاصفتهم بالإسلام من أصله، فتعلن قريش ردتها وتطيعها قبائل العرب، وتشن الحرب على آل النبي ﷺ ومن يبقى على الإسلام من الأنصار، وتقضي عليهم قريش!

وأمام تهديد قريش بلسان زعيمها الجديد عمر، أمر الله نبيه ﷺ أن لا يضغط عليها فتكفر، وكان جبرئيل عليه السلام حاضراً عنده، فأمره أن ينهي المجلس ويطردهم! فإنما عليه البلاغ عن ربه، وقد بلغ وأتم عليهم الحجة!

ونلاحظ أن الحزب القرشي لم يهتم لطرد النبي ﷺ لهم من بيته! بل فرحوا بأنهم حققوا نتيجة هائلة من ذلك المجلس حيث تراجع النبي ﷺ أمامهم، فانتزعوا منه قيادة الأمة، ووضعوها في يد زعيمهم الجديد عمر!

وأن عمر سيضعها في مسار قبلي يخضع لقانون الغلبة، بدل المسار الرباني بقانون النص! وقد أثمر قانون الغلبة أنياً، فحكم أبوبكر سنتين وشهرين، ثم قتلوه بالسهم، فحكم عمر بعده عشر سنين، ثم قتلوه ونصبوا عثمان فحكم اثنتي عشرة سنة!

ولما تفاقم ظلم عثمان اضطر الصحابة لأن يثوروا عليه ويقتلوه، ويختاروا علياً عليه السلام ليحكم خمس سنين، فأفاقت قريش وحاربتة وانتصرت عليه، وأعادت قانون الغلبة وما زال إلى يومنا هذا! لقد فتح عمل عمر وقريش صراعاً دموياً على السلطة، لم تعرف أمة بعد نبيها أسوأ منه، ولا خلافةً لنبي أكثر منه سفكاً للدماء منه!

فلو أحصينا حروب الأمة وصراعاتها على السلطة لبلغت المئات، وبلغ قتلها عشرات الملايين! وخساراتها المادية والمعنوية فوق التصور!

وكانت آخر ثمار قانون الغلبة: أن ضعفت الأمة ثم انهارت بيد الغربيين، فدفنوا خلافة قريش في استانبول، بلا مراسم توديع ولا تشييع، ولا بكاء ولا حزن!

إرادة النبي ﷺ شخصية وإرادة عمر إرادة الله!

أعجب عمر بنفسه إذ انتصره بجمهوره الطلقاء على النبي ﷺ ومنعه من كتابة عهده فاعتبر أن النبي ﷺ أراد أمراً، وهو أراد أن لا يكتب فغلبت إرادته لأنها إرادة الله!

والدليل عنده على أنها إرادة الله أنها وقعت وتحققت!

قال ابن أبي الحديد السني المعتزلي في شرح نهج البلاغة (٧٨/١٢): (وروى ابن عباس، قال: خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته، فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتبعته فقال لي: يا بن عباس، أشكو إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل ولم أزل أراه واجداً، فيم تظن موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم، قال أظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة. قلت: هو ذاك، إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له، فقال: يا ابن عباس، وأراد رسول الله الأمر له فكان ما إذا لم يرد الله تعالى ذلك! إن رسول الله أراد أمراً وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسوله! أو كلما أراد رسول الله كان! إنه أراد إسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم)! انتهى.

وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ وهو: إن رسول الله أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم!

وقال الهادي إلى الحق في التحفة العسجدية/١٤٤: قال عمر: (ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام. ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم! وقال: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر، صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً).

وأحمد ابن أبي طاهر مؤرخ موثوق وله عدة مؤلفات ينقل منها المؤرخون، وقد طبع بعض المستشرقين جزءاً من كتابه تاريخ بغداد.

قال كوركيس عواد في كتابه الذخائر الشرقية (٣٢٩/١): (أحمد بن أبي طاهر، المتوفى سنة ٢٨٠ هـ. كتاب بغداد، الجزء السادس. نشره على الحجر المستشرق كلر H.Keller مع ترجمة ألمانية ليبسك ١٩٠٨. وكان هذا المستشرق قد نشر قسماً من هذا الجزء في أطروحة طبعها في ليبسك سنة ١٨٩٨. ثم نشر هذا الجزء نفسه بعناية محمد زاهد الكوثري وعزت العطار الحسيني، القاهرة ١٩٤٩-٢٣٩ صفحة. في هذا الجزء أنباء عهد المأمون).

وكلام عمر واضح صريح بأن النبي ﷺ أراد علياً للخلافة وأراد أن يكتب ذلك في عهده

قبل وفاته، وكانت إرادته شخصية لأنه ينطق عن الهوى، لكنني منعتة إشفافاً على الإسلام، فكان عملي إرادة الله وليس عن هوى، لأنه وقع وتحقق!

وقد أطاع الطلقاء عمر بن الخطاب وأطاعته من ورائهم الأمة، وتركوا نبيهم يموت في غصته، وقد نزل عليه جبرئيل وهو مريض (أما الصدوق/٣٤٨): (فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً وتفضيلاً لك خاصة، يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجددك يا محمد؟ قال النبي ﷺ: أجدني يا جبرئيل مغموماً، وأجدني يا جبرئيل مكروباً).

نتائج مواجعتهم للنبي ﷺ على القرآن والسنة!

الى يوم الخميس يوم الرزية، كان الإيمان بنبوته محمد ﷺ، ولما منعه عمر من كتابة عهده الى أمته وصاح أكثر الحاضرين من الطلقاء: القول ما قاله عمر، القول ما قاله عمر! حسبنا كتاب الله. تغير الحال فصار الدين بنبوته عمر!

وقد ذكرنا في تدوين القرآن نتائج هذه المواجهة على القرآن والسنة، وخلاصتها: أن عمر استطاع أن يحقق بمساعدة الطلقاء هدفين ضخمين حول القرآن والسنة: الأول: أن القرآن المصدر الرسمي للإسلام، والسنة مصدر انتقائي يختار منه عمر وقريش ما يناسبهم، ويتركون ما لا يناسب، أو يمنعون صدورهم! الثاني: أن عمر الزعيم المقبول من قبائل قريش ما عدا بني هاشم هو المفسر الرسمي للقرآن، وله الحق أن يمنع النبي ﷺ من كتابة وصيته التي قد تلزم المسلمين بمفسر رسمي من بني هاشم!

والناظر في سيرة عمر يجد أنه طبق هذين المبدأين في خلافة أبي بكر وخلافته بقرارات جريئة لضبط مسألة القرآن والسنة! وهي خمسة قرارات:

- ١- منع رواية سنة النبي منعاً باتاً، تحت طائلة العقوبة، وقد عاقب عدداً من الصحابة على مجرد رواية الحديث عن النبي، بالضرب والسجن، وبقي عدد منهم في سجنه إلى أن مات!
- ٢- منع تدوين سنة النبي منعاً باتاً، وهو قرار اتخذ مع زعماء قريش من زمن النبي ﷺ عندما رأوا بعض الغرباء وشباب قريش يكتبون كل ما يقوله النبي! وفي خلافة أبي بكر جمع

أبوبكر المكتوب من السنة وأحرقه! وأمر بإحراق المكتوب في المناطق البعيدة أو إتلافه! وكذلك فعل عمر!

٣ - رفض الخليفة كتاب علي (الجامعة) الذي قال إن النبي ﷺ أملاه عليه وفيه كل ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش. فالنبي ﷺ عند عمر لم يخص علياً ولا أحداً من أهل بيته بشيء من العلم، ولم يترك علماً غير القرآن!

٤ - انتقى عمر من روايات سيرة النبي ﷺ حسب رأيه، وعمل على تعليمها للأمة على أنها السنة والسيرة الصحيحة دون غيرها!

٥ - رفع عمر شعار (سنة النبي) التي رفضها بالأمس، وعدل شعار (حسبنا كتاب الله) إلى شعار (حسبنا كتاب الله وسنة نبيه) أي كتاب الله كما يفهمه عمر، وسنة رسوله التي يقرها ويختارها!

٦ - قرر عمر الإنفتاح على الثقافة اليهودية والمسيحية، وجعل وقتاً للحاخام كعب الأخبار، وللقيس تميم الداري، للمحاضرة في مسجد النبي ﷺ!

بحجة أن النبي ﷺ قال: حدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج! أي عن انحرافهم وسيئاتهم، لكن عمر جعل معناها انقلوا الحديث عنهم ولا حرج!

٧ - اهتم عمر بالشعر الجاهلي وأمر بتعلمه وكتابته، فراج سوقه بعد أفول!

وتلخص قرارات عمر بشأن القرآن باثني عشر قراراً:

١ - رفض نسخة القرآن التي عند علي عليه السلام.

٢ - إخضاع علي وفاطمة رضي الله عنهما للسلطة بالقوة، ومنع تأثيرهما على الناس.

٣ - تكذيب أن علياً أو أحداً عنده القرآن كله أو تفسيره من النبي ﷺ، بل القرآن موزع عند الصحابة، وجمعه في نسخة من حق الخليفة فقط!

٤ - النسخة التي جمعها حذيفة في زمن عثمان، هي برأي عمر جزء قليل من القرآن، لا يبلغ ثلثه! فقد ضاع أكثر من ثلثه بعد النبي، وتدارك الأمر عمر الأمر فجمع ما بقي منه لينشره حين يكتمل، ومات ولم ينشره!

- ٥ - النسخة التي بأيدي الصحابة هي برأي عمر كلها قرآن ما عدا البسملة وسورتي المعوذتين وبعض الآيات، فهي ليست عنده من القرآن!
- ٦ - يوجد آيات لم يكتبها الناس في القرآن كتب عمر بعضها وقال في بعضها: لو لا أن يقول الناس إن عمر زاد في كتاب الله لأمرت بوضعها فيه!
- ٧ - القرآن نزل بالفاظ قريش، فيجب أن يقرأ بلهجة قريش، ولا يجوز أن يقرأ بلهجة هذيل أو تميم، أو غيرهما من لهجات قبائل العرب.
- ٨ - القرآن فيه سعة لللهجات العرب، وهو معنى قول النبي ﷺ نزل القرآن على سبعة أحرف فقراءته بهذه اللهجات شرعية ولكن الأصح لهجة قريش. أما القول بأن القرآن نزل على حرف واحد من عند الواحد، فهو خطأ.
- ٩ - نص القرآن فيه مرونة فهو يتسع لأكثر من الأحرف السبعة ولهجات العرب، فيجوز قراءته بالمعنى بأي كلام عربي بشرط أن لا تغير المغفرة إلى عذاب والعذاب إلى مغفرة، وتكون قراءة شرعية منزلة من عند الله!
- ١٠ - تحاشياً لإخراج المفسر الرسمي للقرآن، تقرر إغلاق كل أنواع البحث في القرآن، ومعاينة كل من يسأل عن شيء منه، أو يبحث في آياته.
- ١١ - نظراً لخطورة موقع القراء وتعلق الناس بهم، ولمنع أن يتحولوا إلى مراكز قوى يجب تقليل عددهم إلى أقل حد ممكن.
- ١٢ - يعمل القضاة بفهمهم للقرآن إذا لم يتعارض مع فهم الخليفة. ثم بما أفتى به الخليفة. ثم يجوز للقاضي أن يعمل بظنه.





الفصل الثامن والخمسون

قال النبي ﷺ: يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة

استطاع النبي ﷺ أن يبلغ رسالته الى قريش رغم أنفها!

أهدي الى النبي ﷺ طائرٌ مشوي من الجنة، فدعا الله أن يأتيه بأحب خلقه اليه ليأكل معه، وانتظر، فجاءه علي عليه السلام.

نقلت هذا الحديث مصادرنا المعتمدة متواتراً بعدة طرق، وروته بعض مصادر السنة، ثم نكصوا وقالوا إنه حديث مستنكر لأنه يجعل علياً الأفضل، وقال ﷺ: يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة، فعلى عاق أبويه لعنة الله!

وروته مصادرنا المعتمدة متواتراً بعدة طرق.

وأعرض عنه علماء السلطة، فلم تروه إلا مصادر الدرجة الثانية والثالثة رواه صاحب القاموس وتبعه الراغب في مفرداته ٧/، والآلوسي في تفسيره بصيغة: رُوِيَ. وكذا ابن سيده المتوفى ٤٥٨ في المخصص (١٣/١٧٣).

وأسنده الحنفي الخلوتي في تفسيره روح البيان (١٠/٤٣٤)، الى النبي ﷺ بنحو القطع فقال: وقيل الوالد هو النبي ﷺ وما ولد: أمته المرحومة لقوله ﷺ: إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم أمر دينكم. ولقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: أنا وأنت أبوا هذه الأمة).

وكذا الدقيقي المصري في تفسيره (١/٢٣٣) قال: ويقال فلان أمُّ القوم وأبوهما إذا كان يحفظهم ويتولى أمرهم. ومنه قول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أنا وأنت أبوا هذه الأمة. أي القيَّمان بأمرها).

وكذا إخوان الصفا في رسائلهم (٢١٣/١) جاء فيها: (وأعلم يا أخي بأن لكل نفس من المؤمنين أبوين في عالم الأرواح كما أن لأجسادهم أبوين في عالم الأجساد كما قال رسول الله ﷺ علي رضي الله عنه: أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة. قال الله تعالى: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ. وهذه الأبوة روحانية لا جسمانية).

لكن النبي ﷺ استعمل أسلوباً لتبليغ هذا الحديث، جعل قريشاً ترويه ولا تفهمه إلى أن يأتي غيرها ويفهمها إياه فتفيق! فقد كرر في حجة الوداع في خطبه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين ولعنته هو على من ادعى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، أو منع أجيراً أجره!
ويقصد أبوته وعلياً ﷺ للأمة، وبالأجير نفسه، وبأجره طاعة عترته ﷺ.

رواه أحمد في مسنده (١٨٧/٤): (ألا ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، أو عدلاً ولا صرفاً). وبالألفاظ أخرى/ ٢٣٨ و ١٨٦ و ٢٣٩/٤.

ورواه البخاري (٢٢١/٢، و ٦٧/٤)، بلفظ: (والمدينة حرم ما بين غير إلى كذا فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى فيها محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل. ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك).

وفي سنن ابن ماجه (٩٠٥/٢): عن عمرو بن خارجة أن النبي ﷺ خطبهم وهو على راحلته وإن راحلته لتقصع بجرانها، وإن لغامها ليسيل بين كتفي، قال: ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل).

وفي سنن الترمذي (٢٩٣/٣): عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع.. مثله. والدارمي (٢٤٤/٢ و ٣٤٤) وغيره.

وهي عقوبة أخروية، تتناسب مع مسؤولية النبي ﷺ في التبليغ، والشهادة على الأمة. وقد جاءت بصيغة قرار من الله تعالى قاطع بلعن المخالفين لرسوله ﷺ في أهل بيته، وطردهم من الرحمة الإلهية، وحكماً عليهم بعدم قبول توبتهم نهائياً، واستحقاقهم العذاب في النار.

ويزيد من شدتها، أنها كانت آخر فقرة من خطبه ﷺ!

قال النبي ﷺ: يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة ٢٤٥

ومقصوده بالأبوة: أبوته هو المعنوية للأمة، وبالولاء: ولايته وولاية أهل بيته عليها، وليس مراده الأبوة النسبية ولا ولاء المالك لعبده!

والدليل على مقصود النبي ﷺ أن الولد لو هرب من أبيه، ونسب نفسه إلى والد آخر، ثم تاب فإن الفقهاء جميعاً يفتون بأن توبته تقبل!

ولو أن عبداً مملوكاً هرب من سيده ولجأ إلى شخص وادعى أنه سيده، ثم تاب، أو شخصاً منع أجيراً أجرته ثم تاب وأعطاه، يفتون بأن توبتهما تقبل.

بينما هذا الشخص في الحديث النبوي مصبوب عليه الغضب الإلهي إلى الأبد: (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً). والصرف التوبة، والعدل الفدية، فهي عقوبة لا تكون إلا لحالة الخيانة العظمى كالموت على الردة والشرك ونحوهما، ولا يعقل أن تكون لولد يدعو نفسه لغير أبيه، أو لعبد مملوك أو مظلوم يدعو نفسه لغير سيده!

ويؤيد ذلك تصريح بعض رواياتها بكفر من يفعل ذلك وخروجه من الإسلام!

ففي سنن البيهقي: ٢٦/٨، ومجمع الزوائد: ٩١/١، وكنز العمال: ٨٧٢/٥ و (٣٢٤/١٠) (فقد خلع ريقه الإسلام من عنقه. أحمد عن جابر).

وفي ٣٢٦: من تولى غير مواليه فليتبوأ بيتاً في النار. ابن جرير عن عائشة). وفي ٣٢٧: (من تولى غير مواليه فقد كفر. ابن جرير عن أنس). وفي ٢٥٥/١٦: فهو كافر بما أنزل الله على رسوله!

هذه اللعنات والعقوبات لمن أعرض عن أهل البيت ﷺ أو ظلمهم!

فقد وردت بعد ذكر تشريع الخمس لهم ﷺ بدل الزكاة والصدقات.

ففي مسند أحمد (١٨٦/٤): خطبنا رسول الله (بمنى في حجة الوداع) وهو على ناقته فقال: ألا إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي، وأخذ وبرة من كاهل ناقته فقال: ولا ما يساوي هذه، أو ما يزن هذه. لعن الله من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه!

كما ورد في مصادر الفريقين أن هذا الحديث كان مكتوباً في صحيفة صغيرة معلقة في ذؤابة سيف النبي ﷺ الذي ورثه علي عليه السلام، فقد رواه البخاري في صحيحه (٦٧/٤) ومسلم (١١٥/٤) و (٢١٦) بعدة روايات، والترمذي (٢٩٧/٣) وغيرهم وغيرهم.

وقد أكثروا من روايته لأنهم زعموا فيه على لسان علي عليه السلام أن النبي ﷺ لم يورث أهل بيته

شيئاً من العلم، إلا القرآن وتلك الصحيفة المعلقة في ذؤابة السيف!
والعجيب أنهم رويوا فيها لعن من تولى غير مواليه، أي لعنوا أنفسهم ولم يشعروا!

كرهه النبي ﷺ لما طفح سيل الطلقاء القرشيين في المدينة

وقد غطى كتاب السيرة الهجرة الجماعية للطلاق الى المدينة بعد فتح مكة! ولا بد أنها كانت هجرة بالإتفاق بين سهيل بن عمرو وأبي بكر وعمر!

وكان سكان المدينة ستة آلاف، فوصل بعد هجرة الطلقاء الى اثني عشر ألفاً! ونشط الطلقاء في المدينة في انتقاص علي عليه السلام وبني هاشم، حتى قالوا: إنما مثل محمد كنخلة نبتت في كبا، أي في مزبلة فغضب النبي ﷺ وصعد المنبر، كما غضب مرات ورد افتراءهم على علي والعترة عليه السلام!

وهذا بحث مستقل، يحتاج الى تتبع أنشطة القرشيين في المدينة، وتمييزه عن أنشطة الأنصار، وكشف تغطية الرواة عليهم في حديث النبي ﷺ بتجهيل القائل أو المقول له، واستعمال ضمير الغائب! لكن القاعدة أن كل ما فيه اعتراض أو شبه اعتراض على النبي ﷺ فهو من مقولات قریش، لأن الأنصار لم يكن من عقيدتهم أو أخلاقهم الاعتراض على النبي ﷺ!

وقد وجدت خمس مناسبات أكد فيها النبي ﷺ حديث: أنا وأنت أبوا هذه الأمة، أو أرسل علياً عليه السلام الى المسجد وأمره يبلغ معناه الى المسلمين! ومنها لما تصاعد عمل الطلقاء في المدينة ضد أهل بيت النبي ﷺ وقالوا: إنما مثل محمد في بني هاشم كمثل نخلة نبتت في كبا: أي مزبلة!

فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب، وأمر علياً عليه السلام أن يصعد المنبر ويحييهم! وأهم المناسبات لما رفضوا أن يكتب لهم النبي ﷺ عهداً فلا يضلوا بعده، فغضب وطردهم، وفي تلك الأيام أرسل علياً عليه السلام يبلغهم في المسجد!

وسياقي تفصيله في فصل الشدائد التي مرت على النبي ﷺ.





الفصل التاسع والخمسون

النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه أرحم بهم من أنفسهم

ولاية الله تعالى على الناس وملكيته الكاملة الشاملة لهم

قال الله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ.

وقال تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ.

فالله عز وجل مولى الخلق لأنه خلقهم من عدم، وموئدهم بالحياة والنعم، فهو صاحب الحق المطلق عليهم، وليس لهم معه أمر إلا العبودية، ومن عصاه منهم بأدنى معصية يستحق العقاب، ولا يستحق أن يغفر له، إلا بالتفضل.

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعائه إذا استقال من ذنوبه: (يَا إِلَهِي لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتَّى تَسْقُطَ أَشْفَارُ عَيْنِي، وَانْتَحَبْتُ حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَقُمْتُ لَكَ حَتَّى تَنْشَرَ قَدَمَايَ، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّى يَنْخَلِعَ صُلْبِي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتَّى تَتَفَقَّأَ حَدَقَتَايَ، وَأَكَلْتُ تُرَابَ الْأَرْضِ طَوْلَ عُمْرِي، وَشَرِبْتُ مَاءَ الرَّمَادِ آخِرَ دَهْرِي، وَذَكَرْتُكَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ حَتَّى يَكِلَ لِسَانِي، ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفِي إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ اسْتِحْيَاءً مِنْكَ مَا اسْتَوْجِبْتُ بِذَلِكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَيِّئَاتِي. وَإِنْ كُنْتُ تَغْفِرُ لِي حِينَ اسْتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ، وَتَغْفِرُ عَنِّي حِينَ اسْتَحِقُّ عَفْوُكَ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ لِي بِاسْتِحْقَاقٍ، وَلَا أَنَا أَهْلٌ لَهُ بِاسْتِيجَابٍ، إِذْ كَانَ جَزَائِي مِنْكَ فِي أَوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ النَّارَ، فَإِنْ تُعَذِّبْنِي فَأَنْتَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِي). وولاية الله للناس هي المفردة الكبرى في الإسلام، وفيها بحوث لسنا بصدددها.

ولاية النبي ﷺ: الإيمان به وطاعته

قال الله تعالى: النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ. وقال تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا.

وقال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ.

وقال تعالى: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ.

قال صاحب الجواهر (١٠٣/٣٨): (ولا طاعته ﷺ على المصالح الواقعية وكونه معصوماً عن ترك الأولى فضلاً عن غيره، صار أولى من المؤمنين بأنفسهم).

وقال السيد بحر العلوم في بلغة الفقيه (٢٠٦/٣): (إعلم أن للام إطلاقاً ثلاثاً: أمهات النسب، وأمهات الرضاع، وأمهات التبجيل والعظمة، وهن زوجات النبي ﷺ، فإنهن أمهات المؤمنين، لقوله تعالى: النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ. ويشارك أمهات النسب في حرمة نكاحهن بالنص لا بإطلاق الأمومة عليهن دون المحرمية، فلا يجوز عندنا النظر إليهن فيما يجوز النظر إلى المحارم، خلافاً لبعض من خالفنا على ما قيل فجوزوا النظر إليهن لإطلاق الأمومة عليهن، وهو مردود بالنهي عن التبرج، مضافاً إلى ما روته أم سلمة، قالت: كنت أنا وميمونة عند النبي ﷺ فأقبل ابن أم مكتوم فقال: احتجبا عنه فقلنا إنه أعمى، فقال النبي ﷺ: فعميا وان أنتما.. الخبر.. وليس كل من حرم نكاحها جاز النظر إليها كأخت الزوجة. اللهم إلا أن تُدعى الملازمة بين تأييد الحرمة والمحرمية، فلا يتقضى بأخت الزوجة المحرمة جمعاً لا تأييداً. وفيه: أن الملازمة لو سلمت كليتها، فإنما هي بين التحريم بأحد العناوين المتقدمة والمحرمية لا مطلقاً، وقد عرفت أن حرمة نكاحهن بالنص لا بإطلاق الأمومة عليهن، فقد استبان أن المراد أمومة الإجلال والكرامة، لا غير).

أمر الله نبيه ﷺ أن يعطى ولايته على الأمة الى الأئمة بعده عليهم السلام

في الكافي (٥٢٩/١): (بسند صحيح عن سُلَيم بن قيس قال: سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول: كنا عند معاوية، أنا والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسماء بن زيد، فجري بيني وبين معاوية كلام فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد علي فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا علي، ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين، ثم تكمله اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين، قال عبد الله بن جعفر: واستشهدت الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسماء بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية! قال سُلَيم: وقد سمعت ذلك من سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ).

[illegible]

وفي الكافي (٥٣٠/١): (عن أبي الطفيل قال: شهدت جنازة أبي بكر يوم مات وشهدت عمر حين بويع وعليه عليه السلام جالس ناحية فأقبل غلام يهودي جميل الوجه بهي، عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون عليه السلام، حتى قام على رأس عمر فقال: يا أمير المؤمنين أنت

أعلم هذه الأمة بكتابهم وأمر نبيهم؟ قال: فطأطأ عمر رأسه فقال: إياك أعني وأعاد عليه القول، فقال له عمر: لم ذاك؟ قال إني جئتكم مرتاداً لنفسي شاكاً في ديني! فقال: دونك هذا الشاب، قال: ومن هذا الشاب؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وهذا أبو الحسن والحسين ابني رسول الله ﷺ وهذا زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ! فأقبل اليهودي على علي عليه السلام فقال: أكذاك أنت؟ قال: نعم، قال: إني أريد أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة، قال: فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام من غير تبسم وقال: يا هاروني ما منعك أن تقول سبعاً؟ قال: أسألك عن ثلاث فإن أجبتني سألت عما بعدهن وإن لم تعلمهن علمت أنه ليس فيكم عالم، قال علي عليه السلام: فإني أسألك بالإله الذي تعبده لئن أنا أجبتك في كل ما تريد لتدعن دينك ولتدخلن في ديني؟ قال: ما جئت إلا لذاك، قال فسل. قال: أخبرني عن أول قطرة دم قطرت على وجه الأرض أي قطرة هي؟ وأول عين فاضت على وجه الأرض أي عين هي؟ وأول شيء اهتز على وجه الأرض، أي شيء هو؟ فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني عن الثلاث الأخر، أخبرني عن محمد كم له من إمام عدل؟ وفي أي جنة يكون؟ ومن معه في جنته؟ فقال: يا هاروني إن لمحمد اثني عشر إمام عدل، لا يضرهم خذلان من خذلهم ولا يستوحشون بخلاف من خالفهم وإنهم في الدين أرسب من الجبال الرواسي في الأرض، ومسكن محمد في جنته معه أولئك الإثنا عشر الإمام العدل، فقال: صدقت والله الذي لا إله إلا هو إني لأجدها في كتب أبي هارون، كتبه بيده وإملاء موسى عمي عليه السلام.

قال: فأخبرني عن الواحدة، أخبرني عن وصي محمد كم يعيش من بعده؟ وهل يموت أو يقتل؟ قال: يا هاروني يعيش بعده ثلاثين سنة، لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً، ثم يضرب ضربة ههنا يعني على قرنه فتخضب هذه من هذا قال: فصاح الهاروني وقطع كسيتيجه (حزامه) وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنت وصيه، ينبغي أن تفوق ولا تفاق وأن تعظم ولا تستضعف. قال ثم مضى به علي عليه السلام إلى منزله فعلمه معالم الدين).

أحاديث شريفة في مقامات النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام

١. في مختصر البصائر ١٢٥/: (روي عن النبي ﷺ أنه قال: يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا).

٢. قال أمير المؤمنين عليه السلام (نهج البلاغة: ٣١/٣): (ولولا ما نهى الله عنه من تركية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجّها أذان السامعين.. فإننا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا).

٣. في الكافي (٢٩٧/١): (عن يونس بن رباط قال: دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبد الله عليه السلام فقال له كامل: جعلت فداك حديث رواه فلان؟ فقال: أذكره فقال: حدثني أن النبي ﷺ حدث علياً عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله ﷺ كل باب يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب! فقال: لقد كان ذلك، قلت: جعلت فداك فظهر ذلك لشيعتكم ومواليكم؟

فقال: يا كامل باب أو بابان فقلت له: جعلت فداك فما يروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا باب أو بابان؟ قال: وما عسيتم أن ترووا من فضلنا، ما تروون من فضلنا إلا ألفاً غير معطوفة).

وفي بصائر الدرجات/٥٢٧: (عن كامل التمار قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: يا كامل إجعلوا لنا رباً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم. قال قلت: نجعل لكم رباً تؤوبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟ قال: فاستوى جالساً ثم قال: وما عسى أن تقولوا: ما خرج إليكم من علمنا إلا ألفٌ غير معطوفة).

٤. وفي الخرائج/٧٣٥: (عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ضع لي ماء في المتوضأ، فقممت فوضعت له، فقلت في نفسي: أنا أقول فيه كذا وكذا وهو يدخل المتوضأ! فلما خرج قال: يا إسماعيل لا ترفعوا البناء فوق طاقته فيهدم، إجعلونا عبيداً مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم إلا النبوة).

٥. روى في الكافي (١٨٧/١) بسند صحيح: (عن محمد بن زيد الطبري قال: كنت قائماً على رأس الرضا عليه السلام بخراسان وعنده عدة من بني هاشم، وفيهم إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي فقال: يا إسحاق بلغني أن الناس يقولون: إنا نزع من أن الناس عبيد لنا، لا

وقرأتي من رسول الله ﷺ ما قلته قط، ولا سمعته من آبائي، ولا بلغني عن أحد من آبائي قاله، ولكني أقول: الناس عبيدٌ لنا في الطاعة، موالٍ لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب).

٦. وفي الاحتجاج (٢/٢٣٣): (عن الإمام العسكري: أن أبا الحسن الرضا عليه السلام قال: إن من تجاوز بأمر المؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى، فإني برئ من الغالين).

ملاحظات من هذه الآيات والأحاديث

١. آيات ولاية النبي ﷺ وأوليائه بنا، صريحة في أن الله تعالى أعطى للنبي حق الولاية على الناس فصار مولا لهم وصاروا غلماناً!

وهذه العبودية ليست كعبوديتهم لله تعالى، بل عبودية الطاعة، فالناس كلهم عبيد للنبي وآله في الطاعة لأن الله تعالى فرض طاعتهم عليهم.

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (١/١٩٧): (بسند صحيح عن عبد السلام الهروي قال: فدخلت عليه وهو قاعد في مصلاه متفكراً، فقلت له: يا ابن رسول الله ﷺ: ما شئ يحكيه عنكم الناس؟ قال: وما هو؟ قلت: يقولون إنكم تدعون أن الناس لكم عبيد! فقال: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت شاهد بأنني لم أقل ذلك قط، ولا سمعت أحداً من آبائي عليه السلام قاله قط، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمة، وأن هذه منها. ثم أقبل عليّ فقال لي: يا عبد السلام إذا كان الناس كلهم عبيداً على ما حكوه عنا فممن نبيعهم؟ قلت: يا بن رسول صدقت. ثم قال: يا عبد السلام، أمتكر أنت لما أوجب الله تعالى لنا من الولاية كما ينكره غيرك؟ قلت: معاذ الله بل أنا مقر بولايتكم).

٢. قال النبي ﷺ: يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا. ولم أجد سنده لكن عدة من علمائنا نسبوه إلى النبي ﷺ بنحو الجزم أو نص الحافظ البرسي على صحته فقال في مشارق أنوار اليقين/١٧٢: (هذا حديث صحيح والناس مع صحته يدعون معرفة الله ورسوله، وصدق الحديث يوجب كذب دعواهم! ثم قال: وجه آخر في معنى قوله: ما عرف الله إلا أنا وأنت، وذلك أن العظمة التي رآها رسول الله ﷺ ليلة المعراج

النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه أرحم بهم من أنفسهم ٢٥٣

واختراقه الحجب السماوية، ووصوله إلى قاب قوسين، والكلام الذي خوطب به بغير واسطة، مما لم ينله ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأن ذلك كله وصل إلى أمير المؤمنين عليه السلام ورآه كما رآه، وإليه الإشارة بقوله: إنك ترى ما أرى وتسمع ما أسمع.

فما عرف الله سبحانه من جميع الخلائق بهذه المعرفة إلا هم، وكذلك ما عرف محمداً ﷺ وعلياً عليه السلام على ما هم عليه إلا الله الذي أوجدهم من نور عظمتهم، وخصهم بصره وكرامته، وجعلهم في علو المقام تحت ذاته، وفوق جميع مخلوقاته.. ووجه آخر في معنى قوله: ما عرف الله إلا أنا وأنت، أنه ليس بيننا وبين الله واسطة من المخلوقات، بل نحن أول الخلائق، وعين الحقائق، ونحن في مقامنا اللاحق سادة العبيد، وعبيد الحق).

٣. يستعظم بعض الناس أن المسلمين موالى النبي ﷺ فهم كالعبيد له، ثم موالى أهل بيته الإثني عشر عليه السلام فهم كالعبيد لهم!

لكنهم لا يستعظمون أن يكون رئيس أحق، أو طفل من سلالة مالكة في بلد ملكاً ومالكاً لشعبه، فيكون سيدهم ويكونوا مواليه كالعبيد له!

وهذا منطق غير علمي، أما المنطق العلمي فيقول إن الطبيعة والكون والناس مملوكون لمن خلقهم، وله حق التصرف فيهم، أن يملكهم لمن يشاء.

بل له الحق أن يتخذ منهم ولداً ويأمرهم بعبادته، لكنه لم يفعل! فقد قال تعالى: قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ!

٤. معنى عبوديتك لله تعالى وتوحيدك له: أن تطيعه بالكامل ولا تتفذلك عليه، وتتعبد بأمره، ولا تتفلسف مقابله!

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام (الإحتجاج: ٢٩٠/١): (يا علي إنك باق بعدي ومبتلى بأمتي ومخاصم بين يدي الله، فأعدد للخصومة جواباً، فقلت: بأبي وأمي أنت بين لي ما هذه الفتنة التي ابتلى بها، وعلى ما أجاهد بعدك؟ فقال لي: إنك ستقاتل بعدي الناكثة، والقاسطة، والمارقة، وحلاهم وسماهم رجلاً رجلاً، وتجاهد من أمتي كل من خالف القرآن وسنتي، ممن يعمل في الدين بالرأي، ولا رأي في الدين إنما هو أمر الرب ونهيه!

فقلت: يا رسول الله فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة، فقال: نعم. إذا كان ذلك

كذلك فاقصر على الهدى، إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى، وعطفوا القرآن على الرأي، فتأولوه برأيهم بتتبع الحجج من القرآن لمشتهيات الأشياء الطارية عند الطمأنينة إلى الدنيا، فاعطف أنت الرأي على القرآن. وإذا قومك حرفوا الكلمة عند مواضعه عند الأهوال الساهية، والأمراء الطامحة، والقادة الناكثة، والفرقة القاسطة، والأخرى المارقة أهل الإفك المردى والهوى المطغي، والشبهة الحالفة، فلا تنكلن عن فضل العاقبة، فإن العاقبة للمتقين).

٥. نلاحظ أن الله تعالى جعل لنبيه وآله حق استعباد قريش لما فتح مكة فملكهم وكان له حق استرقاقهم وقتلهم أو أخذ فداء منهم. لكنه أبقاهم عبيداً ولم يعتقهم بل أطلقهم إطلاقاً، فيحق له أن يسترقهم أو يقتلهم أو يفادهم!

أما ثقيف فأعتقهم فكانوا أحراراً لكنهم كالقرشيين ليسوا جزءاً من أمته.

٦. كما جعل الله العباس وأولاده عبيداً للنبي وآله ﷺ لأن أم العباس أمة لهم.

روى في الخصال/٤٥٤: (سمعت جعفر بن محمد يحدث عن أبيه عليه السلام قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: سئل رسول الله ﷺ عن ولد عبد المطلب فقال: عشرة، والعباس.

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: وهم عبد الله، وأبو طالب والزيبر، وحمزة، والحارث وهو أسنهم، والغيداق، والمقوم، وحجل وعبد العزى وهو أبو لهب، وضرار، والعباس، ومن الناس من يقول: إن المقوم هو حجل).

وروى في الكافي (٢٥٩/٨) تفسير الإمام الصادق عليه السلام لقول النبي ﷺ: عشرة والعباس فقال: (توفي مولى لرسول الله ﷺ لم يخلف وارثاً فخاصم فيه ولد العباس أبا عبد الله عليه السلام وكان هشام بن عبد الملك قد حج في تلك السنة، فجلس لهم فقال داود بن علي: الولاء لنا. وقال أبو عبد الله عليه السلام: بل الولاء لي. فقال داود بن علي: إن أباك قاتل معاوية. فقال: إن كان أبي قاتل معاوية فقد كان حظ أيبك فيه الأوفر ثم فرّ بخيانتته. وقال: والله لأطوقك غداً طوق الحماة، فقال له داود بن علي: كلامك هذا أهون علي من بكرة في وادي الأزرق، فقال: أما إنه واد ليس لك ولا لأبيك فيه حق!

قال فقال هشام: إذا كان غداً جلست لكم، فلما أن كان من الغد خرج أبو عبد الله عليه السلام ومعه كتاب في كرباسة، وجلس لهم هشام، فوضع أبو عبد الله الكتاب بين يديه، فلما أن قرأه قال:

أعدوا لي جندل الخزاعي وعكاشة الضمري، وكانا شيخين قد أدركا الجاهلية، فرمى بالكتاب إليهما فقال: تعرفان هذه الخطوط؟ قالوا: نعم، هذا خط العاص بن أمية، وهذا خط فلان وفلان لفلان من قريش. وهذا خط حرب بن أمية، فقال هشام: يا أبا عبد الله أرى خطوط أجدادي عندهم؟ فقال: نعم، قال: فقد قضيت بالولاء لك، قال: فخرج وهو يقول:

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

قال فقلت: ما هذا الكتاب جعلت فداك؟ قال: فإن نتيلة كانت أمة لأم الزبير وأبي طالب وعبد الله، فأخذها عبد المطلب فأولدها فلاناً، فقال له الزبير: هذه الجارية ورثناها من أمنا وابنك هذا عبد لنا، فتحمل عليه ببطن قريش، قال فقال: قد أجبتك على خلة على أن لا يتصدر ابنك هذا في مجلس، ولا يضرب معنا بسهم. فكتب عليه كتاباً وأشهد عليه فهو هذا الكتاب).

أقول: معناه أن العباس وأولاده مضافاً إلى أنهم من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، فهم عبيد لأبناء عبد المطلب: الزبير، وأبي طالب، وعبد الله، الذين كانت أم العباس أمةً لأُمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (دلائل النبوة/٩٩) وقد أحلوا لها بيهم فتزوجها، فابنها تبعاً لها ملك لهم، لأنهم أحلوا أمه ولم يبيعوها!

فهذا يكشف لنا حقيقة فظيعة هي: أن من حكم أمة النبي ﷺ بعده واضطهد أهل بيته ﷺ وقتلهم، إنما هم عبيد لهم!

ناشد النبي ﷺ الأمة بآية: أولى بهم من أنفسهم

تقول: نشدتك بالله هل كان كذا، أي سألتك بالله أن تصدقني في الجواب. وكذا ناشدتك بالله، أو نشدتك الله. وكذا قولك: ناشدتك وأناشدك بدون لفظ الجلالة. وقد تكون المناشدة بصيغة الإستفهام التقريري كقولك: أليس كذلك، أليس قلت لي كذا؟ والغرض من المناشدة أن تأخذ إقراراً من المخاطب بأمر لتوثقه أو لتبني عليه ما تريد أن تقوله. ومن هذا النوع قول النبي ﷺ في غدير خم: أيها الناس، أليست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. أو قالوا: اللهم نشهد. فقال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. وقد يطلب المناشد من مخاطبيه شهادة أو عملاً لإثبات ما أراده، كالحديث المتواتر بأن

علياً عليه السلام ناشد الصحابة في رحبة الكوفة. (مسند أحمد: ١/١١٩):

(عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه شهد علياً في الرحبة قال: أنشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ وشهده يوم غدير خم إلا قام ولا يقوم إلا من قد رآه، فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. فقاموا إلا ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته).

ومنهم أنس بن مالك دعا عليه بالبرص، وكان يقول: هذا من دعوة العبد الصالح! وقد روى مناشدة النبي ﷺ في غدير خم بقوله: ألسنت أولى بالمؤمنين، عامة من روى حديث الغدير، وهم نحو مئتين من الصحابة!

قال الحاكم (١١٠/٣): (قام خطيباً عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول ثم قال: أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما: كتاب الله، وأهل بيتي عترتي. ثم قال: أتعلمون أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثلاث مرات؟ قالوا: نعم. فقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه. وحديث بريدة الأسلمي صحيح على شرط الشيخين).

وفي تفسير القمي (١٧٥/٢): (وقول رسول الله ﷺ بغدير خم: يا أيها الناس ألسنت أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، ثم أوجب لأمر المؤمنين عليه ما أوجبه لنفسه عليهم من الولاية فقال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه).

روى البخاري تفسير الآية مختصراً جداً!

في صحيح البخاري (٢٢/٦) عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، إقرؤا إن شئتم: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فأيا من ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، فإن ترك ديناً أو ضياعاً، فليأتني وأنا مولاه).

قال في فتح الباري (٧/١٢): (هكذا أورده مختصراً.. وفي حديث جابر عند أبي داود أن النبي ﷺ كان يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه.. فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء، فعلينا قضاؤه).

ولم يرو البخاري ولا مسلم حديث الغدير!

قال ابن حجر المكي في الصواعق المحرقة ٦٤/ : (حديث صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقه كثيرة جداً ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً. وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعل لما نوزع أيام خلافته. وكثير من أسانيده صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته وقول بعضهم: إن اللهم وال من والاه وعاد من عاداه موضوعة، مردودٌ، فقد صحح الذهبي كثيراً من طرقها)!

وقال السيد الميلاني في رسالته: الصحيحان في الميزان/٢٥: (من غرائب تعصبات البخاري: طعنه في حديث الغدير المروي عن أكثر من مائة صحابي، والبالغ أضعاف شروط التواتر، والمصرح بتواتره من قبل الأئمة الثقات المتبحرين في الحديث عند أهل السنة، كما لا يخفى على من اقتطف الأزهار من: الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة. واستفاد من: الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة. وكلاهما للحافظ السيوطي.

راجع: شرح الجامع الصغير لنور الدين العزيري، أو شرح الجامع الصغير للمناوي، أو المرقاة لعلي القاري، أو الأربعين في مناقب أمير المؤمنين لجمال الدين المحدث الشيرازي، أو السيف المسلول لثناء الله تلميذ ولي الله والد صاحب التحفة، أو أسنى المطالب لابن الجزري، وغير هذه الكتب.

قال ابن تيمية في حديث الغدير: «وأما قوله: من كنت مولاه فعلي مولاه، فليس في الصحاح، لكن مما رواه العلماء وتنازع الناس في صحته، فنقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم أنهم طعنوا فيه وضعفوه»!

يقول البدخشي: «هذا حديث صحيح مشهور، ولم يتكلم في صحته إلا متعصب جاحد لا اعتبار بقوله، فإن الحديث كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وقد نصّ الذهبي على كثير من طرقه بالصحة، ورواه من الصحابة عدد كثير. وكذلك نسب الحافظ ابن الجزري منكر حديث الغدير إلى الجهل والعصبية). انتهى كلام الميلاني.

وقال السيد مرتضى في سيرة الإمام علي عليه السلام (١٩٣/٧): (وطعن بعضهم في حديث الغدير: بأن البخاري ومسلم لم يخرجاه. بل قال بعضهم: إن أحداً من أصحاب الصحاح لم يخرجه.

مع أن الترمذي قد أخرجه في صحيحه، وكذلك ابن ماجة في سننه، فضلاً عن عداهم، مثل الضياء في المختارة وغيره. وعدم إخراج الشيخين له إنما يوجب الطعن بهما، من حيث إنه يشير إلى تعصبهما، ومجانبتهما سبيل الإنصاف، واتباعهما طريق الإعتساف. على أن هناك آلافاً من الأحاديث التي لم يخرجها الشيخان، فراجع المستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبي، فضلاً عن مستدركات أخرى ذكرها آخرون، فهل يرضى هؤلاء بإهمالها، أو بطمسها!





الفصل الستون

غزوة كاملة أنكروها بغضاً بعلي عليه السلام!

غزوة بني سليم أو غزوة ذات السلاسل

« ذات السلاسل » إسم منطقة في الحجاز على بعد خمس مراحل من المدينة ويعرف المكان باسم وادي الرمل، وباسم السلسلة، وقيل سميت الغزوة بذات السلاسل، لأنهم جاؤوا بالأسرى مربوطين ببعضهم كسلسلة.

وسببها كما ذكرت مصادرنا أن الله أخبر نبيه ﷺ أن جمعاً من قبائل سليم كانوا يستعدون لغزو المدينة، فأرسل سرية من بضع مئات بقيادة أبي بكر، فرجع منهزماً، ثم أرسل عمر فرجع منهزماً، ثم أرسل عمرو بن العاص فرجع منهزماً. فأرسل علياً عليه السلام ومعه أبوبكر وعمر وخالد وابن العاص فسلك طريقاً بين الأودية، وأغار صباحاً مبكراً على تجمعهم فنزلت سورة: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا.. وهزمهم وجاء بأسراهم مقرنين في الحبال كأنهم سلسلة.

ففي أمالي الطوسي/٤٠٧: «عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا؟ قال: وجّه رسول الله عمر بن الخطاب في سرية فرجع منهزماً يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال لعلي: أنت صاحب القوم فتهياً أنت ومن تريده من فرسان المهاجرين والأنصار. فوجهه رسول الله ﷺ فقال له: أكنم النهار، وسر الليل ولا تفارقك العين. قال فأنتهى علي إلى ما أمره به رسول الله ﷺ فسار إليهم فلما كان عند وجه الصبح أغار عليهم فأنزل الله على نبيه: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا..».

وفي الإرشاد (١٦٢/١): «ثم كانت غزاة السلسلة وذلك أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فجثا بين يديه

وقال له جئت لك لأنصح لك. قال: وما نصيحتك؟ قال: قوم من العرب اجتمعوا بوادي الرمل وعملوا على أن يبيتوك بالمدينة».

وفي مناقب آل أبي طالب (٣٢٨/٢): «أبو القاسم بن شبل الوكيل، وأبو الفتح الحفار بإسنادهما عن الصادق عليه السلام، ومقاتل والزجاج ووكيعة والثوري والسدي وأبو صالح وابن عباس: أنه أنفذ النبي ﷺ أبا بكر في سبع مائة رجل، فلما صار إلى الوادي وأراد الإنحدر فخرجوا إليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً، فلما قدموا على النبي ﷺ بعث عمر فرجع منهزماً، فقال عمرو بن العاص: إبعثني يا رسول الله فإن الحرب خدعة ولعلي أخذتهم، فبعثه فرجع منهزماً، وفي رواية أنه أنفذ خالداً فعاد كذلك، فسأه النبي ﷺ ذلك فدعا علياً عليه السلام وقال: أرسلته كراراً غير فرار، فشيعه إلى مسجد الأحزاب، فسار بالقوم متنكباً عن الطريق يسير بالليل ويكمن بالنهار، ثم أخذ على محجة غامضة فسار بهم حتى استقبل الوادي من فمه، ثم أمرهم أن يعكمو الخيل وأوقفهم في مكان وقال لا تبرحوا، وانتبذ أمامهم وأقام ناحية منهم، فقال خالد وفي رواية قال عمر: أنزلنا هذا الغلام في واد كثير الحيات والهوام والسباع، إما سبع يأكلنا أو يأكل دوابنا، وإما حية تعقرنا وتعقر دوابنا، وإما يعلم بنا عدونا فيأتينا ويقتلنا! فكلموه نعلو الوادي، فكلمه أبو بكر فلم يجبه، فكلمه عمر فلم يجبه، فقال ابن العاص: إنه لا ينبغي أن نضيع أنفسنا! إنطلقوا بنا نعلو الوادي فأبى ذلك المسلمون!

وفي رواية أهل البيت عليه السلام أنه أبت الأرض أن تحملهم! أي أرادوا أن يطيعوا عمر والعاص، فلم يستطيعوا المشي ليعلو الوادي!

قالوا فلما أحس عليه السلام الفجر قال: إركبوا برك الله فيكم، وطلع الجبل حتى إذا انحدر على القوم وأشرف عليهم قال لهم: أتركوا عكمة دوابكم! قال فشمت الخيل ريح الإناث فصهلت، فسمع القوم صهيل خيلهم فولوا هارين.

وفي رواية مقاتل والزجاج أنه كبس القوم وهم غادون فقال: يا هؤلاء أنا رسول رسول الله إليكم أن تقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإلا ضربتكم بالسيف. فقالوا: إنصرف عنا كما انصرف الثلاثة فإنك لا تقاومنا! فقال عليه السلام: إنني لا أنصرف أنا علي بن أبي طالب، فاضطربوا وخرج إليه الأشداء السبعة وناصحوه وطلبوا الصلح فقال عليه السلام: إما الإسلام وإما المقاومة، فبرز

إليه واحد بعد واحد، وكان أشدهم آخرهم وهو سعد بن مالك العجلي وهو صاحب الحصن فقتلهم، فانهمزوا ودخل بعضهم في الحصن، وبعضهم استأمنوا وبعضهم أسلموا، وأتوه بمفاتيح الخزائن. قالت أم سلمة: إتبته النبي ﷺ من القيلولة فقلت: الله جارك ما لك؟ فقال: أخبرني جبرئيل بالفتح ونزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا! قال أبو منصور الكاتب:

أقسم بالعاديات ضبحاً حقاً وبالْمُورِيَّاتِ قَدْحاً

وقال المدني:

وقوله والعاديات ضبحاً يعني علياً إذ أغار ضبحاً

على سليم فشنها كفحاً فأكثر القتل بها والجرحا

وأنتم في الفُرش نائمونا!

فبشر النبي ﷺ أصحابه بذلك وأمرهم باستقباله والنبي يتقدمهم، فلما رأى علي النبي ﷺ ترجل عن فرسه فقال النبي ﷺ: إركب فإن الله ورسوله عنك راضيان فبكى علي عليه السلام فرحاً، فقال النبي ﷺ: يا علي لولا أنا أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح.. الخبر.

وقال العوني:

من ذا سواه إذا تشاجرت القنا وأبى الكماة الكر والإقدام

وتصلصلت حلق الحديد وأظهرت فرسانها التصحاج والإحجاما

ورأيت من تحت العجاج لنقعها فوق المغافر والوجوه قتاما

كشف الإله بسيفه وبرأيه يظمي الجواد ويروى الصمصاما

ووزيره جبريل يقحمه الوغى طوعاً وميكال الوغى إقحاماً

وقال الحميري:

وفي ذات السلاسل من سليم غداة أتاهم الموت المبير

وقد هزموا أباحفص وعمراً وصاحبه مراراً فاستطيروا

وقد قتلوا من الأنصار رهطاً فحل النذر أو وجبت نذور
أذاذ الموت مشيخة ضخماً جاحجة يسد بها الثغور».

ورواه في الخرائج (١٦٧/١) وفيه: «وكان المشركون قد أقاموا رقباء على جباهم ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة، فيأخذون حذرهم واستعدادهم، فلما خرج علي ترك الجادة وأخذ بالسرية في الأودية بين الجبال فلما رأى عمرو بن العاص قد فعل علي ذلك علم أنه سيطفر بهم فحسده، فقال لأبي بكر وعمر ووجوه السرية: إن علياً رجل غرٌّ لا خبرة له بهذه المسالك ونحن أعرف بها منه، وهذا الطريق الذي توجه فيه كثير السباع، وسيلقى الناس من معرفتها أشد ما يحذرونه من العدو، فاسألوه أن يرجع عنه إلى الجادة! فعرفوا أمير المؤمنين ﷺ ذلك، قال: من كان طائعاً لله ولرسوله منكم فليتبعني ومن أراد الخلاف على الله ورسوله فلينصرف عني. فسكتوا وساروا معه، فكان يسير بهم بين الجبال بالليل ويكمن في الأودية بالنهار، وصارت السباع التي فيها كالسنانير (لا تؤذي) إلى أن كبس المشركين وهم غارون آمنون وقت الصبح، فظفر بالرجال والذراري والأموال فحاز ذلك كله، وشد الرجال في الحبال كالسلاسل فلذلك سميت غزاة ذات السلاسل. فلما كانت الصبيحة التي أغار فيها أمير المؤمنين ﷺ على العدو ومن المدينة إلى هناك خمس مراحل، خرج النبي ﷺ وصلى بالناس الفجر وقرأ: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا.. في الركعة الأولى، وقال: هذه سورة أنزلها الله عليّ في هذا الوقت يخبرني فيها بإغارة علي على العدو».

وسماها في الإرشاد (١٦٥/١) غزاة السلسلة، وقال: «فبشر النبي ﷺ أصحابه بالفتح وأمرهم أن يستقبلوا أمير المؤمنين ﷺ فاستقبلوه والنبي ﷺ يقدمهم فقاموا له صفين، فلما بصر بالنبي ﷺ ترجل عن فرسه فقال له النبي ﷺ: إركب فإن الله ورسوله راضيان عنك! فبكى أمير المؤمنين ﷺ فرحاً».

وفي تفسير فرات/٥٩١: «عن أبي ذر قال: خرج مع النبي ﷺ يشيعه فكأنني أنظر إليهم عند مسجد الأحزاب وعلي ﷺ على فرس أشقر وهو يوصيه ثم ودعه.. قال وسار علي فيمن معه متوجهاً نحو العراق وظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه حتى أتاهم من الوادي، ثم جعل

يسير الليل ويكمن النهار. فقتل منهم مائة وعشرين رجلاً وكان رئيس القوم الحارث بن بشر، وسبى منهم مائة وعشرين ناهداً». وتفسير القمي (٢/ ٤٣٤)، وإعلام الوري (١/ ٣٨٢)، وسماها غزوة وادي الرمل. وسماها في كشف الغمة (١/ ٢٣٠)، غزاة السلسلة. وكذا كشف اليقين/ ١٥١. وتأويل الآيات: ٨٣٩/٢، و٨٤٣، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام).

وروى في تفسير فرات / ٥٩٩، رواية مفصلة في سبب نزول سورة العاديات، خلاصتها أن أهل وادي الياض جمعوا اثني عشر ألفاً لغزو المدينة، فأرسل لهم النبي ﷺ أبابكر ثم عمر فانهمزما، ثم أرسل علياً عليه السلام فهزمهم.

وفي رواية تأويل الآيات (٢/ ٨٤٠): «وأمر عليهم أبابكر فسار إليهم، فلقيهم قريباً من الحرة وكانت أرضهم أسنة كثيرة الحجارة والشجر ببطن الوادي والمنحدر إليهم صعب، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة.. فلما قدموا على النبي ﷺ عقد لعمر بن الخطاب وبعثه، فكمّن له بنو سليم بين الحجارة وتحت الشجر، فلما ذهب ليهبط خرجوا عليه ليلاً فهزموه حتى بلغ جنده سيف البحر فرجع عمر منهم منهزماً. فقام عمرو بن العاص إلى رسول الله ﷺ فقال: أنا لهم يا رسول الله إبعثني إليهم. فقال له: خذ في شأنك فخرج إليهم فهزموه وقتل من أصحابه ما شاء الله. قال: ومكث رسول الله ﷺ أياماً يدعو عليهم.. قال أبو جعفر: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ شيع علياً عند مسجد الأحزاب وعلي على فرس أشقر مهلوب وهو يوصيه.. فنزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. قال: فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: صَبَّحَ عَلِيٌّ وَاللَّهُ جَمَعَ الْقَوْمَ! ثم صلى وقرأ بها، فلما كان اليوم الثالث قدم علي عليه السلام المدينة وقد قتل من القوم عشرين ومائة فارس).

كيف أخفت الحكومات هذه الغزوة وحرفوها؟

١ - لم نجد في مصادر السلطة شيئاً عن سبب نزول العاديات إلا قولهم: «بعث ﷺ خيلاً فأسهبت شهراً لم يأت منها خبر فنزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا»!

هذا كل ما في الأمر عندهم! (أسباب النزول للواحدي/ ٣٠٥، والفائق/ ١٧٢/٢).

ولا تعجب فالمطلوب أولاً ثم أولاً تغطية فرار الفارين، ثم إخفاء بطولة علي عليه السلام. بل لم يهدأ بالهم حتى جعلوا العاديات الأباغر وليس الخيل! ثم روى ذلك عن علي عليه السلام!

قال ابن حجر في فتح الباري: ٨/ ٥٥٩: «وعند البزار والحاكم من حديث ابن عباس قال بعث رسول الله ﷺ خيلاً فلبثت شهراً لا يأتيه خبرها فنزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، ضبحت بأرجلها، فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا: قدحت الحجارة فأورت بحوافرها. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا: صبحت القوم بغارة، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا: التراب. فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعًا: صبحت القوم جميعاً. وفي إسناده ضعف، وهو مخالف لما روى ابن مردويه بإسناد أحسن منه! عن ابن عباس قال: سألتني رجل عن العاديات فقلت: الخيل، قال فذهب إلى علي فسأله فأخبره بما قلت، فدعاني فقال لي: إنما العاديات الإبل من عرفة إلى مزدلفة!».

وفي تفسير القرطبي (٢٠/ ١٥٥)، أن ابن عباس رجع عن قوله بأنها الخيل إلى قول علي عليه السلام بأنها الإبل! وفرح ابن حجر فرح بذلك كبقية علماء السلطة، لأنه يغطي ذات السلاسل ويجعل للإبل حوافر توري بها الصوان قدحاً! فهم حاضرون لتغيب عقولهم بغضاً بعلي عليه السلام!

٢ - تقع ذات السلاسل من جهة مكة والبحر، وقد نصت رواياتها على أن مسافتها عن المدينة خمس مراحل أي خمسة أيام في المتوسط، وأن علياً عليه السلام اتجه أولاً نحو العراق ليخضع جواسيس سليم بأنه متجه إلى العراق لا إليهم، فهم من الجهة المخالفة للعراق، وهي جهة مكة واليمن.

وجاء في إحدى رواياتها: «فهزموه حتى بلغ جنده سيف البحر فرجع عمر منهم منهزماً» (تأويل الآيات: ٢/ ٨٤٠). وهذا يعني أنها في جهة البحر الأحمر، وكأنها جبال رضوى التي هي منازل بني سليم (معجم البلدان: ٣/ ١٨١). وسمتها بعض رواياتها غزوة بني سليم، قال في كشف الغمة (١/ ٢٣٢): (نزلت في حق علي عليه السلام وانتصاره على بني سليم).

أما الحكومة فجعلت ذات السلاسل بلاد بلي وعذرة، التي تقع وراء وادي القرى أي في أرض الشام قريب تبوك، وجعلها بعضهم في الكاظمة قرب البصرة. من الجهة المخالفة جغرافياً.

٣ - لا يمكنك أن تفهم روايتهم عن غزوة ذات السلاسل الحكومية، فلا أسماء فيها ولا قتال! ورواياتها متهاقطة في الهدف والنتيجة والأحداث! تقول مرة إن النبي ﷺ بعث ابن العاص في مئتي فارس إلى أخواله، عشيرة أمه النابغة، ليدعوهم إلى الإسلام أو يقاتلهم! وأن العدو كان قوياً فبعث إلى النبي ﷺ يطلب مدداً فأمدّه بأبي عبيدة في ثلاث مئة فيهم أبو بكر وعمر!

وتقول إن الثلاثة اختلفوا مع ابن العاص لكنهم أطاعوه، ثم لا تذكر أحداثاً مع عدو ولا معركة! ومع ذلك تقول إن ابن العاص دوح القبائل، ورجع!

٤ - نلاحظ أن سياق هذه الغزوة كسياق محاصرة حصن القموص في خيبر، حيث عجز الصحابة عن فتحه، فبعث النبي ﷺ علياً عليه السلام .

وكذلك مدحه لعلي عليه السلام يشبه ما قاله في حقه بعد فتح خيبر. وهو يكشف عن خطورة تجمع بني سليم وهم قبيلة كبيرة ومعهم ليف من غيرهم.

٥ - كان وقت هذه الغزوة بعد مؤتة وتحشيد هرقل لغزو المدينة. وقد تكون قريش أو هرقل حرّكهم وأمدوهم بالمال ليغزو المدينة.

قال ابن هشام (١٠٤/٤): «و غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بلي وعذرة، وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام. وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلي، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام، يقال له السلسل وبذلك سميت تلك الغزوة، غزوة ذات السلاسل، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبوبكر وعمر وقال لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا. فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنما جئت مددًا لي، قال أبو عبيدة: لا، ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً هيناً عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مدد لي فقال أبو عبيدة: يا عمرو، إن رسول الله ﷺ قال لي: لا تختلفا وإنك إن عصيتني أطعتك، قال: فإني الأمير عليك وأنت مدد لي، قال فدونك، فصلى عمرو بالناس..».

ونحوه الطبري (٣١٥/٢) وذكر أن عدد سرية عمرو كان ثلاث مئة، وقال: «ثم استمد رسول الله ﷺ فأمدته بأبي عبيدة بن الجراح على المهاجرين والأنصار، فيهم أبوبكر وعمر في مائتين، فكان جميعهم خمس مائة.».

أقول: لم يذكر ابن هشام ولا ابن إسحاق ولا الطبري نتيجة هذه الغزوة أو السرية والسبب: أنها مكذوبة ولا نتيجة ملموسة لحرب مكذوبة!

وتضحك من كلام ابن سعد في الطبقات (١٣١/٢) قال: «وكان عمرو يصلي بالناس، وسار حتى وطأ بلاد بلي ودوخها، حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلقين، ولقي في آخر ذلك جمعاً فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا. ثم قفل!»

وذكر رواية السلطة أنها كانت في الشتاء فأراد عمر أن يشعل ناراً فنهاه ابن العاص، فكلمه أبوبكر وتصايحا فلم يقبل، وقال من أشعل ناراً ألقيته فيها! وهذا يؤيد أنها غير ذات السلاسل التي نزلت بشأنها سورة العاديات التي يبدو أنها كانت في الصيف، وأثارت الخيل بحوافرها النقع أي الغبار. وذكروا أن ابن العاص ذبح بعيراً لآخرين وسلخه وأخذ أجرته من لحمه، فأطعمهم منه، ولما عرف أبوبكر أنه أجرة ذبحه تقياً ما أكله، لأنه حرام! (تاريخ دمشق: ١٨ / ١٠ وابن هشام: ٤ / ١٠٤١)





الفصل الحادي والستون

بذاءة قريش وكفرها في تعاملها مع النبي ﷺ!

سماء القرشيون: ابن أبي كبشة وأبو كبشة زوج حليلة السعدية!

الكبش: الذكر الذي ينطح، من الغنم والماعز، ويقال للمناطحة الكباش والمكابشة. وقد نص اللغويون على أن الكبشة ليست مؤنث الكبش لأنه لا مؤنث له من لفظه. لكن هذا لا يمنع أن تسمى الأنثى التي تنطح كبشة ويكون اشتقاقها من الكبش، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال لعائشة: أنت رجلة، وفسره محبوها بأنه يقصد رجلة الرأي، فاشتق النبي ﷺ الصفة للمؤنث من الرجل والرجل لا مؤنث له من لفظه.

وقد سمي المشركون النبي ﷺ ابن أبي كبشة يقصدون أنه ابن أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي زوج حليلة، وقصدهم الخبيث الطعن في نسبه، ونفيه من بني عبد المطلب وقريش. وقد حاول الرواة تبرئة قريش من هذه الفرية، فقالوا إن جد أبي أمه آمنة بنت وهب الزهرية، كان يدعى أباكبشة. وقالوا إن أباكبشة رجل من خزاعة، كان يعبد الشعري، خالف العرب، فلما جاءهم النبي بخلاف ما كانت العرب عليه قالوا هذا ابن أبي كبشة. وكلها محاولات للتغطية على طعنهم الخبيث بنسب النبي ﷺ. (الإستيعاب لابن عبد البر: ١٧٣٨/٤).

ويدل على أن لقب حليلة أم كبشة، أن النووي ذكر في تهذيب الأسماء ٤٨٥/٤، والمقرئ في إمتاع الأسماع (١١/١) قال: (أرضعته أم كبشة حليلة بنت أبي ذؤيب)

والفاسي في مستعذب الأخبار ٨١. وفي معجم بن هلال التميمي (٩٥): (وقيل هي: حليلة بنت أبي كبشة بنت ذؤيب).

وقد عثرت أخيراً على كتاب: الأبيه فيمن نسب الى غير أبيه للفيروزآبادي صاحب القاموس، وقد نشره عبدالسلام هارون في نواذر المخطوطات نشرته مكتبة البابي الحلبي ١٩٧٢، جاء في الصفحة ٩٩ منه: (واختلف العلماء فيه ف قيل أبو كبشة كنية زوج حليلة السعدية قاله ابن بطال.. وقال الزبير بن بكار: وليس مرادهم عيب النبي وإنما مرادهم مجرد التشبيه! وقال غيره: هذا منهم إيداء للنبي وأقبح ما كانوا يدعون به من الكنى والأسماء)!

وهذا القول هو الصحيح وإن حاولوا تغطية خبث بطون قريش كابن بكار!

وكان هذا إسم النبي ﷺ عند قريش! ففي لسان العرب (٣٣٢/٢): (وفي حديث أبي سفيان وهرقل: لقد أمر أمرُ ابنِ أبي كبشة، يعني رسولَ الله). وفي المناقب (١١٧/١) لما حمل أبي بن خلف على النبي ﷺ في أحد طعنه النبي بعزة كالرمح: (فاعتق فرسه فأنهى إلى عسكره وهو يخور خوار الثور فقال أبو سفيان: ويلك ما أجزعك إنما هو خدش ليس بشيء، فقال: طعني ابن أبي كبشة وكان يقول أقتلك، فكان يخور الملعون حتى صار إلى النار).

وفي مستدرك الحاكم (٢٤٩/٣): (أن سعيد بن العاص بن أمية مرض فقال: لئن رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة ببطن مكة أبداً! فقال ابنه خالد بن سعيد عند ذلك: اللهم لا ترفعه، فتوفي في مرضه ذلك).

وفي مغازي الواقدي (٥١/١) لما خرج النبي ﷺ إلى بدر وأفلتت منه قافلة قريش: (فكان ممن عرف أنه أفلت عجير، فكان أول من جاء قريشاً بخبر النبي ﷺ وأصحابه، فنادى يا آل غالب هذا ابن أبي كبشة وأصحابه، وقد أخذوا سقاءكم، فهاج العسكر وكرهوا ما جاء به).

وفي مغازي الواقدي (٢٩٧/١) عن حرب أحد: (لما تجاوزوا وأراد أبو سفيان الإنصراف وأقبل يسير على فرس له حواء أنثى فأشرف على أصحاب النبي في عرض الجبل فنادى بأعلى صوته: أعل هبل! ثم يصيح: أين ابن أبي كبشة يوم يوم بدر. ألا إن الأيام دول وإن الحرب سجال).

واستمر القرشيون يستعملون هذا الإسم للنبي ﷺ حتى بعد إسلامهم الظاهري قال في شرح نهج البلاغة (١٢٩/٥): (روى الزبير بن بكار في الموفقيات، وهو غير متهم على معاوية ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة علي عليه السلام والإنحراف عنه: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية فكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إليَّ

فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة وظننت أنه لأمر حدث فينا فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم! قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنأ يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شئ تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات، أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر. وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله! فأبي عملي يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبالك! لا والله إلا دفناً دفناً!



سماء المشركون ساحراً ومسحوراً وقالت عائشة إنه سحر ستة أشهر!

كتبنا في السيرة النبوية عند أهل البيت عليه السلام ما خلاصته:

قال الله تعالى: وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا. وقالت عائشة نعم لقد سحر النبي وأثر عليه السحر، فكان يتخيل أنه فعل الشئ ولم يفعله! وقالت إن يهودياً سحره فأخذ مشطه وبعض شعره وجعل فيه سحراً ودفنه في بئر! وقالت: إنه فقد حواسه وذاكرته وبقي على تلك الحالة ستة أشهر رجلاً مسحوراً! حتى دله رجل أو ملك على الشخص الذي سحره، والبئر التي أودع فيها المشط والمشاطة من شعره! فذهب إلى البئر، واستخرج المشط منها وفك عقد خيط الجلد الذي لفته به، وأمر بدفن البئر ولم يقتل الذي سحره لأنه لم يُرد أن يثير فتنة!

روى البخاري خرافة عائشة في خمسة مواضع! منها في (٢٩/٧): «كان رسول الله سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتينهن! قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا!» ومنها في (٩١/٤): «عن عائشة قالت: سحر النبي حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال: أُشْعِرْتُ أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان فقعد

أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مَطْبُوب! قال: ومن طَبَّهُ؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجَفَّ طلعة ذكر! قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان! فخرج إليها النبي ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنها رؤوس الشياطين! فقلت: استخرجته؟ فقال: لا، أما أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً ثم دُفِنَت البئر! وفي ٦٨/٤: «كان يُحِيلُ إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه»!

وفي ٨٨/٧: «مكث النبي كذا وكذا، يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي»!

وكرره بخاري ذلك بروايات (٢٨/٧ و ١٦٤) وروته عامة مصادره!

وقال إمامهم ابن حجر في مدة بقاء النبي ﷺ مسحوراً مجنوناً معاذ الله: «ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي: فأقام أربعين ليلة، وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد: ستة أشهر ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه، والأربعين يوماً من استحكامه»!

وقال السهيلي: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث النبي فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري أنه لبث ستة أشهر! كذا قال. وقد وجدناه موصولاً بإسناد الصحيح فهو المعتمد». (فتح الباري: ١٠/١٩٢).

أقول: يقصد السهيلي ما في مسند أحمد (٦٣/٦): «عن عائشة قالت: لبث رسول الله ستة أشهر يرى أنه يأتي نساءه، ولا يأتي»!

ثم تقرأ تفاصيل أسطورتهم وفريتهم في سحر نبينا ﷺ وأن صبياً يهودياً مجهولاً سرق مشط النبي ﷺ ومشاطة شعره وأعطاهما إلى اليهودي الشاب لبيد الأعصم، فجعل معها خيطاً من جلد وعقده اثنتي عشرة عقدة، ثم قرأ عليها السحر المجهول أيضاً ولفَّ الجميع في قماشة، ثم دفنها تحت صخرة بئر ذروان الذي يقع خارج المدينة فصار ماء البئر بسبب السحر أحمر كالحناء، وكان النخل الذي يسقى منها طلعه كأنه رؤوس الشياطين! ثم بعد ستة أشهر قضاها النبي ﷺ نصف مجنون! دله الملك على البئر فذهب إليها أو أرسل علياً والزبير، فاستخرجوا المشط وفكوا عقد الخيط، فشفي النبي من السحر! (راجع المجموع: ١٢/٢٤٣).

ثم تجد تأكيد إمامهم الكبير ابن حجر على تأثير السحر على حواس النبي وبعض عقله! قال: «قوله: حتى كان رسول الله يُحِيلُ إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله. قال المازري: أنكر

بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها.. قال المازري: وهذا كله مردود، لأن الدليل قد قام على صدق النبي فيما يبلغه عن الله تعالى. وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمرض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له!

أقول: هذا بعض كلامهم الطويل العليل! ليقنعوك بأن نبيك ﷺ كان لمدة ستة أو تسعة أشهر مسحوراً، وأنه مرض من ذلك وانتثر شعر رأسه وصار أقرع، وصار يذوب ولا يدري ما عراه! وكان يتصور أنه يرى شيئاً وهو لا يراه، وأنه أكل ولم يأكل، وأنه نام مع زوجته ولم يفعل! ثم يريدون أن يطمئنوك بأن نبيك ﷺ بخير وعافية، فالسحر قد تسلط على جسده وعلى قسم من عقله، وليس على كل عقله! ويقولون لك نعم إن نبيك معصوم لا ينطق عن الهوى، لكن عصمته إنما هي في تبليغه الرسالة فقط - ما عدا حديث الغرائق طبعاً!

أما في غير التبليغ فقد يصاب بالسحر وبالجنون، فيفقد التمييز في الأمور الدنيوية ومنها استخلاف من يقود المسلمين بعده فيعهد إلى عترته!

وكل دليلهم على ذلك أن عائشة قالت فقو لها حجة، ولو خالف القرآن!

إن الافتراءات القرشية على نبينا ﷺ فاقت افتراءات بني إسرائيل على أنبيائهم ﷺ!

ولذا قال النبي ﷺ: ما أودى نبي مثل ما أوديت!

رد فرية السحر عن النبي ﷺ

وقد رد هذه الفرية علماء الشيعة، وتجراً على ردها معنا بعض علماء السنة! كالنووي في المجموع (٢٤٢/١٩) قال: « قال الشهاب بعد نقل التأويلات عن أبي بكر الأصم أنه قال: إن حديث سحره ﷺ المروي هنا متروكٌ لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه مسحور، وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله فيه. ونقل الرازي عن القاضي أنه قال: هذه الرواية باطلة، وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، وقال: وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى. ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة، وكل ذلك باطل. وكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى، ومعلوم أن ذلك غير جائز ».

أقول: أصل مشكلتهم أنهم يقدسون كلام عمر وعائشة والبخاري، حتى لو خالف القرآن! ولا يسمحون لأحد أن يبحته وينقده! وقد ورطهم ذلك في مشكلات عديدة في العقائد والفقه، وما زالوا فيها إلى اليوم! ولم يجروا أحد منهم إلا النادر أن يقول: معاذ الله إنها تهمة الكفار لنبينا ﷺ وقد برأه الله منها بقوله: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا.

ثم لو سألتهم: متى كانت هذه الحادثة الخطيرة ولماذا لم يراها أحد إلا عائشة؟ قالوا إنها في السنة السادسة بعد رجوعه من الحديبية، لكن اتفق المؤرخون على أنه ﷺ بقي عشرين يوماً في المدينة وذهب إلى خيبر. وكان مع الناس ولم يلاحظ أحد منهم عليه شيئاً، فبطل قول عائشة!

قالوا الدين قسمان: قسم وحي من الله وقسم من محمد!

لم يستطع القرشيون أن يقاوموا القرآن فقالوا نعم إنه منزل من الله تعالى، فأمن بعضهم بأنه نزل على محمد ﷺ، لكن إيمانهم به لا يعني إيمانهم ببني هاشم، ولا بابن بني هاشم وإن نزل عليه القرآن. فهو دين نقبله، وما كان منه فهو كلام هاشمي لا نقبله!

وتقدم أن قريشاً أرسلت له بعد يوم الغدير جابر بن النضر العبدي، وقد روى ذلك السنة والشيعنة بسند صحيح، ومن أقدم من رواه من أئمة السنين أبو عبيد الهروي في كتابه: غريب القرآن قال: «لما بلغ رسول بغدير خم ما بلغ وشاع ذلك في البلاد أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، فقبلنا منك! ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه! فهذا شيء منك أم من الله؟! فقال رسول الله ﷺ: والذي لا إله إلا هو إن هذا إلا من الله! فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ.. الآية.»

وقد ذكرنا في عطاءات النبي ﷺ أن الطلقاء أثروا على الأنصار مع الأسف، فصار رئيسهم

سعد بن عباد يسأل عن قسمة النبي ﷺ للأموال هل هي من الله تعالى أو من النبي ﷺ؟ وقال: إن كانت من الله قبلنا، وإن كانت منه لا نقبل!

ففي الكافي (٤١١/٢)، بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام، قال زرارة: «سألته عن قول الله عز وجل: **وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ**. قال: هم قوم وحدوا الله عز وجل وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهم في ذلك شكاك في بعض ما جاء به محمد ﷺ فأمر الله عز وجل نبيه أن يتألفهم بالمال والعطاء لكي يحسن إسلامهم ويشبوا على دينهم الذي دخلوا فيه وأقروا به، قريش وسائر مضر، منهم أبوسفيان بن حرب، وعيينة بن حصن الفزاري، وأشباههم من الناس، فغضبت الأنصار واجتمعت إلى سعد بن عباد فانطلق بهم إلى رسول الله ﷺ بالجعرانة فقال: يا رسول الله أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم، فقال: إن كان هذا الأمر من هذه الأموال التي قسمت بين قومك شيئاً أنزله الله علينا، وإن كان غير ذلك لم نرض! قال زرارة: وسمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار أكلكم على قول سيدكم سعد؟ فقالوا: سيدنا الله ورسوله، ثم قالوا في الثالثة: نحن على مثل قوله ورأيه! قال زرارة: فسمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فحط الله نورهم».

فقد انحرف سعد بن عباد مع الأسف وأثر على الأنصار، وطرح نفسه للخلافة، فلم يتوفق لنصرة أهل البيت عليه السلام مقابل أهل السقيفة، ولا حصل على الخلافة فقد نفاه عمر ذليلاً من المدينة وقتلوه رخيصة في حوران، وأنزل بقومه الذل!

وقالوا: يحابي ابن عمه علياً عليه السلام ويرفع خسيسته!

في كتاب المعيار والموازنة/٢١٣، وتفسير العياشي/٣٣١: (عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن العباس مجتمعين، قالوا: أمر الله محمداً أن ينصب علياً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أن يقولوا يحابي ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**. فقام رسول الله بولايته يوم غدیر خم).

والحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل (١٥٧/١) بأسانيد، وتاريخ دمشق (٨٥/٢)، والميزان (٥٤/٦).

وقال القاضي النعمان المغربي في دعائم الإسلام (١٤/١): (وروي عن أبي جعفر محمد بن علي

صلى الله عليه أن رجلاً قال له: يا ابن رسول الله إن الحسن البصري حدثنا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أرسلني برسالة فضاق بها صدري وخشيت أن يكذبني الناس، فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني! قال له أبو جعفر: فهل حدثكم بالرسالة؟ قال: لا. قال: أما والله إنه ليعلم ما هي، ولكنه كتمها متعمداً! قال الرجل: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك وما هي؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه، فلم يدروا ما الصلاة ولا كيف يصلون فأمر الله عز وجل محمداً ﷺ أن يبين لهم كيف يصلون. فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلاة مفسراً.

وأمر بالزكاة، فلم يدروا ما هي ففسرها رسول الله ﷺ وأعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والزرع، ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاة إلا فسر له وأبينه لهم. وفرض عليهم الصوم، فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون، ففسره لهم رسول الله ﷺ وبين لهم ما يتقون في الصوم، وكيف يصومون.

وأمر بالحج فأمر الله ﷺ أن يفسر لهم كيف يحجون حتى أوضح لهم ذلك في سنته. وأمر الله عز وجل بالولاية فقال: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. ففرض الله ولاية ولاية الأمر، فلم يدروا ما هي فأمر الله ﷺ أن يفسر لهم ما الولاية، مثلما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله ذرعاً، وتحوف أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبوه، فضاق صدره وراجع ربه فأوحى إليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فصعد بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه يوم غدیر خم، ونادى لذلك الصلاة جامعة، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب.

وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا. قال أبو جعفر: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة قد أكملت لكم هذه الفرائض). ونحوه الكافي (٢٩٠/١).

وروى في شرح الأخبار (٢٧٦/٢): (فقال رسول الله ﷺ: يا جبرائيل أمتي حديثة عهد بجاهلية،

وأخاف عليهم أن يرتدوا، فأنزل الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (في علي) وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. فلم يجد رسول الله ﷺ بداً من أن جمع الناس بغدير خم فقال: أيها الناس إن الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني! أفلستم تعلمون أن الله عز وجل مولاي وأني مولى المسلمين ووليهم وأولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد علي عليه السلام فأقامه ورفع يده بيده وقال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فهذا علي وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار).

هذا، وقد روت مصادرنا كلماتهم بعد نصب النبي ﷺ علياً يوم الغدير، مثل: بخبذة عمر وأبي بكر له، وقوله أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة! وقول أبي ذر: أمرنا رسول الله ﷺ أن سلّموا على أخي ووارثي وخليفتي في أمّتي وولي كل مؤمن بعدي بالإمرة، فإنه أمير المؤمنين، وإنه زرا الأرض الذي تسكن إليه الأرض، ولو قد فقدتموه لأنكرتكم الأرض ومن عليها وأهلها! قال أبو ذر: فقالا: أحقّ من الله ورسوله؟ فغضب رسول الله ﷺ وقال: نعم حقّ من الله ورسوله، أمرني الله بذلك. فلما سلما عليه قال أحدهم لصاحبه: ما بال هذا الرجل يرفع خسيصة ابن عمّه! إنه ليحسن أمر ابن عمه، وقالوا: ما لنا عنده من خير ما بقي علي!

قال سليم فقلت: يا أباذر، هذا التسليم بعد حجة الوداع أو قبلها؟ فقال: أما التسليمة الأولى فقبل حجة الوداع، وأما التسليمة الأخرى فبعد حجة الوداع. قلت... وتعرفهم؟ قال: إي والله كلهم! وروي أنهم قالوا: ما يألوا أن يرفع خسيصة ابن عمه، لو يستطيع أن يجعله نبياً لفعل! وأيم الله لئن هلك لنزيلنه عما يريد!

وقال آخر: ما يألوا رفعاً بضبع ابن عمه. لا والله لا أسمع له ولا أطيع أبداً!

وقال آخر: إنه ليحسن أمر ابن عمه.. ما لنا عنده خير ما بقي علي).

وقالوا: محمد في بني هاشم كنخلة في مزبلة!

فقد قررت قريش أن تقبل نبوة محمد والقرآن فقط، وأن تأخذ خلافته، وتعزل أهل بيته! قال العلامة في تذكرة الفقهاء (٥٩/٢): (وكان عمر بن الخطاب عندهم ثاني الخلفاء صاحب الفتوح الكثيرة والسياسات العظيمة، وقد سب رسول الله في مرضه الذي توفي فيه، حيث قال رسول الله ﷺ آتوني بدواة وكتف لأكتب فيه كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال عمر: إن الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله! فأعرض النبي ﷺ عنه مغضباً، ثم وقع التشاجر بين الصحابة فقال بعضهم القول ما قال عمر وقال آخرون القول ما قاله رسول الله ﷺ. وأمرهم النبي بالإصراف عنه حيث آذوه بالصياح عنده، فسألوا منه الكتابة ففتح عينيه ﷺ وقال: أبعد ما سمعت!

وقال يوماً: إن رسول الله ﷺ شجرة نبتت في كبا أي في مزبلة، وعنى بذلك رذالة أهله! فسمعه رسول الله ﷺ ذلك فاشتد غيظه ثم نادى الصلاة جامعة، فحضر المسلمون بأسرهم فصعد رسول الله ﷺ المنبر ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس ليقيم كل منكم ينتسب إلى أبيه حتى أعرفه نسبه فقام إليه شخص من الجماعة وقال: يا رسول الله ﷺ أنا فلان بن فلان ابن فلان. فقال صدقت، ثم قام آخر فقال: يا رسول الله ﷺ أنا فلان بن فلان فقال: لست لفلان وإنما أنت لفلان وانتحلك فلان بن فلان فقعد خجلاً.

ثم لم يقم أحد فأمرهم بالقيام والانتساب مرة واثنين فلم يقيم أحد فقال أين الساب لأهل بيتي ليقيم إلي وينتسب إلى أبيه! فقام عمر وقال: يا رسول الله ﷺ أعف عنا عفى الله عنك، إغفر لنا غفر الله لك، إحلم عنا حلم الله عنك، وكان رسول الله ﷺ كثير الحياء فقال: إذا كان يوم القيامة سجدت سجدة لا أرفع رأسي حتى لا يبقى أحد من بني عبد المطلب إلا دخل الجنة! وأيضاً قد سب أهل السنة والجماعة النبي ﷺ حيث نسبوا إليه الكفر لأنه صلى يوماً صلاة الصبح وقرأ فيها سورة النجم إلى أن وصل إلى قوله تعالى: وَمُئَاةُ الثَّلَاثَةِ أَخْرَى، قالوا فقرأ بعد ذلك: تلك الغرائيق العلى، منها الشفاعة تترجى. وهذا عين الكفر! وأي سب أعظم ممن نسب الكفر إلى من قال الله تعالى فيه قبل هذه الآية بكلمات: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، ونسبتهم إياه إلى الكفر! وأي سب أعظم من أن يقال للشخص يا ابن الكافر!

بل سبوا الله تعالى حيث أسندوا جميع الموجودات من الحسن والقبح إليه تعالى، فجميع شر في العالم أو ظلم أو غير ذلك فهو صادر منه تعالى الله عن ذلك! وإذا سب الإنسان غيره فقال أنت كافر، كان معناه إنك أوجدت الكفر وفعلته! فبأي شيء يسب الله تعالى أعظم من ذلك!

بعد فتح مكة سكن ألوف الطلقاء المدينة وأفسدوا جوها!

فقد قام الطلقاء بنشر الطعن في أسرة النبي ﷺ وذهمهم وسبهم والإفتراء عليهم، وروى ذلك السنة وصححوه قالوا (مسند أحمد: ١٦٦/٤، ومجمع الزوائد: ٢١٥/٨): (أتى ناس من الأنصار النبي ﷺ فقالوا: إنا نسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد نخلة نبتت في الكبا! قال حسين: الكبا الكناسة! فقال رسول الله ﷺ: أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله. قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: فما سمعناه ينتمي قبلها! ألا إن الله عز وجل خلق خلقه ثم فرقهم فرقتين فجعلني في خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً).

وكتبنا في السيرة النبوية عند أهل البيت (عليه السلام): (تواصلت دعاية قريش ضد بني هاشم حتى كانوا يعبسون في وجوههم! فشكى بنو هاشم ذلك إلى النبي ﷺ ووصف النبي ﷺ ذلك بأن أحدهم إذا رأى هاشمياً فكأنها يفقاً في عينيه حب الرمان الحامض! وجاء العباس يوماً مغضباً وقال: يا رسول الله ما لنا ولقريش! إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك! قال فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبككم الله ولرسوله). (الترمذي: ٣١٧/٥).

واختصرت القصة رواية مسند أحمد وغيرها. وقد جمعنا روايتهم من مصادرهم في كتاب: ألف سؤال وإشكال (١٧٩/١) تحت عنوان: عقدة بطون قريش من بني هاشم! وركزت قريش دعايتها ضد علي (عليه السلام) خاصة لإسقاط شخصيته، والإنتقام منه لقتله زعماءها وأبطالها، مقدمة لعزله بعد النبي ﷺ وعملت لذلك أعمالاً عديدة في حرب النبي ﷺ وسلمه وسفره وحضره! وقد غضب النبي ﷺ من ذلك مراراً وشدد دفاعه عن علي (عليه السلام)، وخطب أكثر من مرة مبيناً مكانته وفضله، ونفاق من يؤذيه ويغضبه، أو كفره!

ولو لم يكن من ذلك إلا قصة بريدة الأسلمي، التي روتها مصادر السنين بطرق عديدة وأسانيد صحيحة لكفى، فقد كشفت عن وجود شبكة عمل منظم ترسل الرسائل من اليمن إلى المدينة، وتضع الخطط ضد علي عليه السلام! وروت إدانة النبي ﷺ وغضبه عليهم وتصريحه بأن علياً (وليكم من بعدي) كما رواه أحمد والنسائي، وصرح بأن كل من ينتقد علياً عليه السلام ولا يحبه ولا يطيعه، فهو منافق خارج عن الإسلام! لكن القرشيين اعتبروا كلام النبي ﷺ في حق علي عليه السلام كلاماً هاشمياً من عنده ولم ينزل به الوحي، فعصوا أوامره فيه في حياته فكيف بعد وفاته!

ثم تزايدت فعالية القرشيين حتى وصلت في السنة التاسعة إلى وضع خطة قوية لقتل النبي ﷺ في طريق رجوعه من تبوك بمؤامرة ليلة العقبة التي نزل فيها القرآن ورواها الجميع. وكانت خطتهم أن يقتلوا النبي ﷺ ويكفوا عليه ويصفقوا على يد أحدهم ويبايعوه خليفة لرسول الله ﷺ!

راجع تفسير قوله تعالى: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَفَعُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن العرب كرهت أمر محمد عليه السلام وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه، حتى قذفت زوجته! ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها وجسيم منته عندها! وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته!» (شرح النهج: ٢٠٠ / ٢٩٨).

ثم جعلوا عدواتهم للنبي ﷺ في أهل بيته عليه السلام ميثاقاً سرياً بينهم وبين اليهود قال الله تعالى عنها في سورة محمد عليه السلام التي نزلت تلك السنة: إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ. أي اتفاقهم السري.

وروى محبوبا عمر أنه قال لصفية مرة ولأم هاني ولغيرهما من بني هاشم: قرايتكم من محمد لا تنفعكم! فأخبروا النبي ﷺ فقال: (ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي، وإن شفاعتي تنال حا وحكم). وحكم قبيلتان في أقصى اليمن. (رواه مجمع الزوائد ٢٥٧/٢) ووثقه.

أقول: معناه أن كيل الطلقاء طفح حتى جاء الأنصار وشكوا إلى النبي ﷺ، وأن طعنهم كان بذيئاً مباشراً لأسرة النبي، وبشكل غير مباشر للنبي نفسه عليه السلام!

وأن الصحابة القرشيين كعمر كانوا يحمون الطلقاء بل نقل الكثير من الطعن بالعترة عنهم أنفسهم! وهدفهم من ذلك تهية الجو لعزل عترة النبي ﷺ ونصب أحد القرشيين بدلهم! وقد فصلنا في العقائد الإسلامية وألف سؤال، رد النبي الغاضب عليهم في مراحل مختلفة، ودعوته الأنصار بالسلاح أكثر من مرة!

قالوا والداه كافران وزعموا أنه قال لشخص: أبي وأبوك في النار!

قال الصدوق رحمه الله في كتابه: اعتقادات الإمامية/١١٠: (إعتقادنا في آباء النبي ﷺ أنهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبد الله، وأن أباطالب كان مسلماً، وأمه آمنة بنت وهب كانت مسلمة).

لكن قريشاً افترت على النبي ﷺ أن آباءه مثل آبائهم في النار، وزعمت أنه استأذن الله بأن يزور قبر أمه فأذن له، واستأذنه بأن يدعو لها فلم يأذن له لأنها كافرة، وأن رجلاً سأله عن أبيه أين هو فقال: أبي وأبوك في النار!

وسبب إصرارهم على كفر آبائهم ﷺ أنهم إذا اعترفوا بإيمان عبد المطلب ومناقبه، ثبتت له ولذريته وراثته إبراهيم عليه السلام كما قال الله تعالى: ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وثبت لعلي وراثته، ولم يبق محل لأبي بكر وعمر وبني أمية، بل تكون السقيفة انقلاباً قرشياً على هذا الفرع الذي اختاره الله تعالى!

والعجيب أنهم رووا أحاديث اختيار الله لأسرة النبي ﷺ وامتيازها على قريش كقوله ﷺ: «قسم الله تبارك وتعالى أهل الأرض قسمين فجعلني في خيرهما، ثم قسم النصف الآخر على ثلاثة فكنت خير الثلاثة، ثم اختار العرب من الناس، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم ثم اختارني من بني عبد المطلب». (الدر المنثور (٢٩٤/٣) والحاكم (٧٣/٤) والخصال (٣٦)).

لكنهم قالوا إن هذا الكلام في تفضيل بني هاشم من عند محمد وليس وحياً من الله، وقالوا لا نقبل أن يكون بطن بني هاشم الفرع المختار من ذرية إبراهيم عليه السلام، لأن بني هاشم عندهم كما زعموا كناسة ومزبلة!

ولهذا يُصر القرشيون حتى المسلمون منهم على التنقيص من آباء النبي ﷺ ويقولون كلهم

في النار وأبو طالب في النار مهما نصره، لأنه لم يؤمن! وزعموا أن النبي ﷺ شفع لأبي طالب فلم تنفعه شفاعته إلا بأن أخرجه الله من قعر جهنم إلى ضحضاح من نار يغلي منه دماغه!

كل ذلك لئلا يعترفوا بأن آباء النبي ﷺ هم الخط الوارث لإبراهيم عليه السلام. خاصة وأن آباءه ﷺ لم يعبدوا الأصنام، وكانوا على ملة إبراهيم وإسماعيل، وخاصة أن الله ميزهم عن قريش حتى في شكلهم، فورثهم جمال إبراهيم وبهاءه! فلما رأى أبرهة عبد المطلب، وكان «أيض مديد القامة». (الأعلام: ٤/١٥٤). «جعل ينظر في وجهه فراقه حسنه وجماله وهيئته فقال له: هل كان في آبائك مثل هذا النور الذي أراه لك والجمال؟ قال: نعم أيها الملك كل آبائي كان لهم هذا الجمال والنور والبهاء». (أمالي الطوسي/ ٦٨٢)

لكن قريشاً تعمدت أن تخمض عيونها عن معجزات عبد المطلب وكرامته في حفر زمزم، وإخباره عن آية أصحاب الفيل، وإخباره بنبو حفيده ﷺ، وافتخار النبي ﷺ يوم حنين بنبوته ويجده عبد المطلب! (بخاري: ٤/٢٨). وزعموا أن رجلاً سأله ﷺ: أين أبي؟ فقال: إن أبي وأباك في النار! (مسلم: ١/١٣٢) وحاشا آباءه ﷺ من النار، وحاشاه من هذه القسوة اليهودية البدوية!

ونلاحظ أن الطامعين في سلطان النبي ﷺ أكثرهم حماسة للتقويض من آباء النبي ﷺ وأسرته والطعن فيهم! يقولون لك: لا تذكر مناقب آبائه ولا مثالب آبائنا لأنهم مثلهم كفار! وهم صادقون في حق آبائهم لأنهم نكرات من قبائل مغمورة، وأكثرهم ملعون على لسان النبي ﷺ.

رووا عن عمرو العاص أن النبي ﷺ تبرأ من آل أبي طالب!

افتري عمرو العاص حديثاً على النبي ﷺ يذم آل أبي طالب، فرفعه علماء! رواه البخاري (٧٣/٧) ومسلم (١٣٦/١): (عن عمرو بن العاص قال سمعت النبي ﷺ جهاراً غير سريقول: إن آل أبي.. ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين. قال عمر وفي كتاب محمد بن جعفر بياض! زاد عنيسة: ولكن لهم رحم أبلها ببلاها، يعني أصلها بصلتها)

قال ابن العربي في أحكام القرآن (٤٦١/٣): (قد بينه أبو داود في جمع الصحيحين عن شعبة بالسند الصحيح، فقال: آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين).

وقال السيد شرف الدين في النص والإجتهد/ ٥٠٨، تحت عنوان: وضع الحديث في

ذم أمير المؤمنين عليه السلام : (ذكر شيخ المعتزلة الإمام أبو جعفر الإسكافي فيما نقله عنه ابن أبي الحديد: أن معاوية حمل قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعللاً يرغب في مثله، فاختلقوا له ما أرضاه. قال: منهم أبوهريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة. ومن التابعين: عروة بن الزبير. قال: وروى الزهري: أن عروة بن الزبير حدثه فقال: حدثني عائشة قالت: كنت عند رسول الله ﷺ إذ أقبل العباس وعلي فقال لي ﷺ: يا عائشة إن هذين يموتان على غير ملتي. أو قال: على غير ديني! قال: وروى عبد الرزاق عن معمر قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام فسألتها عنهما يوماً فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما؟ الله أعلم بهما وبحديثهما، إني لأتهمهما في بني هاشم.

قال: فأما الحديث الأول فقد ذكرناه، وأما الحديث الثاني فهو: أن عروة زعم أن عائشة حدثته قالت: كنت عند النبي ﷺ فأقبل العباس وعلي. فقال: يا عائشة إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا، فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب!

قال: وأما عمرو بن العاص فروى الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما مسنداً متصلاً بعمرو. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين.

قال: وأما أبوهريرة فروى عنه الحديث الذي معناه أن علياً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله ﷺ فأسخطه، فخطب على المنبر وقال: لاها الله لا تجتمع ابنة ولي الله وابنة عدو الله أبي جهل، إن فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها، فإن كان علي يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي، وليفعل ما يريد! قال: والحديث مشهور في رواية الكرايسي.

قال قلت: وهذا الحديث مخرج أيضاً في صحيح مسلم والبخاري عن المسور بن مخرمة الزهري فقد ذكره المرتضى في كتابه المسمى تنزيه الأنبياء والأئمة، وذكر أنه من رواية حسين الكرايسي، وأنه مشهور الانحراف عن أهل البيت عليه السلام وعداوتهم والمناصبه لهم، فلا تقبل روايته.

إلى أن قال أبو جعفر الإسكافي: وروى الأعمش قال: لما قدم أبوهريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثى على ركبتيه ثم ضرب

صلبته مراراً وقال: يا أهل العراق أترعمون أني أكذب على الله ورسوله وأحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله يقول: إن لكل نبي حرماً وإن المدينة حرمي، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. قال: وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها؟ فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة! وروى سفيان الثوري كما في ص ٣٦٠ من المجلد الأول من شرح النهج، عن عبد الرحمن بن قاسم، عن عمر بن عبد الغفار أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه، فجاءه شاب من الكوفة فجلس إليه فقال: يا أبا هريرة أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه؟ فقال: اللهم نعم. قال فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه. ثم قام عنه وانصرف! وبالجملية: فإن معاوية لم يدع طريقاً من ظلم أمير المؤمنين عليه السلام إلا سلكه وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).





الفصل الثاني والستون

نماذج من بلاغة النبي ﷺ!

أنا أفصح من نطق بالضاد وأوتيت جوامع الكلم

كتبنا في الفصل الخامس من هذا الكتاب:

المشهور أن النبي ﷺ قال: أنا أفصح من نطق بالضاد، بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد. لكن قالوا لا أصل له بهذا اللفظ! (كشف الخفاء: ٢٠٠/١) وفي فيض القدير (٥٠/٣): (أنا أعرب العرب، ولدتني قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر، فأني يأتيني اللحن)! وقد صححه من علمائنا الشهيد الثاني بلفظ: (أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد، وارتضعت من بني زهرة. وكانت هذه القبائل أفصح العرب، فافتخر ﷺ بالرضاع والنشأة فيها كما افتخر بالنسب). (شرح اللمعة: ١٦٥/٥، ومسالك الأفهام: ٣٧٦/١، والنووي في المجموع: ٢٢٧/١٨). فرضاع النبي ﷺ الأول من أمه آمنة بنت وهب الزهرية عليها السلام هو المؤثر في شخصيته. ورضاعه الثاني من حليلة مكمل له!

ومعناه أنه ﷺ رضع سنة وأكثر من أمه، ثم أكمل رضاعه في بني سعد. وقد كثرت أكاذيبهم وتناقضت روايتهم في كيفية أخذ حليلة له! والمرجح عندنا أن عبد المطلب كان يعرف زوجها الحارث السعدي فسلمه لهم، وأنها وزوجها الحارث كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام.

رسول الله ﷺ أفصح العرب وأبلغهم

الفصاحة صفة تتعلق بالألفاظ، فهي تعني اختيار الألفاظ القوية المعبرة.

والبلاغة صفة تتعلق بالمعنى، فهي صفة لقوة التعبير وصياغة المعاني.
ولا يكون المرء فصيحاً حتى يكون خبيراً بألفاظ اللغة ويختار أقواها.
ولا يكون بليغاً حتى يكون خبيراً بالمعاني فيختار أقواها، وخبيراً بالمخاطب والخطاب
فيختار أقوى ما يفهمه ويقرب المعنى الى ذهنه.

وقد يكون الإنسان فصيحاً قوي الألفاظ لكنه غير بليغ لأن معانيه غير قوية أو بليغاً غير
فصيح فمعانيه قوية لكنه عبر عنها بألفاظ ركيكة غير فصيحة.

ومعنى أن النبي ﷺ أفصح العرب وأبلغهم، أنه أخبر الناس بلغة العرب مفرداتها وتركيبها،
وأخبر الناس بالمعاني التي يريد أن يعبر عنها، وبطرق إيصالها الى أذهان الناس. فعندما يريد أن
يصف نبوته وما قبلها، يقرب ذلك الى ذهن مخاطبيه بمثل فيقول: (إنما مثلي ومثل الأنبياء كرجل
بنى داراً فأكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويعجبون بها ويقولون: هلا
وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين). (المناقب: ١٩٨/١).

فالنبوة في المجتمعات البشرية بناءً بناه الله تعالى، فاكتمل داراً جميلة، فإذا دخلها الناس رأوا
فيها موضع لبنة فراغاً بارزاً، فقالوا هلاً وضعت؟

فالبلاغة فيه أن النبوة بناء وليس هدماً وخراباً، وأنها دار للناس وصرح جميل يأتونه
مطمئنين فيدخلونه ويتفرجون عليه، ويرون فيه مكان آجرة أو رخامة خالياً فيتمنون أن
توضع، وهذه الآجرة هي نبوة نبينا ﷺ!

ومعناه أن النبي ﷺ خير بخطة الله تعالى في النبوات، وأن موقع نبوته منها مكمل وخاتم،
فليطمئن أتباع الأديان بأن الإسلام مكمل وليس معادياً، ولخبرته ﷺ بألفاظ اللغة اختار البناء
واللبنة، وخبرته بالمخاطب اختار مثل بناء الدار، وأن دينه مكمل الأديان وخاتمها.

أنظر كيف صور النبي ﷺ الرخاء في زمن المهدي الموعود فقال: (لا تقوم الساعة حتى
يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود
أرض العرب مروجاً وأنهاراً). (صحيح مسلم: ٨٤/٣).

أي يتحقق الإكتفاء الفردي وتحول الزكاة الى المشاريع العامة، وتعود بلاد العرب الصحراوية

القاحلة أنهاراً ومروجاً، كما كانت قبل ألوف السنين. فاستعمل فيض المال كالماء، وعودة أرض العرب الى ماضيها القديم! وهكذا العمق والبلاغة والفصاحة جارٍ في كل كلماته ﷺ.

معنى قوله ﷺ: أوتيت جوامع الكلم

قال ﷺ: (أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَها أَحَدٌ قَبْلِي: جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّ لِي الْمَغْنَمُ، وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ). (الفقيه: ٢٤٠/١).

فالسجود على الأرض كما هو مذهب أهل البيت ﷺ. ورعب أعداء النبي منه مشهور معروف. والمغنم ما يسيطر عليه من أموال العدو، لم تكن تحل لنبي قبل نبينا ﷺ. وجوامع الكلم: الكلام الذي يجمع معان عديدة في عبارة قليلة. وقد جعله الله تعالى شفيع المحشر، لأنه يملك أكثر من من غيره من الأنبياء ﷺ فائض القيمة من حسناته.

أما في مصادر السنة فارتبط هذا الحديث بعمر بن الخطاب، ورووا بأسانيد صحيحة أن عمر كان يدرس عند اليهود مع أصحابه، فترجم له اليهود قسماً من التوراة، وجاء بها الى النبي ﷺ ليعترف بشرعيتها! فغضب النبي ورفض، ثم جاءه عمر بقسم مترجم مرة ثانية وثالثة ورابعة.

ثم جاءه وقال له: إنا نسمع منهم كلاماً يأخذ بمجامع قلوبنا فأذن لنا أن نكتبه! فرفض ونهاه أن يحضر عندهم، وقال له: كيف يهدونكم وقد أضلوا أنفسهم! ثم رآه في الطريق يحمل أوراقاً فسأله فقال: شيء كتبناه عن اليهود لنزداداً به علماً الى علمنا! فغضب النبي ﷺ ودعا بالصلاة جامعة فحضر الأنصار بالسلاح وقالوا أغضب نبيكم! فخطب خطبته التي سُمي فيها عمر وجماعته بالمتهوكين، وحذر منهم ونهى عن التهوك. وقال: لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني. وقد أوتيت جوامع الكلم.

قال السيوطي في الدر المنثور (١٤٨/٥): (وأخرج ابن الضريس عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها! فقال يا ابن الخطاب أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولكنني أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصاراً!)

وأخرج عبدالرزاق والبيهقي عن أبي قلابة أن عمر بن الخطاب مرَّ برجل يقرأ كتاباً فاستمعه ساعة فاستحسنه، فقال للرجل أكتب لي من هذا الكتاب، قال نعم فاشتري أديماً فهيأه ثم جاء به إليه فمسح له في ظهره وبطنه، ثم أتى النبي ﷺ فجعل يقرؤه عليه وجعل وجه رسول الله يتلون، فضرب رجل من الأنصار بيده الكتاب وقال: ثكلتك أمك يا بن الخطاب! أما ترى وجه رسول الله منذ اليوم، وأنت تقرأ عليه هذا الكتاب! فقال النبي ﷺ عند ذلك: إنما بعثت فاتحاً وخائفاً وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه، واختصرت لي الحديث اختصاراً، فلا يهلككنم المتهوكون). وقد كتبنا في السيرة النبوية عند أهل البيت ﷺ ما خلاصته:

كان بيت عمر في عوالي المدينة قرب بني قريظة بعيداً عن مسجد النبي ﷺ.

قال عمر كما في البخاري (٣١/١): «كنت أنا وجاري من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم». وكان يحضر دروسهم (الدر المنثور: ٩٠/١) قال: «كنت أغشى اليهود يوم دراستهم، فقالوا: ما من أصحابك أحد أكرم علينا منك، لأنك تأتينا!»

وطمع اليهود بعمر فعربوا بعض توراتهم وكلفوه أن يأخذها إلى النبي ليعترف بها! قال عمر: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال فتغير وجه رسول الله.. الحديث.. وفيه: والذي نفس محمد بيده لو أصبح موسى فيكم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتهم». (فتح الباري: ٤٣٨/١٣).

وأصر عمر وجاء ثانية فقال: «يا رسول الله جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق! فتغير وجه رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن زيد: أمسح الله عقلك؟ ألا ترى الذي بوجه رسول الله!» (مجمع الزوائد: ١٧٤/١).

ثم جاء ثالثة، فقال: «انطلقت في حياة النبي ﷺ حتى أتيت خيبر فوجدت يهودياً يقول قولاً فأعجبني فقلت: هل أنت مكّتي ما تقول؟ قال: نعم، فأتيته بأديم فأخذ يملئ عليّ فلما رجعت قلت: يا رسول الله إني لقيت يهودياً يقول قولاً لم أسمع مثله بعدك! فقال: لعلك كتبت منه؟ قلت: نعم قال: إئتني به، فانطلقت فلما أتيت قال: أجلس إقرأه فقرأت ساعة ونظرت إلى وجهه فإذا هو يتلون فصرت من الفرق لا أجزى حرفاً منه، ثم رفعته إليه ثم جعل يتبعه

رسماً رسماً يمحوه بريقه وهو يقول: لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد تهوكوا حتى محى آخر حرف! (كنز العمال: ١ / ٣٧٠، والدارمي: ١١٥/١، والدر المنثور: ٢ / ٤٨، و: ٥ / ١٤٨، وأسد الغابة: ٣ / ١٢٦).

وفي مرة قال عمر: «يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا وقد هممنا أن نكتبها! فقال: يا ابن الخطاب أمتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية وأعطيت جوامع الكلم» (الدر المنثور: ١٤٨/٥).

ومرة طلب عمر أن يميزه النبي ﷺ بأن يدرس التوراة عند اليهود فقال له: «لا تتعلمها وآمن بها وتعلموا ما أنزل إليكم وآمنوا به». (الدر المنثور: ١٤٨ / ٥).

وساعدت حفصة أباه: «جاءت إلى النبي بكتاب من سورة يوسف في كتف فجعلت تقرأه عليه والنبي يتلون وجهه فقال: والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم». (عبد الرزاق: ١١٠/١١).

واستمر عمر مع مجموعته بالحضور عند اليهود، حتى رآه النبي يوماً يحمل كتاباً فقال له: «ما هذا في يدك يا عمر! فقلت: يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا! فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه ثم نوذي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم، السلاح السلاح! فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا، ولا يغرنكم المتهوكون! ». (الزوائد: ١٧٣/١، وتدوين القرآن: ٤١٦).

وعندما اتفق النبي ﷺ مع عروة بن مسعود على أن يشجع بني قريظة أن يطلبوا رهائن من قريش، لم يوافق عمر وقال له: «يا رسول الله، أمر بني قريظة أهون من أن يؤثر عنك شيء من أجل صنيعهم! فقال: الحرب خدعة يا عمر!». (السير الكبير: ١٢١/١).

لقد كان عمر وجماعته مغرمين بثقافة اليهود، وقد بلغ إعجابهم بأحاديثهم أنهم كتبوها، وأرادوا إمضاء النبي لعملهم فرفض!

أعطيت جوامع الكلم: قالها في مقابل النصوص اليهودية

وهو يقصد أني رسول الله اليكم، وقد أعطاني الله القرآن وجوامع الكلم في حديثي، فلستم بحاجة الى من حرفوا كتابهم وسنة أنبيائهم، ولا يقاس ما عندهم بما عندهم! وآية صدق نبينا ﷺ أنك لو قايست أحاديثه بمتون التوراة والتلمود، والأنجيل والنصوص المسيحية، لرأيت الفرق بينهما كالفرق بين الذهب والتراب. فضلاً عن نص القرآن الكريم.

قال العلامة الحلي في تذكرة الفقهاء (٤٢٩/٢): (مسألة: لا يجوز الوقف على كتابة التوراة والإنجيل لأنها منسوخان محرفان ولا نعلم فيه خلافاً، لما روى العامة أن رسول الله ﷺ خرج إلى المسجد فرأى في يد عمر صحيفة فيها شيء من التوراة فغضب النبي ﷺ لما رأى الصحيفة مع عمر وقال له: أفي شك أنت يا بن الخطاب، ألم آت بها بيضاء نقية؟! لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي. ولو لا أن ذلك معصية لما غضب منه)!

أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصاراً!

قال عمر بن الخطاب (مجمع الزوائد: ١٧٣/٨): (انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله: ما هذا الذي في يدك يا عمر؟ قلت: يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا!

فغضب رسول الله حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار أغضب نبيكم السلاح السلاح! فجاءوا حتى أحرقوا بمنبر رسول الله فقال: يا أيها الناس: إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصاراً، ولقد آتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون! قال عمر فقمتم فقلت رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبك رسلاً).

وفي أسباب النزول للسيوطي (٢١/١) (كان يأتي اليهود فيسمع منهم التوراة). وفي الدر المنثور (١٤٨/٥): (أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها! فقال (ص): يا ابن الخطاب أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولكني أعطيت جوامع

الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً !

ومعنى جوامع الكلم: المعاني الكثيرة في الكلام القليل المختصر.

من كلمات النبي ﷺ المبتكرة

أورد الصدوق في الفقيه (٣٧٦/٤) سبعين كلمة من ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة التي لم يسبق إليها:

اليد العليا خير من اليد السفلى.

ما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

خير الزاد التقوى.

رأس الحكمة مخافة الله عز وجل .

خير ما ألقى في القلب اليقين.

الإرتياب من الكفر .

النياحة من عمل الجاهلية.

السكر جمر النار.

الشعر من إبليس.

الخمر جماع الآثام.

النساء حباله الشيطان.

الشباب شعبة من الجنون.

شر المكاسب كسب الربا.

شر المآكل أكل مال اليتيم ظلماً.

السعيد من وعظ بغيره.

الشقي من شقى في بطن أمه.

مصيركم إلى أربعة أذرع .

أربى الربا الكذب.

سباب المؤمن فسوق ، قتال المؤمن كفر ، أكل لحمه من معصية الله

عز وجل ، حرمة ماله كحرمة دمه .

من يكظم الغيظ يأجره الله عز وجل .
من يصبر على الرزية يعوضه الله .
الآن حمي الوطيس .
لا يلسع المؤمن من جحر مرتين .
لا يجنى على المرء الا يده .
الشديد من غلب نفسه .
ليس الخبر كالمعاينة .
اللهم بارك لامتي في بكورها يوم سبتها وخميسها .
المجالس بالأمانة .
سيد القوم خادهم .
لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكا .
ابدأ بمن تعول .
الحرب خدعة .
المسلم مرآة لأخيه .
مات حتف أنفه .
البلاء موكل بالمنطق .
الناس كأسنان المشط سواء .
أي داء أدوى من البخل .
الحياء خير كله .
اليمين الفاجرة تذر الديار من أهلها بلاقع .
أعجل الشر عقوبة البغي .
أسرع الخير ثوابا البر .
المسلمون عند شروطهم .
إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرا .
ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء .
من قتل دون ماله فهو شهيد .

العائد في هبته كالعائد في قيئه .
لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه المؤمن فوق ثلاث .
من لا يرحم لا يرحم .
الندم توبة .
الولد للفراش وللعاهر الحجر .
الدال على الخير كفاعله .
حبك للشئ يعمى ويصم .
لا يشكر الله من لا يشكر الناس .
لا يؤوى الضالة الا الضال .
تقوا النار ولو بشق ثمرة .
الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .
مطل الغنى ظلم .
السفر قطعة من العذاب .
الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .
صاحب المجلس أحق بصدر مجلسه .
أحشوا في وجوه المداحين التراب .
استنزلوا الرزق بالصدقة .
ادفعوا البلاء بالدعاء .
جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .
ما نقص مال من صدقة .
لا صدقة وذو رحم محتاج .
الصحة والفراغ نعمتان مكفورتان .
عفو الملك أبقى للملك .
هبة الرجل لزوجته تزيد في عفتها .
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

الأبعاد الثلاثة الأهم في كلام النبي ﷺ

أبعاد الكلام النبوي متعددة ، فمنها البعد العقائدي ، والبعد الفقهي ، والبعد الروحي التربوي ، والبعد الإداري ، والبعد الأدبي ، والبعد الجمالي .. الخ .
ومن الطبيعي أن يكون البعد العقائدي هو الأهم لأن أهم هدف للنبي ﷺ تبليغ العقيدة أي النظرة للكون والحياة ، وبناءها .
ثم البعد الفقهي أي تبليغ الشريعة ونوع السلوك الذي يريده الله من العباد .
ثم البعد التربوي الروحي لأن مهمة النبي ﷺ تزكية الناس وتربيتهم على الحياة بالعقيدة والشريعة ، وقيمها وروحانيتها .

ما كتب في بلاغة النبي ﷺ

ذكر كثير من المؤلفين بلاغة النبي ﷺ ، لكن لم أجد كتاباً فيه دراسة بلاغية لكلامه ﷺ !
وأشهر وأحسن ما كتب في ذلك ما كتبه الأديب محمد صادق الرافعي في ختام كتابه :
إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - ٢١٠ : فصل البلاغة النبوية ، نحو أربعين صفحة وصف فيها بلاغة النبي ﷺ توصيفاً عاماً ، وأورد بعض نماذج من كلامه ، فأشار الى معانيها ولم يستوفها .
قال في صفحة ٢١٨ ، ملخصاً : (إن قريشاً كانوا أفصح العرب السنة وأخلصهم لغة ، وأعذبهم بياناً ، قد ارتفعوا عن لهجات رديئة اعترضت في مناطق العرب ، فسلمت بذلك لغتهم ، وإنما كان هؤلاء القوم أنضاد النبي ﷺ من أعمامه وأهله وعشيرته ، فلا جرم كان ﷺ على حد الكفاية في قدرته على انتزاع المذاهب البيانية ، حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله ، ولم توجد في متقدم كلامها ، وهي تعد من حسنات البيان ، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها ، وقوة دلالتها ، وكلها قد صار مثلاً ، وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي ، كقوله : مات حتف أنفه .
وقد روي عن علي بن أبي طالب أنه قال : ما سمعت كلمة غريبة من العرب يريد التركيب البياني إلا وسمعتها من رسول الله ﷺ وسمعتة يقول : مات حتف أنفه ، وما سمعتها من عربي قبله . ومثل ذلك قوله في الحرب : الآن همى الوطيس . وقوله : بعثت في نفس الساعة ، ومنه ألفاظ كان العرب أنفسهم يسألونه عنها ويعجبون لانفراده بها وهم عرب مثله ، كما عجبوا لفصاحته التي اختص

بها ولم يخرج من بين أظهرهم، كما روي من أنه ﷺ قال لأبي تيممة الهجيمي: إياك والمخيلة. فقال: يا رسول الله نحن قوم عرب، فما المخيلة؟ فقال: سبل الإزار. ومرت الكلمة بعد ذلك على هذا الوضع يراد بها الكبر ونحوه.

وليس ذلك بأعجب من مخاطبته وفود العرب بما كان لهم من اللغات والأوضاع الغريبة التي لا تعرفها قريش من لغتها، ولا تنهدى إلى معانيها، ولا يعرفها بعض العرب عن بعض، حتى قال له عليٌّ وقد سمعه يخاطب وفد بني نهد: يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره! فقال ﷺ: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

ومن ذلك كتبه الغريبة التي كان يملئها ويبعث بها إلى قبائل العرب يخاطبهم فيها بلحونهم، ولا يعدو ألفاظهم وعبارتهم، فيما يريد أن يلقيه إليهم، وهي ألفاظ خاصة بهم وبمن يداخلهم ويقاربهم، ولا تجوز في غير أرضهم ولا تسير عنهم فيما يسير من أخبارهم، ولا تأتلف مع أوضاع اللغة القرشية!

فما ندري أي ذلك أعجب: أن ينفرد النبي ﷺ بمعرفة هذا الغريب من السنة العرب دون قومه وغير قومه ممن ليس ذلك في لسانهم، عن غير تعليم ولا تلقين ولا رواية، أو أن يكون قومه من قريش قد ضربوا في الأرض للتجارة حتى اشتق إسمهم منها، وخالطوا العرب وسمعوا مناطقهم في أرضهم، وحين يتوافون إليهم في موسم الحج، وهم مع ذلك لا يعلمون من هذا الغريب بعض ما يعلمه، ولا يديرونه في ألسنتهم، ولا يورثونه أعقابهم فيما ينشئون عليه من السماع والمحاكاة، حتى كان هذا الباب فيه ﷺ باباً على حدة.

أما الكتاب الذي أشرنا إليه فهو كتابه ﷺ لوائل بن حجر الكندي، أحد أقيال حضر موت، ومنه: إلى الأقيال العباهلة، والأرواح المشاييب.. وفيه: وفي التبعة شاة لا مقورة الألياط، ولا ضنك، وأنطوا الثبجة. وفي السيوب الخمس، ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة، واستوفضوه عاماً. ومن زنى مم ثيب فضر جوه بالأضاميم. ولا توصيم في الدين، ولا غمة في فرائض الله تعالى، وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الأقيال.

وانظر كتابه إلى همدان، ومنه: إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها، تأكلون علافها، وترعون عفاءها، لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب والنباب

والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري، وعليهم فيها الصالح والقارح.

فهذه طائفة يسيرة مما انتهى إلينا من غريب اللغات التي كان يعلمها النبي ولولا أنها وجه من التاريخ والسيرة، لقد كانت انقطعت بها الرواية فلم ينته إلينا منها شيء، فهي ولا ريب لم تكن مجتلبة ولا متكلفة، ولا ترامي إليها البحث والتفتيش، وإنما جرت منه ﷺ مجرى غيرها، مما قذفه الطبع المتمكن، وألقته السليقة الواعية، ولا ريب أن وراء ألفاظها من سائر ما انفردت به تلك اللغات عن القرشية، فلا بد أن يكون ﷺ محيطاً بفروق تلك اللغات، مستوعباً لها على أتم ما تكون الإحاطة والاستيعاب، كأنه في كل لغة من أهلها، بل أفصح أهلها.

وإذا كانت تلك فطرته اللغوية، في تمكنها وشدتها واستحصافها وسيلها إلى الإلهام، وانطوائها على أسرار الوضع، فانظر ما عسى أن يحدث من مبلغ أثرها في اللغة، وضعاً واشتقاقاً واستجازة وتقليباً.

إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي ﷺ على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية، رأيته في الأولى مسدّد اللفظ محكم الوضع جزل التركيب. متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات: فخم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى وتأتياً لسره في الاستعمال. ورأيت في الثانية حسن المعرض، بين الجملة، واضح التفضيل، ظاهر الحدود جيد الرصف، متمكن المعنى واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراهاً، ولا ترى اضطراباً ولا خطأً، ولا استعانة من عجز، ولا توسعاً من ضيق، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه.

وختم الرافعي بقوله/٢٣٤: (فاعلم أن نسق البلاغة النبوية إنما هو في أكثر الحد الإنساني من ذلك الإعجاز، يعلو كلام الناس من جهة وينزل عن القرآن من جهته الأخرى، فلا مطمع لأبلغ الناس فيما وراءه، ولا معجزة عليه فيما دونه، وهو عنده أبداً بين القدرة على بعضه والعجز عن بعضه. وقد بقيت بعد رسول الله ﷺ أوصاف جمّة من محاسن البلاغة النبوية في عقبه من أهل البيت رضوان الله عليهم ومن اتصل منهم بسبب، أورثهم ذلك أفصح الخلق ولادة، وجادت لهم طباعه الشريفة بهذه الإجادة، فما تعارضهم بمن يحسن البلاغة إلا كانت لهم

في البلاغة الحسنی وزيادة!

ما برح أهل البيت رضوان الله عليهم يتوارثون بلاغة هي فوق بلاغة الناس إلى أن انقضت السلائق العربية، وذلك فضل لا يدفعه من هذه الأمة أحد وإنما هي ذرية بعضها من بعض. وقد نص العلماء على أن سبب فصاحة الحسن البصري من إرضاع أم سلمة زوج النبي ﷺ إياه وكانت أرضعته، فكيف بمن وشجت عروقه، وكان من تلك الغاية ومذهبه وطريقه). انتهى.

أقول: ما أوردناه هو روح رسالة الرافعي في بلاغة النبي ﷺ، وقد أجاد وسبق غيره حتى من تأخر عنه، فلم يكتب إلى الآن أحد مثله.

ونؤكد على ما ذكره عن علي عليه السلام وأنه عندنا تلميذ النبي ﷺ ووارث علمه وبلاغته مضافاً إلى أنه إمام ملهم من الله عز وجل. وكذلك أهل البيت عليهم السلام. بل كذلك من اتصل منهم بسبب كما أشار، أي عاش في ولايتهم وتعلم من علومهم.

ولا مجال للإفاضة في بلاغة من والاهم ونبوغ كبار الكتاب والشعراء منهم.



علي والزهاء وأئمة العترة عليهم السلام يتلون النبي ﷺ في البلاغة

(١)

فالخبير باللغة العربية ومفرداتها أدبها وشعرها ومتونها، يلمس بوضوح تميز النبي وعترته ﷺ في كلامهم عن بقية الناس، كما يتميز كلام الله تعالى عن كلامهم وكلام الناس. وإذا مارست خطبهم وكلماتهم ﷺ تلمس أن لكل واحد منهم أسلوبه الخاص الفريد، فتجد الزهاء عليه السلام تفيض فيضاً عن لسان أبيها وتتكلم عن الله والأمة بحقائق تعيشها وتنبض بها، بجزالة ألفاظ، وسلطان على اللغة والمعاني، ويكفي أن تدرس خطبتها ﷺ المتواترة عنها في مسجد النبي ﷺ بعد وفاته، ومنها:

(أيها الناس إعلموا أني فاطمة وأبي محمد، أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل شططاً لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي إليه ﷺ فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يحف الأضنام وينكت الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهت بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص.

وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني بهم الرجال وذوبان العرب ومردة أهل الكتاب كلماً أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاعرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال!

فلما اختار الله ﷻ لنبيه ﷺ دار أنبيائه ومأوى أصفياه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إيلكم، ووردم غير شربكم.

هذا، والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يُقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة! ألا في الفتنة سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ. فبهيات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون! وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجه لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون؟ بئس للطالمين بدلاً! وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ!

(٢)

وحسبك في بلاغة علي عليه السلام كتاب نهج البلاغة في خطبه وكلماته، كقوله:

(أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرثي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه! فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهياً!

حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده! فيا عجباً بينا هو يستقلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته! لشد ما تشطراً ضرعها! فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والإعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم).

(ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها: أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان،

وما ظننت أنك تحيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو. فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدى به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعقة وسداد. فوالله ما كنت من دنياكم تبرا، ولا ادخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا. ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القر، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع! أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي وأكباد حري؟ أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش. فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو الرسالة شغلها تقممها، تكثرش من أعلافها وتلهو عما يراد بها. أو أترك سدى أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة. أتمتلى السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل علي من زاده فيهجع! قرت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المريعة. فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك). (نهج البلاغة: ٧٠/٣).

(٣)

ومن هذا النوع كلام ابنه الإمام الحسن عليه السلام. ومن كلامه ما رواه ابن شعبة الحراني في تحف العقول ٢٣١، قال: (كتب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: أما بعد فإنكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة والأعلام النيرة الشاهرة أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون ونجا فيها المسلمون. كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر وحيرتنا في الاستطاعة، فأخبرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك عليه السلام فإن من علم الله علمكم وأنتم شهداء على الناس والله الشاهد عليكم، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. فأجابه الحسن عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم وصل إلي كتابك ولولا ما ذكرته من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إذا ما أخبرتك، أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أن الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر، إن الله لم يطع مكرهاً ولم يعص مغلوباً ولم

يهمل العباد سدى من المملكة، بل هو المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخيراً ونهاهم تحذيراً، فإن ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً، وإن انتهوا إلى معصية فشاء أن يمن عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً، ولا ألزموها كرهاً، بل من عليهم بأن بصرهم وعرفهم وحذرهم وأمرهم ونهاهم، لا جبلاً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه، والله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين. والسلام على من اتبع الهدى). (تحف العقول/٢٣١).

ومن خطبة للإمام الحسن عليه السلام: (أيها الناس إنه من نصح لله وأخذ قوله دليلاً، هدي للتي هي أقوم، ووفقه الله للرشاد، وسدده للحسن، فإن جار الله آمن محفوظ، وعدوه خائف مخذول، فاحترسوا من الله بكثرة الذكر، واخشوا الله بالتقوى، وتقربوا إلى الله بالطاعة فإنه قريب مجيب، قال الله تبارك وتعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ. فاستجيبوا لله وآمنوا به، فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاضم، فإن رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا وعز الذين يعرفون ما جلال الله أن يتذللوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا له، ولا ينكروا أنفسهم بعد المعرفة ولا يضلوا بعد الهدى).

واعلموا علماً يقيناً أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه. فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله والتحريف ورأيتم كيف يهوي من يهوي! ولا يُجهلنكم الذين لا يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهله، فإنهم خاصة نور يستضاء بهم، وأئمة يقتدى بهم، بهم عيش العلم وموت الجهل، وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم، وحكم منطقهم عن صمتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وقد خلت لهم من الله سنة ومضى فيهم من الله حكم إن في ذلك لذكرى للذاكرين.

واعقلوه إذا سمعتموه، عقل رعاية ولا تعقلوه عقل رواية، فإن رواية الكتاب كثير، ورعااته قليل. والله المستعان). (تحف العقول/٢٢٨).

(٤)

وكذلك بلاغة الإمام الحسين عليه السلام: (لما عزم على الخروج من مكة إلى العراق قام خطيباً

فقال: الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم. خُطَّ الموت على ولد آدم مَخْطُ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اشتياق أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكرباء، فيملأن مني أكراشاً جَوْفاً وأجربةً سُغباً، لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده. من كان باذلاً فينا مهجته، وموطئاً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصباحاً إن شاء الله). (مثير الأحرار/٤١).

ومن خطبته ﷺ يوم عاشوراء:

أما بعد فتباً لكم أيتها الجماعة وتراحاً، أحين استصر ختمونا ولهين فأصر خناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً كان في أيماننا، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلّاءاً على أوليائكم ويداؤاً لأعدائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم، وعن غير حدث كان منا ولا رأيٍ تفيل عنا، فهلاً لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لم يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى وتدايعتم عنها كتداعي الفراش. فسحقاً وبعداً لطواغيت الأمة، وشذاذاً لأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، ومحرفي الكلم ومظفي السنن، وملحقي العهرة بالنسب، المستهزين الذين جعلوا القرآن عضين.

والله إنه لخذلٌ فيكم معروف، قد وشجت عليه عرو وكم وتوارت عليه أصولكم، فكنتم أحبث ثمرة، شجىً للناظر، وأكلة للغاصب. ألا فلعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً: ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز منا بين اثنتين بين السِّلَّةِ والذلة وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصراع الكرام.

وإني زاحف إليهم بهذه الأسرة على كلب العدو وكثرة العدد، وخذلة الناصر، ألا وما تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس حتى تدور رحى الحرب وتعلق النحور، عهد عهده إلى أبي ﷺ.

فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ. إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. (تحف العقول/٢٤٠).

(٥)

وحسبك صحيفة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام . وقد كتبنا في مقدمتها:
إن أبرز ما عرف به الإمام زين العابدين عليه السلام : تَأَهُُّهُ وَتَعَبُّدُهُ وَحُبُّهُ لَهِ تَعَالَى ، حتى سمي:
(شاعر الله) وسميت صحيفة أدعيته: زبور آل محمد مقابل: زبور آل داود، الذي أنزله الله عليه،
وكان فيه مناجاة وأدعية! فالإمام عليه السلام متأله، كل حبه لربه، وكل فكره وذكره وخشوعه ودموعه،
في يومه وليله، وحله وترحاله.. وهو مع ربه عز وجل في غاية الأدب، ينتقي في تصرفاته الحركة
والسكون، لأنه يعيش في محضر ربه عز وجل.

وهو شاعر الله، فلربه كل مدائح وقصائده، يخصه بأبلغ المعاني وأعلى الكلام!
والى الآن لم نر دراسة في تأله الإمام عليه السلام وغيره من المعصومين عليهم السلام ، تكشف أبعاد حضور الله
تعالى في فكرهم وشعورهم وعملهم، ونوع جدبتهم وصدقهم وعمقهم في تعاملهم مع ربهم
عز وجل. كأدعية الإمام زين العابدين عليه السلام ، بشفافيتها الخاصة ونسيمها الساوي!
إن الصحيفة السجادية كتاب لم يعرفه الناس، وأول ما تنظر فيه تَبْهَرُك فيه قدرة معماره على
بناء العبارة العربية، فهو أقدر من المؤلف البليغ الممسك باللغة وتراكيبها!
تجد مفردات العربية تدور فيه كالنجوم أفعالاً وأسماءً وحروفاً وصيغَ تعبير، تعرض نفسها
على أنامل فكر الإمام عليه السلام ليجعلها آجراً في أحد صروحه، أو حُمةً في إحدى لوحاته. فالكلمة
عند الإمام عليه السلام موجود حيوي، ينتقيها من أسفاط اللغة كما ينتقي الخبير جواهره فيصوغها
ويصوغ بها.

كما أنها موجود حيويٌ بمحيطها الذي يضعها فيه الإمام فتُحييه ويُحييها. وبخيوط ارتباطها التي
يبتكرها الإمام في حروف التعدية فيشد بها الأفعال والأسماء والحروف. فتقابل الكلمات
والفقرات والحروف وتتناغم وتضئ، في جدلية وتبادلية خاصة، غنية.

والفكرة عنده عليه السلام روحٌ تنبض في الكلمة وتنبض بها، تجيء قادمةً من أفق أعلى، غنيٌّ غزير،
ينساب في الروح، ويلدُّ للعقل، ويناغي أوتار النفس. تنحدر من أفقٍ جمالي عالٍ، بأروع من
عقد الجواهر، وأجمل من نظم الورد، معاني ونسيماً، آتيةً من منابع الغيب الغنية.

والكون عند الإمام جميل كله، لا يرى ما يعكره حتى خطايا الإنسان وحتى القوانين والمقادير. صفاء في الذهن، ونقاء في الفكر، وشفافية في الروح، كَوْنَتْ شخصيته وعاش بها بصدق، فاتَّخَذَ في شخصيته نمط السلوك بفكر العقيدة، برفرفات الروح، فلا فصل بين النظرية والتطبيق والقول والعمل!

يقول ﷺ: (يا غفار بنورك اهتدينا، وبفضلك استغينا، وبنعمتك أصبحنا وأمسينا. ذنوبنا بين يديك، نستغفرك اللهم منها ونتوب إليك.

تتجلبب إلينا بالنعم ونعارضك بالذنوب، خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد، ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح فلا يمنعك ذلك أن تحوطنا بنعمك وتفضل علينا بالآث، فسبحانك ما أحلمك وأعظمك وأكرمك مبدئاً ومعيداً، تقدست أسماؤك وجل ثناؤك وكرمت صنائعك وفعالك. أنت إلهي أوسع فضلاً وأعظم حلماً من أن تقايسني بفعلي وخطيئتي، فالعفو العفو سيدي سيدي سيدي).

ويقول ﷺ: (اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان، الممتنع بغير جنود ولا أعوان، والعز الباقي على مر الدهور وخوالي الأعوام، ومواضي الأزمان والأيام، عز سلطانك عزاً لا حد له بأولية، ولا منتهى له بأخيرية.. واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمدّه، ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين. ضلت فيك الصفات، وتفسخت دونك النعوت، وحارت في كبريائك لطائف الأوهام.

كذلك أنت الله الأول في أوليتك، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول.

وأنا العبد الضعيف عملاً، الجسيم أملاً، خرجت من يدي أسباب الوصلات إلا ما وصلته رحمتك، وتقطعت عني عصم الآمال إلا ما أنا معتصم به من عفوك. قلّ عندي ما أعتد به من طاعتك، وكثر عليّ ما أبوء به من معصيتك. ولن يضيق عليك عفو عن عبدك وإن أساء، فاعف عني).

إن كل واحد من هؤلاء الأئمة ﷺ يستحق أن تُدرس بلاغته في موضوع مستقل.



دراسة بلاغية لنماذج من كلام النبي ﷺ

(١)

قال رسول الله ﷺ : (الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل: يا رسول الله: وما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتباع السلطان! فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم). (الكافي: ٤٦١).

١ - اختار ﷺ لعلماء الدين إسم الفقهاء ومعناه الفُهاء لأن الفقه هو الفهم. وقد أخذه من قوله تعالى: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ. وهذا يوجب مستوى ذهنياً عالياً لا بد أن يتصف به الفقيه ليستوعب ما جاء به الرسول ﷺ من عقيدة وشريعة، ويكون أميناً عليه.

٢. أعطاهم النبي ﷺ منصباً عظيماً أنهم أمناء الرسل على الدين، ومعناه أن الرسول ﷺ بعد وفاته له سلطان على رسالته، فهو يعين الأمين عليها الذي يؤديها إلى الأمة. وله سلطان على أمته فهو يعين من يقودها بعده ويطبق رسالته، وقد عينه ونص عليه وهم عترته ﷺ، لكن قريشاً تبغض بني هاشم فعزلتهم وجاءت بشخص منها، وسمته خليفة النبي ﷺ!

٣. اشترط النبي ﷺ للفقيه أن يكون فوق الدنيا ولا يدخل فيها، ولا يقصد بعدم دخوله فيها أن يكون راهباً، أو لا يعيش مثل متوسط الناس، بل فسر به بأن يكون تابعاً للسلطان، وإلا فقد صفة الأمين وصار متهماً على الدين!

٤. يعتمد النبي ﷺ على الناس ويطلب منهم أن يميزوا بين الفقهاء، ولا يأخذوا معالم دينهم من علماء السلطة، لأنهم غير أميين عليها.

بل يدل تعبير فاحذروهم على دينكم أن الأصل في علماء السلطة أنهم متهمون، وأن الحذر منهم واجب من أن يحرفوا الدين لرغبة الحاكم!

٥. فالحديث يقرر وجود فقهاء في بنية الأمة من غير المعصومين ﷺ، وينهاهم عن اتباع السلطان، ويحذر المسلمين منهم إن فعلوا.

(٢)

قال رسول الله ﷺ : (ما أنا والدنيا، إنما مثلي فيها كمثل راكب سار في يوم صائف، فرفعت

له شجرة، فنزل فقال في ظلها ساعة، ثم راح وتركها). (معارج نهج البلاغة للبيهقي: ٣٢٧/٢).
أيها الفارس الآتي من الغيب، روعي فذاك. الأعظم قدراً من الدنيا، الذي لم ير فيها إلا معبراً،
ولم يأخذ منها إلا قيلولة ساعة في ظل شجرة.

لقد رسم النبي ﷺ في هذا الحديث صورة نفسه في سطرين بأبلغ الكلمات، ليعلمنا بها أن
يكون المؤمن أكبر من الدنيا، لأنها لا تستحق أن يثق بها ويجعلها لأنفسنا قدراً!
وافتحها بقوله: ما أنا والدنيا، كما تقول ما أنا وأنت؟ متى عرفتك وكنت لي صديقاً؟ أو
كانت لي معك علاقة؟ ما أنا وأنت، لنحسب على بعضنا، وكل واحد منا مقولة.
ما أنا وأنت يادنيا حتى نتساوى أو نقرن معاً، فأنا آتٍ من الغيب على صهوة جوادي،
عابراً إلى الآخرة ونعيمها، وأنت كامنة في الطريق تخدعين عباد الله.

وقد أخذ ذلك منه تلميذه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: (يادنيا إليك عني، أبي تعرضت أم إلي
تشوفت! لاحان حينك، هيهات غري غيري، لا حاجة لي فيك! قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة
فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير. أين الأمم الذين فتنهم بزخارفك، هاهم
رهائن القبور ومضامين اللحد. والله لو كنت شخصاً مرئياً وقلباً حسياً لأقمت عليك
حدود الله في عباد غررتهم بالأمان، وأمم ألقيتهم في المهاوي، وملوك أسلمتهم إلى التلف
وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر). (نهج البلاغة: ٧٤/٢).

(٣)

قال رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع: (أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد،
كلكم لآدم وادم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا
بالتقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب). (تحف العقول/٣٠).

وقال ﷺ: (الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، إنما الفضل
بالتقوى). (سفينة النجاة/٢٧٣، وشرح المقاصد: ٣٠٢/٢)

١. هدف النبي ﷺ أن يقنع الناس بوحدهم أمام الشريعة، فبدأ من وحدة الخالق، وقال
للناس: ما دام ربكم واحداً فيجب أن تكونوا متساويين أمام الشرع والقانون.

وأبوكم واحد: فأنتم إخوة وأخوات من كل الشعوب والألوان والمستويات.
فلا تفتخروا على بعضكم، فأصلكم من تراب، لأن أباكم مخلوق تراب.
والتمايز الوحيد الصحيح بينكم تقوى الله وفيها التواضع وخدمة الآخرين. وختمها
بتحميل الحاضرين مسؤولية حمل هذه العقيدة ونشرها.

٢. سؤال النبي ﷺ بعد كل فقرة: ألا هل بلغت؟ يهز المستمع لأنه يقول له: إني أوصلت إليك
رسالة من ربك، فاشهد لي، وسأشهد عليك.

٣. المساواة بين البشر حقيقة جميلة لكنها كانت صادمة، وما زالت! فهي جميلة كشعار إنساني،
لكنها صادمة في التطبيق، وقد كانت كذلك في الجاهلية فأزاهلها النبي ﷺ، لكنها سرعان ما
عادت بعده في أصحابه.

روى في دعائم الإسلام (٣٨٤/١): (أمر عمار بن ياسر، وعبيد الله بن أبي رافع وأباهيثم بن التيهان،
أن يقسموا فيئاً بين المسلمين، وقال لهم: إعدلوا فيه ولا تفضلوا أحداً على أحد. فحسبوا فوجدوا
الذي يصيب كل رجل من المسلمين ثلاثة دنانير، فأعطوا الناس، فأقبل إليهم طلحة والزبير ومع
كل واحد منهما ابنه، فدفعوا إلى كل واحد منهم ثلاثة دنانير، فقال طلحة والزبير: ليس هكذا
كان يعطينا عمر، فهذا منكم أو عن أمر صاحبكم؟ قالوا: بل هكذا أمرنا أمير المؤمنين ﷺ،
فمضيا إليه فوجداه في بعض أمواله قائماً في الشمس على أجير له يعمل بين يديه، فقالا: ترى
أن ترتفع معنا إلى الظل؟ قال نعم، فقالا له: إنا أتينا إلى عمالك على قسمة هذا الفئ، فأعطوا كل
واحد منا مثل ما أعطوا سائر الناس. قال: وما تريدان؟ قالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر. قال:
فما كان رسول الله ﷺ يعطيكم؟ فسكتا. فقال: أليس كان ﷺ يقسم بالسوية بين المسلمين من
غير زيادة؟ قالوا: نعم. قال: أفسنة رسول الله ﷺ أولى بالاتباع عندكما أم سنة عمر؟

قالا: سنة رسول الله ﷺ ولكن يا أمير المؤمنين لنا سابقة وغناء وقربة، فإن رأيت أن لا
تسويننا بالناس فافعل، قال: سابقتكما أسبق أم سابقتي؟ قالا: سابقتك، قال: فقرابتكما أقرب أم
قرابتني؟ قالا: قرابتك، قال: فغناؤكما أعظم أم غنائني (نصرتكما للإسلام)؟ قالا: بل أنت أعظم غناء.
قال: فوالله ما أنا وأجيري هذا في هذا المال إلا بمنزلة واحدة، وأوماً بيده إلى الأجير الذي بين
يديه! قالوا: جئنا لهذا وغيره، قال: وما غيره؟ قالوا: أردنا العمرة فأذن لنا.

قال: إنطلقا فإلى العمرة تريدان! ولقد أنبتت بأمركما وأريت مضاجعكما! فمضيا وهو يتلو وهما يسمعان: فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُؤُهُ أَجْرًا عَظِيمًا!

٤. أما الغربيون، فهم أصل التمييز والطبقية وهم أصحاب نظرية تفوق الرجل الأبيض، وقد لاقى العالم منهم أنواع الإضطهاد والتدمير والإفقار ونهب الثروات. وكمثال فإن فرنسا صاحبة أكبر احتياطي من الذهب في العالم، وهي تحكم جمهورية مالي الإفريقية وفيها أكثر من ٣٠٠ منجم لاستخراج لذهب، وليس عندها أي احتياطي منه!

ومثال آخر أن الأمريكان من عدة قرون جاؤوا بمئات الألوف من السود واستعبدوهم ليعملوا في أرضهم، وإلى الآن يعيشون الإضطهاد والتمييز! وتميز الغربي ليس ضد السود فقط، بل على إنسان العالم، الثالث بقولهم.

(٤)

قال ﷺ: (أَيَسَّرُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَابِهِ حِمَّةٌ يَغْتَسِلُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَلَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ). (وسائل الشيعة: ٢/٣).

(الصلاة عمود الدين، إذا قبلت قبل ما سواها، وإذا ردت رد ما سواها). (وسائل الشيعة: ١٧/٣)
وقال ﷺ: (إِذَا قَامَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فِي صَلَاتِهِ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْصَرِفَ وَأَظْلَمَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ فَوْقَ رَأْسِهِ إِلَى أَفْقِ السَّمَاءِ، وَالْمَلَائِكَةُ تَحْفَهُ مِنْ حَوْلِهِ إِلَى أَفْقِ السَّمَاءِ، وَكُلُّ اللَّهِ بِهِ مُلْكًا قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ يَقُولُ لَهُ: أَيُّهَا الْمُصَلِّي لَوْ تَعْلَمُ مِنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ وَمَنْ تَنَاجِي مَا التَفَتَ وَلَا زَلَّتْ مِنْ مَوْضِعِكَ أَدْبَاً).
(الكافي: ٢٦٥/٣).

(بيننا رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلي فلم يتم ركوعه ولا سجوده، فقال ﷺ: نَقَرَ كَنْقَرُ الْغَرَابِ! لَنْ مَاتَ هَذَا وَهَكَذَا صَلَاتُهُ، لِيَمُوتَنَّ عَلَى غَيْرِ دِينِي).
(الكافي: ٢٦٨/٣).

١. لو سألت شخصاً: هل ترغب أن يكون أمام دارك نبع ماء معدني (حِمَّة) تغتسل فيها فتعود نظيفاً وتذهب أو ساخك؟ لقال: نعم. لكن كيف؟
إنه ابتكار نبوي في التحبيب بالصلاة، بأن جعلها عيناً معدنية تغسل ذنوب أحدنا كلما اغتسل

فيها. وكثيراً ما يستعمل النبي ﷺ تشبيه المعنوي بالمحسوس، ليجسد للمخاطب تأثير سلوكه على شخصيته، كما يؤثر محيط العمل على بدنه فيحتاج الى غسل.

٢. طبعاً ذنوب الإنسان متفاوتة، وبعضها تحتاج مع الصلاة الى غسلها بترضية من أساء اليهم وظلمهم، أو تحتاج الى عمل مع الصلاة.

لكن الذنوب التي تغسلها الصلاة كثيرة ومهمة، وعندما يفهم المصلي أنه يغسل ذنوبه بصلاته، يسأل عن معالجة الذنوب التي لا تعالج بالصلاة.

٣. يصور الحديث الشريف المجتمع المسلم بأنه مجتمع يتطهر يومياً بمياه معدنية، فهو مجتمع نظيف، وقد قال البابا السابق إنه كان له زميل مسلم وكان يعجبه منه كثرة صلاته كل يوم.

٤. المجتمع الذي يتطهر ويصلي يومياً عدة مرات، متميز على المجتمع الذي لا يتطهر ولا يصلي إلا قليلاً، والفرق بينهما أن سلوك الارتباط بالله تعالى سلوك تطهيري محب يؤثر على شخصية المصلي وعلى طابع المجتمع بعامه. بينما المجتمع غير المصلي أو الذي يصلي أفراداً نادراً، مجتمع مفصول على الله تعالى، كما ينفصل الجزء من الكل والمحدود من المطلق.

٥. والتطهر وغسل الأسفلين بالماء مرات يومياً أمر في غاية الأهمية لسلامة المجتمع وصحته، وشعور المتطهر بالراحة والإطمئنان. ويعرف ذلك كبار المفكرين الغربيين ويجهرون به!

في سبعينات القرن الماضي راجعت مستشفى رويل فري المتخصص بالكبد في لندن، وأخذني صديقنا وقتاً من الدكتور ماكتير رئيس المستشفى، وفحصني بأسئلة استغرقت أكثر من ساعة، ثم طمأنني بسلامة كبدي. وكنا نتناول أطراف الحديث فأعجبته وأحبني وقال بما أنه رجل دين لا أخذ منه أجر، مع أنني دخلت المستشفى وأخذوا مني جزءاً من الكبد للفحص احتياطاً.

وحدثني عنه الدكتور سيد محمد بأنه معجب بنظام الطهارة الإسلامي، قال: كنت أعمل معه فطلب مني ذات يوم أن أعطيه شيئاً، قلت له: فقط أغسل يدي وآتي به، فقال: لماذا تغسل يديك وأنت تتوضأ للصلاة في اليوم مرات، ورآني لم أقنع فقال: أسألك هل يوجد في الغرب من يغسل أسفليه بالماء مثلكم؟ قلت: لا. قال: إذن أنتم أنظف منا، فجئ به ولا تغسل يدك!

٦. هذا في الطهارة المادية من النجاسات والأقذار، لكن الحِمة التي تكلم عنها النبي ﷺ طهارة معنوية من الذنوب، وهي أهم وأبعد أثراً في الروح والشخصية والمجتمع من الطهارة المائية، وإن

كانت شرطاً فيها. ولذلك قال الله تعالى في الصلاة: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ. وهو نهى نسبي حسب الشخصية، لكنه موجود حتى في شخصية المجرم!

٧. تعبير النبي ﷺ عن الصلاة بأنها عمود الدين، يؤكد أن الصلاة ارتباط المحدود بالمطلق، والذي لا يصلي مفصول عن ربه، فشخصيته كالحيمة التي تقوض عمودها!

(٥)

قال رسول الله ﷺ الكافي: (٢٥-١٢/١): (ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل. ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته. وما يضمّر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الأبواب، الذين قال الله تعالى: إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ).

أحاديث مفسرة لهذا الحديث

قال رسول الله ﷺ: يا علي لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل) وقال ﷺ: إذا بلغكم عن رجل حسن حال، فانظروا في حسن عقله، فإنما يجازي بعقله). وقال ﷺ: إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له، وأثنى قوم بحضرته على رجل حتى ذكروا جميع خصال الخير، فقال رسول الله ﷺ: كيف عقل الرجل؟ فقالوا: يا رسول الله نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير تسألنا عن عقله؟ فقال ﷺ: إن الأحق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم). (تحف العقول/٥٤).

وقال ﷺ: (قسم الله العقل ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ومن لم يكن فلا عقل له: حسن المعرفة بالله وحسن الطاعة لله وحسن الصبر على أمر الله. وقدم المدينة رجل نصراني من أهل نجران وكان فيه بيان وله وقار وهيبة، فقيل: يا رسول الله ما أعقل هذا النصراني! فزجر القائل وقال: مه، إن العاقل من وحد الله وعمل بطاعته). (تحف العقول/٥٤).

وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: (ما بعث الله نبياً قط إلا عاقلاً، وبعض النبيين أرجح

من بعض، وما استخلف داود سليمان حتى اختبر عقله، واستخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة، ومملك ذو القرنين وهو ابن اثني عشر سنة، ومكث في ملكه ثلاثين سنة). (المحاسن: ١٩٣/١).

وقال عليه السلام لهشام بن الحكم: (يا هشام لا دين لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا عقل له، وإن أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً. أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها بغيرها). (الكافي: ١٩/١).

وسئل الإمام الصادق عليه السلام: (ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قال قلت: فالذي كان في معاوية؟ قال: تلك النكراء وتلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بعقل). (المحاسن: ١٩٥/١). وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا). (المحاسن: ١٩٥/١).

ملاحظات

١. للعقل في الإسلام مكانة الصدارة، قال تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وقال إن الناس العقلاء قليلون: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا. فهم أضل لأن الأنعام تنصرف بغريزتها، وليس عندها عقل وتركتها كالإنسان! ولذا كان من الناس من هو شر الدواب: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ. ضُمْ بَكُمْ عُنِيَ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

٢. تلاحظ في أول الكافي وهو أهم مصدر في الحديث عندنا: كتاب العقل والجهل، ولا تجده في كتب الحديث السنية.

ومما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام: حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل.

وروى عن الباقر عليه السلام: لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي منك. إياك أمر وإياك أنهي، وإياك أئيب وإياك أعاقب. وفي رواية المحاسن: ولا أكملك إلا فيمن أحب.

وروى عن الصادق عليه السلام: أن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلا به، العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنهم مخلوقون، وأنه المدبر لهم، وأنهم المدبرون، وأنه الباقي وهم الفانون، واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه، من سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، وليلة ونهاره، وبأن له ولهم خالقاً ومدبراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأن الظلمة في الجهل، وأن النور في العلم، فهذا ما دلهم، عليه العقل.

قيل له: فهل يكفي العباد بالعقل دون غيره؟ قال: إن العاقل لدلالة عقله الذي جعله الله قوامه وزينته وهدايته، علم أن الله هو الحق، وأنه هو ربه، وعلم أن خالقه محبة، وأن له كراهية، وأن له طاعة، وأن له معصية، فلم يجد عقله يدلّه على ذلك وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه، وأنه لا ينتفع بعقله، إن لم يصب ذلك بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلا به).

٣. القدرة العقلية في الإنسان ذاتية وكسبية، فمن العقل ما هو مخلوق في الإنسان بتكوينه، ومنه مكتسب بتنمية الإنسان لعقله.

فقد يكون عند الشخص عشرة بالمئة من العقل مثلاً فينميها إلى سبعين. أو يكون عنده خمسين فيعطلها ويخالفها فتصير عشرة بالمئة. فسلوك الإنسان وإرادته يزيد أو يُنقص من عقله، وبعض الأعمال تزيد فيه أو تنقصه.

ومعنى قول النبي ﷺ: ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل: أي يتكامل النبي ببرنامجه عملي من نفسه أو من ربه، ثم يبعثه نبياً أو رسولاً.

٤. قيمة الإنسان بعقله، فخفيف العقل ناقص القدر والقيمة، وعديم العقل لاقية له. ولأن العقل عالي القيمة فقد جعله الله في الدنيا قليلاً، ولذا قال النبي ﷺ: ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، وطبيعي أن تكون قسمته بعدل واستحقاق، ففي عالم الذر أعطى الناس فرصاً وقدرات متساوية وامتحنهم، وكتب لكل واحد منهم ما استحقه.

قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.

٥. تكليف الله للإنسان على قدر عقله فصاحب العشرة بالمئة من العقل يكلف بقدرها فقط لا أكثر، وهكذا، والحساب يوم القيامة والجزاء بقدر ما أعطي من عقل. والذي لا عقل به أو المجنون لا تكليف عليه، فإذا أخذ الله ما وهب سقط عن الإنسان ما وجب.

(٦)

قال رسول الله ﷺ: (يا بني عبد المطلب، إن الرائد لا يكذب أهله. والذي بعثني بالحق نبياً، لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، وما بعد الموت دار إلا جنة أو نار).

(الإعتقادات للصدوق/٦٤)

أقول: هذه فقرة من حديث الدار المعروف لما نزل قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. ونذكر حوله بعض النقاط:

١. الحديث متواتر بالمعنى، فقد روته عامة المصادر ومختلف الفرق. وخلاصته: أن الله تعالى أمر نبيه أن ينذر عشيرته الأقربين بني هاشم فدعاهم وكانوا أربعين رجلاً أو خمساً وأربعين، وأمر علياً فصنع لهم فخذ شاة وعَسَّ لبن، فأكلوا كلهم وشربوا ولم ينقص الطعام، فقال أبو هب: سحركم صاحبكم! ثم قال: هؤلاء عمومتك وبنو عمك، فتكلم لما تريد، ودع الصلاة، واعلم أنه ليست لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأن أحق من أخذك فحبسك أسرتك وبنو أبيك إن أقمت على أمرك، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدها العرب! فما رأيت، يا بن أخي، أحداً قط جاء بني أبيه بشر مما جئتهم به!

وأسكت رسول الله ﷺ فلم يتكلم في ذلك المجلس، ومكث أياماً وكبر عليه كلام أبي هب، فنزل جبريل فأمره بإمضاء ما أمره الله به وشجعه عليه، فجمعهم رسول الله ﷺ ثانية فقال: الحمد لله أحمدته وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله. والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم. ولو غررت الناس ما غررتكم. والله الذي لا إله إلا هو، إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة. والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنها للجنة أبداً والنار أبداً، وأنتم لأول من أنذر.

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك ومرافدتك، وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا

لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم، غير أني والله أسرهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، وزاد غيرنا قول أبي طالب وهو مكذوب! (غير أني لا أجد نفسي تطوع لي فراق دين عبد المطلب حتى أموت على ما مات عليه).

وتكلم القوم كلاماً ليناً غير أبي لهب فإنه قال: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعت الناس؟ يا بني عبد المطلب هذه والله السوء، خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يده غيركم، فإن أسلمتوه حينئذ ذلتم وإن منعتموه قتلتم. فقال أبو طالب: يا عورة! والله لننصرنه ثم لنمنعنه. يا ابن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح، والله لنمنعه ما بقينا!

ثم قال النبي ﷺ: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومَه بأفضل مما قد جئتم به، إني قد جئكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال فأحجم القوم عنها جميعاً. وقال علي: يا نبي الله أنا أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!

٢. الحديث كما ترى نص على خلافة علي عليه السلام في أول بعثة النبي ﷺ، ولهذا لا يروق لأتباع أصحاب السقيفة، ويحرفه رواهم فيحذفون منه، فقد رواه الطبري في تاريخه وفيه: (ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا). ورواه في تفسيره وفيه: (ثم قال: إن هذا أخي، وكذا وكذا! وتبعه ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٤٠)، وتفسيره (٣/ ٣٥١)).

٣. كما أن محمد حسين هيكل أورده من تاريخ الطبري في كتابه حياة محمد. في الطبعة الأولى/ ١٠٤، ثم عاد فحذف من الطبعة الثانية/ ١٣٩ سنة ١٣٥٤، واقتصر على قوله: ويكون أخي ووصيي، وذلك بطلب سفارة السعودية في القاهرة لقاء خمس مائة جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه (ذكر ذلك الشيخ محمد جواد مغنية في: فلسفة التوحيد والولاية/ ١٧٩).

٤. قال المفيد في الإرشاد (٤٩/١): «أجمع على صحته نقاد الآثار، حين جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً يومئذ، يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً، فيما ذكره الرواة وأمر أن يُصنع لهم فخذ شاة مع مُد من البُر، ويُعدَّ لهم صاعاً من اللبن، وقد

كان الرجل منهم معروفاً بأكل الجذعة (الذبيحة) في مقام واحد، ويشرب الفرق (السطل) من الشراب في ذلك المقام وأراد ﷺ بإعداد قليل الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآية لهم في شبعهم وريهم مما كان لا يشبع الواحد منهم ولا يرويه. ثم أمر بتقديمه لهم فأكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى تملأوا منه، فلم يبق ما أكلوه منه وشربوه فيه فبهروهم بذلك، وبين لهم آية نبوته وعلامة صدقه برهان الله تعالى فيه. ثم قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورووا من الشراب: يا بني عبد المطلب، إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال عز وجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فمن يجهنني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به يكن أخي ووصي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي. فلم يجب أحد منهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فقامت بين يديه من بينهم وأنا إذ ذاك أصغرهم سنناً، وأحمشهم ساقاً، وأرمصهم عيناً، فقلت: أنا يا رسول الله أوأزرك على هذا الأمر. فقال: أجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانية فاصمتوا، وقمت فقلت مثل مقالتي الأولى، فقال: أجلس. ثم أعاد على القوم مقالته الثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقلت: أنا أوأزرك يا رسول الله على هذا الأمر، فقال: أجلس، فأنت أخي ووصي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي. فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: يا أبا طالب، ليهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك! وهذه منقبة جليلة اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأولين ولا الأنصار، ولا أحد من أهل الإسلام، وليس لغيره عدل لها من الفضل ولا مقارب على حال.

رواية الطبري في تاريخه

(حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، دعاني رسول الله ﷺ فقال لي: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أبادهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليه

حتى جاءني جبريل فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واملاً لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب. فلما اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول ورسول الله ﷺ حذية من اللحم فشققها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: إسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رويوا منه جميعاً. وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد ما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال الغد: يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلهم، فعدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي. قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعا بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة. ثم قال: إسقمهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رويوا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتم به، إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يوازنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت وإني لأحدثهم سنناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!

حدثني زكرياء بن يحيى الضرير قال: حدثنا عفان بن مسلم قال: حدثنا أبو عوانة عن عثمان ابن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجد، أن رجلاً قال لعلي: يا أمير المؤمنين بم ورث ابن عمك دون عمك؟ فقال علي: هاؤم ثلاث مرات حتى اشرأب الناس ونشروا آذانهم، ثم قال: جمع رسول الله ﷺ أو دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب منهم رهطه كلهم يأكل الجذعة

ويشرب الفرق. قال: فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس! قال: ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس ولم يشربوا! قال ثم قال: يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم بخاصة وإلى الناس بعامة وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم فأياكم ييايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي، فلم يقم إليه أحد فقامت إليه وكنت أصغر القوم، قال فقال: أجلس. قال: ثم قال ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول لي أجلس حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي! قال فبذلك ورث ابن عمي دون عمي).
يقصد عمه العباس. (تاريخ الطبري: ٦٢/٢).

رواية البلاذري

(وحدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح، عن محمد بن عمر الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن عمر بن عبد الله، عن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم قال: لما نزلت على النبي ﷺ: وأنذر عشيرتك الأقربين، اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعاً. فمكث شهراً أو نحوه جالساً في بيته، حتى ظن عماته أنه شاك، فدخلن عليه عائدات، فقال: ما اشتكيت شيئاً، ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فأردت جمع بني عبد المطلب لأدعوهم إلى الله. قلن: فادعوهم، ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنين بألهب فإنه غير مجيبك إلى ما تدعوه إليه. وخرجن من عنده، وهن يقلن: إنما نحن نساء. فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث إلى بني عبد المطلب فحضروا ومعهم عدة من بني عبد مناف، وجميعهم خمسة وأربعون رجلاً. وسارع إليه أبو لهب وهو يظن أنه يريد أن ينزع عما يكرهون إلى ما يحبون. فلما اجتمعوا، قال أبو لهب: هؤلاء عمومتك وبنو عمك، فتكلم لما تريد ودع الصلاة، واعلم أنه ليست لقومك بالعرب قاطبة طاقة. وأن أحق من أخذك فحبسك أسرتك وبنو أبيك إن أقمت على أمرك فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيته. يا بن أخي، أحداً قط جاء بني أبيه بشرٍّ مما جئتهم به.

وأسكت رسول الله ﷺ فلم يتكلم في ذلك المجلس، ومكث أياماً وكبر عليه كلام أبي لهب، فنزل جبريل فأمره بإمضاء ما أمره الله به وشجعه عليه، فجمعهم رسول الله ﷺ ثانية، فقال: الحمد لله أحده، واستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو

غررت الناس ما غررتكم. والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة. والله، لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً. وإنها للجنة أبدأ والنار أبدأ. وأنتم لأول من أنذر.

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك ومرافدتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أنى والله أسرهم إلى ما تحب. فامض لما أمرت به فوالله، لا أزال أحوطك وأمنعك، (غير أني لا أجد نفسي تطوع لي فراق دين عبد المطلب حتى أموت على ما مات عليه). وتكلم القوم كلاماً ليناً غير أبي هب فإنه قال: يا بني عبد المطلب، هذه والله السوءة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يده غيركم، فإن أسلمتموه حينئذ، ذلتم وإن منعتموه قتلتم. فقال أبو طالب: والله، لنمنعه ما بقينا). (أنساب الأشراف: ١١٨/١).

ملاحظات من الحديث

١. (يا بني عبد المطلب، إن الرائد لا يكذب أهله. والذي بعثني بالحق نبياً لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، وما بعد الموت دار، إلا جنة أو نار). (الإعتقادات للصدوق/٦٤). وفي رواية: وإنها للجنة أبدأ أو النار أبدأ.

٢. الرائد: الذي يرسله القوم ليستطلع العشب والماء، فإن رجع وأخبرهم أنه وجدته في المكان الفلاني فهو صادق لا يكذب عليهم. وفي رواية: والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس ما غررتكم.

٣. هذا أول قسم للنبي ﷺ بصيغة: والذي بعثني بالحق، وهو يدل على يقينه بربه ونبوته وبما يبلغه ويقسم عليه. وقد تعلمه الناس منه فصاروا يقسمون: والذي بعث محمداً بالحق، وفي خطابهم له: والذي بعثك بالحق.

٤. من أبلغ الكلام النبوي تصوير ﷺ الموت والبعث بأنه نوم واستيقاظ. والنبي ﷺ يأخذ مفاهيمه من الوحي والقرآن، قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى. فالموت ليس فناء وانتهاء، ولا أمراً مهولاً، بل نومة يتبعها يقظة وبعث إلى المحشر، ينتهم بجنة أو نار. وبهذا الاختصار رسم النبي ﷺ أهم مراحل رحلة الإنسان.



الفصل الثالث والستون

أم سلمة بطلة نساء النبي ﷺ بعد خديجة عليها السلام

ضرورة فهم صراع بطون قريش مع بني هاشم

لا يمكن لباحث أن يفهم الإسلام، سواءً عصر النبوة أو بعده، حتى يفهم التركيبة القبلية لقريش، وصراع بطون قريش مع بني هاشم.

فعندما بُعث النبي ﷺ كانت قريش أكثر من عشرين قبيلة صغيرة وكبيرة، وكان عدد نفوسها جميعاً نحو ثلاثين ألفاً، وبعض القبائل لا يزيد عددها عن ثلاثين أو أربعين نفراً، كبني تيم وعدي قبيلتي أبي بكر وعمر.

والقبائل المؤثرة معدودة والباقيون تابعون لها، وقد ظهر ذلك لما بَنَتْ قريش الكعبة فاختلفوا مَنْ يضع الحجر الأسود مكانه، فمثلتها خمس قبائل ورضي بذلك الجميع. ففي الكافي (٢١٨/٤): (فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش في موضعه، فقال كل قبيلة نحن أولى به نحن نضعه، فلما كثر بينهم تراضوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبه، فطلع رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين قد جاء فحكموه، فبسط رداءه وقال بعضهم كساء طاروني كان له (كساء خز) ووضع الحجر فيه ثم قال: يأتي من كل ربع من قريش رجل، فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، وقيس بن عدي من بني سهم، فرفعوه ووضعوه النبي ﷺ في موضعه).

وذكر المؤرخون والمحدثون ترتيب قبائل قريش حسب ما رآه عمر، من أجل عطاءات الدولة وتحمل الدية، كالتالي:

١ - بني هاشم وبني المطلب. ٢- بني عبد شمس وبني نوفل. ٣- بني أسد بن عبد العزى. ٤- بني عبد الدار. ٥- بني زهرة. ٦- بني مخزوم، وألحق بهم بني تيم عشيرة أبي بكر. ٧- بني سهم ولم يقبلوا بإلحاق بني عدي بهم. ٨- بني جمح. ٩- بني عامر بن لؤي أو بني فهر. ١٠- بني عدي. (كتاب الأم للشافعي: ١٦٦/٤).

وكانت قبائل العرب تحترم قريشاً لمكانة الكعبة عندها، وكان لها نفوذ فيها وتحالفات مع بعضها، من أبرزها تحالف بني هاشم مع خزاعة، وتحالف بني عبد الدار وعبد شمس مع كنانة. هذه كل قريش التي واجهت النبي ﷺ ووصفها الله تعالى بأنهم الفراعنة، وأئمة الكفر! وأخبر بأن أكثرهم حق عليهم القول فلن يؤمنوا أبداً حتى في المستقبل: لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

وهذه قريش التي حاربت النبي ﷺ وعترته وأنصاره بكل ما استطاعت، حتى انتصر عليها ودخل مكة فاتحاً فأخضعها ودخلت في الإسلام مرغمة، ثم سيطرت على دولته بعد وفاته وعزلت عترته واضطهدتهم واضطهدت شيعتهم، إلى يومنا هذا! وهذه قريش، التي صنعت تاريخ الإسلام الرسمي وأسست مذاهبه وفقهه، وجعلت ولاية زعمائها جزءاً منه، وربّت عليه الأجيال إلى يومنا هذا!

بنو مخزوم أهم بطون قريش بعد بني هاشم وأمية

١. كان ترتيب عمر لبطون قريش باعتبار الشرف والمكانة في حسابهم، لكن عملياً كانت البطون الأهم بنو هاشم وبنو أمية ثم مخزوم. روى الحاكم (٤/٤٨٧): (قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم). وبنو المغيرة فرع أبي جهل من مخزوم.

وكان رئيس مخزوم الوليد بن المغيرة رئيس المستهزئين الناشطين في عداوة النبي ﷺ ثم ورثه أبو جهل عمرو بن هشام، الذي عذب أسرة عمار.

والمستهزؤون برسول الله ﷺ خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب،

والأسود بن عبد يغوث، والحرث بن طلائة الخزاعي. وقد أُنذروا رسول الله ﷺ إلى يوم معين أن يرجع عن نبوته، وإلا قتلوه بكل طريقة، فأتاه جبرئيل عليه السلام وأراه كيف قتلهم في ذلك اليوم واحداً واحداً وقرأ عليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. فبدأت المرحلة الثانية في نبوته، وذهب إلى الحَجَر ودعا الناس إلى الإسلام.

٢. من صفات المستهزين الخمسة: الإلحاد، والمادية، والتكبر، والتعقيد النفسي! بحيث أن الله تعالى الذي وسع حلمه كل شيء، قال عنهم وعن رئيسهم الوليد: وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاظٍ مَّهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ. مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُثِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ. أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ. إِذَا تُثْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.

قال في الكشف (١٤٢/٤): «العتل: الجافي. والزنيم: الدعي. وكان الوليد دعياً في قريش ليس من سنخهم، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده».

وكان زنديقاً ملحدًا لا يؤمن بشيء، وكذا العاص بن وائل، وعدد من كبار قريش. (المنق / ٢٨٨، وعمدة القاري: ٢٠٩/١١). وقد قاد الوليد كل زعماء بطون قريش في عداوة النبي ﷺ والعمل لقتله.

٣. قال الوليد بن المغيرة للنبي ﷺ: «والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنني أكبر منك سنًا، وأكثر منك مالاً». (المناقب: ٤٧ / ١، والإحتجاج: ٢٦ / ١، وابن هشام: ٢٤٢ / ١). فأنزل الله تعالى: وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ. أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ.

٤. في السنة الأولى لبعثة النبي ﷺ دعا الوليد زعماء البطون ليتفقوا على الموقف من النبي ﷺ! ففي الطبراني الكبير (١٠٢/١١): «صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر».

٥. أبرز أولاد الوليد بن المغيرة: أبو قيس بن الوليد، وقد أسلم في مكة ثم ارتد مع ابن أخيه الفاكه (عمدة القاري: ١٨٧/١٨) ثم كان مع المشركين في بدر فقتله علي عليه السلام (شرح الأخبار: ٢٦٥ / ١، وابن هشام: ٥٢٨ / ٢). وعمارة بن الوليد الذي جاؤوا به إلى أبي طالب ليعطيهم النبي ﷺ فيقتلوه ويأخذه بدله! ثم أرسلوه مع عمرو بن العاص إلى النجاشي فهلك هناك.

والوليد بن الوليد، زعموا أنه أسلم سرّاً وأن النبي ﷺ كان يدعو له في قنوته: «يقول: اللهم

أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين. اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سني يوسف». (البخاري: ١٩٤/١، ورواه سبع مرات).

وتوفي الوليد بن الوليد في المدينة في حياة النبي ﷺ، ففي الكافي (١١٧/٥) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: فقالت أم سلمة (المخزومية) للنبي ﷺ: إن آل المغيرة قد أقاموا مناة فأذهب إليهم؟ فأذن لها فلبست ثيابها وتهيات وكانت من حسننها كأنها جان، وكانت إذا قامت فأرخت شعرها جلجل جسدها وعقدت بطرفيه خلخالها، فندبت ابن عمها بين يدي رسول الله ﷺ فقالت:

أنعى الوليد بن الوليد أبا الوليد فتى العشيرة
حامي الحقيقة ماجد يسمو إلى طلب التورية
قد كان غيثاً في السنين وجعفرأ غدقاً وميرة

قال: فما عاب ذلك عليها النبي ﷺ ولا قال شيئاً».

وهشام بن الوليد بن المغيرة، كان من المؤلفة قلوبهم. (الإستيعاب: ١٥٤١/٤).

وهو الذي هدد عثمان لما ضرب عمار بن ياسر حليفه فقال: أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لأقتلن به رجلاً عظيماً من بني أمية (الإمامة والسياسة: ٥١/١).

تحدى أبوسلمة وأم سلمة الوليد بن المغيرة وأعلنا إسلامهما

قال ابن حجر في الإصابة (١٣١/٤) ملخصاً: (عبد الله بن عبد الأسد المخزومي من السابقين الأولين إلى الإسلام. قال ابن إسحاق: أسلم بعد عشرة أنفس، وكان ابن عمه النبي ﷺ أمه برة بنت عبد المطلب وهو مشهور بكنيته أكثر من إسمه، ومات بالمدينة بعد أن رجعوا من أحد. قال ابن سعد: شهد بدرأً وأحدأً فجرح بها، ثم بعثه النبي ﷺ سرية إلى بني أسد في صفر سنة أربع ثم رجع فانتقض جرحه، فمات في جمادى الآخرة).

وفي سيرة ابن هشام (٢٢١/٢): (هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، كان قدم على رسول الله ص مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجراً).

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٩٣٩/٣): (كان عند وفاته قال: اللهم اخلفني في أهلي بخير، فأخلفه رسول الله ﷺ على زوجته أم سلمة، فصارت أما للمؤمنين، وصار رسول الله ﷺ ربيب بنيه: عمر، وسلمة، وزينب).

كان أبو سلمة ابن أخت أبي طالب فحماء من مخزوم!

قال ابن هشام (٢٤٨/١): (قال ابن إسحاق: إن أباسلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه الرجال من بني مخزوم، فقالوا له: يا أباطالب، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً، فمالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإن أنا لم أ منع ابن أختي لم أ منع ابن أخي، فقام أبو هلب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ! ما تزالون توثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لتقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد، قال فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة، وكان لهم ولياً وناصرأ على رسول الله ﷺ فأبقوا على ذلك، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ فقال يجرض أباهلب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ:

وإن امرأ أبوعتيبة عمه
أقول له وأين منه نصيحتي
أبامعتب ثبت سوادك قائماً
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة
تسب بها إما هبطت المواسم
وول سبيل العجز غيرك منهم
فإنك لم تخلق على العجز لازماً
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى
أخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما
وكيف ولم يحنوا عليك عظيمة
ولم يخذلوك غانماً أو مغارماً
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً
وتيماً ومخزوماً عقوقاً ومأثماً
بتفريقهم من بعد ود وألفة
جماعتنا كيما ينالوا المحارماً
كذبتهم وبيت الله نبزي محمداً
ولما تروا يوماً لدى الشعب قائماً

قال ابن هشام: نبزى، نسلم. قال ابن هشام: وبقي منها بيت تركناه).

وروى القاضي النعمان في المناقب/١٢٣، البيت الذي تركه ابن هشام وهو:

أطاعوا ابن ذكوان وقيساً ودَيْسماً فضلوا وذاقوا بالجميع المياسما

يعني بابن ذكوان: عقبة بن أبي معيط نسبه الى ذكوان اليهودي غلام أمية. ودَيْسَم: الوليد بن المغيرة. والدَيْسَم: ابن الذئب من الكلبة وقيس: قيس بن عاقل! (لسان العرب: ٢٠١/١٢).

وكان أبو طالب ﷺ يطعن في نسب الوليد بن المغيرة، وقد صدّقه الله تعالى فقال عن الوليد: مَنَّا لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتِلَ ذَلِكَ زَنِيمٍ. أي ابن حرام!

كما صدّقه النبي ﷺ في طعنه بنسب عقبة بن أبي معيط فقال له في بدر: « ما أنت وقريش، وهل أنت إلا يهودي من صفورية! » (الإصابة: ٣٩٨/٥).

وذكر ابن هشام (١٧٩/١) قول أبي طالب في لاميته في قيس بن عاقل:

بني أمة محبوبه هندكية بني جمح عبيد قيس بن عاقل).

فجد بني جمح عنده عبدٌ لقيس بن عاقل.

أقول: وهكذا استطاع أبو طالب ﷺ أن يحمي ابن أخته المسلم، وقد احترم النبي ﷺ ابن عمته أباسلمة وقربه. وكانت حماية زوجته أم سلمة لا تقل أهمية عن حمايته، لأنها بنت عم أبي جهل رئيس مخزوم!

زار النبي ﷺ أباسلمة وهو محتضر ودعا له

في أسد الغابة (١٩٥/٣): (قبصة بن ذؤيب عن أم سلمة قالت: لما حضر أباسلمة الموت حضره رسول الله ﷺ فلما شخص أغمض رسول الله ﷺ عينيه ورواه أبو قلابة عن قبصة وزاد بعد: فأغمضه ثم قال إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون. ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين).

أم سلمة أفضل أزواج النبي ﷺ بعد خديجة ؓ

قال الإمام الصادق عليه السلام: (الخصال/١٢٠، و/٤١٩):

(تزوج رسول الله ﷺ بخمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهن، وقبض عن تسع. فأما اللتان لم يدخل بهما فعمرة والسني.

وأما الثلاث عشرة اللاتي دخل بهن فأولهن خديجة بنت خويلد، ثم سودة بنت زمعة، ثم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية، ثم أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر، ثم حفصة بنت عمر، ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث أم المساكين ثم زينب بنت جحش، ثم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، ثم ميمونة بنت الحارث، ثم زينب بنت عميس، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفية بنت حيي بن أخطب. والتي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم السلمي، وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه: مارية، وريحانة الخندفية.

والتسع اللاتي قبض عنهن: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حيي بن أخطب، وجويرية بنت الحارث، وسودة بنت زمعة. وأفضلهن خديجة، ثم أم سلمة، ثم ميمونة بنت الحارث).

وفي الطبقات (٨٩/٨): (فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحباً برسول الله، أخبر رسول الله أني امرأة غَيْرِي وأني مُصْبِيَّة، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهد.

فبعث إليها رسول الله ﷺ: أما قولك إني مصيبة فإن الله سيكشفك صبيانك وأما قولك إني غَيْرِي فسأدعو الله أن يذهب غيرتك. وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني. قال: قالت لابنها: يا عمر قم فزوج رسول الله. قال رسول الله: أما إني لا أنقصك مما أعطيت أحتك فلانة رحين وجرتين ووسادة من آدم حشوها ليف.

قال: وكان رسول الله ﷺ يأتيها فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها في حجرها لترضعها، وكان رسول الله ﷺ حياً كريماً يستحيي فيرجع، فعل ذلك مراراً، ففطن عمار بن ياسر لما تصنع قال فأقبل ذات يوم وجاء عمار وكان أخاها لأُمها (من الرضاعة) فدخل عليها فانتشطها من حجرها

وقال دعي هذه المقبوحة التي آذيت بها رسول الله! فدخل فجعل يقلب بصره في البيت يقول: أين زنا ما فعلت زنا؟ قالت جاء عمار فذهب بها. قال: فبنى رسول الله ﷺ بأهله. «لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة قال لها إني أهديت إلى النجاشي أواقاً من مسك وحلة، وإني لا أراه إلا قد مات، ولا أرى الهدية التي أهديت إليه إلا سترد، فإذا ردت فهي لك. فلما ردت إليه الهدية أعطى كل امرأة من نسائه أوقية من ذلك المسك وأعطى سائرهن أم سلمة». (كبير الطبراني: ٨١/٢٥).

وقالت عائشة: «لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنْتُ حزناً شديداً لما ذكرنا من جمالها! قالت: فتلطفت لها حتى رأيتهما فرأيتها والله أضعاف ما وُصفت لي في الحسن والجمال! (الطبقات: ٨/ ٩٤).

أم سلمة أرقى من بقية نساء النبي عدا خديجة

فقد تميزت عنهن بإسلامها المبكر وعمق إيمانها، ووفرة عقلها، ووعيتها، وجمالها، فإذا حدثت بحديث فهي بليغة مستوعبة، وإذا وصفت شخصاً أو حدثاً أجادت. كما تميزت بمكانة أهلها وقومها بني مخزوم. فأبوها أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم! ابن عم أبي جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. (دلائل الإمامة: ٨١، وعمدة القاري: ٨٤/١٧).

روى الحاكم (١٩/٤) أنهم سألوها في المدينة فقالت: (إنها ابنة أبي أمية بن المغيرة فكذبوها وقالوا ما أكذب الغرائب. حتى نشأ ناس إلى الحج فقليل لها تكتبن إلى أهلك فكتبت معهم، فرجعوا إلى المدينة فصدقوها وازدادوا لها كرامة). وقد كتبنا عنها في السيرة النبوية وهذه الخلاصة مكملية لسيرتها ﷺ.

وصفت أم سلمة هجرة المسلمين إلى الحبشة وصفاً بليغاً

كتبنا في السيرة النبوية عند أهل البيت ﷺ (٣٣٩/١): (من أصح روايات الهجرة إلى الحبشة ما رواه السنة والشيعية عن أم سلمة ﷺ قالت: «لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب

رسول الله ﷺ وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم وكان رسول الله في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمناً على ديننا ولم نخش منه ظملاً. فلما رأت قريش أن قد أصبنا داراً وأمناً، أجمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة فجمعوا له هدايا ولبطارقه، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيئوا له هدية على ذي حدة، وقالوا لهما إدفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموه فيهم ثم ادفعوا إليه هداياه، وإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا! فقدمنا عليه فلم يبق بطريق من بطارقه إلا قدموا إليه هديته وكلموه وقالوا له: إنا قدمنا على هذا الملك في سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم، فبعثنا قومهم فيهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفعل.

ثم قدما إلى النجاشي هداياه، وكان أحب ما يهدى إليه من مكة الأدم. فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له: أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجؤوا إلى بلادك، فبعثنا إليك فيهم عشائرتهم آبائهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عينا. فقالت بطارقه: صدقوا أيها الملك، لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عينا، فإنهم لم يدخلوا في دينك فتمنعهم بذلك!

فغضب ثم قال: لا لعمر والله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم، وأنظر ما أمرهم؟ قوم لجؤوا إلى بلادي واختاروا جوارى على جوار غيري، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أخل بينهم وبينهم ولم أنعمهم عينا!

فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء أبغض إلى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم! فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا نقول؟ نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما كان!

فلما دخلوا عليه كان الذي كلمه منهم جعفر بن أبي طالب فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه، فارقم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية، فما هذا الدين؟ فقال جعفر: أيها الملك، كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه!

فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم ولا نعبد غيره. فقال: هل معك شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفتهم فأمرهم فنشروا المصاحف حوله. فقال له جعفر: نعم، قال: هلم فأتل عليّ ما جاء به، فقرأ عليه صدرأ من كهيعص! فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى! إنطلقوا راشدين، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا! فخرجا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبدالله بن أبي ربيعة، فقال له عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضرأهم! لأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسى بن مريم عبد! فقال له عبدالله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا، فإن لهم رحماً ولهم حقاً. فقال: والله لأفعلن! فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم ولم ينزل بنا مثلها، فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله فيه والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه! فدخلوا عليه وعنده بطارقه فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر: نقول هو عبدالله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول! فدلّ النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ عويداً بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود! فتناخرت بطارقه فقال: وإن تناخرتم والله! اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي. والسيوم الآمنون، ومن سبكم غُرّم ثلاثاً! ما أحب أن لي دبيراً وأني آذيت رجلاً منكم. والديبر بلسانهم الذهب! فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فأخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس في فأتيع الناس فيه. ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها واخرجا من بلادي، فخرجا مقبوحين مردود عليهما ما جاء به! فأقمنا مع خير جار في خير دار.

فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد منه فرقاً أن يظهر ذلك الملك عليه، فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرف، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي، فخرج إليه سائراً، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من رجل يخرج فيحضر الواقعة حتى ينظر على من تكون؟ فقال الزبير: وكان من أحدثهم سناً: أنا، فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم خرج يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى جنب التقاء الناس، فحضر الواقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله وظهر النجاشي عليه، فجاءنا الزبير فجعل يلمح إلينا بردائه ويقول: ألا أبشروا فقد أظهر الله النجاشي! فوالله ما علمنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي. قالت: ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ. (ذخائر العقبى / ٢٠٩، وسيرة ابن إسحاق: ٤ / ١٩٣، وابن هشام: ١ / ٢٢٤، والخرائج: ١ / ١٣٣).

وصفت هجرتها إلى المدينة وكيف ردها بنو مخزوم!

في سيرة ابن هشام (٣٢٢/٢): (قال ابن إسحاق: فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدته أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة من مكة، رحّل بغير آل وحملني وحمل معي ابني سلمة، ثم خرج يقود بعيره، فلما رآه رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبتنا هذه؟ علام تترك تسير بها في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوني، وغضبت عند ذلك بنو عبد الأسد، وأهواوا إلى سلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة، وحبسني بنو المغيرة عندهم. وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة، ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي، حتى أمسي سنة أو قريها، حتى مر بي رجل من بني عمي من بني المغيرة فرأى ما بي، فرحماني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقم بينها وبين زوجها وبين ابنها، فقالوا لي: إلحقي بزوجك إن شئت، ورد علي بنو عبد الأسد عند ذلك ابني، فرحلت بغيري ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، فقلت: أتبلغ

بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أبا بني عبدالدار فقال: أين يا بنت أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. فقال: هل معك أحد؟ فقلت: لا والله، إلا الله وابني هذا. فقال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه كان أكرم منه، إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني وقال: إركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى نزل. فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي إلى المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة نازلاً بها فدخلتها على بركة الله تعالى ثم انصرف راجعاً إلى مكة. وكانت تقول: ما أعلم أهل بيت أصابهم في الإسلام ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة!

كان النبي ﷺ يعلم أم سلمة فحسدتها عائشة!

فقد كانت أم سلمة ذات مستوى ذهني وعقلي وإيماني يميزها عن بقية نساءه وكانت الوحيدة المهتمة بسنة النبي ﷺ بأقواله وأفعاله.

فكان بيتها مركز النبي ﷺ بعد حجرته الشريفة، وكان يحدثها ويعلمها فتحفظ أو تكتب، وكان يوصيها فستوعب، ويعدّها لدور عظيم بعده، ولا بد أنه أخبرها بأنها ستعيش طويلاً، وأنها آخر زوجاته لحاقاً به. أما بقية نساءه فبعضهن مؤمنات لكن ليس لهن مؤهلات حفظ العلم، وبعضهن مستغربات في أمورهن الشخصية.

وقد روى ابن سعد (٨/٨٠) أن عائشة افتخرت بأنها وبخت النبي ﷺ لطول مكوثه في بيت أم سلمة: (قالت فاطمة الخزاعية: إن عائشة قالت لها: دخل عليّ يوماً رسول الله فقلت: أين كنت منذ اليوم؟ قال: يا حميراء كنت عند أم سلمة. فقلت: ما تشعب من أم سلمة!)

ومعنى هذا أن النبي ﷺ كان يمضي كثيراً من وقته عند أم سلمة، فتحيلت عائشة أنه يمضي وقته في لذته فقط! بينما كان يعلمها ويعدّها لدور بعده.

روى ابن سعد (٨/١٧٠): «عن عائشة قالت: كان رسول الله قلَّ يوم إلا وهو يطوف على نساءه

فيدنو من أهله فيضع يده، ويقبل كل امرأة من نسائه حتى يأتي على آخرهن، فإن كان يومها قعد عندها وإلا قام، فكان إذا دخل بيت أم سلمة يحتبس عندها!

فقلت أنا وحفصة وكانتا جميعاً يداً واحدة: ما نرى رسول الله يمكنه عندها إلا أنه يخلو معها تعنيان الجماع! قالت: واشتد ذلك علينا حتى بعثنا من يطلع لنا ما يجبسه عندها، فإذا هو إذا صار إليها أخرجت له عكة من عسل وفتحت له فمها فيلحق منه لعقاً، وكان العسل يعجبه فقالتا: ما من شيء نكرهه إليه حتى لا يلبث في بيت أم سلمة؟ فقالتا: ليس شيء أكرهه إليه من أن يقال له نجد منك ريح شيء! فإذا جاءك فدنا منك فقولي: إني أجد منك ريح شيء! فإنه يقول من عسل أصبته عند أم سلمة، فقولي له أرى نحله جرس عرطاً!

فلما دخل على عائشة فدنا منها قالت: إني لأجد منك شيئاً! ما أصبت؟ فقال: عسل من بيت أم سلمة، فقالت: يا رسول الله أرى نحله جرس عرطاً. ثم خرج من عندها فدخل على حفصة فدنا منها فقالت مثل الذي قالت عائشة! فلما قالتا جميعاً اشتد عليه فدخل على أم سلمة بعد ذلك فأخرجت له العسل فقال: أخريه عني لا حاجة لي فيه)

فقالت عائشة (البخاري: ١٦٧/٦): «فقلتُ أما والله لنحتالن له! فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولي أكلت مغاير؟ فإنه سيقول لك لا، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد منك؟ فإنه سيقول لك سقتني أم سلمة شربة عسل فقولي له: جرت نحله العرط، وسأقول ذلك. وقولي أنت يا صفية ذاك. قالت: تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فرقاً منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغاير؟ قال: لا. قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: سقتني أم سلمة شربة عسل. فقالت: جرت نحله العرط! فلما دار إلي قلت له نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت: يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه.»

وفي أسباب النزول للواحدي/٢٩٢، قالت عائشة لحفصة: «إذا دخل فخذني بأنفك، فإذا قال مالك قولي: أجد منك ريحاً لا أدري ما هي، فإنه إذا دخل علي قلت مثل ذلك، فدخل رسول الله فأخذت بأنفها فقال: مالك؟ قالت: ريحاً أجد منك وما أراه إلا مغاير.»

عن عبد الله بن رافع قال: سألت أم سلمة عن هذه الآية: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي

مَرْصَاتٍ أَرْوَجِكَ؟ قالت: كانت عندي عكة من عسل أبيض يجرس نحلته الضرو، فكان النبي يعلق منها وكان يحبه فقالت له عائشة: نحلها تجرس عرفطاً فحرمها، فنزلت هذه الآية «! قال الخليل في العين (٥٦/٧): (الضَرُؤُ: ضرب من الشجر يُجعل ورقه في العطر، وبعضهم يكسر الضاد، وجرة ضارية بالخل قد ضربت ضراوة). وقال الخليل (٣٢٧/٢، ١٢٤): (العرفط: شجرة من شجر العضاة، تأكله الإبل الواحدة بالهاء... يخرج منه شبه صمغ حلو يضيع بالماء فيشرب). وهذا يرد قول عائشة وحفصة بأن رائحته كريهة ولكنه: كيدكن!

أحاديث أم سلمة ؓ مميزة بصدقها ودقتها

إذا تأملت أحاديث أم سلمة يأخذك الإعجاب من دقتها وحفظها، وأسألتها للنبي ﷺ، ووعياها وفقاهتها، وتنوع اهتماماتها. فترى نفسك أمام شخصية محدثة من الدرجة الأولى، مدركة لمحيطها وأهداف الإسلام، ومؤمنة عميقة بالإعتقاد بالله تعالى ورسوله والآخرة، ومعالم الإسلام.

وإذا فحصت تعبيرها تجد ه نفس تعبير النبي ﷺ أو قريباً منه مصيباً معناه. ولهذا فرضت نفسها على الصحابة، فكانوا يسألونها ويستشيرونها فتكلمهم من وراء حجاب، وترشدتهم وتفتيهم الفتوى وتذكر دليل فتواها.

فلما وجه معاوية بسر بن أرطاة في ثلاثة آلاف رجل، فقال له: سر حتى تمر بالمدينة فاطرد أهلها وأخف من مررت به وانهب مال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا، فاستباح المدينة وقتل منها خلقاً كثيراً، وأمرهم بالبيعة على أنهم عبيد قن ليزيد إن شاء باع وإن شاء استبقى!

(فانطلق جابر بن عبد الله الأنصاري إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ فقال: إني قد خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلال! قالت: إذا فبايع، فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلْب ويحضرون الأعياد مع قومهم). (تاريخ المعقوبي: ١٩٧/٢).

روت أم سلمة كل عقائد الشيعة

جزى الله أم المؤمنين أم سلمة خير الجزاء عن أمة رسول الله ﷺ، فقد وفّت له بعد موته؟ ﷺ وبلغت عنه ما كتمه غيرها من وصيته لعلي ﷺ، ونصه على إمامة الإثمة الإثني عشر من عترته علي الحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين ﷺ، وسمتهم كما سماهم النبي ﷺ.

قال في كفاية الأثر في النص على الإثمة الإثني عشر/١٨٠: (باب ما جاء عن أم سلمة: حدثنا علي بن الحسن بن محمد بن مندة، قال: حدثنا أبو الحسين زيد بن جعفر بن محمد بن الحسين الخزاز بالكوفة في سنة سبع وسبعين وثلاث مائة، قال حدثنا العباس بن العباس الجوهري ببغداد في دار عميرة، قال: حدثني عفان بن مسلم قال: حدثني حماد بن سلمة، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن سداد بن أوس قال: لما كان يوم الجمل قلت: لا أكون مع علي ولا أكون عليه، وتوقفت عن القتال إلى انتصاف النهار، فلما كان قرب الليل ألقى الله في قلبي أن أقاتل مع علي، فقاتلت معه حتى كان من أمره ما كان، ثم إني أتيت المدينة فدخلت على أم سلمة، قالت: من أين أقبلت؟ قلت: من البصرة. قالت: مع أي الفريقين كنت؟ قلت: يا أم المؤمنين إني توقفت عن القتال إلى انتصاف النهار، وألقى الله عز وجل في قلبي أن أقاتل مع علي. قالت: نعم ما عملت، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حارب علياً فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله. قلت: فترين أن الحق مع علي؟ قالت: إي والله، علي مع الحق والحق معه، والله ما أنصفت أمة محمد نبيهم ﷺ إذ قدموا من آخره الله عز وجل ورسوله وأخروا من قدمه الله تعالى ورسوله! وأنهم صانوا حلائلهم في بيوتهم، وأبرزوا حليمة رسول الله ﷺ إلى الفناء! والله سمعت رسول الله ﷺ يقول: لأمتي فرقة وجعلة، فجامعوها إذا اجتمعت، وإذا افترقت فكونوا من النمط الأوسط، ثم ارقبوا أهل بيتي فإن حاربوا فحاربوا، وإن سالموا فسالما، وإن زالوا فرولوا معهم، فإن الحق معهم حيث كانوا.

قلت: فمن أهل بيته؟ قالت: أهل بيته الذين أمرنا بالتمسك بهم هم الأئمة بعده كما قال: عدد نقباء بني إسرائيل: علي وسبطاه، وتسعة من صلب الحسين هم أهل بيته، هم المطهرون والأئمة المعصومون. قلت: إنا لله هلك الناس إذا! قالت: كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ).

وتقدم حديثها وأمر النبي ﷺ إياها أن تبلغ إمامة علي ﷺ:

ففي أمالي الصدوق/٤٦٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (بلغ أم سلمة زوجة النبي ﷺ أن مولى لها يتنقص علياً عليه السلام ويتناوله فأرسلت إليه، فلما أن صار إليها قالت له: يا بني بلغني أنك تتنقص علياً وتتناوله! قال لها: نعم يا أماه. قالت: أقعد ثكلتك أمك حتى أحدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ثم اختر لنفسك. إلى أن قالت: فدخلتُ وعليّ جاثٌ بين يديه وهو يقول: فذاك أبي وأمي يا رسول الله، إذا كان كذا وكذا، فما تأمرني؟ قال: أمرك بالصبر. ثم أعاد عليه القول الثانية فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة، فقال له: يا علي يا أخي، إذا كان ذاك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك واضرب به قُدماً قدماً، حتى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم!

ثم التفت ﷺ إليّ فقال لي: ما هذه الكآبة يا أم سلمة؟ قلت: للذي كان من ردك لي يا رسول الله. فقال لي: والله ما رددتك من مَوْجدة وإنك لعلی خير من الله ورسوله، لكن أتيتني وجبرئيل عن يميني وعليّ عن يساري، وجبرئيل يخبرني بالأحداث التي تكون من بعدي، وأمرني أن أوصي بذلك علياً!

يا أم سلمة إسمعي واشهدي: هذا علي بن أبي طالب، أخي في الدنيا وأخي في الآخرة.
يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، وزير في الدنيا ووزير في الآخرة.
يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، حامل لوائي في الدنيا وحامل لوائي غداً في القيامة.

يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدي، وقاضي عداتي، والذائد عن حوضي.

يا أم سلمة إسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت: يا رسول الله من الناكثون؟ قال: الذين يبيعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة.
قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهر وان. فقال مولى أم سلمة: فرجت عني فرج الله عنك، والله لا سببت علياً أبداً.

روت أم سلمة: وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام

في مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان (٥٠٧/١) عن عبيد الله بن أبي رافع قال: «كنا جلوساً في مسجد رسول الله ﷺ عام حج معاوية بن أبي سفيان، ومعني عبد الله بن عباس، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، فأتانا معاوية فسلم وقعد إلينا، فاشمأز منه ابن عباس حين قعد إليه حتى عرف ذلك معاوية فقال له: يا ابن عباس كأنك مشمئز مني كأنك واجد عليّ أن طلبت بدم أمير المؤمنين، وكنت أحق من طلب بدمه وأقواهم عليه؟ فقال له ابن عباس: وبم أنت أحق الناس؟ قال: أليس ابن عمي قتل وهو أمير المؤمنين؟ فقال ابن عباس: فهذا! وأشار إلى ابن عمر أحق بالأمر منك! قد قتل أبوه وهو خليفته! فقال له معاوية: قتل أباه مشرك وقتل ابن عمي المسلمون. فقال ابن عباس: فذاك أشر إذن. قال: ثم التفت معاوية إلى سعد فقال: يا سعد ما منعك أن تقاتل معي وتخرج إذ طلبت بدم أمير المؤمنين؟ فقال له سعد: أقاتل علي بن أبي طالب وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى! فقال له معاوية: من سمع هذا معك؟ فقال: أم سلمة زوج النبي ﷺ. فقال: قوموا بنا إليها فقمنا جميعاً فدخلنا عليها فقال لها سعد: يا أم المؤمنين إني ذكرت لمعاوية أن رسول الله قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، فأنكر ذلك وقال: من سمعه معك فذكرتك فهل سمعت ذلك من رسول الله ﷺ؟ فقالت أم سلمة: أما مرة واحدة فلا، ولكن سمعته من رسول الله ﷺ مراراً! فقال معاوية لسعد: أنت أظلم وأقل عذراً إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ فلم تخرج إليه ولم تقاتل معه ولم تنصره، فلو سمعتُ هذا من رسول الله لم أقاتله!»

ورواه ابن عساكر (٣٦٠/٢٠) عن المديني، وفيه: (فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألومك الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله وجلست عن علي! لو سمعت هذا من رسول الله لكنت خادماً لعلي حتى أموت!»)

روت: أم سلمة أن أهل بيتي مصطلح خاص بالعتره

رواه الترمذي (٣٠٥ و ٣٢٨) (عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً، في بيت أم سلمة فدعا

فاطمة وحسناً وحسيناً وعليّ خلف ظهره فجعلهم بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال أنت على مكانك وأنت على خير).

ورواه الحاكم (٤١٦/٢) وصححه بشرط البخاري. وفي (١٠٨/٣) وصححه بشرط الشيخين).

أراد عمر أن يبطل حقوق أهل البيت ﷺ فردت عليه!

في قرب الإسناد ٦٠، عن الصادق عليه السلام قال: «كانت امرأة من الأنصار تدعى حسرة، تغشى آل محمد ﷺ وتحسن، وإن فلاناً وفلاناً لقيها ذات يوم فقالا: أين تذهبين يا حسرة؟ فقالت: أذهب إلى آل محمد فأقضي من حقهم وأحدث بهم عهداً فقالا: ويلك إنه ليس لهم حق، إنما كان هذا على عهد رسول الله! فانصرفت حسرة ولبت أياماً ثم جاءت فقالت لها أم سلمة زوجة النبي ﷺ: ما أبطأ بك عنا يا حسرة؟ فقالت: إستقبلني فلان وفلان فقالا: أين تذهبين يا حسرة؟ فقلت: أذهب إلى آل محمد فأقضي من حقهم الواجب. فقالا: إنه ليس لهم حق إنما كان هذا على عهد النبي ﷺ! فقالت أم سلمة: كذبا لعنهما الله! لا يزال حقهم واجباً على المسلمين إلى يوم القيامة!

وصاحت به يوماً كما في البخاري (٦٩/٦): «فقالت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تتبغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه!»

روت ثواب من تذاكروا فضائل أهل البيت ﷺ

في الروضة لشاذان بن جبرئيل ١٨٩: (عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما اجتمع قوم يذكرون فضل علي بن أبي طالب إلا هبطت عليهم ملائكة السماء حتى تحف بهم، فإذا تفرقوا عرجت الملائكة إلى السماء، فيقول لهم الملائكة: إنا نشم من رائحتكم ما لا نشمه من الملائكة، فلم نر رائحة أطيب منها فيقولون: كنا عند قوم يذكرون محمداً وأهل بيته ﷺ، فعلق علينا من ريحهم فتعطرنا، فيقولون: إهبطوا بنا إليهم، فيقولون: تفرقوا ومضى كل واحد منهم إلى منزله، فيقولون: إهبطوا بنا حتى نتعطر بذلك المكان).

أمانة النبي ﷺ على تربة الحسين عليهما السلام

وقد روى ذلك عامة المسلمين، ففي مسند أحمد (٢٤٢/٣) عن أنس بن مالك: «أن ملك المطر استأذن ربه أن يأتي النبي ﷺ فأذن له فقال لأم سلمة: إملكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد، قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه قال فقال الملك للنبي ﷺ: أتجبه؟ قال: نعم. قال: أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه! فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها، قال ثابت: بلغنا أنها كربلاء». والزوائد: ١٨٧/٩، ووفقه، و١٨٩، والآحاد والمثاني: ٣١٠/١، والكبير للطبراني: ٣/١٠٦، و١٠٩.

ومن مصادرنا أمالي الطوسي/٣١٥، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «بينما أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ فخرجت يتوجه بن قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء، فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين ما بالك تصرخين وتغويين؟ فلم تجبني وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب أسعدنني وابكين معي فقد والله قتل سيدكن وسيد شباب أهل الجنة، قد والله قتل سبط رسول الله وريحانته الحسين!

فقيل: يا أم المؤمنين ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام الساعة شعثاً مذعوراً فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم! قالت: فقممت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء فقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك، وأعطانيها النبي ﷺ فقال: إجعلني هذه التربة في زجاجة أو قال: في قارورة ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين! فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور! قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين ﷺ، فجاءت الركبان بخبره، وأنه قتل في ذلك اليوم!

قال عمرو بن ثابت قال أبي: فدخلت على أبي جعفر محمد بن علي منزله فسألته عن هذا الحديث وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبد الله بن عباس فقال: أبو جعفر ﷺ حدثني عمر بن أبي سلمة، عن أمة أم سلمة.

أمانة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام

قالت أم سلمة (بصائر الدرجات/ ١٨٨ و ١٨٩): « أعطاني رسول الله ﷺ كتاباً قال: أمسكي هذا فإذا أنا قبضت فقام رجل على هذه الأعواد يعني المنبر فأتاك يطلب هذا الكتاب فادفعيه إليه. قالت: فلما قبض رسول الله ﷺ صعد أبو بكر المنبر فانتظرته به فلم يأت، فلما مات صعد عمر فانتظرته فلم يأت، فلما مات عمر صعد عثمان فانتظرته فلم يأت، فلما مات عثمان صعد أمير المؤمنين فلما صعد ونزل جاء فقال: يا أم سلمة أريني الكتاب الذي أعطاك رسول الله ﷺ. فقالت: وإنك أنت صاحبه؟ فقالت: أما والله إن الذي كنت أحب أن يهبوك به، فأخرجته إليه ففتحه فنظر فيه ثم قال: إن في هذا لعلماً جديداً. قالت قلت: أي شيء كان ذلك؟ قال: كل شيء يحتاج إليه ولد آدم! قال عمر بن أم سلمة: « ثم قالت لي أُمِّي: يا بني إلزمه فلا والله ما رأيت بعد نبيك إماماً غيره! » وفي الكافي (٢٩٨/١) عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: « إن علياً حين سار إلى الكوفة استودع أم سلمة كتبه والوصية فلما رجع الحسن عليه السلام دفعتها إليه. »

وفي الكافي (٣٠٤/١) عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: « إن الحسين صلوات الله عليه لما صار إلى العراق استودع أم سلمة رضي الله عنها الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعتها إليه. » وفي غيبة الطوسي/ ١٩٥: « وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما دفعت إليك، فلما قتل الحسين أتى علي بن الحسين عليه السلام أم سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطاه الحسين عليه السلام. »

كانت أم سلمة تشتري العبيد وتعتقهم

من امتيازاتها على نساء النبي ﷺ أنها كانت تشتري العبيد وتعتقهم، وربما اشترت الصغير فربته حتى يكبر وأعتقته، ففي الإصابة (٤/٧): « أبو إبراهيم مولى أم سلمة، قال: كنت عبداً لأم سلمة، فكنت أبيت على فراش النبي وأتوضأ من محجته، فلما بلغت مبالغ الرجال أعتقتني. »

وكانت تشجع المملوك على العمل ليحرر نفسه، ففي الطبقات (٢٩٦/٥): عن نصاح بن سرجس بن يعقوب عن أبيه شيبه قال: « كاتبني أم سلمة على نجوم (أقساط) وفيتها، فكلمتها أن تحط عني وتقاطعني على ذهب أو ورق، ففعلت وعجلت لها ذلك ووضعت عني. وكان شيبه إمام أهل المدينة في القراءة في دهره. »

وفي الهداية الكبرى / ١١٥، في حديث زفاف فاطمة ﷺ: « فخرج مولى لأم سلمة زوجة رسول الله ﷺ، فشر سكرًا ولوزًا ونثر الناس من كل جانب ».

وفي الطبقات: ٢٩٧ / ٥: « عبد الله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ عتاقة، سمع من أم سلمة، وبقي حتى سمع منه عبد الله بن أبي يحيى وموسى بن عبيدة وقدامة بن موسى وجارية بن أبي عمران، وكان ثقة كثير الحديث. ناعم بن أجيل مولى أم سلمة.. قيس مولى أم سلمة ويكنى أباقدامة.. أبو ميمونة مولى أم سلمة وكان قارئ أهل المدينة في زمانه، وهو الذي قرأ عليه نافع بن أبي نعيم كثير بن أفلح ».

وفي المغني: ٣٣٩ / ١٢: « عن نبهان مولى أم سلمة، عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: إذا كان لإحداكن مكاتب فملك ما يؤدي، فلتحتجب منه ».

« وفي إسناده نبهان مولى أم سلمة شيخ الزهري وقد وثق » (المجموع: ١٦ / ١٣٦).

« عن عبد الله بن رافع، مولى أم سلمة » (الموطأ: ٨ / ١).

« عن طلحة بن يحيى عن عبد الله بن فروخ مولى أم سلمة » (الجههر النقي: ٦ / ١٨٩).

« سفينة هو مولى أم سلمة وشرطت عليه أن يخدم النبي » (المحلى: ٥ / ١٥٧).

« أفلح مولى لرسول الله و قيل مولى لأم سلمة » (سبل السلام: ٣ / ٢١٦).

« عن ناعم مولى أم سلمة » (مسند أحمد: ٢ / ١٦٣).

« عن السائب مولى أم سلمة » (مسند أحمد: ٦ / ٢٩٧).

« حبيب عن ناعم مولى أم سلمة عن أم سلمة » (مسند أحمد: ٦ / ٢٩٩).

« أن أبا الجراح مولى أم سلمة أخبره » (مسند أحمد: ٦ / ٣٢٦).

« عبد الله بن زياد بن سمعان مولى أم سلمة مكى » (رجال الطوسي: ٢٣١).

« القزاز قال: سمعت مولى لأم سلمة يقول سمتني أم سلمة مخوضاً وكنت طويلاً ».

(علل أحمد: ١ / ٢٢١).

« عبد الله بن زياد بن سمعان هو مولى أم سلمة » (التاريخ الصغير للبخاري: ٢ / ١٠٦).

« نجيح أبو معشر السندي المدني مولى أم سلمة » (التاريخ الصغير للبخاري: ٢ / ١٨٧).

« نفيح مولى أم سلمة » « يزيد مولى أم سلمة ». (التاريخ الكبير للبخاري: ١٥٣ / ٤).

« عن أبي الجراح مولى أم سلمة عن أم سلمة ». (كنى البخاري / ١٩).

« أحمر مولى أم سلمة قيل هو اسم سفينة ». (الإصابة: ١ / ١٨٧).

« من طريق إبراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولى أم سلمة » (الإصابة: ٣ / ٣٢٧).

« المهاجر مولى أم سلمة يكنى أبا حذيفة صحب النبي ﷺ وخدمه وشهد فتح مصر واختط بها ثم تحول إلى طحا فسكنها إلى أن مات ». (الإصابة: ٦ / ١٨١).

« عن أبي سليمان مولى أم سلمة ». (الإصابة: ٦ / ٥٠١).

« قيس مولى أم سلمة ». (تجليل المنفعة / ٣٤٦).

ويقال بل كانت أم الحسن (البصري) مولاة لأم سلمة. فيذكرون أن أمه كانت ربا غابت فيبكي الصبي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلقه به إلى أن تجئ أمه فدر عليها ثديها فشربه فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك ». (الطبقات: ٧ / ١٥٦).

«عن أبي الأحوص مولى أم سلمة قال: إني مع الحسن عليه السلام بعرفات (دلائل الإمامة / ١٧١).

انتصرت لعمار بن ياسر مقابل عثمان

كان عمار رضي الله عنه شخصية مميزة في الصحابة، وقد اجتمع عدد من كبارهم وكتبوا رسالة الى عثمان وعددوا فيها مخالفاته للقرآن والسنة، ولم يجرؤ أحد على حملها وتقديمها الى عثمان إلا عمار، فضربه عثمان وغلما نه ضرباً شديداً حتى أغمي عليه!

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة (٣٥/١): (قال عثمان إضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه، فجروه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة زوج النبي ﷺ فأدخل منزلها، وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم. وقال هاشم بن الوليد بن المغيرة لعثمان: أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لأقتلن به رجلاً عظيماً من بني أمية).

وحركت أم سلمة المسلمين ليقفوا مع عمار، وكانت أخته من الرضاعة، وكان حليف قومها بني مخزوم. وهي حادثة مفصلة لا مجال بتفصيلها.

جعلوا لقب أم المؤمنين خاصاً بعائشة!

فترى القوم في كل مصادرهم لا يسمون أم سلمة: أم المؤمنين، مع مكانتها العظيمة! فيذكرون اسمها مجرداً، بينما يذكرون اسم عائشة مقروناً بأم المؤمنين، دائماً أو غالباً! وبذلك تعرف موقفهم من مرويات أم سلمة ؓ، وهي أرقى من روايات عائشة في النوعية، وكميتها كثيرة، وليس فيها إفراط عائشة ومبالغاتها في مدح نفسها ولا إسفافها في الأمور الجنسية! وسبب موقفهم من أم سلمة أنها ؓ شيعية متشددة، أما عائشة فهي ناصبية متشددة، فهي أحب إلى قلوبهم منها!

قال العلامة الحلي (منهاج الكرامة/٧٥): « وعظموا عائشة على باقي نسوانه ﷺ وساعدوها على حرب أمير المؤمنين عليه السلام! ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله ﷺ لما طلبت حقها من أبي بكر ولا شخص واحد بكلمة واحدة! وسموها أم المؤمنين ولم يسموها غيرها بذلك! » وقال أبو الفتح الكراجكي في التعجب من أغلاط العامة/١٠٢: « ومن عجيب أمرهم تفضيلهم عائشة بنت أبي بكر على جميع أزواج النبي ﷺ. وكثرة ترحمهم عليها وإظهارهم الخشوع والبكاء عند ذكرها، ثم لا يذكرون خديجة بنت خويلد، وفضلها متفق عليه وعلو قدرها لا شك فيه، وهي أول من آمن برسول الله ﷺ وأنفقت عليه مالها. وكان يكثر ذكرها ويحسن الثناء عليها ويقول: ما نفعني مال كما لها، ورزقه الله الولد منها! »

قالت عائشة: حزبي وحزب أم سلمة!

قال البخاري (١٣٢/٣) قالت عائشة: « إن نساء رسول الله كنَّ حزبين: فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة. والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء رسول الله! » وكان ظاهر الأمر حسد الضرائل لكن القضية أعمق من ذلك، فوراء عائشة وحفصة الحزب القرشي، وقد تفاقم الأمر بعد أن رزق النبي ﷺ ولداً من مارية ونظر إليه الحزب القرشي على أنه ولي عهده، فزاد أذاهم لمارية وأم سلمة حتى طلق النبي ﷺ حفصة ثم أرجعها، وأراد أن يطلق سودة، واعتزل نساءه، وتدخل الوحي لنصرة النبي ﷺ فنزلت سورة التحريم بتهديد عائشة وحفصة، قال عز وجل: وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ

بَعْضٍ.. إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ.. عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ.

ردت أم سلمة على عائشة وروت مناقب علي عليه السلام

قال البخاري (١٨٦/٣): (ذكروا عند عائشة أن علياً رضي الله عنهما كان وصياً فقالت: متى أوصى إليه! وقد كنت مسندته إلى صدري أو قالت حجري، فدعا بالطست فلقد انخث في حجري فما شعرت أنه قد مات! فمتى أوصى إليه؟!). ورواه أيضاً في (١٤٣/٥) ورواه مسلم (٧٤/٥) و٧٥ والنسائي (٣٢/١) و٧٥ و: ٢٤١/٦، وابن ماجه (٥١٩/١) وأحمد: (٣٢/٦).

وردت عليها أم سلمة في حديث صحيح بشرط الشيخين رواه الحاكم (١٣٨/٣): (قالت: والذي أحلف به أن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ. عدنا رسول الله ﷺ غداة وهو يقول جاء علي جاء علي مراراً! فقالت فاطمة رضي الله عنها: كأنك بعثته في حاجة، قالت فجاء بعد. قالت أم سلمة فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من أذناهم إلى الباب، فأكب عليه رسول الله ﷺ وجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك، فكان علي أقرب الناس عهداً).

وروى الصدوق في الخصال ٦٤٢، عن أم سلمة، قال: (حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثني أحمد بن محمد بن عيسى، ومحمد بن عبد الجبار، عن محمد بن خالد البرقي، عن فضالة بن أيوب عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن مولاة حمزة بن رافع، عن أم سلمة زوجة النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: أدعوا لي خليلي فأرسلت عائشة إلى أبيها فلما جاء غطى رسول الله ﷺ وجهه، وقال: أدعوا لي خليلي فرجع أبو بكر وبعثت حفصة إلى أبيها، فلما جاء غطى رسول الله ﷺ وجهه وقال: أدعوا لي خليلي فرجع عمر، وأرسلت فاطمة إلى علي فدخل ثم جلت علياً بثوبه. قال علي عليه السلام: فحدثني بألف حديث يفتح كل حديث ألف حديث، حتى عرقت وعرق رسول الله ﷺ، فسال علي عرقه، وسال عليه عرقه).

وفي الكافي (٢٩٦/١): (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه:

أدعوا لي خليلي، فأرسلتا إلى أبيهما فلما نظر إليهما رسول الله ﷺ أعرض عنهما، ثم قال: أدعوا لي خليلي، فأرسل إلى علي ؓ فلما نظر إليه أكب عليه يحدثه، فلما خرج لقياه فقالا له: ما حدثك خليلك؟ فقال: حدثني ألف باب يفتح كل باب ألف باب).

وفي الإرشاد (١٨٥/١): «ثم ثقل وحضره الموت وأمير المؤمنين حاضر عنده. فلما قرب خروج نفسه ﷺ قال له: ضع رأسي يا علي في حجرك، فقد جاء أمر الله عز وجل فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري وصل علي أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى. فأخذ علي رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه، فأكبت فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي».

وقد حرفوه في مسند أحمد فروى (٣٥٦/١): (عن ابن عباس قال لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة فقال أدعوا لي علياً قالت عائشة ندعوك أبا بكر، قال ادعوه قالت حفصة يا رسول الله ندعوك عمر قال ادعوه، قالت أم الفضل يا رسول الله ندعوك العباس قال ادعوه فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم ير علياً، فسكت)!

ولكن عائشة نفسها قالت في خبر صحيح إنها انشغلت بمرض النبي ﷺ وكانت غرفتها فارغة وآيات رضاع الكبير تحت سريرها، فدخلت السخلة وأكلتها! (عن عائشة قالت: لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشراً. ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها). (ابن ماجه (٦٢٥/١) ومعناه أن النبي ﷺ لم يمت في غرفتها!

ردت أم سلمة زعم عائشة جواز رضاع الكبير!

قال أحمد بن حنبل في مسنده (٢٧١/٦): (كانت عائشة تأمر أخواتها وبنات أخواتها أن يرضعن من أحببت عائشة أن يراها ويدخل عليها وإن كان كبيراً خمس رضعات ثم يدخل عليها. وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي ﷺ أن يدخلن عليهن بتلك الرضاعة أحداً من الناس حتى يرضع في المهد). وهي مسألة مفصلة خالفت بها عائشة كل نساء النبي ﷺ.

وتكلمت أم سلمة بعد خطبة فاطمة ؓ التاريخية

فحثَّ المسلمين على نصرتها، ففي دلائل الإمامة/١٢٤، والدر النظيم/٤٨٠، أن أم سلمة قالت بعد خطبة فاطمة ؓ وجواب أبي بكر لها: « أُمِّثِلْ فاطمة بنت رسول الله يقال هذا القول! هي والله الحوراء بين الإنس والنفس للنفس، ربيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأ، وربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها وقد قال الله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، أفأندرها وخالفت متطلبه وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان وعديلة ابنة عمران، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر ويوسدها يمينه ويلحفها بشماله! رويداً ورسول الله بمرأى منكم! وعلى الله تردون، واهأ لكم، فسوف تعلمون! قال: فحرمت أم سلمة عطاءها تلك السنة! »

أوصت فاطمة ؓ بأن تشارك أم سلمة في جنازتها

قال أمير المؤمنين ؓ: (أخذت علي عهد الله ورسوله ﷺ أنها إذا توفيت لا أعلم أحداً إلا أم سلمة زوج رسول الله ﷺ وأم أيمن، وفضة، ومن الرجال ابنها والعباس، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والمقداد، وأباذر، وحذيفة. وقالت: إني قد أحللتك أن تراني بعد موتي، فكن مع النسوة فيمن يغسلني، ولا تدفني إلا ليلاً. ولا تعلم أحداً قبري). (دلائل الإمامة/١٣٣).

نصحت أم سلمة عائشة نصيحة بليغة

نصيحة أم سلمة لعائشة أن لا تعصي النبي ﷺ وكان لها موقف تاريخي مع عائشة، فقد نصحتها، وحاولت أن تثنيها عن الفتنة فلم ينفع معها.

قال الشريف المرتضى في رسائله (٦٦/٤): « ومن الأخبار الطريفة ما رواه نصر بن مزاحم .. عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال: كنت بمكة مع عبدالله بن الزبير وطلحة والزبير فأرسلا إلى عبدالله بن الزبير فأتاها وأنا معه فقالا له: إن عثمان قتل مظلوماً وإننا نخاف أن ينقض أمرأة محمد فإن رأيت عائشة أن تخرج معنا لعل الله أن يرتق بها فتقاً ويشعب بها صدعاً!

قال: فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها فدخل عبدالله بن الزبير في سمرها (ليلاً) وجلسْتُ

على الباب، فأبلغها ما أرسلنا به إليها فقالت: سبحان الله ما أمرت بالخروج وما تحضرني امرأة من أمهات المؤمنين إلا أم سلمة، فإن خرجت خرجت معها! فرجع إليها فأبلغها ذلك فقالا: إرجع إليها فلتأتمها فإنها أثقل عليها منا، فرجع إليها فبلغها فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة فقالت أم سلمة: مرحباً بعائشة والله ما كنت لي بزائرة فما بدا لك! قالت: قدم طلحة والزبير فخبرا أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً!

قال: فصرخت أم سلمة صرخة أسمعت من في الدار فقالت: يا عائشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر، وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً، فما تريدان!

قالت: تخرجين معي ففعل الله أن يصلح بخروجنا أمر أمة محمد ﷺ فقالت: يا عائشة أخرج وقد سمعت من رسول الله ما سمعت! نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت، أتذكرين يومك من رسول الله فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو يقول: والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له الحوآب امرأة من نسائي في فية باغية فسقط الإناء من يدي فرفع رأسه إلي فقال: ما بالك يا أم سلمة؟ قلت: يا رسول الله ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول؟ ما يؤمنني أن أكون أنا هي! فضحكت أنت فالتفت إليك فقال: ما يضحكك يا حمراء الساقين إني لأحسبك هي!

ونشدتك بالله يا عائشة أتذكرين ليلة أسري بنا رسول الله ﷺ من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين علي بن أبي طالب يحدثنا، فأدخلت جملك فحال بينه وبين علي، فرفع مرفقة كانت معه فضرب بها وجه جملك وقال: أما والله ما يومك منه بواحد ولا بليته منك بواحدة، أما إنه لا يبغضه إلا منافق أو كذاب!

وأشددك الله يا عائشة أتذكرين مرض رسول الله ﷺ الذي قبض فيه فأتاك أبوك يعودك ومعه عمر وقد كان علي بن أبي طالب يتعاهد ثوب رسول الله ﷺ ونعله وخفه ويصلح ما وهى منها، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله ﷺ وهي حضرمية وهو يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه فأذن لهما فقالا: يا رسول الله كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله تعالى. قالوا: ما بد من الموت؟ قال ﷺ: لا بد منه. قالوا: يا رسول الله فهل استخلفت أحداً؟ فقال: ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل، فخرجا فمرا على علي وهو يخصف النعل!

كل ذلك تعرفينه يا عائشة وتشهدين عليه لأنك سمعته من رسول الله ﷺ!
ثم قالت أم سلمة: يا عائشة أنا أخرج علي بعد هذا الذي سمعته من رسول الله ﷺ!
فرجعت عائشة إلى منزلها فقالت: يا ابن الزبير أبلغهما أنني لست بخارجة بعد الذي سمعته من أم
سلمة، فرجع فبلغهما. قال: فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء إبلها ترتحل، فارتحلت معها».
وأضاف المرتضى رحمه الله: «ومن العجائب أن يكون مثل هذا الخبر الذي يتضمن النص بالخلافة،
وكل فضيلة غريبة، موجوداً في كتب المخالفين وفيما يصححونه من روايتهم ويصنفونه من
سيرتهم ولا يتبعونه، لكن القوم رَوَوْا ما سمعوا وأودعوا كتبهم ما حفظوا ونقلوا، ولم يتخيروا
ويتبينوا ما وافق مذهبهم دون ما خالفهم. وهكذا يفعل المسترسل المستسلم للحق»!

(شرح النهج ٢/ ٧٨، والعقد الفريد ٣/ ٩٦، والبدء والتاريخ ٢/ ١٠٩، والفاائق للزمخشري ١/ ١٩٠).

وروى نحوه في الإختصاص ١١٦، وفيه تفصيلات، قال: «لما أجمعت عائشة على الخروج
إلى البصرة، أتت أم سلمة وكانت بمكة فقالت: يا بنت أبي أمية أنت كبيرة أمهات المؤمنين وكان
رسول الله ﷺ يقيم في بيتك، وكان يقسم لنا في بيتك، وكان ينزل الوحي في بيتك. قالت لها:
يا بنت أبي بكر لقد زرتني وما كنت زوارة، ولأمر ما تقولين هذه المقالة؟ قالت: إن ابني وابن
أخي أخبراني أن الرجل قتل مظلوماً وإن بالبصرة مائة ألف سيف يطاعون، فهل لك أن أخرج
أنا وأنت لعل الله أن يصلح بين فئتين مشاجرتين؟ فقالت: يا بنت أبي بكر أبدم عثمان تطلين؟
فلقد كنت أشد الناس عليه وأن كنت لتدعينه بالتبري أم أمر ابن أبي طالب تنقضين فقد
تابعه المهاجرون والأنصار، إنك سدة بين رسول الله ﷺ وبين أمته وحجابه مضروبة على حرمه،
وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبذخيه، وسكني عقيرك فلا تضحي بها. الله من وراء هذه الأمة وقد
علم رسول الله ﷺ مكانك ولو أراد أن يعهد إليك فعل، قد هناك رسول الله ﷺ عن الفراطة
في البلاد. إن عمود الإسلام لا ترأبه النساء إن انثلم، ولا يشعب بهن إن انصدع، حماديات النساء
غض بالأطراف وقصر الوهدة. وما كنت قائله لو أن رسول الله ﷺ عرض لك ببعض الفلوات
وأنت ناصية قلو صاً من منهل إلى آخر! إن بعين الله مهواك وعلى رسول الله ﷺ ترددين قد وجهت
سدافته وتركت عهده! أقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي أدخلي الفردوس لاستحييت
أن ألقى محمداً ﷺ هاتكة حجاباً قد ضربه علي! إجعلني حصنك بيتك، وقاعة الستر قبرك حتى

تلقيه وأنت على ذلك أطوع.

ثم قالت: لو ذكرتك من رسول الله ﷺ خمساً في علي لنهشتني نهش الحية الرقشاء المطرقة ذات الحب! أتذكرين إذ كان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً فأقرع بينهن فخرج سهمي وسهمك، فبينما نحن معه وهو هابط من قديد ومعه علي ويحدثه فذهبت لتهجمي عليه فقلت لك: رسول الله ﷺ معه ابن عمه ولعل له إليه حاجة فعصيتني ورجعت باكية فسألتك، فقلت: بأنك هجمت عليهما فقلت له: يا علي إنما لي من رسول الله يوم من تسعة أيام وقد شغلته عني! فأخبرتني أنه قال لك: أتبعضيه فما يبغضه أحد من أهلي ولا من أمتي إلا خرج من الإيمان! أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم.

ويوم أراد رسول الله ﷺ سفراً وأنا أحش له حشيشاً فقال: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب تنبجها كلاب الحوآب، فرفعت يدي من الحشيش وقلت: أعوذ بالله أن أكونه، فقال: والله لا بد لأحدًا كما أن تكونه، إتقي الله يا حميرا أن تكونيه! أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم.

ويوم تبدلنا لرسول الله ﷺ فلبست ثيابي ولبست ثيابك، فجاء رسول الله فجلس إلى جنبك، فقال: أتظنين يا حميرا أني لا أعرفك، أما إن لأمتي منك يوماً مُراً! أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم.

ويوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فجاءك أبوك وصاحبه يستأذن فدخلت الخدر فقالا: يا رسول الله إنا لا ندرى قدر مقامك فينا، فلو جعلت لنا إنساناً نأتيه بعدك، قال: أما إني أعرف مكانه وأعلم موضعه، ولو أخبرتكم به لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن عيسى بن مريم! فلما خرجا خرجت إليه أنا وأنت وكنت حزينه عليه فقلت له: من كنت جاعلاً لهم؟ فقال: خاصف النعل. وكان علي بن أبي طالب يصلح نعل رسول الله ﷺ إذا تحرق و يغسل سل ثوبه إذا اتسخ. فقلت: ما أرى إلا علياً فقال: هو ذاك! أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم.

قالت: ويوم جمعنا رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فقال: يا نسائي إتقين الله ولا يسفرن بكن أحد! أتذكرين هذا يا عائشة؟

قالت: نعم، ما أقبلني لو عظك وأسمعني لقولك فإن أخرج فني غير حرج وإن أقعد فني غير بأس، وخرجت! فخرج رسولها فنادى في الناس: من أراد أن يخرج فليخرج، فإن

أم المؤمنين غير خارجة. فدخل عليها عبد الله بن الزبير فنفت في أذنها وقلبها في الذروة، فخرج رسولها فنادى: من أراد أن يسير فليسر، فإن أم المؤمنين خارجة!

فلما كان من ندمها ما كان أنشأت أم سلمة تقول:

لو كان معصماً من زلة أحد كانت لعائشة العتبي على الناس
كم سنة لرسول الله تاركة وتلو آي من القرآن مدراس
قد ينزع الله من ناس عقولهم حتى يكون الذي يقضي على الناس).

وفي رواية ابن أعثم في الفتوح (٤٥٤/٢)، أن عائشة قالت لها: « فهل لك أن تسيري بنا إلى البصرة لعل الله تبارك وتعالى أن يصلح هذا الأمر على أيدينا؟ قال فقالت لها أم سلمة: يا بنت أبي بكر بدم عثمان تطلين! والله لقد كنت من أشد الناس عليه وما كنت تسميه إلا نعثلاً، فما لك ودم عثمان وعثمان رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بني تيم بن مرة!

ويحك يا عائشة! أعلى علي وابن عم رسول الله ﷺ تخرجين! وقد بايعه المهاجرون والأنصار؟ ثم جعلت أم سلمة تذكر عائشة فضائل علي عليه السلام، وعبد الله بن الزبير على الباب يسمع ذلك كله، فصاح بأم سلمة وقال: يا بنت أبي أمية، إننا قد عرفنا عداوتك لآل الزبير!

فقالت أم سلمة: والله لتوردنَّها ثم لا تصدرنَّها أنت ولا أبوك! أتطمع أن يرضى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة، وعلي بن أبي طالب حي وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ فقال عبد الله بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول الله ساعة قط، فقالت أم سلمة: إن لم تكن أنت سمعته قد سمعته خالتك عائشة وها هي فاسأها! فقد سمعته يقول: علي خيلفتي عليكم في حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصاني! أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا؟ فقالت عائشة: اللهم نعم!

قالت أم سلمة: فاتقي الله يا عائشة في نفسك، واحذري ما حذرك الله ورسوله ولا تكوني صاحبة كلاب الحوآب، ولا يغرنك الزبير وطلحة، فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئاً! قال: فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهي حنقة عليها! ثم إنها بعثت إلى حفصة فسألتها أن تخرج معها إلى البصرة فأجابتها حفصة إلى ذلك. قال: فعند ذلك أذن مؤذن طلحة والزبير بالمسير إلى البصرة، فسار الناس في التعبية والآلة والسلاح، وسارت معهم عائشة وهي تقول: اللهم إني

لا أريد إلا الإصلاح بين المسلمين فأصلح بيننا إنك على كل شيء قدير..

رسالة أم سلمة إلى أمير المؤمنين عليه السلام

وكتبت أم سلمة إلى علي بن أبي طالب: لعبد الله علي أمير المؤمنين، من أم سلمة بنت أبي أمية، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فإن طلحة والزبير وعائشة وبنيتها بني السوء وشيعة الضلال، خرجوا مع ابن الجزار عبد الله بن عامر إلى البصرة، يزعمون أن عثمان بن عفان قتل مظلوماً وأنهم يطلبون بدمه! والله كافيكم وجاعل دائرة السوء عليهم إن شاء الله تعالى. وتالله لولا ما نهى الله عز وجل عنه من خروج النساء من بيوتهن، وما أوصى به رسول الله ﷺ عند وفاته لشخصت معك ولكن قد بعثت إليك بأحب الناس إلى النبي ﷺ وإليك ابني عمر بن أبي سلمة. والسلام.

فلما سمع علي ذلك دعا محمد بن أبي بكر وقال له: ألا ترى إلى أختك عائشة كيف خرجت من بيتها الذي أمرها الله عز وجل أن تقر فيه، وأخرجت معها طلحة والزبير يريدان البصرة لشقاقي وفراقي!

فقال له محمد: يا أمير المؤمنين لا عليك، فإن الله معك ولن يخذلك، والناس بعد ذلك ناصروك، والله تبارك وتعالى كافيك أمرهم إن شاء الله.

قال فعندها نادى علي في أصحابه فجمعهم ثم قال: أيها الناس إن الله تبارك وتعالى بعث كتاباً ناطقاً لا يهلك عنه إلا هالك... ألا إن طلحة والزبير قد تملاً عليّ بسخط أقاربي، ودعوا الناس إلى مخالفتي وأنا سائر إليهم ومنابذهم حتى يحكم الله بيني وبينهم.. قال فأجابه الناس إلى ذلك. وجاءت أم سلمة بولديها محمد وسلمة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقالت له: هما عليك صدقة، فلو يصلح لي الخروج لخرجت معك». (رجال الطوسي / ٤٨).

وتقدمت عائشة فيمن معها من الناس حتى إذا بلغت إلى ماء الحوآب وذلك في وقت السحر، نبحت الكلاب فسمعت عائشة رجلاً من أهل عسكرها يسأل ويقول: أي ماء هذا؟ فقيل له: هذا ماء الحوآب، فقال عائشة: ردوني! فقيل لها: ولم ذلك؟ فقالت: لأنني سمعت رسول الله يقول: كأني بامرأة من نسائي تنبح عليها كلاب الحوآب، فاتقي الله أن تكوني أنت يا حميراء!

فدبروا لها شهوداً بالرشوة وحلفوا لها أنه ليس ماء الحوآب!

يا حائط! ألم أقل لك ألم أنك!

وروى البيهقي في المحاسن ١٨١/، وطبعة ٢٢١/، أنها: « دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل وقد كانت أم سلمة حلفت أن لا تكلمها أبداً، من أجل مسيرها إلى محاربة علي بن أبي طالب، فقالت عائشة: السلام عليك يا أم المؤمنين، فقالت: يا حائط، ألم أنك ألم أقل لك؟ قالت عائشة: فإني أستغفر الله وأتوب إليه، كلميني يا أم المؤمنين! قالت: يا حائط! ألم أقل لك ألم أنك؟ فلم تكلمها حتى ماتت!

وقامت عائشة وهي تبكي، وتقول: وا أسفاه على ما فرط مني!

أم سلمة آخر أمهات المؤمنين موتاً

عاشت أم سلمة إلى خلافة يزيد بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام سنة اثنتين وستين، وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً. وأوصت أن يصلى عليها سعيد بن زيد خشية أن يصلى عليها مروان بن الحكم). (ابن إسحاق: ١٨٠/٢، ومناقب آل أبي طالب: ١٣٨/١، والحاكم: ١٨/٤، وأسباب النزول: ١٩٩، والطبقات: ٤٣/٨).

أولاد أم سلمة الستة

كان لها من أبي سلمة ثلاثة أبناء هم: سلمة ومحمد وعمر، وثلاث بنات: درة وزينب وأم كلثوم، فهم صحابة وربائب النبي ﷺ. وأشهرهم عمر ويسمى أيضاً عمرو، ثم زينب التي روي أن النبي ﷺ كان يلاعبها ويقول: يا زوينب، يا زوينب، مراراً». (الجامع الصغير: ٣٩٦/٢).

وكان عمر أُنْبِ من أخويه، فقد اختارته أمه ليزوجها بالنبي ﷺ كولي لها: «زوجها إياه عمر بن أبي سلمة وهو صغير لم يبلغ الحلم». (الكافي: ٣٩١/٥).

وقال ابن عقدة: جاءت بعمر وسلمة. وشهد عمر مع علي حرب الجمل ثم استعمله على فارس، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان بالمدينة. وعاش أخوه سلمة إلى خلافة عبد الملك». (مذيل الطبري: ٥٨/).

وفي نهج البلاغة (٦٧/٣): «ومن كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله

على البحرين، فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه: أما بعد فإنني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك، فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة، فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم:

فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام وأحببت أن تشهد معي، فإنك ممن استظهر به على جهاد العدو وإقامة عمود الدين إن شاء الله .»

وفي رواية اليعقوبي (٢٠١/٢): (فإنك ممن أسـتـظـهـر به على إقامة الدين ونصر الهدى، جعلنا الله وإياك من الذين يعملون بالحق وبه يعدلون. فأقبل عمر فشهد معه ثم انصرف وتبع علياً إلى الكوفة فمكث معه سنة وبعض أخرى).





الفصل الرابع والستون

من مقامات رسول الله ﷺ ونمط تعامل الناس معه

١. كان في سرادق العرش في العالين

قال الله تعالى في سورة صاد:

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ.

في فضائل الشيعة للصدوق/٧: (عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل لإبليس: أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، فمن هو يا رسول الله الذي هو أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا، قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام، فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يأمرنا بالسجود فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس فإنه أبى ولم يسجد فقال الله تبارك وتعالى: أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، عَنِي مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ الْمَكْتُوبَةِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سَرَادِقِ الْعَرْشِ! فنحن باب الله الذي يؤتى منه، بنا يهتدى المهتدي، فمن أحبنا أحبه الله وأسكنه جنته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يجنبا إلا من طاب مولده).

وفي الخصال/٤٨١ عن علي عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد ﷺ قبل أن يخلق السموات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار، وقبل أن يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى عليه السلام).

وفي فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢٦٢/٢) قال النبي ﷺ: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام).

٢. كان أول من أجاب ببلى في عالم الذر

في بصائر الدرجات/٨٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن بعض قریش قال لرسول الله ﷺ: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من أقر بربي، وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبين وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، وكنت أنا أول نبي قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله.»

يشير ﷺ الى قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى... وعالم الذر نشأة كاملة خلق الله فيها الناس وامتحانهم قبل خلقهم في الدنيا. فما اختاروه هناك طبقوه في الدنيا.

٣. تاب الله على آدم عليه السلام بتوسله بالنبي وآله ﷺ

في شرح الأخبار: ٦/٣، عن صفوان الجمال قال: «دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وهو يقرأ هذه الآية: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، ثم التفت إلي فقال: يا صفوان إن الله تعالى ألهم آدم عليه السلام أن يرمي بطرفه نحو العرش فإذا هو بخمسة أشباح من نور يسبحون الله ويقدسونه، فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم صفوتي من خلقي لولا هم ما خلقت الجنة ولا النار، خلقت الجنة لهم ولمن والاهم، والنار لمن عاداهم.. الخ.»

وروت ذلك مصادر السنة، ففي مجمع الزوائد: ٢٢٣/٨: «عن ميسرة العجر، قال: قلت يا رسول الله متى كتبت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح.»

٤. دعوة أبيه إبراهيم وبشارة الأنبياء عليه السلام

قال الله تعالى في سورة الصف: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

وقال في سورة البقرة: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.
وروى الصدوق في الخصال عن أبي أمامة، قال: (قلت: يا رسول الله ما كان بدء أمرك، قال:
دعوة أبي إبراهيم عليه السلام وبشرى عيسى بن مريم عليه السلام. ورأت أمي أنه خرج منها شيء أضاعت منه
قصور الشام).

٥. يجب على كل الناس الإيمان بالنبي ﷺ

من سورة الأعراف:

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

ومن سورة النساء:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا.

ومن سورة الحجرات:

قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

٦. وجوب طاعة النبي ﷺ

القاعدة في كل الرسل ﷺ أن الله تعالى أرسلهم ليلبغوا الناس فيطيعونهم، قال تعالى: وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ. وقال تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.
مضافاً إلى تأكيد الآيات على وجوب طاعة النبي ﷺ وتحذيرها من معصيته.

فمن سورة البقرة:

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً
إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضْيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ.

ومن سورة آل عمران:

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

ومن سورة النساء:

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.
وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ.
يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا.
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا.
مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيطًا.
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا. وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

ومن سورة المائدة:

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ.

ومن سورة الأعراف:

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

ومن سورة الأنفال:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ.
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.

ومن سورة التوبة:

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

ومن سورة النور:

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ.. وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

ومن سورة الفرقان:

وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا. وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا. وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا. وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا.

ومن سورة الأحزاب:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا.

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ. وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَصْلَحُونَا السَّبِيلَ.

ومن سورة محمد:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ.

ومن سورة الزخرف:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ.

ومن سورة الفتح:

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابٌ أَلِيمًا.

ومن سورة المجادلة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

ومن سورة التغابن:

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.. فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

٧. وجوب توفير النبي وتعظيمه ﷺ

من سورة الحجرات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

ومن سورة النور:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

ومن سورة الأحزاب:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْذِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا. إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا. لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا. إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا. وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا. مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدًا وَقَتِّلُوا اتَّقَتِيلًا. سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا.

ومن سورة المجادلة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

سَادِسُهُمْ وَلَا أَذَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُئْسِلُ الْمُصِيرُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

ومن سورة الفتح:

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.

وفي أمالي الشريف المرتضى (١٣٩/٤): (فانصرف عن مخاطبة الرسول إلى مخاطبة المرسل إليهم ثم قال: وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ، يعني الرسول ﷺ ثم قال: وَتُسَبِّحُوهُ، وهو يعني مُرْسِلَ الرسول. فالكلام واحد متصل بعبه ببعض والخطاب منتقل من واحد إلى غيره).

وفي تفسير القمي (٣١٥/٢): (ثم عطف على نفسه عز وجل فقال: وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، معطوفاً على قوله لتؤمنوا بالله).

٨. حق رسول الله ﷺ أعظم من حق الوالدين

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: (إعلم رحمك الله أن الله عز وجل عليك حقوقاً محيطية بك في كل حركة تحركتها أو سكنة سكنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارية قلبتها، أو آلة تصرف بها، بعضها أكبر من بعض. وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تتفرع.

ثم ما أوجه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال).

وفي تفسير الإمام العسكري (٢٥): (عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في حديث: أوتدري ما هذه الرحم التي من وصلها وصله الرحمن ومن قطعها قطعها؟ ف قيل: يا أمير المؤمنين حث بهذا كل قوم على أن يكرموا أقرباءهم ويصلوا أرحامهم، فقال لهم: أيجثم على أن يصلوا أرحامهم الكافرين! قالوا: لا، ولكنه حثهم على صلة أرحامهم المؤمنين، قال فقال: أوجب حقوق أرحامهم لاتصالهم بأبائهم وأمهاتهم، قلت: بلى يا أخا رسول الله.

قال: فهم إذا إنما يقضون فيهم حقوق الآباء والأمهات، قلت: بلى يا أخا رسول الله. قال: فأبائهم وأمهاتهم إنما غذوهم من الدنيا، ووقوهم مكارهها، وهي نعمة زائلة، ومكروه ينقضي، ورسول ربهم ساقهم إلى نعمة دائمة، ووقاهم مكروهاً مؤبداً لا يبيد، فأبي النعمتين أعظم؟

قلت: نعمة رسول الله ﷺ أعظم وأجل وأكبر، قال: فكيف يجوز أن يحث على قضاء حق من صغر حقه، ولا يحث على قضاء حق من كبر حقه! قلت: لا يجوز ذلك، قال: فإذا حق رسول الله ﷺ أعظم من حق الوالدين، وحق رحمه أيضاً أعظم من حق رحمهما، فرحم رسول الله ﷺ أولى بالصلة، وأعظم في القطيعة، فالويل كل الويل لمن قطعها، والويل كل الويل لمن لم يعظم حرمتها، أو ما علمت أن حرمة رسول الله ﷺ حرمة رسول الله ﷺ!

وإن حرمة رسول الله ﷺ حرمة الله تعالى! وإن الله تعالى أعظم حقاً من كل منعم سواه! وإن كل منعم سواه إنما أنعم حيث قيضه لذلك ربه ووفقه له).

وفي فقه الرضا (٣٣٤): (عليك بطاعة الأب وبره، والتواضع والخضوع والإعظام والاكرام له إلى أن قال: وقد قرن الله عز وجل حقهما بحقه، فقال الله: أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ لِي الْمَصِيرُ.

وروي أن كل أعمال البر يبلغ العبد الذروة منها، إلا ثلاثة حقوق: حق رسول الله، وحق الوالدين، فاسأل الله العون على ذلك).

وفي وسائل الشيعة (٤٤٤/١٤): (عن عبد الرحمن بن كثير قال: قال أبو عبد الله: لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين عليه السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله ﷺ لأن حق رسول الله

فريضة من الله واجبة على كل مسلم).

هذا، وقد عقدنا فصلاً لقول النبي ﷺ: يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة.

ولما رفضوا أن يكتب لهم النبي ﷺ عهداً فلا يضلوا بعده، فغضب وطردهم، وفي تلك الأيام أرسل علياً عليه السلام يبلغهم في المسجد..!

ورواه الطوسي في أماليه/١٢٣، والمفيد في أماليه/٣٥١: (أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرني أبو بكر محمد بن عمر الجعابي، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، قال: حدثنا أبو عوانة موسى بن يوسف القطان الكوفي، قال: حدثنا محمد بن سليمان المقرئ الكندي، عن عبد الصمد بن علي النوفلي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الأصبع بن نباتة السعدي، قال: لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه نفر من أصحابنا، أنا والحارث وسويد بن غفلة وجماعة معنا، فقعنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن علي عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين: انصرفوا إلى منازلكم، فانصرف القوم غيري فاشتد البكاء من منزله، فبكيت وخرج الحسن عليه السلام وقال: ألم أقل لكم انصرفوا. فقلت: لا والله يا ابن رسول الله ما تتابعني نفسي ولا تحملني رجلي أن انصرف حتى أرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه. قال: وبكيت. فدخل فلم يلبث أن خرج فقال لي: أدخل، فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند، معصوب الرأس بعمامة صفراء، قد نزف واصفر وجهه، ما أدري وجهه أصفر أم العمامة، فأكبت عليه فقبلته وبكيت فقال لي: لا تبك يا أصبع، فإنها والله الجنة. فقلت له: جعلت فداك، إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنة وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين. جعلت فداك حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ فيني أراك لا أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً. قال: نعم يا أصبع، دعاني رسول الله ﷺ يوماً فقال لي: يا علي، إنطلق حتى تأتي مسجدي ثم تصعد منبري ثم تدعو الناس إليك فتحمد الله تعالى وتثني عليه وتصلي علي صلاة كثيرة، ثم تقول: أيها الناس، إني رسول رسول الله إليكم، وهو يقول لكم: إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي، على من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره! فأتيت مسجده ﷺ وصعدت منبره، فلما رأته قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي، فحمدت الله وأثنت عليه وصليت على رسول الله ﷺ صلاة كثيرة،

ثم قلت: أيها الناس، إني رسول رسول الله ﷺ إليكم، وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره.

قال: فلم يتكلم أحد من القوم إلا عمر بن الخطاب، فإنه قال: قد أبلغت يا أبا الحسن، ولكنك جئت بكلام غير مفسر. فقلت: أبلغ ذلك رسول الله فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: إرجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري فاحمد الله واثن عليه، وصل عليّ ثم قل: يا أيها الناس، ما كنا لنجيئكم بشيء إلا وعندنا تأويله وتفسيره، ألا وإني أنا أبوكم، ألا وإني أنا مولاكم، ألا وإني أنا أجيركم. ألا وإني أنا مولاكم، ألا وإني أنا أجيركم).

٩. تعامل المؤمنين مع النبي ﷺ

١. قدم المؤمنون أمثلة رائعة عن تعاملهم مع رسول الله ﷺ، فكانوا يجلسون مؤدبين في مجلسه وينصتون إليه، فإذا أمر بأمر بادروا إليه، وإذا توضع تبركوا بهاء وضوئه، وكانوا يستشفون بفضل شرابه، ويأتون بأطفالهم ليباركهم ويدعو لهم، وكانت النساء ترسل بناتها ليأخذن هدبة من ثيابه فيستشفين بها لمرضاهم.

وفي بحار الأنوار (٣٣٢/٢٠): لما بعثت قريش عروة بن مسعود إلى النبي ﷺ في الحديبية (جعل يرمق صحابة النبي ﷺ إذا أمرهم رسول الله ابتدروا أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له).

قال فرجع عروة إلى أصحابه وقال: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها).

٢. لما أرسل النبي ﷺ رسالة إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، كان هرقل في الشام فأحضر تجار

قريش ليسألهم عنه، وكان منهم أبو سفيان فسأله هرقل:

(قال أبو سفيان: فوالله لو لا الحياء يومئذ من أن يأتروا عليّ كذباً لكذبت عليه، ولكني

استحييت فصدقته وأنا كاره، ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ فقلت هو فينا ذو نسب قال: قل له هل قال هذا القول منكم أحد قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال قلت: لا، قال: هل كان من آبائه ملك؟ قلت: لا، قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: فهل يزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن دخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن الآن منه في مدة، ونحن لا نخاف غدره، وفي رواية: ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال أبو سفيان: ولم تمكني كلمة أغمره بها لا أخاف عليَّ فيها شيئاً غيرها. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف حربكم وحربه؟ قلت: دول سجال، ندال عليه مرة ويدال علينا أخرى، قال: فما يأمركم به؟ قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آبائنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

فقال لترجمانه قل له: إني سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك: هل قال هذا القول منكم أحد قبله، فزعمت أن لا، فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتي بقول قيل قبله. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت: لا. فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فقلت: ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك: هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان حتى تحالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد. وسألتك: هل قاتلتموه، فقلت: نعم، وأن حربكم وحربه دول سجال، ويدال عليكم مرة وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبطل ثم تكون لهم العاقبة. وسألتك: ماذا يأمركم به، فزعمت أنه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة. وهو نبي وقد كنت أعلم أنه خارج لكم ولكن لم أظن أنه فيكم، وإن كان ما أتاني عنه حقاً فيوشك أن يملك موضع قدميَّ هاتين، ولو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقيه، ولو

كنت عنده لغسلت قدميه .

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله فقرأ، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم لتسلم، وأسلم يؤتاك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ويَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

قال أبو سفيان: فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم، فلا أدري ما قالوا، وأمر بنا فأخرجنا، فلما خرجت أنا وأصحابي وخلصنا، قلت لهم: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، هذا ملك بني الأصفر يخافه)! (الاكتفاء للكلاعي: ٦/٢).

١٠. أنواع تعامل المشركين والمنافقين مع النبي ﷺ

في المقابل اتهم المشركون النبي ﷺ بأنواع التهم، وقالوا: إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ!

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ.

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ.

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا.

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.

وَقَالُوا آيْدًا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا.

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ.

وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا.. الخ.

ولم يكتفوا بهذا، فعملوا بكل ما استطاعوا لقتله، وكادوا المكائد وخططوا الخطط!

أما المنافقون من أصحابه ﷺ فكانوا أشد عليه من المشركين، خاصة مرضى القلوب

منهم الذين قالوا نريد الشراكة مع النبي ﷺ في القيادة مناصفة، ولو أنه جعلنا شركاء معه في معركة أحد لما قتلناها هنا!

وقد وصفهم الله تعالى فقال: إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا. إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا... وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ. يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ. يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا! قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.

فاسأل نفسك عن الذين طالبوا النبي ﷺ بأن يكونوا شركاءه في القيادة في حياته قبل وفاته بسبع سنين، كيف يتركون القيادة بعد وفاته؟!

إن مرضى القلوب هم الحزب السياسي في المنافقين الذين يعملون للزعامة والوصول الى السلطة، وقد نزلت فيهم اثنتا عشرة آية كشفت كثيراً من أعمالهم. وظهروا في أحد كما رأيت، وظهروا قبلها في بدر، وذكرهم الله في سورة الأنفال وهي سورة بدر فقال عنهم: إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوْلًا دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

وهم الذين أشاروا على النبي ﷺ لما فاتته قافلة قريش أن يرجع ولا يقاتل قريشاً، لأن فريشاً حسب قولهم: ما ذلت منذ عزت!

وهم الذين جادلوا النبي ﷺ في الذهاب الى بدر، بعدما تبين لهم الحق وأخبرهم أن الله وعده بالنصر وأراهم ساحة المعركة وقتلى قريش! فقال تعالى: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.

هذا، وقد عقدنا فصلاً للإنتقال على النبي ﷺ في حياته وسبب نزول قوله تعالى في أحد: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ.

وبلغ مرضى القلوب أوج فعاليتهم بمحاولتهم قتل النبي ﷺ في عودته من تبوك!

روى مسلم في صحيحه (١٢٣/٨) عن أبي الطفيل قال: «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذ سألك! قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد! وروى المفسرون مؤامرة العقبة في تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْوَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ.

قال البيضاوي (١٥٨/٣): «وَهُمْوَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا، من الفتك بالرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذ تسنم العقبة بالليل! فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقة السلاح فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله، فهربوا». وفي الخصال/٤٩٩، عن حذيفة، أنهم أربعة عشر وعددهم وقال: وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: وَهُمْوَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا».

وقد كان طريق العقبة ممر ناقة واحدة، فكمنوا له ليلاً في أعلى الجبل ليلقوا عليه الصخور ويقتلوه ثم ينزلون ويبكون عليه ويباعون أحدهم بالخلافة!

ولما ألقوا أول صخرة نزل جبرئيل عليه السلام فضرب بجناحه فأضاء الجبل ورآهم النبي ﷺ ولعنهم واحداً واحداً، فغطوا وجوههم ونزلوا، وأمر النبي ﷺ حذيفة وعماراً أن يكتموا أسماءهم، وكتمها هو كما أمره ربه لئلا ترى قريش أنها افتضحت فترتد عن الإسلام!

وفرح الحزب القرشي بكتان أسمائهم!

١١. من تعامل الأجلاف والخشنيين مع رسول الله ﷺ

١. كانت معصية النبي ﷺ ظاهرة عامة في المنافقين وظاهرة موجودة في غيرهم. فكانت الآيات تؤكد دائماً على طاعة النبي ﷺ وتحذر من معصيته.

قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُتْسَمِ الْمَصِيرُ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

ثم وصف الله تعالى عاقبة من عصى الرسول ﷺ وكتب ما أنزل الله: يَوْمَئِذٍ يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا.

ثم رسم عز وجل مشهد صحابي كبير انحرف بعد النبي ﷺ وعصاه وأطاع صاحبه الذي كان يوسوس له، فقال: وَيَوْمَ يَعِضُّ الطَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا. وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا.

٢. الخسونة والبدواة ظاهرة عامة في مجتمع الجزيرة، وقد تصير سوء أدب!

وقد لاقى النبي ﷺ من ذلك الكثير، فكانوا لا يتأدبون بين يديه، ويرفعون أصواتهم على صوته! وكانوا ينادونه من وراء بيته: يا محمد أخرج إلينا!

قال الله تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ. وقال تعالى: وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ.

وقال: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا.

وقال محذراً من إبطال أعمالهم بمعصية الرسول ﷺ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ.

وقال تعالى محذراً من الضلال إن عصوه: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ

وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِيتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا.

وقال عن المنافقين الذين لا يقبلون حكم الرسول ﷺ: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا.

وقاله محذراً الذين لا يحترمون النبي ﷺ ويتحايلون على أمره: لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وقال أبو مليكة: كاد أبو بكر وعمر أن يهلكا، وروى البخاري (٤٦/٦)، قصتهما وأنها تصاحبا ورفعا صوتيهما عند النبي ﷺ، قال: (حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع لا أحفظ إسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي! قال: ما أردت خلافاً فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه). فنزلت سورة الحجرات فيها وفي الذين يصرخون من وراء بيته! قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.

إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

وقد جعل رواية السلطة هذه الآيات مدحاً لأبي بكر وعمر وأخفوا مخالفتها للأحكام التي فيها! وكرر البخاري ذلك (٤٦/٦، و: ١٤٥/٨).

وقالوا كانا بعدها يخفضان صوتيهما عند النبي ﷺ فلا يسمع كلامهما حتى يعيدانه عليه! لكن هذا لا يصح لأن عمر رفع صوته على النبي ﷺ في مرض وفاته وقال غلبه الوجع أو يهجر، حسبنا كتاب الله لا نريد أن تكتب لنا تأمينا من الضلال، ومنعه بخشونة أن يكتب عهده!

وصاح أنصاره الطلقاء: القول ما قاله عمر! فطردهم النبي ﷺ وقال: قوموا عني!
ومعنى: لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: لا تتفلسفوا على ربكم ورسوله فتأمرون وتنهون
بدله، وتقولون له: إفعل ولا تفعل، فالأمر له وليس لكم!

وزعموا أن المنادين من وراء الحجرات ليسوا بأبكر وعمر بل وفد بني تميم.
ومنها أنها قدما بين يدي الله ورسوله، فقال أحدهما ول فلاناً، وقال الآخر: بل ول فلاناً!
ونلاحظ أن هذا دأبهما، فلما رجعا من فرارهما في حنين، أخذتا يتدخلان في الغنائم! «وقال
أبو قتادة: يا رسول الله إني ضربت رجلاً على جبل العاتق وعليه درع له قد تحصفت عنه فأعجلت
عنه قال فانظر من أخذها، فقام رجل فقال: أنا أخذتها فأرضه عنها فلو أعطيتها؟
فقال عمر: لا والله لا يفيؤها الله على أسد من أسده، ويعطيكها! فضحك رسول الله». (كنز العمال: ٥٥٢/١٠).
طبعاً ضحك من فضول عمر بعد هروبه!

ورواها أبو داود (٦١٦/١) عن أبي بكر قال: «لاها الله، إذا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله
وعن رسوله فيعطيك سلبه! فقال رسول الله ﷺ: صدق فأعطه إياه»!
وحذف منه البخاري (١٦/٣) ذكر أبي بكر وعمر! لكنه روى شكوى أم سلمة من فضول
عمر (٦٩/٦): «فقلت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل
بين رسول الله ﷺ وأزواجه»!

ولعمر سوابق مع النبي ﷺ منها أن النبي ﷺ تأخر عمداً عن صلاة العشاء فصاح عمر:
نام النساء والصبيان! قال مسلم (١١٥/٢) فخرج النبي وقال: ما كان لكم أن تنزروا رسول الله
على الصلاة وذاك حين صاح عمر!

وفسروا تنزروا بثلجوا، لكن نزر فيه قطع عمل إنسان والإصرار عليه! والنتيجة: أن سلوكهما
مع النبي ﷺ وسياق السورة يرجح أنها نزلت فيها، كما نزلت سورة التحريم في بتيهما.





الفصل الخامس والستون

تعامل النبي ﷺ مع الحيوانات والطيور

آيات قرآنية في نعمة الحيوانات علينا

المقصود بالأنعام في القرآن والفقه: الأنعام الأربعة: الإبل والبقر والغنم والماعز.

من سورة النحل:

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ. وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ.

من سورة المؤمنون:

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ.

من سورة الشعراء:

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ.

من سورة غافر:

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ. وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ.

من سورة الزخرف:

وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ. لَيْسَتْ بِلَا ظُهُورِهِ تُذْكَرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ.

من سورة الأنعام:

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِن رَّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ.

من سورة فاطر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ.

من سورة الشورى:

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيُبَيِّنَ كَيْفَ تَحْكُمُونَ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

من سورة محمد:

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ.

من سورة المائدة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِيِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ.

زين للناس امتلاك الحيوانات

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ.

الأنعام نزلت الى الأرض من السماء!

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ.

الحج مناسبة شكر الله على نعمة الأنعام

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ. ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ. ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ. حُخْنَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ.

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ. لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ. وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ.

أبطل الإسلام تشريعات الجاهلية في الأنعام

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ. وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامُ وَحَرْثٌ حَبْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ.

وَلَا ضِلَّتَهُمْ وَلَا مِئْتَنَتَهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيُبَيِّكُنْ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيُعَيِّرُنْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا. يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا.

نعمة حشرة النحل والعسل

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.

في الكافي (٣٣٢/٦) عن الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يعجبه العسل. كان النبي ﷺ يأكل العسل ويقول: آيات من القرآن. ومضع اللبن يذيب البلغم).

وفي أمالي الصدوق/٥١٢: (نهى عن قتل النحل ونهى عن الوسم في وجوه البهائم).

قواعد نبوية في التعامل مع الحيوان

في كلِّ كبدٍ حرّى أجر. في كل ذات كبد رطبة أجر.

✽ إنَّ الله يحبُّ إبراد الكبد الحرى، ومن سقى كبدًا حرى من بهيمة وغيرها، أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

✽ أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله إنه شكى إليَّ أنك تجيعه وتدبّه.

✽ ملعون من ضرب وجه الحيوان أو وسم وجهه، أي كواه.

✽ ملعون ملعون من نكح بهيمة.

✽ إنَّ الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته.

أمر بحدّ الشفار، وأن تُؤارى عن البهائم، وإذا ذبح أحدكم فليُجهز.

✽ قالت عائشة: كنت على بعير صعب فجعلت أضربه فقال لي رسول الله: عليك بالرفق فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه.

✽ مر برجل يكرع الماء بفيه يعني يشربه من إناء أو غيره من وسطه فقال: أتكرع ككرع البهيمة! إن لم تجد إناء فاشرب بيديك، فإنها من أطيب آنتيكم.

✽ أيها الناس إن السباع همتها التعدي، وإن البهائم همتها بطونها، وإن النساء همتهن الرجال، وإن المؤمنين مشفقون خائفون وجلون.

من معجزات النبي ﷺ مع بعض الحيوانات

في بصائر الدرجات/٣٧٠: (عن جابر بن بن عبد الله قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة ذات الرقاع وهي غزوة بني ثعلبة حتى إذا كان قريباً من المدينة إذا ببعير حل يرقل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فوضع جرائه على الأرض ثم خر خر. فقال رسول الله ﷺ: هل تدرون ما يقول هذا البعير؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: إنه أخبرني أن صاحبه عمل عليه حتى إذا أكبره وأدبره وأهزله أراد أن ينحره ويبيع لحمه. ثم قال رسول الله ﷺ: يا جابر إذهب به إلى صاحبه فأتني به فقلت: لا أعرف صاحبه. قال: هو يدلك. قال فخرجت معه حتى انتهيت إلى بني واقف فدخل في زقاق فإذا بمجلس فقالوا يا جابر كيف تركت رسول الله ﷺ وكيف تركت المسلمين؟ قلت صالحون، ولكن أيكم صاحب هذا البعير؟ قال بعضهم: أنا، فقلت: أجب رسول الله ﷺ قال مالي؟ قال: إستعدى عليك بعيرك! قال فجئت أنا وهو والبعير إلى رسول الله ﷺ فقال إن بعيرك أخبرني أنك عملت عليه حتى إذا أكبرته وأدبرته وأهزلته أردت نحره وبيع لحمه. قال الرجل قد كان ذلك يا رسول الله ﷺ. قال: بعه مني قال بل هو لك يا رسول الله قال: بل بعه مني، فاشتراه رسول الله ﷺ ثم ضرب على صفحته فتركه يرعى في ضواحي المدينة فكان الرجل منا إذا أراد الروحة والغدوة منحه رسول الله ﷺ. فقال جابر: رأيتاه وقد ذهب عنه دبره وصلاح).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما نفروا برسول الله ﷺ ناقته [قال لها: أثبتني] قالت لرسول الله ﷺ: لا والله لا أزلت خفاً عن خوف ولوقطعت إرباً إرباً!

وفي مختصر بصائر الدرجات/١٥: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: وأما الذئب فجاء إلى النبي ﷺ فشكى إليه الجوع فدعى رسول الله ﷺ أصحاب الغنم فقال: أفرضوا للذئب شيئاً

فشحوا، فذهب ثم عاد الثانية فشكى الجوع فدعاهم رسول الله ﷺ فشحوا، ثم عاد الثالثة فشكى الجوع فدعاهم فشحوا، فقال رسول الله ﷺ للذئب: إختلس. ولو أن رسول الله ﷺ فرض للذئب شيئاً ما زاد الذئب عليه شيئاً حتى تقوم الساعة).

وفي أمالي الطوسي (٥٣/٤): (عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: مر رسول الله ﷺ ببطية مربوطة بطنب فسطاط، فلما رآته أطلق الله عز وجل لسانها فكلمته فقالت: يا رسول الله، إني أم خشفين عطشانين، وهذا ضرعي قد امتلأ لبناً، فخلني لأنطلق فأرضعها ثم أعود فتربطني كما كنت. فقال لها رسول الله ﷺ: وكيف وأنت ربيطة قوم وصيدهم. قالت: بلى يا رسول الله، أنا أجيء فتربطني أنت بيدك كما كنت. فأخذ عليها موثقاً من الله لتعودن وخلي سبيلها فلم تلبث إلا يسيراً حتى رجعت، وقد أفرغت ما في ضرعها فربطها رسول الله ﷺ كما كانت، ثم سأل: لمن هذا الصيد؟ ف قيل له: هذه لبني فلان، فأتاهم النبي ﷺ وكان الذي قصصها منهم منافقاً، فرجع عن نفاقه وحسن إسلامه، فكلمه النبي ﷺ في بيعها ليشترها منه، قال: بل أخلي سبيلها فذاك أبي وأمي يا نبي الله. فقال رسول الله ﷺ: لو أن البهائم يعلمن من الموت ما تعلمون أنتم ما أكلتم منها سمياً).

وفي المعجم الأوسط للطبراني (٥٣/٩): (أقبلنا راجعين فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بعش طير يحمل فيه فراخ وأبواه يتبعانه ويقعان على يد الرجل فأقبل النبي ﷺ على من كان معه فقال: أتعجبون بفعل هذين الطيرين بفراخهما والذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من هذين الطيرين بفراخهما)!!

وقال ابن سعد (١١٦/١): «كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً. فكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك: لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفه وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع غلمان من أخوالي نطيّر طائراً كان يقع عليه. ونظر إلى الدار فقال: هاهنا نزلت بي أُمِّي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب، وأحسنتم العوم في بئر

بني عدي بن النجار.

وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه فقالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامه.

ثم رجعت به أمه إلى مكة فلما كانوا بالأبواء توفيت أمينة بنت وهب فقبرها هناك، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما مكة، وكانت تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت. فلما مرَّ رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية بالأبواء قال: إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فأتاه رسول الله فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ).

دفاع النبي ﷺ عن الحيوانات وأمره بالرفق بها

في صحيح البخاري (٧٧/٣): (أن رسول الله ﷺ قال عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار. قال فقال والله أعلم: لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض). وخشاش الأرض: هوامها، وفي بعض رواياتها: عذبت امرأة في هرة، بدل دخلت النار، وهو أكثر منطقية.

وفي الخصال/٦١٨: (من سافر منكم بدابة فليبدأ حين ينزل بعلفها وسقيها. لا تضربوا الدواب على وجوهها فإنها تسبح ربه).

وفي من لا يحضره الفقيه ٢/٢٩٠: (قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى يحب الرفق ويعين عليه، فإذا ركبتم الدواب العجاف فأنزلوها منازلها فإن كانت الأرض مجدبة فانجوا عليها، وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها).

وفي الفقيه ٢/٢٩١: (وقال رسول الله ﷺ: الإبل عز لأهلها. ونهى رسول الله ﷺ أن يُتخطى القطار قيل: يا رسول الله ولم؟ قال: لأنه ليس من قطار إلا وما بين البعير إلى البعير شيطان. وأبصر ناقة معقولة وعليها جهازها، فقال: أين صاحبها، مروه فليستعد غداً للخصومة).

وفي خبر آخر قال ﷺ: أخروا الأحمال فإن الديدن معلقة، والرجلين موثقة.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعقبون بعيراً بينهم، وهم منطلقون إلى بدر).

وفي من لا يحضره الفقيه: ٢٨٩/٢: (روي عن أبي ذر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الدابة تقول: اللهم ارزقني مليك صدق يشبعني ويسقيني ولا يحملني ما لا أطيق).

وروى أحمد (١٦٢/٥) والنسائي (٢٢٣/٦) والبيهقي (٣٣٠/٦): (أن أبا ذر كان في مراغة مصر يروّض فرسه، فسألوه عن حبه له فقال [سمعت رسول الله ﷺ يقول]: ليس من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه فيقول: رب إنك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده، اللهم فاجعلني أحب إليه من أهله وولده، فمنها المستجاب ومنها غير المستجاب. ولا أرى فرسي هذا إلا مستجاباً).

رسائل الشريف المرتضى (٣٧٣/٢): (فقتل البهائم التي لا أذية منها لا يجوز على وجه لأن السمع لم يبحه. وكذلك ما يؤذي أذى يسيراً متحماً كالنمل وما أشبهه، فإن المؤذيات من البهائم المضرات مباح قتلها، كالسباع والأفاعي).

حيوانات مدحها النبي ﷺ

في الفقيه (٢٨٣/٢): (قال رسول الله ﷺ: الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، والمنفق عليها في سبيل الله عز وجل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها. فإذا أعددت شيئاً فأعده أقرح، أرثم، محجل الثلاثة، طلق اليمين، كميئاً ثم أغر. تسلم وتغنم.

وسمعه يقول: من ربط فرساً عتيقاً محيت عنه عشر سيئات وكتبت له إحدى عشرة حسنة في كل يوم، ومن ارتبط هجيناً محيت عنه في كل يوم سيئتان وكتبت له تسع حسنات في كل يوم. ومن ارتبط برزواً يريد به جماً أو قضاء حاجة أو دفع عدو محيت عنه في كل يوم سيئة وكتبت له ست حسنات.

❖ أهدى أمير المؤمنين علي عليه السلام لرسول الله ﷺ أربعة أفراس من اليمن فأثاه فقال: يا رسول الله أهديت لك أربعة أفراس، قال: صفها. قال: هي ألوان مختلفة، قال: فيها وضح؟ قال: نعم، قال: فيها أشقر به وضح؟ قال: نعم، قال: فأمسكه لي، وقال: فيها كميئان أو وضحان، قال: أعطهما ابنيك، قال: والرابع أدهم بهيم قال: بعه واستخلف قيمته لعيالك، إنما يمن الخيل في ذوات الأوضحاح.

وبها مشه: الأقرح يكون في وسط جبهته قرحه وهي بياض يسير. الأرثم: الذي أنفه وشفته العليا أبيض. المحجل: الذي يجاوز البياض في قوائمه الأرساغ ولا يجاوز الركبتين لأنهما مواضع الأحجال وهي الخلاخيل والقيود. ولا يكون التحجيل باليدين ما لم يكن معها رجل أو رجلان. وطلق اليمين: إذا لم يكن بها تحجيل. والكميت: الأحمر الذي تحالط حمرة سواد. والشية بكسر الشين: كل لون في الحيوان يكون معظم لونه على خلافه. ومحجل الثلاثة: أي يده اليسرى ورجلاه فيها بياض. والأغر: في جبهته بياض.

❖ وفي الكافي (٢٣٦/١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين عليه السلام فقال للعباس: يا عم محمد تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عداته؟ فرد عليه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني شيخ كثير العيال قليل المال، من يطبقك وأنت تباري الريح، قال: فأطرق ﷺ هنيئة ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث محمد وتنجز عداته وتقضي دينه؟ فقال بأبي أنت وأمي شيخ كثير العيال قليل المال وأنت تباري الريح. قال: أما إني سأعطيها من يأخذها بحقها، ثم قال: يا علي يا أخا محمد أنتنجز عداة محمد وتقضي دينه وتقبض تراثه؟ فقال: نعم بأبي أنت وأمي ذاك علي ولي. قال العباس: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من أصبعه فقال: تختم بهذا في حياتي، قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في أصبعي فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم. ثم صاح: يا بلال علي بالمغفر، والدرع، والراية، والقميص، وذو الفقار، والسحاب، والبرد، والأبرقة، والقضيب. قال: فوالله ما رأيتها غير ساعتی تلك - يعني الأبرقة - فجئ بشقة كادت تخطف الأبصار، فإذا هي من أ برق الجنة فقال: يا علي إن جبرئيل أتاني بها، وقال: يا محمد إجعلها في حلقة الدرع واستدفر بها مكان المنطقة. ثم دعا بزوجي نعال عربيين جميعاً، أحدهما مخصوف والآخر غير مخصوف، والقميصين القميص الذي أسري به فيه، والقميص الذي خرج فيه يوم أحد، والقلائس الثلاث: قلنسوة السفر، وقلنسوة العيدين والجمع، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه.

ثم قال: يا بلال علي بالبغلتين: الشهباء والدلذل، والناقيتين: العضباء والقصوى، والفرسين: الجناح كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول الله ﷺ يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجة رسول الله ﷺ، وحيزوم، وهو الذي كان يقول أقدم حيزوم، والحمار عفير،

فقال: إقبضها في حياتي. فذكر أمير المؤمنين عليه السلام أن أول شيء من الدواب توفي عفير ساعة قبض رسول الله ﷺ قطع خطامه ثم مر يركض، حتى أتى بئر بني خطمة بقاء فرمى بنفسه فيها، فكانت قبره).



وفي الفقيه: ٢٩١/٢: (سئل النبي ﷺ أي المال خير؟ قال: زرع زرعه صاحبه وأصلحه، وأدى حقه يوم حصاده، قيل: يا رسول الله فأأي المال بعد الزرع خير؟ قال: رجل في غنمه قد تبع بها مواضع القطر يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة قيل: يا رسول الله فأأي المال بعد الغنم خير؟ قال: البقر تغدو بخير وتروح بخير. قيل: يا رسول الله فأأي المال بعد البقر خير؟ فقال: الراسيات في الوحل، المطعمات في المحل. نعم الشيء النخل من باعه فإنما ثمنه بمنزلة رماد على رأس شاهقة اشتدت به الريح في يوم عاصف إلا أن يخلف مكانها، قيل: يا رسول الله فأأي المال بعد النخل خير؟ فسكت فقال له رجل: فأين الإبل؟ قال: فيها الشقاء والجفاء والعناء وبعد الدار، تغدو مدبرة وتروح مدبرة لا يأتي خيرها إلا من جانبها الأشأم، أما إنها لا تعدم الأشقياء الفجرة.

قال مصنف هذا الكتاب: معنى قوله ﷺ: لا يأتي خيرها إلا من جانبها الأشأم: هو أنها لا تحلب ولا تتركب إلا من الجانب الأيسر.

وقال ﷺ في الغنم: إذا أقبلت أقبلت وإذا أدبرت أدبرت، والبقر إذا أقبلت أقبلت وإذا أدبرت أدبرت، والإبل إذا أقبلت أدبرت وإذا أدبرت أدبرت).

ما ورد عنه ﷺ في القطة

في الإستذكار لابن عبد البر (١٦٤/١): (عن النبي ﷺ أنه كانت تمر به الهرة فيصغي لها الإناء فتشرب منه، ثم يتوضأ بفضلها).

وفي الفايق للزمخشري (٣١٠/٢): (قال ﷺ: ليست الهرة بنجس إنما هي من الطوافين عليكم والطوافات وكان يصغي لها الإناء، جعلها بمنزلة المماليك).

ما ورد في النهي عن قتل الخطاف

وفي جواهر الكلام (٣١١/٣٦): (وفي خبر التميمي عن محمد بن جعفر عن أبيه عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: استوصوا بالصنينات خيراً يعني الخطاف، فإنهن أنس طير الناس بالناس، ثم قال: أتدرون ما تقول الصنينة إذا هي مرت وترنمت، تقول: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، حتى تقرأ أم الكتاب، فإذا كان في آخر ترنمها قالت: ولا الضالين).

وفي الخصال/٣٢٧: (عن داود بن كثير الرقي قال: بينما نحن قعود عند أبي عبد الله عليه السلام إذ مر بنا رجل بيده خطاف مذبوح، فوثب إليه أبو عبد الله عليه السلام حتى أخذه من يده، ثم دحى به الأرض، ثم قال: أعالكم أمركم بهذا أم فقيهكم لقد أخبرني أبي، عن جدي عليه السلام أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل ستة: النحلة، والنملة، والضفدع، والصرد، والهدهد، والخطاف. فأما النحلة فإنها تأكل طيباً وتضع طيباً وهي التي أوحى الله عز وجل إليها، ليست من الجن ولا من الانس، وأما النملة فإنهم قحطوا على عهد سليمان بن داود عليه السلام فخرجوا يستسقون فإذا هم بنملة قائمة على رجليها، مادة يدها إلى السماء وهي تقول: اللهم أنا خلق من خلقك، لا غنى بنا عن فضلك، فارزقنا من عندك، ولا تؤاخذنا بذنوب سفهاء ولد آدم، فقال لهم سليمان: ارجعوا إلى منازلكم فإن الله تبارك وتعالى قد سقاكم بدعاء غيركم، وأما الضفدع فإنه لما أضرم النار على إبراهيم شكت هوام الأرض إلى الله عز وجل واستأذنته أن تصب عليها الماء، فلم يأذن الله عز وجل لشيء منها إلا الضفدع فاحترق منه الثلثان وبقي منه الثلث، وأما الهدهد فإنه كان دليل سليمان عليه السلام إلى ملك بلقيس. وأما الصرد فإنه كان دليل آدم عليه السلام من بلاد سرانديب إلى بلاد جدة شهراً، وأما الخطاف، فإن دورانه في السماء أسفا لما فعل بأهل بيت محمد ﷺ تسبيحه قراءة الحمد لله رب العالمين، ألا ترونه وهو يقول: ولا الضالين).

وفي التهذيب (٨١/٩): (كان النبي ﷺ يوماً يمشى فإذا شقراق قد انقض فاستخرج من خفه حية، وعن الذي ينضب عنه الماء من سمك البحر قال: لا تأكله، وعن الخطاف قال: لا بأس به هو مما يحل أكله لكن كره لأنه استجار بك ووافى منزلك، وكل طير يستجير بك فأجره).

ما ورد في النهي عن قتل القنبرة

في مناقب ابن المغازلي/١٤٢، ونحوه مستدرک الوسائل (١٢٣/١٦): (باب كراهة قتل القنبرة، وأكلها، وسبها، وإعطائها الصبيان يلعبون بها: لا تأكلوا القنبرة، ولا تسبوها، ولا تعطوها الصبيان يلعبون بها، فإنها كثيرة التسبيح لله، وتسبيحها: لعن الله مبغضي آل محمد ﷺ).

ما ورد في جواز قتل الحيوانات والحشرات المؤذية

في من لا يحضره الفقيه (٣٥١/٣): (سأل الحلبي أبا عبد الله ﷺ عن قتل الحيات، فقال: أقتل كل شيء تجده في البرية إلا الجان، ونهى عن قتل عوامر البيوت، وقال: لا تدعوهم مخافة تبعاتهن فإن اليهود على عهد رسول الله ﷺ قالت: من قتل عامر بيت أصابه كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: من تركهن مخافة تبعاتهن فليس مني، وإنما تركها لأنها لا تريدك. وقال: ربما قتلتهم في بيوتهن).

وفي جواهر الكلام (١٦٩/٢٠): (في خبر محمد بن الفضيل سأل أبا الحسن ﷺ عن المحرم وما يقتل من الدواب فقال: يقتل الأسود والأفعى والفأرة والعقرب وكل حية، وإن أراذك السبع فاقتله، وإن لم يردك فلا تقتله، والكلب العقور إن أراذك فاقتله، ولا بأس للمحرم أن يرمي الحداة).

وفي خبر حنان بن سدير عن أبي جعفر ﷺ الذي رواه مع سابقه في الفقيه قال: «أمر رسول الله ﷺ بقتل الفأرة في الحرم والأفعى والعقرب، والغراب الأبقع ترميه، فإن أصبته فأبعده الله، وكان يسمى الفأرة الفويسقة، وقال: إنها توهي السقاء وتصرم البيت على أهله. وخبر أبي البختری المروي عن قرب الاسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي ﷺ يقتل المحرم ما عدا عليه من سبع وغيره، ويقتل الزنبور والعقرب والحية والنسر والذئب والأسد، وما خاف أن يعدو عليه من السباع والكلب العقور).

أقول: في الكافي (٣٦٣/٤) قاعدة عامة: (عن الصادق ﷺ قال: كل ما خاف المحرم على نفسه من السباع والحيات وغيرها فليقتله فإن لم يردك فلا ترده).

نهى النبي ﷺ عن أذى الحيوان والطير وذبحه لغير حاجة

في الخلاف للطوسي (٥١٩/٥): (وروي عن النبي ﷺ أنه: نهى عن ذبح الحيوان لغير مأكله، ونهى عن قتل الحيوان صبراً).

وفي تذكرة الفقهاء (٧٢/٩): (قال الصادق عليه السلام: في وصية النبي ﷺ: ولا تعقروا البهائم ما يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله).

في الوسائل (٣٣١/٨): (عن أبي حمزة قال: كان لابن ابنتي حمامات فذبحتهن غضباً، ثم خرجت إلى مكة، فدخلت على أبي جعفر عليه السلام فرأيت عنده حماماً كثيراً فأخبرته وحدثته أني ذبحتهن فقال: بئسما صنعت، أما علمت أنه إذا كان من أهل الأرض عبث بصبياننا يدفع عنهم الضرر بانتقاض الحمام، وإنهم يؤذن بالصلاة في آخر الليل فتصدق عن كل واحدة منهن ديناراً فإنك قتلتهم غضباً).

وفي الأسير في الإسلام للأحمدي ٣٨١: (نهى عن سلخ الذبيحة قبل أن تموت، ونهى أن يقطع رأسها قبل أن تموت. ونهى أن يعرقب الدابة إذا حرنست في أرض العدو. ونهى عن إخصاء الدواب والغنم إلا للإصلاح).

نهى رسول الله ﷺ أن يحرق شيء من الحيوان.

مر رسول الله ﷺ على قوم نصبوا دجاجة حية وهم يرمونها بالنبل فقال: من هؤلاء لعنهم الله. لعن الله من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً (هدف رماية).

لعن الله من مثل بالحيوان. روي أنه كان رجل من بني إسرائيل ناسك يعبد الله فيبنيها هو يصلي وهو في عبادته إذ بصر بغلامين صبيين قد أخذوا ديكاً وهما ينتفان ريشه، فأقبل على ما فيه من العبادة ولم ينههما عن ذلك، فأوحى الله إلى الأرض أن سيخي بعبدتي فساخت به الأرض!

وفي نهج البلاغة (٧٨/٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور).

كان النبي ﷺ يأكل اللحم

- (قال رسول الله ﷺ: اللحم سيد الطعام في الدنيا والآخرة) (الكافي ٣٠٨/٦).
- وفي الكافي (٣١٧/٦): (عن أبي عبد الله عليه السلام: قال النبي ﷺ: الثريد بركة. اللهم بارك لأمتي في الثرد والثريد. قال جعفر: الثرد ما صغر، والثريد ما كبر).
- وفي الكافي (٣٢٠/٦): (في حديث آخر: إن رسول الله ﷺ شكى إلى ربه عز وجل وجع الظهر فأمره بأكل الحب باللحم، يعني الهريسة).
- وفي الإستنصار ٩: (قال رسول الله ﷺ: إله اختار من كل شيء شيئاً اختار من الأرض مكة، واختار من الأنعام إنائها، واختار من الغنم الضأن).
- وفي مسند زيد بن علي عليه السلام ٢٥١: (لما قضى رسول الله ﷺ صلاة يوم النحر تلقاه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله أكرمني اليوم بنفسك، فقال وما ذاك؟ قال إني أمرت بنسكي قبل أن أخرج أن يذبح، فأحببت أن أبدأ بك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ فشأتك شاة لحم، قال يا رسول الله إن عندي عناقاً لي جذعة! قال: إذبحها ولا رخصة فيها لأحد بعدك). لأنها أنثى.
- وفي الكافي (٣١٢/٦): (قال ﷺ: من سره أن يقل غيظه فليأكل لحم الدراج).
- وفي الكافي (٣٠٩/٦): (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ لحماً يحب اللحم. وقال رسول الله ﷺ: إنا معاشر قريش قوم لحمون. وقال: من أتى عليه أربعون يوماً ولم يأكل اللحم، فليستقرض على الله عز وجل وليأكله).
- وفي الكافي (٣١٥/٦): (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم كان رسول الله ﷺ يحب الذراع أكثر من حبه لسائر أعضاء الشاة؟ فقال عليه السلام: لأن آدم عليه السلام قرب قرباناً عن الأنبياء من ذريته، فسمى لكل نبي من ذريته عضواً عضواً، وسمى لرسول الله ﷺ الذراع، فمن ثم كان ﷺ يحبها ويشتهيها ويفضلها. وسمت اليهودية النبي ﷺ في ذراع وكان النبي ﷺ يحب الذراع والكتف، ويكره الورك لقربها من المبال).

نهى النبي ﷺ عن أكل اللحم نيئاً

وفي الكافي (٣١٤/٦): عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أن رسول الله ﷺ نهى أن يؤكل اللحم غريضاً (نيئاً) وقال: إنما تأكله السباع. ولكن حتى تغيره الشمس (القديد) أو النار).

ما يؤكل من الطيور والسباع

في التهذيب (١٤/٩): (نهى رسول الله ﷺ عن إتيان الطير بالليل وقال: إن الليل أمان لها. قال: لا تأتوا الفراخ في أعشاشها ولا الطير في منامه حتى يصبح ولا تأتوا الفرخ في عشه حتى يريش، فإذا طار فأوتر له قوسك وانصب له فخك.

الحسن بن محبوب، عن سماعة قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن المأكول من الطير والوحش فقال: حرم رسول الله ﷺ كل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من الوحش، قلت: إن الناس يقولون من السبع، فقال لي: يا سماعة السبع كله حرام وإن كان سبع لا ناب له فإنما قال رسول الله ﷺ هذا تفصيلاً، وحرم الله عز وجل ورسوله المسوخ جميعاً فكل الآن من طير البر ما كان له حوصلة، ومن طير الماء ما كانت له قانصة كقانصة الحمام لا معدة كمعدة الإنسان.

وكل ما صف فهو ذو مخلب وهو حرام، والصفيف كما يطير البازي والحدأة والصقر وما أشبه ذلك، وكل ما دف فهو حلال والقانصة والحوصلة يمتحن بها من الطير ما لم يعرف طيرانه، وكل طير مجهول.

ما يؤكل من البيض والطيور

في من لا يحضره الفقيه (٣٦٦/٤) من وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي: كل من البيض ما اختلف طرفاه، ومن السمك ما كان له قشر، ومن الطير ما دف، واترك منه ما صف، وكل من طير الماء ما كانت له قانصة أو صيصية. يا علي: كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير، فحرام أكله، ولا تأكله).

وفي الوسائل (٨٠ و ٧٩ و ٢٥): عن علي عليه السلام قال [رسول الله ﷺ]: إن نبياً من الأنبياء شكى إلى الله قلة النسل في أمته فأمره أن يأمرهم بأكل البيض ففعلوا فكثر النسل فيهم.

وعن الصادق عليه السلام: أما إنه خفيف يذهب بقرم اللحم. وليست له غائلة اللحم. ومنخ البيض خفيف والبياض ثقيل).

ما يؤكل من السمك

في الكافي (٣٢٣/٦) عن الصادق عليه السلام قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أكل السمك قال: اللهم بارك لنا فيه وأبدلنا به خيراً منه).

وورد عن أهل البيت عليهم السلام وحديثهم حديث جدهم ﷺ (المحاسن (٤٧٦/٢) والفقهاء (٣٥١/٣) والكافي (٣٢٤/٦): اللحم ينبت اللحم، والسمك يذيب الجسد، لا تدمنوا أكل السمك فإنه يذيب الجسد. أكل الحيتان يورث السل. والسمك الطري يذيب شحم العين. وأكل الحيتان يورث السل. ومن بات وفي جوفه سمك لم يتبعه بتمر وعسل، لم يزل عرق الفالج يضرب عليه حتى يصبح. والدباء يزيد في الدماغ، وكثرة أكل البيض يزيد في الولد، وما استشفى مريض بمثل العسل، ومن أدخل جوفه لقمة شحم أخرجت مثلها من الداء).

أقول: يؤيد هذه الأحاديث الشريفة أن آكلي السمك من الصيادين والذين يغلب على طعامهم السمك في سواحل البحار، من النادر أن ترى فيهم سميناً!





الفصل السادس والستون

سياسة النبي ﷺ مع الأسرى

آيات قرآنية في الأسرى

من سورة محمد:

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَتًّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ.

من سورة الأنفال:

مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَشْرَىٰ حَتَّىٰ يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَغْلِبَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرٌ مِمَّا يُؤْتِكُمْ خَيْرٌ مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا. وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا.

أسر اليهود بعضهم لبعض!

قا الله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ. ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

في الخلاف (٣١٩/٥): (الأصل براءة الذمة، وشغلها يحتاج إلى دليل، وقوله تعالى: فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ. قد بينا أن الضمير في (كان) راجع إلى المؤمن الذي تقدم ذكره، فكأنه قال: وإن كان المؤمن من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله، بأن يكون نازلاً بينهم، أو أسلم عندهم ولم يخرج إلينا، أو كان أسيراً في أيديهم).

وفي الخلاف (٣٤١/٥): (وروي أن رجلاً أسيراً جرى به إلى علي عليه السلام يوم صفين، فقال: لا أقتلك صبراً، إني أخاف الله رب العالمين).

أكثر من أسرهم النبي ﷺ أسلموا أو تأثروا بأخلاقه ومعاملته

ثمامة سيد اليمامة هدية من الله إلى رسوله ﷺ

كتبنا في السيرة النبوية عند أهل البيت عليه السلام: كان ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة الذين يسيطرون على اليمامة، واليمامة هي سافلة نجد مما يلي البحرين، وتبلغ ثلث ما يعرف اليوم بنجد.

في اللباب لابن الأثير: ٣٩٦/١: «هذه النسبة إلى حنيفة وهم قبيلة كثيرة من ربيعة بن نزار نزلوا اليمامة، وهم حنيفة بن لجيم بن صعب... بن ربيعة بن نزار، ينسب إليه خلق كثير، منهم ثمامة بن أثال الحنفي له صحبة، وخولة أم محمد بن الحنفية، وهو ابن علي بن أبي طالب».

وكان النبي ﷺ يحب أن يحاصر قريشاً ويمنع عنها التموين من جهة نجد والعراق، كما منعه من جهة المدينة والشام، لعلها تفكر وتخضع لربها وتسمع لرسوله ﷺ، وقد يكون جبرئيل عليه السلام علمه أن يدعو الله تعالى أن يوقع ثمامة سيد اليمامة في قبضته ويهدي قلبه، فكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة.

ففي الكافي: ٢٩٩/٨، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن ثمامة بن أثال أسرته خيل النبي ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ قال: اللهم أمكني من ثمامة، فقال له رسول الله ﷺ: إني مخيرك واحدة من ثلاث: أقتلك، قال: إذا تقتل عظيمًا! أو أفاديك، قال: إذا تجدني غالياً! أو أمنُّ عليك، قال: إذا تجدني شاكرًا! قال: فإني قد مننت عليك. قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله، وقد والله علمت أنك رسول الله حيث رأيتك، وما كنت لأشهد بها وأنا في الوثاق!»

قال الطوسي في الخلاف (١٩٢/٤): (فأطلقوه فمر واغتسل وجاء وأسلم وكتب إلى قومه فجاءوا مسلمين. وهذا نص في جواز المن لأنه أطلقه من غير شيء).

وفي الإستيعاب (٢١٤/١): «فخرج حتى إذا قدم مكة، فلما سمع به المشركون جاؤوه فقالوا: يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك؟ قال: لا أدري ما تقولون إلا أنا أقسمت برب هذه البنية لا يصل إليكم من اليمامة شيء مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمداً عن آخركم! قال: وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة!

ثم خرج فحبس عنهم ما كان يأتيهم منها من ميرتهم ومنافعهم، فلما أضرَّ بهم كتبوا إلى رسول الله ﷺ إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحض عليها، وإن ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلي بيننا وبين ميرتنا فافعل! فكتب إليه رسول الله ﷺ أن خلَّ بين قومي وبين ميرتهم! وكان ثمامة حين أسلم قال: يا رسول الله، والله لقد قدمت عليك وما على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، ولا دين أبغض إلى من دينك، ولا بلد أبغض إلى من بلدك، وما أصبح على الأرض وجه أحب إلي من وجهك، ولا دين أحب إلى من دينك، ولا بلد أحب إلي من بلدك!

ذاقت قريش سنين القحط لكنها لم تتضرع لربها!

قال الواحدي في أسباب النزول ٢١١: «قال ابن عباس: لما أتى ثمامة بن أثال الحنفي إلى رسول الله «ص» فأسلم وهو أسير فخلى سبيله، فلحق باليمامة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من يمامة وأخذ الله تعالى قريشاً بسني الجذب حتى أكلوا العلهز (الوبر بالدم) فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: أنشدكم الله والرحم، إنك تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين، قال: بلى، فقال: قد قتلت الآباء

بالسيف والأبناء بالجوع، فأنزل الله تعالى هذه الآية: وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ .

وقبل إسلام ثمامة دعا النبي ﷺ على قريش بعد الأحزاب: «اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسني يوسف، فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين حتى أكلوا القد والعظام والعلهز» . «مختلف ابن قتيبة/ ٢٣٣» .

ثم جاءهم قرار ثمامة بمنع وصول أي مادة غذائية لهم فاشتد الأمر عليهم، لكنهم لم يخضعوا لربهم ولا دعوه، ولا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو لهم، بل كتبوا له إنك تأمر بصلة الرحم وإن ثمامة منع عنا الميرة فكتب الى ثمامة!

«الوافي: ١١/١٤» وأسباب النزول للواحد/ ٢١١، والحاكم: ٢/ ٣٩٤، وابن حبان: ٣/ ٢٤٧» .

لقد فاقوا اليهود في تكبرهم وعنادهم! حيث قرروا أن لا يؤمنوا بنبي من بني هاشم، مهما رأوا من آياته، ومهما أصابهم من عقوبات!

عزل أبوبكر ثمامة فاضطهده مسيلمة الكذاب!

قال محمد بن إسحاق كما في الإستيعاب (١/ ٢١٤): (ارتد أهل اليمامة عن الإسلام غير ثمامة بن أثال ومن اتبعه من قومه، فكان مقيماً باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه، ويقول إياكم وأمرًا مظلمًا لا نور فيه، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاءً على من لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة! فلما عصوه ورأى أنهم قد أصفقوا على اتباع مسيلمة عزم على مفارقتهم . ومرا العلاء بن الحضرمي ومن معه على جانب اليمامة «في البحرين» فلما بلغه ذلك قال لأصحابه من المسلمين: إني والله ما أرى أن أقيم مع هؤلاء مع ما قد أحدثوا، وإن الله تعالى لضاربهم ببليّة لا يقومون بها ولا يقعدون، وما نرى أنت تتخلف عن هؤلاء وهم مسلمون، وقد عرفنا الذي يريدون، وقد مروا قريباً ولا أرى إلا الخروج إليهم فمن أراد الخروج منكم فليخرج، فخرج ممدًا للعلاء بن الحضرمي ومعه أصحابه من المسلمين، فكان ذلك قد فتّ في أعضاد عدوهم حين بلغهم مدد بني حنيفة! وقال ثمامة في ذلك:

دعانا إلى ترك الديانة والهدى مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجّع

فيا عجباً من معشر قد تتابعوا له في سبيل الغي والغِيّ أشنع».

راجع في شمامة: تفسير الثعلبي: ١٢/٥، والرازي: ١١٣/٢٣، والإصابة: ٥٢٥/١، وابن هشام: ١٠٢٦/٤، و١٠٥٣، وتاريخ المدينة: ٤٣٥/٢. وتفصيله في كتابنا: قراءة جديدة في حروب الردة.

الرجل اليماني المجادل السخي

في الكافي: ٣٩/٤، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أتى رسول الله ﷺ وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً وأشدّهم استقصاء في محاجة النبي فغضب النبي ﷺ حتى التوى عرق الغضب بين عينيه، وتربد وجهه وأطرق إلى الأرض، فأناه جبرئيل فقال: ربك يقرؤك السلام ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام. فسكن عن النبي ﷺ الغضب ورفع رأسه، وقال له: لو لا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنك سخيّ تطعم الطعام، لشردت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك! فقال له الرجل: وإن ربك ليحب السخاء؟ فقال: نعم. فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، والذي بعثك بالحق لا رددت من مالي أحداً!»

رجع أسرى بدر كفاراً ما عدا ثلاثة

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

في الكافي (٢٠٢/٨): (نزلت في العباس وعقيل ونوفل. قال: إن رسول الله ﷺ نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم وأبو البختري (العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى) فأسروا فأرسل علياً عليه السلام فقال: أنظر من هاهنا من بني هاشم قال: فمر علي عليه السلام على عقيل بن أبي طالب فحاده فقال له عقيل: يا ابن أم علي، أما والله لقد رأيت مكاني قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال: هذا أبو الفضل في يد فلان وهذا عقيل في يد فلان وهذا نوفل بن الحارث في يد فلان، فقام رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى عقيل فقال له: يا أبا يزيد قتل أبو جهل قال: إذا لا تنازعون في تهامة فقال: إن كنتم أثخنتم القوم وإلا فاركبوا أكتافهم فقال: فجيئ بالعباس فقيل له: أفد نفسك وأفد ابن أخيك فقال: يا محمد تتركني أسأل قريشاً في كفي فقال: أعط مما

خلفت عند أم الفضل وقلت لها: إن أصابني في وجهي هذا شئ فأنتقيه على ولدك ونفسك، فقال له: يا ابن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال: أتاني به جبرئيل عليه السلام من عند الله عز وجل، فقال ومخوفه: ما علم بهذا أحد إلا أنا وهي أشهد أنك رسول الله، قال: فرجع الأسرى كلهم مشركين إلا العباس وعقيل ونوفل كرم الله وجوهرهم وفيهم نزلت هذه الآية..).

وفي الكواكب السيارة لابن الزيات/١٧٣: (قال يزيد ابن أبي حبيب: قلت لعبد الله بن الحارث في مجلس فيه بعض قبط مصر: إن هذا القبطي جاري فادع له بالاسلام رغبة فيه. فقال: إن سبقت له سابقة كما سبقت لي آمن، لقد كنت على شرك فقدمت على رسول الله ﷺ في فداء أسير من بني المصطلق وغيب في بعض الطريق جارية سوداء وبعض ما معي خوفاً أن يأخذه مني فجئت اليه وكلمته في فك الأسير، فقال رسول الله ﷺ: ما جئت به؟ فقلت ما جئت بشئ! فقال: أين الجارية السوداء، ثم جعل يحدثني ويقول خلفتها في موضع كذا وكذا! قال فقلت: أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. والله ما كان معي من أحد، ولا سبقني اليه أحد فقال القبطي من أخبره؟ قال: يزيد بن أبي حبيب: الله أخبره. فقال: صدقت وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله).

وفي الخلاف للطوسي (١٩٠/٤): وروي أن أبا عزة الجمحي وقع في الأسر يوم بدر فقال: يا محمد إني ذو عيلة فامنن علي. فمن عليه على أن لا يعود إلى القتال فمر إلى مكة فقال: إني سخرت بمحمد! وعاد إلى القتال يوم أحد، فدعا رسول الله أن لا يفلت فوقع في الأسر، فقال: إني ذو عيلة فامنن علي. فقال النبي ﷺ: أمنٌ عليك حتى ترجع إلى مكة فتقول في نادي قريش: إني سخرت بمحمد مرتين، لا يلسع المؤمن من جحر مرتين! فقتله ﷺ بيده، وهذا نص في جواز المن.

وأما الدليل على جواز المفاداة بالرجال ما رواه أبو قلابة عن أبي المهلب، عن عمران بن الحصين أن النبي ﷺ فادى رجلاً برجلين.

وأما الدليل على جواز المفاداة بالمال ما فعله النبي ﷺ يوم بدر، فإنه فادى جماعة من كفار قريش بمال! وروي أن أبا العاص زوج زينب بنت رسول الله ﷺ كان ممن وقع في الأسر وكانت هي بمكة، فأنفذت ما لا لتفكه من الأسر وكانت فيه قلادة كانت لخديجة أدخلت بها

زينب على أبي العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ عرفها، فرق لها رقعة شديدة، فقال: لو خليتكم أسيرها ورددت ما لها؟ قالوا: نعم. ففعلوا ذلك. وهذا نص لأنهم فادوه بالمال، ثم منوا عليه برد المال عليه).

وفي تفسير القمي (٢٦٩/١): (وكان القتل بيذر سبعين والأسرى سبعين قتل منهم أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرين ولم يأسر أحداً، فجمعوا الأسارى وقرنوههم في الحبال وساقوهم على أقدامهم وجمعوا الغنائم، وقتل من أصحاب رسول الله ﷺ تسعة رجال فمنهم سعد بن خثيمة وكان من النقباء فرحل رسول الله ﷺ ونزل الأثيل عند غروب الشمس وهو من بدر على ستة أميال فنظر إلى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث بن كلدة وهما في قران واحد، فقال النضر لعقبة يا عقبة أنا وأنت من المقتولين. فقال عقبة من بين قريش؟ قال: نعم، لأن محمداً قد نظر إلينا نظرة رأيت فيها القتل، فقال رسول الله ﷺ يا علي علي بالنضر وعقبة وكان النضر رجلاً جميلاً عليه شعر، فجاء علي فأخذ بشعره فجره إلى رسول الله ﷺ فقال النضر يا محمد أسألك بالرحم الذي بيني وبينك إلا أجريتني كرجل من قريش إن قتلتهم قتلتنني وإن فاديتهم فاديتني وإن أطلقتهم أطلقتني. فقال رسول الله ﷺ: لا رحم بيني وبينك قطع الله الرحم بالإسلام، قدمه يا علي فاضرب عنقه، فقال عقبة يا محمد ألم تقل لا تصبر قريش أي لا يقتلون صبراً! قال: أفأنت من قريش؟ إنما أنت علعج من أهل صفورية! أنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له لست منها. قدمه يا علي فاضرب عنقه قدمه وضرب عنقه).

وهؤلاء النوعية الذين قتلهم النبي ﷺ كانت لهم جرائم متبادية في عداوتهم له وللمسلمين، ولا يتصرف النبي ﷺ إلا بأمر ربه عز وجل.



خلاصة من كتاب الأسير في الإسلام

لمؤلفه الشيخ علي أحمد ميانجي، قال في (٤٠١/٤):

(نعم أصدرنا قوانين وشكلنا مؤتمرات وأعلننا المواثيق والمعاهدات في تحرير البشر وحفظ حقوقه. ألا ترى في سنة ١٦٢٥ م كتب «كروشييس» كتاب قانون الحرب والسلام وسنة ١٦٤٨ م جاءت معاهدة «دستغاليا» سنة ١٧٤٨ م كتب «مونتيكيما» كتاب روح القوانين

وكتب « روسو » يدافع عن الأسرى وكذا « دى فانيل » وفي منتصف القرن التاسع عشر اتسع نطاق القانون الدولي العام وتطورت قواعده وابتدأت الدول تعقد المعاهدات والتصريحات والاتفاقات لتنظيم مركز أسرى الحرب، وتقرير أنواع من الحماية القانونية لأشخاصهم وأموالهم بغية القضاء على القسوة وسوء المعاملة التي كان يلقاها الأسرى، كما في تصريح بروكسل عام ١٨٧٤م واتفاقية « لاهاي » عام ١٨٩٩م و ١٩٠٧م واتفاقية جنيف لأسرى الحرب عام ١٩٢٩م وأخيراً اجتمع مندوبو ٦٢ دولة في جنيف عام ١٩٤٩م ووقعوا في ١٢ آب اتفاقية جديدة لحماية ضحايا الحرب لا زالت سارية المفعول.

هذا ولكن كلها مقررات ومعاهدات بقيت على الأوراق يقرؤونها ويحذونها لفظاً وبين القول والعمل بون بعيد ولندكر هنا نماذج مما جرى على الأسرى في الحروب الواقعة بعد طلوع الإسلام. في الحرب العالمية الثانية من عام ١٩٣٩م حتى ١٩٤٥م تعرض الإنسان لأفظع ضروب القسوة والوحشية وداس الغزاة والفاطحون بأقدامهم اتفاقية جنيف لعام ١٩٢٩م. وعومل الأسرى أسوأ معاملة وقتل الألمان آلاف الأسرى وقضى الكثيرون نحبهم بسبب الجوع والمرض والأعمال الشاقة وجرت في معسكرات الإعتقال النازية أفظع الأعمال، وأشدّها وحشية الإنتقام من القوات الروسية، ففتكت بالأسرى في بولندة وألمانيا وغيرها كما احتفظت بالآلاف منهم في روسيا لفترة طويلة ليعمروا ما خربته الحرب!

كما تنكرت اليابان لاتفاقية أسرى الحرب فعاملتهم بقسوة واتبعت وسائل بربرية في استنطاقهم.

ولجأ الروس إلى القسوة والعنف أثناء تقدمهم في الأراضي الألمانية عقب تراجع الألمان. وحدثني شاهد عيان كان موجوداً في برلين عن أعمال النهب والسلب والحرق والإغتصاب التي قام بها الروس عند دخولهم المدينة وتفتيش البيوت ولجوئهم إلى قتل كل من يحاول أن يحمي عائلته أو يدافع عن ابنته وزوجته. لقد وصف المارشال كونييف أحد القادة الروس مسير معركة قال: لقد رفضت ألمانيا التسليم فحوصر حوالي مائة ألف ألماني ولم يستسلموا فبعثت الدبابات أسلحتهم ثم قضى عليهم الفرسان القوزاق نهائياً لقد تركنا للقوزاق حرية التصرف فقطعوا تلك الأيدي التي ارتفعت للتسليم.

ويقول ميلوفان دجلاس في كتابه محادثات مع ستالين خلال حديثي له عن أسلوب الحرب في يوغوسلافيا أشرت إلى أننا لم نأخذ أسرى الألمان لأنهم قتلوا جميع الأسرى اليوغوسلاف! قاطعني ستالين ضاحكاً وقال: كان أحد رجالنا يقود فريقاً من الأسرى الألمان وخلال الطريق قتل الجميع إلا واحداً. كما أقدم الجنود الروس أثناء عبورهم بروسيا الشرقية على قتل جميع الألمان من نساء وأطفال. فقد بلغ عدد الأسرى الألمان في ستالينغراد ٩١٠٠٠ عاد منهم ٥٠٠٠ اضطروا إلى السير لمسافات طويلة فوق الثلوج والجليد بالرغم من تعبهم وأصابتهم بجروح فتفشى فيهم مرض التيفوس!

ولقد بقي الأسرى الألمان في روسيا فترة طويلة إذ لم يعودوا إلا في عام ١٩٥٦ م. بعد زيارة أديناور لروسيا. أما عدد الأسرى في ألمانيا فقد تجاوز الخمسة ملايين فقد منهم مليونان.

الأسرى في حرب كوريا الشمالية مع أمريكا:

انتهت الحرب العالمية الثانية وانقسمت كوريا إلى منطقتي احتلال الروس في الشمال والأمريكيون في الجنوب. وفي ٢٥ حزيران عام ١٩٥٠ م زحفت قوات كوريا الشمالية براً وبحراً. وفي ٢٧ حزيران أصدر الرئيس الأمريكي أمره إلى القوات الجوية والبحرية الأمريكية بالإشتراك في العمليات الحربية ضد جيش كوريا الشمالية وفي ٢٨ حزيران احتل جيش كوريا الشمالية العاصمة وتدخل مجلس الأمن واعتبر كوريا الشمالية معتدية، وتراجعت قوات كوريا الجنوبية واستمر زحف كوريا الشمالية وقامت القوات الأمريكية بهجوم ضد الشيوعيين إلى ١٩٥١ وكان لدى الشيوعيين ٧١٩٠ أسيراً أمريكياً بينما بلغ عدد الأسرى الصينيين والكوريين الشماليين ١٢٠٠٠٠ ولقد تبادلت القوات المتقاتلة الاتهامات بخصوص إساءة معاملة الأسرى واضطهادهم والضغط عليهم لتقديم اعترافات غير صحيحة.

ويدعي الأمريكيون أن معاملة الشيوعيين للأسرى كانت على العموم قاسية وإن المئات قد ماتوا أثناء مسيرهم من الجبهة إلى معسكرات الإعتقال وأن استحقاقهم من الطعام ضئيل ويتألف بصورة رئيسية من الأرز.

الأسرى في حرب فيتنام:

وجرى نحوه في حرب فيتنام الجنوبية والشمالية وتدخل أمريكا فيها من عام ١٩٦٠ م

وبرزت مشكلة الأسرى وتبادل الجانبان الاتهامات بشأن إساءة معاملة الأسرى وتعذيبهم وعدم الالتزام بنصوص اتفاقية جنيف بشأن معاملة أسرى الحرب المؤرخة في ١٢ آب ١٩٤٩ م. ووضعت العراقيل والعقبات في سبيل الإتصال بالأسرى أو اتصال الأسرى بالخارج.

وعجزت منظمات الصليب الأحمر عن ممارسة نشاطها الإنساني بسبب إحجام أطراف النزاع عن تقديم أية معونة أو معلومات أو تسهيلات ووضع الأسرى في أقفاص وغرف ضيقة وضاعت الحقائق من جزاء تلك الدعايات والمبالغات وطال الحوار والنقاش بين أمريكا وفيتنام الشمالية في الأسرى. شوهد في كمين تانك سبع نفرات من النساء والأطفال يساقون إلى وسط البلدة وقد بقرت بطونهم وأكبادهم ليعتبر بهم غيرهم! وذبحت امرأة حبلى في وسط المجتمع واصعدوا عدة نساء إلى مكان مرتفع من قرية أخرى فبقروا بطونهم على أعين الناس، واخرجوا الجنين من الرحم وصار ٦٨٥٠٠٠ نفر من الناس ناقص العضو بالأسلحة أو بالتعذيب.

وكانوا يدخلون الأفاعي السمية في أرحام النساء ومن هذا الطريق يسوقونهن إلى الموت تحت التعذيب الشديد كما أنهم يدخلون القارورة في فروج النساء المحترمات ذات الشخصية الاجتماعية حتى يغمى عليهن أو يمتن! إلى غير ذلك مما ذكره في كتاب « جنج ويتنام » مما يشمئز من سماعه وقراءته الإنسان وتبرأ منه الإنسانية من أنواع التعذيب والسجون.

الأسرى في حرب إسرائيل:

أن دولة كهذه قامت على اغتصاب الأراضي وذبح السكان لن تلتزم بعرف أو قانون أو قرار لمنظمة عالمية لذلك كانت معاملتها للأسرى العرب في غاية الشدة والقسوة فهي لم تلتزم باتفاقية جنيف لحماية ضحايا الحرب الموقعة في ١٩٤٩ م فهجرت السكان ونفت بعضهم واعتدت على الأماكن المقدسة ونهبت الكنوز والآثار. وأما معاملتها للمعتقلين من السكان العرب أو أفراد المقاومة الفلسطينية فقاسية وفظيعة تمثل عهد البربرية الأولى فالإهانات من صفع وركل وإيذاء وشتم تبدأ بابتداء التحقيق، ثم تتطور وتشتد لتتخذ أشكال التعذيب الوحشي!

ونحوه ما جرى ويجري في معتقلات العراق بالنسبة إلى أفراد المقاومة العراقية وقد قرأت كتاب النافذة إلى الجحيم، وهو يحتوي أنواع التعذيب والاعتقال والسجون ومراحله ومراتبه.

ونحوه ما كان يجري على الثائرين المعتقلين في سجون الشاه وقد شاهدها الشباب والفتيات في المعتقلات كثيراً ولا نكرر ذكرها.

وأما أسرى الحرب في الحكومة البعثية العراقية عندما كانت الحرب بينها وبين إيران فهم في شرائط قاسية يعيشون في ضيق العيش وضنك الحياة على ما ينقله الذين أطلقوا من السجن ويعيشون معنا الآن ويكتب المسجونون إلى عائلتهم ونقرأ في الجرائد والمجلات.

والنتيجة: أنه لم تراع حقوق الأسير إلا في زمن النبي ﷺ.

وقال الأحمدي (٦٥/١): (وعن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه قال: أتى النبي ﷺ بفرات بن حبان يوم الخندق، وكان عيناً للمشركين، وأمر بقتله، فقال إني مسلم فقال ﷺ: إن منكم من أتألفه على الإسلام وأكبله إلى إيمانه منهم فرات بن حبان.

وروي أن رسول الله ﷺ بعث سرية، فأتي بناس من الأعراب فادعى الإسلام بعضهم، فقال: من يشهد لك؟ قال: عباد قد سمعته قال: يا عباد أسمعته؟ قال: نعم سمعته يشهد أن لا إله إلا الله، فأعتقهم رسول الله ﷺ.

نقل عن وحشي قاتل حمزة أنه قال:

لما افتتح رسول الله مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله يسلموا تعيت عليّ المذاهب فقلت: ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد، فوالله إني ذلك من همي إذ قال لي رجل: ويحك إنه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق، فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله المدينة فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق! فلما رأي قال لي: أو حشي أنت؟ قلت: نعم يا رسول الله قال: أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟ قال فحدثته، فلما فرغت من حديثي قال: ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك!

وقد فر سهيل بن عمرو من الإِسار في الطريق من بدر إلى المدينة بين السقيا والملل، فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون في طلبه وقال: من وجده فليقتله فوجده رسول الله ﷺ ولم يقتله، بل أمر به فربطت يده إلى عنقه إلى المدينة!

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: نهي رسول الله ﷺ أن يلقى السم في بلاد المشركين.

ثم قال الأحمدي (٩٤/١): «هذا مضافاً إلى عمل رسول الله ﷺ في حروبه، فإنه لم يقتل صبيّاً ولا امرأة، وإنما سباهم واسترقهم أو عفا عنهم.

قال العلامة ﷺ في التذكرة: لا يجوز قتل صبيان الكفار ونساؤهم إذا لم يقاتلوا لأن النبي ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان، والمجنون كالصبي).



معنى: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

اتفق المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسين ﷺ لما صاموا وآثروا بإفطارهم مسكيناً ويَتِيماً وأسيراً، وتفاوتت الرواية في كيفية ذلك.

فروى ابن المغازلي في مناقب علي/٢٢٢: (عن كَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ عَنْ طَاوُسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا.. نزلت في علي بن أبي طالب، وذلك أنهم صاموا وفاطمة وخادمتهم، فلما كان عند الإفطار، وكانت عندهم ثلاثة أزغفة قال: فجلسوا ليأكلوا فأتاهم سائل فقال: أطعموني فإني مسكين! فقام عليّ فأعطاه رغيفه، ثم جاء سائل فقال: أطعموا اليتيم! فأعطته فاطمة الرغيف، ثم جاء سائل فقال: أطعموا الأسير! فقامت الخادمة فأعطته الرغيف، وابتاتوا ليلتهم طاوين فشكر الله لهم فأنزل فيهم هذه الآيات).

وروى الصدوق في أماليه/٣٣٣: (قال شعيب في حديثه: وأقبل علي بالحسن والحسين نحو رسول الله ﷺ وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهما النبي قال: يا أبا الحسن، شد ما يسوءني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها، قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله ﷺ ضمها إليه وقال: واغوثاه بالله، أنتم منذ ثلاث فيما أرى! فهبط جبرئيل فقال: يا محمد، خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك. قال: وما آخذ يا جبرئيل؟ قال: هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً.. حتى بلغ: إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا). وفي تفسير الثعلبي عن ابن عباس (١٠١/١٠): (قال: فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح).

وشاهدنا أن الأسير لم يأت مستعظياً بل أتى مضيفه وطلب له، لأن النبي ﷺ كان

يوزع الأسرى على البيوت، وكان المضيف ينفق على أسيره أو أسرته، فإن لم يكن عنده يستعطي له.

رفع اليهود أسرى بني قريظة قميص عثمان!

حاول اليهود ومن تبعهم من الغربيين أن يجعلوا من بني قريظة ظلاماً لليهود، وتناسوا أنهم كانوا معاهدين للنبي ﷺ فنقضوا عهدهم ومزقوه، وانضموا إلى الأحزاب، بعد نشاطهم وتجوال حاخاماتهم على قبائل العرب يجمعونهم لقتال النبي ﷺ ويعطونهم المال، وكان أبرز الناشطين الحاخام حي بن أخطب. قال القمي «١٩١/٢» والواقدي «٥١٤/١»: ثم قدم حي بن أخطب فقال له رسول الله ﷺ: يا فاسق كيف رأيت صنع الله بك؟ فقال: والله يا محمد! ما أُلوم نفسي في عداوتك، ولقد قلقت كل مقلقل وجهدت كل الجهد، ولكن من يخذل الله يخذل! ثم قال حين قدم للقتل:

لعمرك ما لأم ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يُخذل

فقدم فضرب عنقه).

وبعد هزيمة الأحزاب أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يقاتل بني قريظة، فحاصروهم. قال ابن هشام «٧٢٠/٣»: «إن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصروا بني قريظة: يا كتيبة الإيمان! وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم. فقالوا: يا محمد ننزل على حكم سعد».

وقال الواقدي «٥٠١/٢»: «فقال كعب بن أسد: يا معشر بني قريظة: والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي الله، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب، حيث لم يكن نبياً من بني إسرائيل، فهو حيث جعله الله! ولقد كنت كارهاً لنقض العهد والعقد، ولكن البلاء وشؤم هذا الجالس يعني حي بن أخطب علينا وعلى قومه، وقومه كانوا أسوأ منا!

لا يستبقي محمد رجلاً واحداً إلا من تبعه، أتذكرون ما قال لكم ابن حواس حين قدم عليكم فقال: تركت الخمر والخمير والتأخير، وجئت إلى السقاء والتمر والشعير؟! قالوا: وما ذلك؟ قال: يخرج من هذه القرية نبي، فإن خرج وأنا حي اتبعته ونصرته، وإن خرج بعدي فأياكم أن تتحدعوا عنه فاتبعوه وكونوا أنصاره وأولياءه، وقد آمنتكم بالكتابين كليهما الأول والآخر. قال كعب: فتعالوا فلتتابعه ولنصدق به ولنؤمن به فنأمن على دمائنا ونسائنا وأموالنا، فنكون بمنزلة

من معه. قالوا: لا نكون تبعاً لغيرنا، نحن أهل الكتاب والنبوة، ونكون تبعاً لغيرنا».

وقد أسر النبي ﷺ منهم نحو سبع مئة، وقتل منهم من عمل في نقض العهد وساعد الأحزاب لما حاصر والمدينة. وباع الباقين، وأرسل ثلاث مئة امرأة وباعهن في نجد واشترى بثمانين خيلاً، فكان الله أراد أن تكون أمهات النجديين يهوديات ليتلي بهم الأمة!

روى ذلك ابن هشام (٧٢٥/٣) والبيهقي (١٣٩/٩).

وقال اليعقوبي: ٥٢/٢: «اصطفى منهم ست عشرة جارية فقسمها على فقراء بني هاشم، وأخذ لنفسه منهن واحدة يقال لها ريحانة. وقسمت أموال بني قريظة ونساؤهم، فكان الفارس يأخذ سهمين والراجل سهماً، وكان أول مغنم أعلم فيه سهم الفارس، وكانت الخيل ثمانية وثلاثين فرساً».





الفصل السابع والستون

من تأثير القرآن في عهد النبي ﷺ

بعض الآيات في فضل القرآن

من أوصاف القرآن

من سورة الحجر:

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ. إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.. وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ.

من سورة يوسف:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ.

من سورة النحل:

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

من سورة القصص:

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

من سورة المزمل:

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا. أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا.

من سورة يونس:

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ

من سورة الأنعام:

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ.

من سورة طه:

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى...

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَدَدْنِي عِلْمًا.

من سورة الأعراف:

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

من سورة النساء:

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.

من سورة محمد:

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ. أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا.

من سورة الكهف:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا.

من سورة الروم:

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ

من سورة الزمر :

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

من سورة البقرة:

شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ.

من سورة الإسراء:

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا..وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا.وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَذْبَارِهِمْ نُفُورًا. وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا.

وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا.

قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا.

من سورة التوبة:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

من سورة النمل:

طَسَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ. هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ.الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَةً لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ. وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ. إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. وَإِنَّهُ لَهْدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ

فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ.

من سورة فصلت:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ. فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.

من سورة الأحقاف:

وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.

من سورة القمر:

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ.

من سورة الرحمن:

الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ.

من سورة الحشر:

لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضِرُ بِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ.

من سورة الدخان:

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ. أَوَّلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ. فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ. كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ. لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ.
لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمْتَالُ أَنْصَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ.

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ
نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا.
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ.
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ
كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ.
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ.
وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ
تَنْزِيلًا. قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لَلْأَذْقَانِ سُجَّدًا. وَيَقُولُونَ
سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا.

سورة القدر:

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ

يتعجب النبي ﷺ كيف يقرأ القرآن ولا يشيب!

في الكافي (٦٣٢/٢): (عن ميمون القداح قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: إقرأ، قلت، من أي شيء
أقرأ؟ قال: من السورة التاسعة. قال: فجعلت التمسها فقال: إقرأ من سورة يونس قال: فقرأت:

لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ.

قال قال رسول الله ﷺ: إني لا أعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن!

فالقرآن كلام رباني عجيب، مهما قرئ فهو يبهر العقل والوجدان، حتى للرسول الذي نزل عليه وفهمه ﷺ، ففيه من البلاغة والتأثير والعجائب، ما يستحق أن يشيب قارؤه لإعجازه! لقد تعود العرب أن يسجدوا للكلام البليغ الذي يشبه المعجز، ونقل الرواة سجود جرير لمصرع بيت أنشده عدي بن الرقاع العاملي، فقد قال يصف غزالة: تزجي أغنَّ كأن إبرة رُوقه.. فقال جرير وقع العاملي فيماذا يشب إبرة قرن ابن الغزالة؟ فلما قال: قلم أصاب من الدواة مدادها. سجد جرير ومن معه لبلاغته!

وقد هز القرآن عقول العرب ووجدانهم، فكانوا يخضعون له ويتحIRON بماذا يصفونه! ومن الطبيعي أن فهم النبي ﷺ للقرآن أعلى من فهم الناس جميعاً، ولذلك كان بمجرد قراءته جديراً بأن يشيب من عظمة حقائقه!

شيبتي سورة هود: كلام كنائي بين النبي ﷺ وأبي بكر

روت عامة المصادر السنية وتسرب منها إلى بعض مصادرنا عن عكرمة عن ابن عباس أن أبا بكر قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، لقد أسرع اليك الشيب. فقال: شيبتي سورة هود، وفي رواية: أضاف مع هود أخواتها، والواقعة، والقيامة، والمرسلات، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت، والحاقة، وسأل سائل.. وفي رواية ابن سعد (٤٣٥/١)، والدر المنثور (٣٢٠/٣): (شيبتي هود وأخواتها، وما فعل بالأمم قبلي).

وفي رواية أبي سعيد (كشف الخفاء: ١٦/٢): (قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، لقد أسرع إليك الشيب)!

وروى ابن سعد: ٤٣٦/١، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ١٧٥/٤: (عن أنس قال: بينما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب جالسان في نحر المنبر إذ طلع عليها رسول الله ﷺ من بيوت نسائه يمسح لحيته ويرفعها فينظر إليها، قال أنس: وكانت لحيته أكثر شيباً من رأسه، فلما وقف عليها سلم قال أنس: وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً وكان عمر رجلاً غليظاً فقال أبو بكر،

بأبي وأمي لقد أسرع إليك الشيب يا رسول الله فرفع لحيته بيده فنظر إليها فاغرورت عينا أبي بكر ثم قال رسول الله ﷺ أجل شيبني سورة هود وأخواتها قال أبو بكر: بأبي وأمي وما أخواتها قال الواقعة، والقارعة، وسأل سائل بعداب واقع، وإذا الشمس كورت، والحاقة).

أقول: فالموضوع يتعلق بسؤال غير مباشر من أبي بكر وعمر للنبي ﷺ، وجوابه أنه شبيه ما جرى على الأمم قبله من انحرافها بعد رسلها، وهو ما سيجري على أمته! وهو جواب بليغ لمن يعملان لأخذ الخلافة بعده! فقد شبه النبي ﷺ نفسه برسول الله هود عليه السلام، وشبه أمته بقوم عاد! فيجب أن نبحث عما في سورة هود مما جرى على الأمم قبله، فهو جوابه ﷺ!

وسورة هود تضمنت ما جرى على قوم نوح من الهلاك لتكذيبهم نبيهم، ثم ما جرى على قوم هود، ثم ما جرى على قوم صالح، ثم ما جرى على قوم لوط، وشعيب، ثم قوم موسى عليه السلام.

ثم ختم السورة بالأمر بأخذ العبرة من هؤلاء الأقوام، وقال:

وَإِنْ كُلًّا لَيُوَفِّيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَجَعَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. وَلَا نُقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ. وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ. وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

فالموضوع إذن أن أبا بكر وعمر رأيا شيب النبي ﷺ فقالا له: لقد أسرع الشيب إليك وتقدم بك العمر! فقال لهما: شيبني ما جرى على الأمم قبلي، وسيجري على أمتي!

وقد أخبرهم ﷺ مرات بأنكم ستتبعون سنن من كان قبلكم خاصة اليهود!

والذين فسروا الحديث بغير ذلك مازالوا يطرحون الظنون ويركضون وراءها!

لو أظهر النبي ﷺ صوته بالقرآن لصعق الناس من حسنه

في الكافي (٦١٥/٢): (قال النوفلي: ذكرت الصوت عند الإمام الكاظم عليه السلام فقال: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ، فربما مر به المار فصعق من حسن صوته، وإن الامام لو أظهر من ذلك

شيئاً لما احتمله الناس من حسنه، قلت: ولم يكن رسول الله ﷺ يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إن رسول الله ﷺ كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون.
وقال ﷺ: لم تعط أمتي أقل من ثلاث: الجمال، والصوت الحسن، والحفظ.
وقال ﷺ: لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن).

كان أحياناً يقوم الليلة بآية من القرآن!

في دلائل النبوة لأبي نعيم (٦٠٩/١): (قال لعائشة: ائذني لي أتعبد في هذه الليلة، فقام إلى الصلاة إلى الصباح راکعاً وساجداً وأباكياً وربما خرج إلى البقيع فتعبد فيها وأبوزور أهلها أوروباً قام ليلة بآية إلى الصباح يرددها كالمناجي) وروي أنها آية: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.
وروي أنها آية: إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.



كيف هزّ القرآن وجدان العرب؟

كان القرآن معجزة النبي ﷺ الباهرة، فكان بإعجازه الأدبي والفكري يثير العقل ويهز الوجدان، فيصعقون به ويقولون هذا سحر ويهربون منه!
ثم يوصون بعضهم بعضاً أن لا تسمعوا اليه، وإن قرأه محمد أمامكم فشوشوا عليه بأصواتكم وصفيروا حتى تغلبوه! وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ.. وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا..

١. الوليد بن المغيرة رئيس بطن مخزوم

في إعلام الوري (١١٠/١) وتفسير القمي (٣٩٣ / ٢) والتسهيل (١٦١ / ٤): «كان رسول الله ﷺ لا يكف عن عيب آلهة المشركين ويقرأ عليهم القرآن فيقولون هذا شعر محمد! ويقول بعض: بل هو كهانة! ويقول بعضهم: بل هو خطب.

وكان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً وكان من حكام العرب، يتحاكمون إليه في الأمور

وينشدونه الأشعار، فما اختاره من الشعر كان مختاراً، وكان له بنون لا يرحون مكة، وكان له عبيد عشرة عند كل عبد ألف دينار يتجر بها، وملك القنطار في ذلك الزمان، والقنطار جلد ثور مملوء ذهباً، وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ، وكان عم أبي جهل بن هشام، فقالوا له: يا عبد شمس ما هذا الذي يقول محمد أسحر أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه! فدنا من رسول الله وهو جالس في الحجر فقال: يا محمد أنشدني من شعرك. فقال: ما هو شعر ولكنه كلام الله الذي بعث أنبياءه ورسله. فقال: أتُل عليّ منه، فقرأ عليه رسول الله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فلما سمع الرحمن استهزأ فقال: تدعو إلى رجل باليماة يسمى الرحمن؟ قال: لا ولكنني أدعو إلى الله وهو الرحمن الرحيم. ثم افتتح حم: تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ. قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تُكْفَرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

فلما بلغ إلى قوله: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ، وسمعه اقشعر جلده، وقامت كل شعرة في رأسه وحيته، ثم قام ومضى إلى بيته ولم يرجع إلى قريش! فقالت قريش: يا أبا الحكم، صبا أبو عبد شمس إلى دين محمد! أما تراه لم يرجع إلينا، وقد قبل قوله ومضى إلى منزله! فاغتمت قريش من ذلك غمّاً شديداً وغدا عليه أبو جهل فقال: يا عم نكست برؤوسنا وفضحتنا! قال: وما ذلك يا ابن أخي؟ قال: صبوت إلى دين محمد! قال: ما صبوت وإني على دين قومي وأبائي ولكنني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود. قال أبو جهل: أشعر هو؟ قال: ما هو بشعر. قال: فخطب هي؟ قال: لا إن الخطب كلام متصل وهذا كلام منثور، لا يشبه بعضه بعضاً، له طلاوة. قال: فكهانة هو فكأنه هي؟ قال: لا. قال: فما هو؟ قال: دعني أفكر فيه. فلما كان من الغد، قالوا: يا عبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا: هو سحر فإنه أخذ بقلوب الناس،

فأنزل الله تعالى فيه: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا. ثُمَّ يَظْمَعُ أَنْ أُزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأَرْهُقَهُ صَعُودًا. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ. إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأُصْلِيهِ سَقَرَ».

وفي سيرة ابن هشام (٢٤٢/١): (الوليد بن المغيرة، قال: أنزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها! ويترك أبو مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظماء القريتين! فأنزل الله تعالى فيه فيما بلغني: وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ. وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ. أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

وفي سيرة ابن هشام (٢٤٠/١): (قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله ﷺ يوماً فيما بلغني مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله حتى أفحمه، ثم تلى عليه وعليهم: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. لَوْ كَانَ هُوَ لِآلِهَةٍ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ. لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ).

وفي الإمتاع للمقرئ (٣٤٨/٤) وابن هشام (١٧٤/١): (جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ فقال له: إقرأ عليّ، فقرأ عليه: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، قال: أعد، فأعاد النبي ﷺ فقال الوليد: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر!

عن ابن عباس، أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضاً. فقالوا: أنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأياً نقوم به، فقال: بل أنتم فقولوا أسمع، فقالوا: نقول كاهن فقال ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزممة الكاهن وسحره، فقالوا: نقول مجنون، فقال: ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا مخالجه ولا وسوسته، قال: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو

بالشعر. قال: فنقول ساحر، فما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفته ولا عقده، قالوا: ما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، إن أصله لمغدق، وإن فرعه لجني، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر، فيقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وبين زوجته، وبين المرء وبين عشيرته، فيتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم من أمره فأنزل الله تعالى في الوليد ابن المغيرة من قوله: دَرَبِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأَرْهُقَهُ صَعُودًا. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ. وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى. إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأُضْلِيهِ سَقَرَ.

وأنزل الله في النفر الذين كانوا معه ويطيعون له القول في رسول الله فيما جاء به من هدى الله: كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ. الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ، أي أصنافاً. فَوَرَبَّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسول الله ﷺ لمن أتوا من الناس. قال: وصدرت العرب من ذلك الموسم وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها).

٢. عتبة بن ربيعة زعيم بني أمية وعبد شمس

روى ابن إسحاق في سيرته (١٨٧/٤ وابن هشام: ١٨٩/١): (أن عتبة ابن ربيعة كان سيداً حليماً، قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزدون ويكثر. فقالوا: بلى يا أبا الوليد فقم فكلّمه. فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم وعبت به آهتهم ودينهم، وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها. فقال رسول الله ﷺ قل يا أبا الوليد أسمع، فقال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد شرفاً شرفناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك

، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه ولا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، ولعل هذا الذي يأتي به شعر جاش به صدرك فإنكم لعمرى يا بني عبد المطلب تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد.

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال فاستمع مني، قال: أفعَل، فقال رسول الله ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا فُلُونَا فِي أَكِنِّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْنُ غَمْلُونَ. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ. فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت له وألقى بيده خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: يحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت لمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة! يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، كنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم).

٣. أسعد بن زرارة الخزرجي الأنصاري

قال الطبرسي في إعلام الوري (١٣٦/١): « قال علي بن إبراهيم: قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهاً طويلاً، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بعاث وكانت للأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب

يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة فنزل عليه فقال له : إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناك نطلب الحلف عليهم.

فقال له عتبة : بعدت دارنا من داركم ولنا شغل لا نتفرغ لشيء.

قال : وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟ قال له عتبة : خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله سَفَّهَ أحلامنا وسب آلهتنا وأفسد شباننا وفرق جماعتنا! فقال له أسعد : من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً! وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم النصير وقرينة وقينقاع أن هذا أو أن نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب. فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالس في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه فإنه ساحر يسحر بكلامه. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب. فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر، لا بد لي أن أطوف بالبيت! قال: ضع في أذنك القطن!

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن، فطاف بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه! فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أحدٌ أجهل مني! أكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟ ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله ﷺ: أنعم صباحاً، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه وقال: قد أبد لنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحية أهل الجنة السلام عليكم. فقال له أسعد: إن عهدك بهذا القريب، إلى مَ تدعو يا محمد؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأدعوكم إلى ألا تُشركوا به شيئاً وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت

وأمي أنا من أهل يشرب من الخزرج، وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعز منك، ومعني رجل من قومي فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، ويبشروننا بمخرجك ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك. والله ما جئنا إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما آتينا له.

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشرنا به وتخبرنا بصفته، فهلّم فأسلم فأسلم ذكوان، ثم قال: يا رسول الله إبعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك. فقال رسول الله ﷺ لمصعب بن عمير، وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضلانه على أولادهما، ولم يخرج من مكة، فلما أسلم جفاه أبواه، وكان مع رسول الله ﷺ في الشعب حتى تغير وأصابه الجهد فأمره رسول الله ﷺ بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلم من القرآن كثيراً، فخرجا إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير فقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله ﷺ وخبره، فأجاب من كل بطن الرجل والرجلان.. الخ).

٤. وفد من علماء النصارى جاؤوا مع جعفر

كان جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه يتصل بالطارقة ويدعوهم إلى الإسلام، وجاء منهم بوفود إلى مكة للقاء النبي ﷺ ومشاهدة معجزاته، ولم تجرأ قريش على التعرض له ولضيوفه! قال الطبري في تفسيره (٤/٧)، في قوله تعالى: لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَيْسِيّينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. قال: هم الوفد الذين جاؤوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة).

وقال القرطبي (٢٩٦/١٣): «وهم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة، وثمانية نفر أقبلوا من الشام وكانوا أئمة النصارى: منهم بحيراء الراهب، وأبرهة، والأشرف، وعامر، وأيمن وإدريس، ونافع. كذا سماهم الماوردي.»

وفي تفسير القمي (١٧٦/١): «وبعث (النجاشي) ثلاثين رجلاً من القسيسين فقال لهم: أنظروا إلى كلامه وإلى مقعده ومشربه ومصلاه، فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن.. فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ بكوا وآمنوا ورجعوا إلى النجاشي فأخبروه خبر رسول الله، وقرأوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النجاشي وبكى القسيسون».

وقال ابن إسحاق (١٩٩/٤ وابن هشام: ٢٦٣/١): «فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم إلى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقت دينكم وصدقتموه بما قال لكم! ما نعلم ركباً أحق منكم! فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألو أنفسنا خيراً!»!

وفي أسباب النزول للواحدي (١٣٦): (وقال آخرون: قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة هو وأصحابه ومعهم سبعون رجلاً بعثهم النجاشي وفداً إلى رسول الله ﷺ عليهم ثياب الصوف، اثنان وستون من الحبشة، وثمانية من أهل الشام، وهم بحير الراهب، وأبرهليه وإدريس وأشرف وتمام وقثم وذو وأيمن، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآيات).

٥. أربعة من كبار الأدباء الملحدين

في الإحتجاج (١٤٢/٢): عن هشام بن الحكم قال: اجتمع ابن أبي العوجاء، وأبو شاكر الديصاني الزنديق، وعبد الملك البصري، وابن المقفع، عند بيت الله الحرام، يستهزؤون بالحاج ويطعنون بالقرآن. فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا نقض كل واحد منا ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله، فإن في نقض القرآن إبطال نبوة محمد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام، وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا، فلما كان من

قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام، فقال ابن أبي العوجاء: أما أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية: فَلَمَّا اسْتَبَأْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا. فما أقدر أن أضمر إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتنني هذه الآية عن التفكير فيما سواها.

فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الظَّالِمُ وَالْمُظْلُومُ. ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال أبو شاكر: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا، لم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال ابن المقفع: يا قوم إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، لم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

قال هشام: فبينما هم في ذلك إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا. فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمد إلا إلى جعفر بن محمد، والله ما رأيناه قط إلا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرين بالعجز!

٦. الفيلسوف الكندي

روى في مناقب آل أبي طالب (٥٢٦/٢): (عن أبي القاسم الكوفي في كتاب التبديل: أن إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه، أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله، وإن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري فقال له أبو محمد عليه السلام: أما فيكم رجلٌ رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن! فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الإعتراض عليه في هذا أو في غيره. فقال له أبو محمد عليه السلام: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل قد حضرني مسأله أسألك عنها، فإنه

يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول لك: إنه من الجائز، لأنه رجل يفهم إذا سمع. فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فتكون واضعاً لغير معانيه!

فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة فقال له: أعد عليّ فأعاد عليه، فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر، فقال: أقسمت عليك إلا أخبرني من أين لك؟ فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال كلا، ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد عليه السلام. فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت! ثم إنه دعا بالنار، وأحرق جميع ما كان ألفه).

أقول: يظهر أن ذلك التلميذ رَبطَ أستاذه الكندي بإمامه العسكري عليه السلام، وأنه بدأ برسائله إلى الإمام عليه السلام، وقد روى منها في الكافي (٩٥/١): (عن محمد بن أبي عبد الله، عن علي بن أبي القاسم، عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه؟ فوقع عليه السلام: يا أبا يوسف جل سيدي ومولاي، والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يرى. قال: وسألته: هل رأى رسول الله ﷺ ربه؟ فوقع: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله ﷺ بقلبه من نور عظمتة ما أحب).

وأبويوسف لقب الكندي، والراوي عنه علي بن أبي القاسم هو عبد الله بن عمران البرقي، عالم شيعي معروف وهو كندي. (ثواب الأعمال/١١٤).

وقال في الوافي (١٧٧/١): إن صاحب الرسالة هو الكندي الفيلسوف. ومعناه أنه أحرق ما كتبه في تناقض القرآن، وأرسل أسئلته إلى الإمام عليه السلام، فأجابه. ثم إن الكندي سكن مدة في سامراء كما نصت عليه في الموسوعة الحرة.

قال القفطي في أخبار العلماء (٢٨٢/١): (قال أبو معشر: وكانت علي يعقوب بن إسحاق أنه كان في ركبته خام (قرحة)، وكان يشرب له الشراب العتيق فيصلح، فتاب من الشراب وشرب شراب العسل فلم تنفتح له أفواه العروق، ولم يصل إلى أعماق البدن وأسافله شيء من

حرارته، فقوي الخام فأوجع العصب وجعاً شديداً حتى تأتي ذلك الوجع إلى الرأس والدماغ، فمات الرجل، لأن الأعصاب أصلها من الدماغ).

أقول: أبو معشر الفلكي المعروف تلميذ الكندي، وشهادته له بالتوبة عن الخمر تؤيد اتصاله بالإمام العسكري عليه السلام، كما يدل تحمله للمرض وعدم رجوعه إلى شرب الخمر، على صدق تدينه وتوبته ﷺ. ولعل الله تعالى ختم للكندي بالإيمان، وربما ختم له بالشهادة لتشيعه!

وروي ابن هشام (٢٥٦/١) عن الطفيل بن عمرو والدوسي قصة مماثلة لأسعد بن زرارة. وأنا أشك فيها لأن دوساً مشهورين بالكذب ويكفيهم أبو هريرة، وقد رأيت شيخاً ذا حية طويلة في مكة يبيع العقيق فاشترت منه، وسألته: من أي قبيلة أنت؟ قال أنا من قبيلة لا تحبونها هي دوس قبيلة أبي هريرة، فقلت له مازحاً: هل أنت تكذب مثل عمك أبي هريرة؟ فضحك ضحكة عريضة وقال: نعم وكل الناس تكذب!

المكي والمدني من القرآن قماش واحد!

لا يقاس القرآن بكتب البشر، وهو المعجزة الخالدة التي ما زالت تتحدى أهل الأرض فيخضعون أمامها، أو يتولون معرضين!

وهو كتاب متوسط الحجم يقع في نحو أربع مئة صفحة، لأن مجموع كلماته نحو ٨٠ ألف كلمة، ومعدل السطر عشر كلمات، والصفحة عشرون سطراً.

وقد تنزل في مدة بعثة النبي ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة في مكة، نزل فيها بضع وثمانون سورة، في ٤٧٥ آية، أي ثلاثة أرباع القرآن، لأن مجموعه ٦٢٢٦ آية، ونزل بقيته نحو بضع وثلاثين سورة في المدينة في نحو ١٧١٦ آية. وقلنا (بنحو) لاختلاف الإجهاد في تعداد الآيات. راجع: تفسير التبيان للطوسي: ١٠ / ٤٣٨، وفهرست ابن النديم / ٢٨، وشواهد التنزيل: ٢ / ٤١٠، والبرهان للزركشي:

١٩٤ / ١

والصحيح أنه لا فرق في البلاغة والإعجاز والجوهر بين النص المكي والمدني وإن اختلف ظرفاهما، فالمنبع والصيغة ورؤية المؤلف عز وجل فيها واحدة، ولو نطق النص عن شخصية مؤلفه لقال إنه كلام العليم بالمطلق سبحانه.

وقد كتب بعضهم عن المكي والمدني في القرآن والفرق بينهما، في محاولة معادية تهدف إلى إثبات أن القرآن من تأليف النبي ﷺ! وأنه خضع للتطور البشري في التأليف، في فترة معادة قريش ومحاصرته له في مكة، ثم في فترة حروبه ﷺ وانتصاره، ثم مرحلة تكوينه الدولة الإسلامية والمجتمع.

وحاول بعض المسلمين، أن يجد فروقاً بين السور المكية والمدنية، ووقع في تعميمات لا تصح وظنون لا تغني عن الحق، وتأثر بعضهم بالمستشرقين!

إن نقطة الضعف الأساسية في بحث المكي والمدني في القرآن، أنه لا يمكن تقسيم القرآن بالكامل إلى مكي ومدني لا بحسب المكان والزمان لتناقض الروايات في كثير من الآيات بل في السور. كما لا يمكن تقسيم القرآن إلى مكي ومدني بحسب المضمون والأسلوب.

واعلم أن الذين طرحوا المكي والمدني هم الغربيون والقرشيون، أما الغربيون فأرادوا إثبات تطور الأسلوب والمضمون القرآني حسب حالة مؤلفه ويقصدون النبي ﷺ كما يتطور تدوين المؤلف لكتابه في ثلاث وعشرين سنة، وقد فشلوا في ذلك.

وأما القرشيون فأرادوا إبعاد المنافين عنهم وحصرهم بالأنصار بحجة أن القرآن المكي لم يذكر المنافقين أبداً، بل ذكرهم القرآن المدني فهم من الأنصار!

وقد فشلوا في ذلك لأن القرآن تحدث عن المنافقين الذين كانوا يحثون النبي ﷺ في مكة على قتال قريش، وسماهم مرضى القلوب وهم المنافقون السياسيون، وهم أخطر على الإسلام من المنافقين العاديين، لأنهم أصحاب طموح سياسي، ولذلك سماهم الله تعالى «مرضى القلوب» وذكرهم في أوائل سور القرآن فقال في المدثر: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً... وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا... ثم تحدث عنهم في اثني عشرة آية! ووصفهم بأنهم وقحون، يفرون في الحرب، ويحملون النبي ﷺ مسؤولية الهزيمة، لأنه لم يشركهم في القيادة! فقال عنهم في آيات أحد: وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا!

وكاد القرآن أن يسميهم لما وصفهم بأنهم كانوا في مكة مستعجلين ليقاتل النبي قريشاً ببني

هاشم الشجعان ليقطفوا هم الثمار، لكنهم لما كتب القتال في بدر نكصوا وخوفوا النبي ﷺ من قريش! فذكّرهم الله بنفاقهم في مكة وقال: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً.

في برهان الزركشي: ٤٢٢/١: «فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا! هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا، من القوم الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ».

وقال ابن حجر في أسباب النزول: ٩١٨/٢: «نزلت في عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وهما من بني زهرة، وقدامة بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وذلك أنهم استأذنوا في قتال كفار مكة لما يلقون منهم من الأذى فقال: لم أؤمر بالقتال، فلما هاجر إلى المدينة وأذن بالقتال، كره بعضهم ذلك!». والحاكم: ٦٦/٢، وصححه بشرط بخاري، وفسرها النسائي: ٣/٦، والبيهقي: ١١/٩، بابن عوف وأصحابه.

وكذبوا على المقداد ﷺ فجعلوه من هؤلاء المنافقين، مع أن البخاري روى قوله للنبي ﷺ (١٨٧/٥): «يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، ولكن إمض ونحن معك! فكانه سرّي عن رسول الله». ومعناه أن النبي ﷺ كان غاضباً من أهل آية: كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ، وليس من المقداد ﷺ!

وفي تفسير الرازي (١٨٤/١٠): «والأولى حمل الآية على المنافقين، لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ، ولا شك أن من هذا كلام المنافقين».



كثرة الكذب والتناقض في رواياتهم لأسباب النزول

فلا يمكن الثقة بروايتهم عن أسباب نزول الآيات وأمكنتها وأوقاتها، إلا ما ندر، لكثرة مكذوبات السلطة فيها.

مثلاً في سبب نزول قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، روى الواحدى/١٣٥، روايات متناقضة:

فروى عن الحسن البصري أنها في أول الرسالة والمعنى يعصمك من قريش واليهود أن يقتلوك! وروى عن عائشة أن النبي ﷺ قال ذات ليلة: من يحرسنا الليلة، فجاء سعد وحذيفة وقالوا: جئنا نحرسك فنام رسول الله حتى سمعت غطيته، ونزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله من قبة آدم وقال: انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله. ومعناه أنه كان في المدينة!

وروى عن عكرمة قال: كان يرسل معه أبو طالب رجلاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية.. قال: فأراد أن يرسل معه من يحرسه، فقال: يا عم إن الله قد عصمني من الجن والإنس. ومعناه أنه كان في مكة!

وروى عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ يَوْمَ غدير خم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أي في رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع، في الثامن عشر من ذي الحجة.

لاحظ أن رواياتهم غطت كل بعثة النبي ﷺ من أولها إلى حجة الوداع، وبما أن الآية في سورة المائدة آخر ما نزل من القرآن، فرواية أبي سعيد الخدري هي الصحيحة، والعصمة في الآية ليست من القتل لأن حراسته استمرت إلى آخر حياته ﷺ، بل من ردة قومه خاصة قريش وعدم قبولهم لما يبلغه من ولاية عترته عليهم من بعده! وباقي الروايات وضعوها للتغطية على الحقيقة!





الفصل الثامن والستون

من أقوال علماء الغرب في النبي ﷺ والقرآن

من أقوالهم في النبي ﷺ

نقتطف هذا الفصل من كتاب: قالوا في الإسلام، للدكتور عماد الدين خليل وما جمعه الشيخ محسن آل عصفور من أقوال غربيين في شخصية النبي ﷺ :

<https://ebadalrahman.ahlamontada.com/t51-topic>

المؤرخ آدم متز:

أشاد بتسامح الرسول الكريم مع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ولم يكن معروفاً في أوروبا، وقال: كان وجود النصارى بين المسلمين سبباً لظهور مبادئ التسامح التي ينادي بها المصلحون المحدثون، وكانت هناك الحاجة إلى المعيشة المشتركة وما ينبغي أن يكون فيها من وفاق مما أوجد من أول الأمر نوعاً من التسامح الذي لم يكن معروفاً في أوروبا في العصور الوسطى، ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان.

الفيلسوف إدوار مونتة الفرنسي:

عرّف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقيق، وبالجملة كان محمد أذكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدّهم حفاظاً إلى حياة لم يلموا بها من قبل، فقد وجههم وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم..

المستشرق الفرنسي أميل ردمنغم:

كان محمد أنموذجاً للحياة الإنسانية بسيرته وصدق إيمانه ورسوخ عقيدته القويمة، بل مثلاً

كاملاً للأمانة والإستقامة، وإن تضحياته في سبيل بث رسالته الإلهية خير دليل على سمو ذاته ونبل مقصده وعظمة شخصيته و قدسية نبوته.

المؤرخ البريطاني الكبير آرنولد توينبي:

قال: الذين يريدون أن يدرسوا السيرة النبوية سيجدون أمامهم من الأسفار ما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله الكرام. إنني أدعو العالم إلي الأخذ بمبدأ الاخاء والمساواة الإسلامي، فعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام هي أروع الأمثلة على فكرة توحيد العالم.

بوزورث سمث:

قال: لقد كان محمد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها. وقال: إن محمداً بلا منازع أعظم المصلحين على الإطلاق.

برتراند راسل:

أحد فلاسفة بريطانيا والحاصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٠م، قال: لقد قرأت عن الإسلام ونبي الإسلام فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التي جاء بها محمد والتي حفل بها كتابه مازلنا نبحت ونتعلق بذرات منها، وننال أعلى الجوائز من أجلها. وقال أيضاً: أخلاق محمد تمنح معنى للوجود.

الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل:

أفرد في كتابه الأبطال وعبادة البطل الحديث عن الرسول الكريم ﷺ واستعرض فيه نواحي العظمة في حياته ورد على افتراءات الكارهين له ولرسالته العظيمة حتى أنه اتهم بالتحيز للإسلام ومما قاله:

قوم يضربون في الصحراء عدة قرون لايؤبه بهم ولهم، فلما جاءهم النبي العربي أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والمعرفات، وكثروا بعد قلة، وعزوا بعد ذلة، ولم يمض قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم.

وقال: إنما محمد شهاب أضاء العالم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومما قال: إن العار أن يصغي الإنسان المتمدن من أبناء هذا الجيل إلى القول إنه لم يكن على حق، لقد أخطأ القائلون إن دين الإسلام دين كذب وإن محمداً كذاب، علينا أن نحارب هذه الإدعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا أربعة عشر قرناً من الزمن للملايين ظلت سراجاً منيراً للناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذب أو خديعة مخادع؟!

ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً، وكان من الأجدر بها أن لاتوجد... إن الرجل الكاذب يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبينه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه مئات الملايين من الناس.

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً كاذباً بالحيل والوسائل متصنعاً لغاية أو مطمع، فما الرسالة التي أداها إلا متذرعاً بالصدق والحق وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع... وإن طبيعة محمد الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه المقصد بما يتجلي فيها من شدة إخلاص، فقد كان محمد مصلحاً يداً عقيدة راسخة.

وقال: وقد رأينا طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم بعيداً، كريماً، رؤوفاً، تقياً، فاضلاً، حراً، رجلاً، شديد الجد، مخلصاً، وهو مع ذلك لين العريكة، جم البشر والطارقة، حميد العشرة، حلوسهل الجانب، لين الإيناس، بل ربما مازح وداعب.

كان عادلاً، صادق النية، ذكي اللب، شهم الفؤاد، لو ذعياً، كان نبياً بفطرته، رجلاً عظيماً، مصباح كل ليل بهيم. هكذا تكون العظمة، هكذا تكون البطولة، هكذا تكون العبقريّة.

جورج برنارد شو الكاتب البريطاني:

رفض أن يكون أداة لتشويه صورة الرسول ﷺ عندما طلب منه البعض أن يمسح حياة النبي حيث جاء رفضه قطعاً وله مؤلف أسماه محمد، وقد أحرقت السلطة البريطانية بعد صدوره، ومما قاله فيه عن الإسلام ورسوله: قرأت حياة رسول الإسلام جيداً، مرات ومرات لم أجد فيها إلا الخلق كما يجب أن يكون، وأصبحت أضع محمداً في مصاف بل على قمم المصاف

من الرجال الذين يجب أن يتبعوا.

وقال: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، وإن رجال الدين للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمد في القرون الوسطى صورةً قاتمةً بل يجب أن يسمى منقذ البشرية.

وقال: لقد اطلعت على تاريخ هذا الرجل العظيم محمد، فوجدته أعجوبة خارقة، لا بل منقذاً للبشرية، وفي رأيي لو تولى العالم الأوروبي رجل مثل محمد ﷺ لشفاه من علله كافة.. لقد نظرت دائماً إلى ديانة محمد بأعلى درجات السمو بسبب حيويتها الجميلة، إنها الديانة الوحيدة في نظري التي تملك قدرة الاندماج بما يجعلها جاذبة لكل عصر، وإذا كانت لديانة معينة أن تنتشر في إنجلترا بل في أوروبا في خلال مئات السنوات المقبلة، فهي الإسلام. إنني أعتقد أن الديانة المحمدية هي الديانة الوحيدة التي تجمع كل الشروط اللازمة الموافقة لكل مرافق الحياة، ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد ليحل مشاكل العالم.

شاعر ألمانيا الشهير جوته:

قال: إننا أهل أوربة بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي محمد.. وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد.

وقال: كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي، فهو كتاب الكتب وإنني أعتقد هذا كما يعتقد كل مسلم فلم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي وتقدسسه، وظني أن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية، وإننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، وقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان فوجدته في النبي العربي محمد.

ولما بلغ جوته السبعين من عمره، أعلن على الملأ أنه يعترم أن يحتفل في خشوع بليلة القدر تلك الليلة المقدسة التي أنزل فيها القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ!

جوستاف لوبون:

قال في كتابه حضارة العرب/١١٥: إذا ما قيسست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من

أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب محمداً مع أن التعصب أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الإعراف بفضلِهِ.

جيبون أوكلي:

قال: ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الإنبهار وإنما استمراريتها فما زال الإنطباع الرائع الذي حفزه محمد في وثباتها على مر العصور له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والترك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرناً من الزمان. لقد استطاع المسلمون الصمود يداً واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله، رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية.

الفيلسوف الهندوكي راما كرشنا:

قال في كتابه محمد النبي: لم تكن الجزيرة العربية شيئاً مذكوراً أفاستطاع محمد بروحه العظيمة أن ينشئ منها عالماً جديداً ومملكة جديدة امتدت من مراکش الى شبه القارة الهندية، واستطاع أن يؤثر في فكر وحياة ثلاث قارات هي: آسيا، وأفريقية، وأوروبا.

وقال: لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة، فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً.

الدكتورة زيجرد هونكة الألمانية:

قالت: إن محمداً والإسلام شمس الله التي أشرقت على الغرب.

المستر سنكس:

قال: ظهر محمد بعد المسيح بخمس مائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبارجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة.

إن الفكرة الدينية الإسلامية، أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم، خلصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره.

ولقد توصل محمد - بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة.

شريك النمساوي :

قال: إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنه قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته.

وليم المؤرخ الإنجليزي:

قال في كتابه حياة محمد: لقد امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتم في الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير، كما فعل نبي الإسلام محمد.

الأديب الروسي ليو تولستوي:

قال: هو مؤسس ورسول. كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة. ويكفيه فخراً أنه أخرج أمة برمتها إلى نور الحق وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة. لا يوجد نبي حظي باحترام أعدائه سوى النبي محمد مما جعل الكثرة من الأعداء يدخلون الإسلام.

شاعر فرنسا الشهير المارتين:

قال: من ذا الذي يجرو من الناحية البشرية على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد؟ ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه عند النظر إلى جميع المقاييس التي تقاس بها عظمة الإنسان! فأعظم حب في حياتي هو أنني درست حياة محمد دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود. لقد هدم المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق وإذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة فمن ذا الذي يجرو أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بمحمد في عبقريته؟

هؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الأمبراطوريات فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم.. لكن هذا الرجل محمداً لم يقدم الجيوش ويسن التشريعات ويقم الأمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الأُميين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينذاك، ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأفكار والمعتقدات الباطلة.

مايكل هارت:

قال في كتابه الخالدون المائة/١٣: لقد اخترت محمداً في أول هذه القائمة، لأن محمداً هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدينيوي، دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً، وبعد ١٣ قرناً من وفاته، فإن أثر محمد ما يزال قوياً متجدداً.

فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدؤوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحدد أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته.

ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، وحد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الإنطلاق إلى العالم. فيمكن أن يقال إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ.

البروفيسور يوشودي كوزان مدير مرصد طوكيو:

قال: أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود.

القس إبراهيم خليل أحمد:

رجل دين ومبشر نصراني من مواليد الإسكندرية وجهته الكنيسة إلى دراسة القرآن الكريم من أجل الطعن فيه، وتشكيك المسلمين فيه فلم يستطع أن يخالف ضميره اليقظ، ويقول في القرآن مقالة سوء، بل نراه في حياد تام يصف القرآن بقوله: يرتبط هذا النبي بعجاز أبد الدهر بما يخبرنا المسيح في قوله: ونخبركم بأمر آتية، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية

ما بقي الزمان. فالقرآن يسبق العلم الحديث في كل ناحية من طب، وفلك، وجغرافيا، وجيولوجية، وقانون، واجتماع، وتاريخ..
ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف».

من أقوال الغربيين في القرآن

قوث أديب ألماني:

يجذب المرء في وقت قصير يجعله ينبهر به في كل مرة يمسك به.
يتسم أسلوب القرآن ومحتوياته بالكمال والقوة والعظمة. وسيبقى كذلك على مدى الدهر.

م/ جون داوون بورت:

قال: من أخص ما ذكر في القرآن قدرته سبحانه وعظمته.. إنه بعيد عن الأحاسيس البشرية..
بليغ ولا تجد فيه الصفات القبيحة والعادات والأخلاق السيئة منزّه عن النقائص. مع العلم أن جميع النقائص والتحريف موجودة في كتبهم.

إدوارد جبون مؤرخ إنجليزي:

قال: الذين ما بين نهر الجانج والمحيط الأطلسي علموا أن القرآن نهج حياة وروحه التي لا تستقيم إلا به. بنظر القرآن لا فرق بين الحاكم الظالم والفقير المعدم. إنه أتى بأحكام وقوانين لا نظير لها. إنه أكبر دليل لوحداية الله عز وجل. فصاحب العقل والمنطق السليم يقر بأنه الحق ولا يتردد في ذلك، فالإسلام أعلى مما نفكر به اليوم.

توماس كارليل مفكر إنجليزي:

قال: حين تقرأ القرآن لمرة واحدة بعناية ودقة تجدون وتظهر لكم المميزات الخاصة به.
جمال القرآن يختلف عن سائر الأعمال الأدبية الأخرى.
ومن أهم خصوصيات القرآن أنه لم يحرف. فمن رأي أن القرآن من أوله إلى آخره ملئ بالصدق والإنصاف.. فما بعث به النبي وبلغه حق وحقيقة.

البرفسور/ جرال دج جورنجر:

أستاذ مشارك في علم الأجنة - جامعه جورج تاون:

قال: هناك بعض الآيات القرآنية تُعرّف وتبين خلقه الإنسان من بدايته من مراحل تكوين الخلية إلى خلقه وتكوينه كاملاً، فهذه المصطلحات لا نظير لها. معظم الحالات التي يتم تسجيلها في الكتابات العلمية التقليدية، وتطوير الأجنة البشرية قد سبق تعريفها منذ مئات السنين!

جوكوهام دورلوف:

قال: لنعترف أولاً بأن القرآن الكريم أعلى شرفاً من الكتب السماوية الأخرى، فلو أخذنا بعين الاعتبار القواعد القرآنية البسيطة الكاملة لوجدنا بأن هذا الكتاب المقدس أنقذ العالم، أنقذه وأنقذ آسيا من أن تمثل خطراً عظيماً عليها. الإسلام أوجب النظافة والنزاهة لجميع المسلمين، ومحى الجرائم وأزال الأخطار.

الأمير بسارك:

قال: لأدير شؤون البلاد قرأت وتمنعت في جميع الكتب السماوية المنزلة من عند الله في جميع العصور، ولم أجد في أي واحد منها الحكمة والإصابة. لكنني دقت القرآن من جميع الجهات ففي كل كلمة فيه حكم عظيمه، فأعداء الإسلام إن ادعوا بأن هذا الكتاب قول محمد، إن ادعوا أن هذا التكامل وهذه الروعة صادرة من دماغ بشر فهذا ليس إلا إعماء البصيرة عن الحقائق، ودس الحقد والضغينة، وهذا يناقض العلم والحكمة.

فأنا أدعي بأن محمد قوه رائعه متميزة لا يأتي له مثل ولا يحتمل ذلك. ماتعلمه وتبلغه ليس لك هو إلهي فإنكار ذلك كإنكار كتب العلم. لهذا، قد شهدت البشرية المتميزة، مثلك مرة واحدة ولن تشهد مرة أخرى. إنني أنحني لدى حضرته بالمحبة والإحترام.

دكتور موريس بوكيل:

رئيس قسم الجراحة الإكلينيكية - جامعة باريس:

قال: مع تحليل القرآن اليوم في ضوء العلم الحديث نجد القرب والتوافق بينهما. فلا نستطيع أن ونقول بأن شخصاً من زمن محمد بالعلم البسيط الذي يملكه كتب القرآن، إن تلك الأفكار تكشف عن أن القرآن لا مثيل له، وتجبر صاحب التفكير المادي على قبول تقصيره في إيجاد أدلته وتفسيرها.. وقال في كتابه حول القرآن والكتب السماوية الأخرى والعلم: لقد قمت بدراسة القرآن الكريم

وذلك دون فكر مسبق وبموضوعية تامة، باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث.. فأدركت أنه لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث. وقال: لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تماماً للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً. في البداية لم يكن لي إيمان بالإسلام، وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة.

المستشرق الأمريكي واشنجتون إيرفنج:

قال: كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه. حتى إذا ظهر المسيح ﷺ اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حلَّ القرآن مكانها، فقد كان القرآن أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل. حوى القرآن كل شيء وحوى جميع القوانين إذ أنه خاتم الكتب السماوية.. ويدعو القرآن إلى الرحمة والصفاء، وإلى مذاهب أخلاقية سامية.

القانوني الفرنسي مارسيل بوازار:

قال في كتابه: إنسانية الإسلام، عن القرآن: لا بد عند تعريف النص المقدس في الإسلام من ذكر عنصرين، الأول أنه كتاب منزل أزلي غير مخلوق، والثاني أنه قرآن أي كلام حي في قلب الجماعة. وهو بين الله والإنسانية الوسيط الذي يجعل أي تنظيم كهنوتي غير ذي جدوى، لأنه مرضي به مرجعاً أصلياً، وينبوع إلهام أساسي. وما زال حتى أيامنا هذه نموذجاً رفيعاً للأدب العربي تستحيل محاكاته، إنه لا يمثل النموذج المحتذى للعمل الأدبي الأمثل وحسب بل يمثل كذلك مصدر الأدب العربي والإسلامي الذي أبدعه لأن الدين الذي أوحى به هو في أساس عدد كبير من المناهج الفكرية التي سوف يشتهر بها الكتاب. إن القرآن كتاب تربية وتثقيف، وليس كل ما فيه كلاماً عن الفرائض والشعائر، وإن الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق، وتتجلى هداية الكتاب في نواحيه كما تتجلى في أوامره.



الفصل التاسع والستون

الشدائد التي مربها النبي ﷺ

فهرس الشدائد التي مربها النبي ﷺ

١. كان صغيراً لما توفي أبوه، لكنه سمع عنه من أمه وجدده عبدالمطلب ﷺ وأحسن باليتيم وفقدان الأب، ولا بد أنه حفظ شعر أمه آمنة وعمه أبي طالب في رثاء أبيه ﷺ.
- ثم زار قبره في المدينة مع أمه في السنة السادسة من عمره وكان يتحدث عن ذلك، ويقول إن قبره كان في غرفة.
٢. موت أمه آمنة في رجوعهم من المدينة في منطقة الأبواء.
٣. موت جدده عبدالمطلب رضي الله عنه وكان يومها في الثامنة من عمره.
٤. فوران قريش وحملتها الضارية عليه وعلى بني هاشم، لما سمعوا أنه قال إن الله تعالى أرسله نبياً، فطالبوا بني هاشم بتسليمه لهم ليقتلوه!
٥. اجتمعت بطون قريش ومعهم قبيلة كنانة، ووقعوا صحيفة مقاطعة بني هاشم مقاطعة كاملة حتى يسلموهم محمداً، وحصر وهم في شعب أبي طالب ثلاث سنوات ونصفاً. فرأى النبي ﷺ وعشيرته في الشعب أنواع الشدائد.
٦. مرت عليه في مكة محاولات اغتيال متعددة قبل حصار الشعب وبعده.
٧. اجتمعت عليه مصيبتان بعد الخروج من الشعب وفاة ناصره عمه أبي طالب، ووفاة سنده زوجته خديجة ﷺ، فسماه عام الحزن.

٨. لما ذهب مع علي ﷺ الى الطائف فدعاهم الى الله فردوه أسوأ رد، فدعا بالدعاء المعروف، وفيه: اللهم: إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي.
٩. لما رجع الى من الطائف الى مكة، وخاف أن يقتلوه عنوة، فأخذ عهداً من جبير بن مطعم لأيام فدخل وطاق، ثم رد عليه أمانه.
١٠. في ليالي الهجرة حيث اشتدت مؤمراتهم لقتله بعد موت عمه وناصره أبي طالب ﷺ، فاضطر أن يختبئ أياماً في الحجون.
١١. في ليلة معركة بدر وهي أول مواجهة غير متكافئة بينه وبين قريش.
١٢. في معركة أحد لما فر المسلمون وبقي هو وعلي، فقاتل ووقع في الحفرة، فجاء علي وجبرئيل ﷺ وكشفا عنه المشركين وأخذاه الى ظل الصخرة. وجاءت فاطمة فبكت وغسلت جرحه.
١٣. في أيام حفر الخندق وقد أثر على المسلمين الجوع والصوم.
١٤. بعد أن وصل جيش المشركين وتحرك بنو قريظة فحاصروا المسلمين!
١٥. في الحديبية لما لم يطعه أكثر المسلمين في حل إحرامهم.
١٦. في خيبر لما انهزم المسلمون مرات في فتح حصن القموص، فغضب النبي ﷺ وأرسل الى علي ﷺ وكان في منطقة أخرى، وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار.
١٧. في حنين لما انهزم المسلمون كلهم، وثبت النبي ﷺ وبنو هاشم ومعهم أيمن وحموا النبي ﷺ. وقام علي ﷺ بحملات على أصحاب رايات هوازن الأربعين وقتلهم، فتضعضوا ونزلت بهم الهزيمة قبل عودة الصحابة الفارين!
١٨. في تبوك لما حاولوا اغتياله ليلاً في رجوعه من تبوك وصعد العقبة، فألقوا عليه الصخور فنزل جبرئيل ﷺ وكشفهم، فلعنهم النبي ﷺ. ففطوا وجوههم وخلطوا انفسهم بالمسلمين.
١٩. في مرض وفاته لما أبعد كل خصوم علي وبعثهم في جيش أسامة الى مؤته فأخذوا يماطلون عن الحركة، فحثهم، ولعن من تخلف عن جيش أسامة!
٢٠. في مرض وفاته لما أحضرهم وطلب منهم أن يأتوه بدواة وقرطاساً ليكتب لهم كتاباً

إن عملوا به لا يضلون من بعده، فردوا عليه واتهموه بأنه قد خرف، ومنعوه أن يكتب عهده، فغضب وطردهم وقال: قوموا عني!

٢١. في مرض وفاته لما نزل عليه جبرئيل ﷺ وبلغه أن الله تعالى يسأله وهو أعلم كيف حاله؟ فأجاب في الثلاثة أيام: أجدني مغموماً، أجدني مكروباً!



الشدة الأولى في حياة النبي ﷺ : نشأته يتيماً

قال داود الرقي، وهو من كبار أصحاب الإمام الصادق ﷺ «الكافي: ٤/٥٤٤»: «دخلت على أبي عبد الله ﷺ ولي على رجل مال قد خفت تَوَاهُ «ذهابه» فشكوت إليه ذلك فقال لي: إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصل ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصل عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصل عنها ركعتين، ثم ادع أن يرد عليك مالك. قال ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا، وإذا غريمي واقف يقول: يا داود حبستني! تعال إقبض مالك».

أقول: هذه عقيدتنا في أبي طالب وفي والدي النبي ﷺ أنهم كلهم ﷺ مؤمنون بملة إبراهيم ﷺ وبرسالة النبي ﷺ.

وقال الكليني في الكافي (٤٣٩/١): «وتوفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين، وماتت أمه آمنة بنت وهب وهو ابن أربع سنين، ومات عبد المطلب وللنبي ﷺ نحو ثمان سنين، وتزوج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة».

قال ابن سعد (١١٦/١): «فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً. فكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك: لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفه وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع غلمان من أخوالي نظير طائر كان يقع عليه. ونظر إلى الدار فقال: ها هنا نزلت بي أُمِّي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب. وأحسن العوم في بئر بني عدي بن النجار).

أقول: رأيت البيت الذي فيه قبر والد النبي ﷺ سنة ١٩٦٤م. وهو غربي المسجد في سوق تصعد اليه بدرجات ثم تميل على يسارك مسافة نحو مئة متر. وزرته من أمام الباب وكان مغلقاً، وعلى عتبه نقوش بالتركية: هذا قبر والد النبي ﷺ.

لكن الوهابية لهم عداوة مع آثار النبي وآبائه الأبرار وآله الأطهار ﷺ فهم يبادرون الى إزالتها حتى لو كانت مساجد أو بيوتاً مملوكة للناس، بحجة أنها يُتبرك بها!

وفي نفس الوقت حافظوا على حصن عدو الإسلام اليهودي كعب بن الأشرف، الذي حاول اغتيال النبي ﷺ وأبقوه بسوره وساحته وبثره وغرفه العشرة، بعهدة بلدية المدينة المنورة، جنب حديقة البلدية العامة! وتجد صورته في شبكة النت!

ولا بد أن النبي ﷺ كان يزور قبر أبيه ﷺ ويدل عليه حرصه على زيارة قبر أمه ﷺ في الأبواء في سفره الى الحديبية، وروى المسلمون بكاءه ﷺ وبكاء الناس لبكائه.

قالت آمنة بنت وهب ترثي زوجها عبدالله بن عبدالمطلب:

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم وجاور لحداً خارجاً في الغمام
دعته المنايا دعوة فأجابها وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشيّة راحوا يحملون سريره تعاوره أصحابه في التزامم
فإن يك غالته المنايا ورييها فقد كان معطاء كثير التراحم

وقال أبوطالب يرثي أخاه عبدالله والد النبي ﷺ:

عيني ائذني بيبكاء آخر الأبد ولا تمليّ على قرم لنا سند
أشكو الذي بي من الوجد الشديد له وما بقلبي من الآلام والكمد
أضحى أبوه له يبيكي وإخوته بكل دمع على الخدين مطرد
لو عاش كان لفهر كلها علماً إذ كان منها مكان الروح في الجسد).

(المحاضرات والمحاورات للسيوطي (٥٧/١))

أقول: نشأ النبي ﷺ يتيماً، والله في ذلك حكم وأسرار. ولا بد أن يُتمّه زاده حناناً ورحمة. ونحن

نعتقد بعصمته ﷺ عصمة شاملة قبل البعثة وبعدها، في تبليغ الرسالة، وفي أموره الشخصية، بدليل: قوله تعالى: وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. وقول علي عليه السلام: ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطياً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم. فقد كان من طفولته نبياً، أما في الأربعين فبعث رسولاً.

أما قوله تعالى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ: فمعناه أن الله أنعم عليك بأن هباً لك جدك عبد المطلب وعمك أباطال بن كفلان في يتمك ونشأتك. ومن نعمه عليك أنه هداك من صغرك، بعد أن كنت متحيراً ضالاً فيما يجب عليك عمله، فهذا بالرسالة إلى دعوة الناس إلى دينه. ووجدك عائلاً عليك نفقة بيتك ومن تريد مساعدتهم، فأغناك بخديجة، فوهبتك ثروتها كما وهبت سارة ثروتها لإبراهيم عليه السلام.



الشدة الثانية في حياة النبي ﷺ: فقده لأمه ﷺ

المرجح عندنا أن عبد المطلب أرسل أباطال ليأتي بأمنة من المدينة وهي رواية الحموي في معجم البلدان (٧٩/١): إن أباطال زار أخواله بالمدينة، وحمل معه أمنة أم رسول الله، وفي طريقه إلى مكة، توفيت أمنة بالأبواء. والأبواء على بعد ٢٠٠ كلم جنوب المدينة باتجاه مكة، مرضت هناك أمنة وتوفيت فتيمم النبي ﷺ! ولا بد أنه كان لوفاتها أمامه وقع عظيم على نفسه ﷺ. ووصل به عمه أبوطالب بعد خمسة أيام من وفاة أمه إلى جده عبد المطلب رضي الله عنه، فعاش في كنفه يتيم الأبوين، وكان شديد الحب له والحنان عليه، فعوض ذلك كثيراً من ألم يتيمة! قال في مراصد الإطلاع (١٩/١): «الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. وبالأبواء قبر أمنة أم النبي».

وقد شذ الوهابية عن كافة المسلمين فحرموا زيارة قبر أم النبي ﷺ وعاقبوا من زاره!

ثم رشوا على قبرها المازوت حتى لا يأخذ المسلمون من ترابه للتبرك.

ثم طغوا وفجروا القبر بالديناميت! فكتب عبد الحسين البصري في شبكة الموسوعة الشيعية «٢٨/٣/٢٠٠٠» موضوعاً بعنوان: ديناميت السلفية! قال فيه: «للتاريخ فقط، ولتبقى صفحة سوداء

في وجة خوارج العصر، نؤرخ لحدث وقع أصاب كبد رسول الله ﷺ، ألا وهو تفجير قبر آمنه بنت وهب أم رسول الله ﷺ، الواقع في الأبواء وذلك في الثامن من مارس سنة ٢٠٠٠ ميلادي! ألا لعنة الله على القوم الظالمين).



الشدة الثالثة في حياته ﷺ: فقده جده عبد المطلب عليه السلام

في الكافي (٤٨/١)، عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان عبد المطلب يُفرش له بفناء الكعبة لا يُفرش لأحد غيره، وكان له وُلْدٌ يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه، فجاء رسول الله ﷺ وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذه فأهوى بعضهم إليه لينحيه عنه فقال له عبد المطلب: دع ابني فإن الملك قد أتاه!»

وفي رواية كمال الدين ١٧١، عن ابن عباس، قال: «دعوا ابني فوالله إن له لشأناً عظيماً، إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم، إني أرى غرته غرة تسود الناس، ثم يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبله ويقول: ما رأيت قبلة أطيب منه ولا أظهر قط، ولا جسداً ألين منه ولا أطيب منه. ثم يلتفت إلى أبي طالب وذلك أن عبد الله وأباً طالب لأُم واحدة، فيقول: يا أباطالب إن لهذا الغلام لشأناً عظيماً فاحفظه واستمسك به، فإنه فردٌ وحيدٌ، وكن له كالأم، لا يوصل إليه بشئ يكرهه، ثم يحمله على عنقه فيطوف به أسبوعاً. وكانت هذه حاله حتى أدركت عبد المطلب الوفاة، فبعث إلى أبي طالب، ومحمد على صدره وهو في غمرات الموت، وهو يبكي ويلتفت إلى أبي طالب ويقول: يا أباطالب أنظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ولا ذاق شفقة أمه، أنظر يا أباطالب أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك فإني قد تركت بنيَّ كلهم وأوصيتك به لأنك من أم أبيه.

يا أباطالب، إن أدركت أيامه فاعلم أني كنت من أبصر الناس وأعلم الناس به، فإن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي.

يا أباطالب، ما أعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه ولا أمه على حال أمه،

فاحفظه لو حدثته، هل قبلت وصيتي فيه؟

فقال: نعم قد قبلت والله عليّ بذلك شهيد، فقال عبد المطلب: فمُدَّ يدك إليّ فمد يده إليه فضرب يده على يده ثم قال عبد المطلب: الآن خفَّ عليّ الموت!

ثم لم يزل يقبله ويقول: أشهد أني لم أقبل أحداً من ولدي أطيب ريحاً منك ولا أحس وجهاً منك، ويتمنى أن يكون قد بقي حتى يدرك زمانه! فمات عبد المطلب وهو ﷺ ابن ثمان سنين، فضمه أبو طالب إلى نفسه لا يفارقه ساعة من ليل ولا نهار، وكان ينام معه لا يأتمن عليه أحداً!

وروى اليعقوبي: ١٢/٢، أنه أوصى لأبي طالب برسول الله ﷺ وبزمزم، وقال:

«أوصيك يا عبد مناف بعدي بمفرد بعد أبيه فرد

فارقه وهو ضجيع المهد فكنت كالأم له في الوجد

تدنيه من أحشائها والكبد فأنت من أرجى بنيّ عندي

لدفع ضيم أول شد عقد

وتوفي عبد المطلب ولرسول الله ثمان سنين، ولعبد المطلب مائة وعشرون سنة، وقيل مائة وأربعون سنة، وأعظمت قريش موته، وغُسل بالماء والسدر وكانت قريش أول من غسل الموتى بالسدر، وُلِّفَ في حلتين من حلل اليمن قيمتهما ألف مثقال ذهب، وطرح عليه المسك حتى ستره، وحمل على أيدي الرجال عدة أيام، إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغيبه في التراب!

وقالت أم أيمن «الطبقات: ١١٩/١»: «رأيتُه ﷺ وهو ابن ثمان سنين يبكي خلف سرير عبد المطلب، حتى دفن بالحجون».



الشدّة الرابعة: مجموعة الشذائد في حصار الشعب

اجتمعت بطون قريش ومعهم قبيلة كنانة، ووقعوا صحيفة مقاطعة بني هاشم مقاطعة كاملة حتى يسلموهم محمداً، ويحلوا عن مكة، فاضطروا للتجمع في شعب أبي طالب، واستمرت المقاطعة والمحاصرة عليهم ثلاث سنوات ونصفاً. واجه فيها النبي ﷺ وعشيرته أنواع الشذائد.

فقد خسرت خديجة بيتها الواسع ومركز عملها الذي تحول الى مركز عمل النبي ﷺ بعد بعثته. وعاشت مع طفلتها وزوجها في خيمة في الشعب. وكان النبي ﷺ مضطراً لأن ينام كل ليلة في مكان بحراسة علي وجعفر، وقد يأتي أبو طالب وسط الليل ويقول لهم غيروا مكانكم فقد بلغني أنه توجد مؤامرة للتسلل من جبل أبي قبيس الى داخل الشعب لقتل محمد!

هذا مضافاً الى شح المواد الغذائية وعدم استطاعتهم أحياناً أن يشتروها لتحريم قريش مبايعتهم، ومعاقة من يبايعهم!

قال المحامي الأردني أحمد حسين يعقوب في: المواجهة مع رسول الله ﷺ ١٧٥: «وعانوا الحرمان والجوع، فأكلوا نبات الأرض، وأخذوا لطفال يُمصُّون الرمال من العطش، وكانت بطون قريش تشاهد كل هذا وتتلذذ به، دون أي إحساس بالخرج! ولكن الهاشميين لم يركعوا ولم يستسلموا ولم يستجيبوا لبطون قريش في طلبها تسليم النبي. لقد تحملوا ما لم تتحمله قبيلة على وجه الأرض في سبيل محمد ﷺ وفي سبيل دينه ولولا صبرهم وثباتهم لقتلت البطون رسول الله ﷺ كما قتل غيره من الأنبياء وأجهضت دعوته في مهدها، ولكن الله أراد أن يظهر دينه، وأن يتحمل البطن الهاشمي أعباء مرحلة التأسيس الحاسمة).

في هذه الأزمة أرسل الله تعالى جبرئيل عليه السلام الى النبي ﷺ قائلاً برواية البخاري (٢٣١/٤): (يا رسول الله هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة [من قصب] لا صخب فيه ولا نصب).

وكانت عائشة تحسدها وتغار منها، وقد قالت (فتح الباري: ١٠٢/٧): (ما حسدت امرأة قط ما حسدت خديجة، حين بشرها النبي ببيت «).

ثم هونت عائشة من شأن بيت خديجة فقالت إنه بيت من قصب وسعف النخل! فنسبت ذلك الى النبي ﷺ! ثم قالوا هو قصب الذهب! لكن العربية تأباه فلم يرد القصب وصفاً لقصور الجنة في حديث آخر!

وقد روى بعض مصادرهم حديث بيت خديجة عليه السلام بدون قصب! ففي فضائل الصحابة للنسائي ٧٥: «بشر رسول الله خديجة ببيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب «).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام: إن جبرئيل عليه السلام عهد إلي أن بيت

أملك خديجة في الجنة بين بيت مريم ابنة عمران وبين بيت آسية امرأة فرعون، من لؤلؤة جوفاء لا صخب فيه ولا نصب». «شرح الأخبار: ١٧/٣».

وعלת عائشة كون بيت خديجة ﷺ من قصب بأنها لم تصل «فتح الباري: ٢٧/١» أما بيت عائشة فهو من لؤلؤ لأنها صلت!

لكن المعروف المتواتر أن الصلاة فرضت في أول البعثة، وأن خديجة كانت تصلي مع النبي ﷺ إلى أن توفيت قبيل هجرته! لكنه الحسد باعتراف عائشة!

وكان النبي ﷺ يذكر خديجة كل عمره ويمدحها، فتتصدى له عائشة ويسكتها، ولما فتح مكة نصب خيمته عند قبر خديجة وفاء لها ﷺ.



الشدة الخامسة: فقده خديجة وعمه أبا طالب ﷺ

وقد بلغ من حزنه ﷺ أنه سمي ذلك العام (عام الحزن)!

قال ابن واضح اليعقوبي وهو مؤرخ ثبت وهو أقدم من الطبري، قال: إن خديجة توفيت قبل أبي طالب ﷺ بعد كسر الحصار بقليل.

وقد حزن عليها النبي ﷺ حزناً عميقاً، وكان يمضي وقته في بيته أو يزور عمه أبا طالب حتى جاءه الخبر: توفي ناصرك وهوت الشجرة الظليلة الحانية!

قال اليعقوبي «٣٥/٢»: «توفي أبو طالب بعد خديجة ﷺ بثلاثة أيام وله ست وثمانون سنة وقيل بل تسعون سنة. ولما قيل لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه، واشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات ثم قال: يا عم، ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً. ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم، وجزيت خيراً».

وقال ﷺ: اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً، يعني مصيبة خديجة وأبي طالب.

إن فعل النبي ﷺ وكلامه بليغ، فقد كان موت خديجة وأبي طالب ﷺ مصيبتان على أمة الإسلام

وعلى رسول الله ﷺ لأنها مجاهدان في تأسيس هذه الأمة وحمايتها، ونصرة ومؤسستها.
وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «لما مات أبو طالب وقف رسول الله ﷺ على قبره فقال:
جزاك الله من عم خيراً، فقد ريّنتني يتيماً، ونصرتني كبيراً».

وروي ابن أبي حاتم في الدر النظيم ٢٢١، عن علي عليه السلام قال: «أخبرت رسول الله ﷺ بموت
أبي طالب فبكى ثم قال: إذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه، ففعلت ثم أمرني
فاغتسلت ونزلت في قبره، وجعل يستغفر له، وبقي أياماً لا يخرج من بيته».

أقول: تأهبت قريش لقتل النبي ﷺ بمجرد وفاة أبي طالب عليه السلام! ومع ذلك شارك في مراسم
تشيعه في بيته القريب، وحمله معهم على سريره، وشيع جنازته إلى قبره في الحجون رغم الخطر
على حياته كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، ثم اعتكف في بيته أياماً، وهو يعالج نشاط قريش
وتخطيطهم لقتله بعد موت ناصره.

وقيل أوكل دفنه إلى علي بسبب أنه بلغه مؤامرة لقتله، ثم ذهب إلى قبره بعد ذلك.
وفي الفصول المختارة للمفيد ٢٨٣: (ورد على الإستفاضة بأن جبرئيل عليه السلام نزل على
رسول الله ﷺ عند موت أبي طالب رضوان الله عليه فقال له: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام
ويقول لك: أخرج من مكة فقد مات ناصرك).

وهذه الفترة من موت أبي طالب إلى الهجرة هي الأخطر على حياة رسول الله ﷺ، فقد قال:
«ما زالت قريش كاعّة عني حتى مات أبو طالب». أي منكمشة عن أذاه خوفاً من أبي طالب.
«إعلام الوري: ٥٣/١، والحاكم ٦٢٢/٢».

وكتفت قريش محاولاتها ليل نهار لقتله ﷺ فكانت تتجسس عن مكانه وتضع الخطط
لقتله، وكان جبرئيل عليه السلام يخبره، وذات مرة أمره أن يفر ويختبئ مع علي عليه السلام في الحجون لأن
بيته ﷺ كان وسط مكة قرب المسجد.

قال الإمام الصادق عليه السلام «الكافي: ٤٤٩/١»: «لما توفي أبو طالب نزل جبرئيل على
رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أخرج من مكة فليس لك فيها ناصر، وثارت قريش
بالنبي ﷺ فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون، فصار إليه».

ومعنى ثاروا به: أنهم هاجموا بيته ليقتلوه!

وفي مجمع الزوائد «١٥/٦»: «وعن أبي هريرة قال: لما مات أبو طالب تحينوا النبي ﷺ فقال: ما أسرع ما وجدتُ فقدك يا عم».

وقال اليعقوبي في تاريخه (٣٦/٢): «واجترأت قريش على رسول الله ﷺ بعد موت أبي طالب وطمعت فيه، وهموا به مرة بعد أخرى».

وفي تفسير القمي «٣١/٢»: «لما مات أبو طالب ﷺ فنأدى أبو جهل والوليد عليها لعائن الله: هلموا فاقتلوا محمداً فقد مات الذي كان ناصره! فقال الله تعالى: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُو الزَّانِيَةَ. قال: كما دعا إلى قتل محمد رسول الله نحن أيضاً ندع الزبانية».

أقول: هذا يدل على نزول هذه الآيات مرتين، وهو كثير في القرآن.

وفي الطبري (٨٠/٢): «وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه، حتى نثر بعضهم على رأسه التراب».



تأثير وفاة خديجة عليها السلام على النبي ﷺ

لما توفيت خديجة جعلت فاطمة عليها السلام تتعلق برسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: أين أمي أين أمي؟ فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال قل لفاطمة: إن الله تعالى بنى لأمك بيتاً في الجنة لانصب فيه ولا صخب. فقالت فاطمة عليها السلام: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام».

«ودفنت خديجة بالحجون ونزل في قبرها رسول الله ﷺ». (الحاكم: ١٨٢/٣).

والحجون في مكة على يسار الذهاب إلى منى، وفيها قبور أجداد النبي وعمه أبي طالب، والمشهور منها قبر عبد المطلب، وأبي طالب، وزوجته خديجة سلام الله عليهم، وكان المسلمون منذ الجيل الأول يزورونها ويضعون الله تعالى عندها، ويستشفعون إلى الله بأصحابها، وبنوا عليها قبباً. إلى أن جاء النجديون صنعة الإنكليز فهدموها وقالوا زيارتها شرك!

قال الحائري في شجرة طوبى (١٧٥/٢) يصف هدمهم لقبرها: «وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون بالقوافي ويستهلون بالقبور التي هدموها! هدموا قبة مولد

النبي ﷺ وقالوا هذا الموضع الذي ولدت فيه تلك المرأة ذلك المولود! وقالوا عندما هدموا قبر خديجة: طالما عبدك الناس فالآن قومي وامنعينا! ونادى بعضهم هاك يا خديجة! وقالوا: أطلعوا للقبب واهدموها واطرحوا الأصنام وارموها، حتى لا يكون لكم معبود غير الله! وهدموا مولد سيدتنا فاطمة عليها السلام. ودخلوا حرم النبي ﷺ فأقدمت جماعة من الأعراب على تخريب قبور أهل بيت رسول الله ﷺ! ثم منعوا الناس عن قول يا رسول الله! وجعلوا ينادون غيرهم بلفظ: يا مشرك ويا كافر! ».



الشدة السادسة: لما ذهب ﷺ إلى الطائف فردوه أسوأ رد!

قال المؤرخ محمد بن حبيب البغدادي في المحبر ١١: «توفيت خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام (والصحيح قبله). وخرج إلى الطائف بعد ذلك بثلاثة أشهر وثمانية أيام، وأقام بالطائف شهراً ويومين».

وقال البلاذري (٢٢٧/١): «وكان خروج النبي ﷺ إلى الطائف لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة، وقدم مكة يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة». والظاهر أنهم أخطؤوا في تاريخ سفره إلى الطائف وعودته، لأنه لما عاد أرسل من حراء يطلب جوار مطعم بن عدي، ولا بد أن يكون ذلك قبل الأشهر الحرم ذي القعدة وذي الحجة ومحرم، فلو كان فيها لما احتاج إلى جوار.

وفي المناقب (١١٣/١ و٢٢٧): «لما دخل النبي ﷺ الطائف رأى عتبة وشيبة جالسين على سرير فقالا: هو يقوم قبلنا (أي لا نقوم للسلام عليه) فلما قرب النبي منهما خرا السرير ووقعا على الأرض، فقالا: عجز سحر ك عن أهل مكة، فأتيت الطائف! فلم يقبلوه وتبعه سفهاؤهم بالأحجار ودموا رجليه فخلص منهم واستظل في ظل حبل «كرمة» منه وقال: اللهم إني أشكو إليك من ضعف قوتي وقلة حيلتي: وناصر ي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين.

فأنفذ عتبة وشيبة ابنا ربيعة إليه بطبق عنب على يدي غلام يدعى عداساً وكان نصرانياً، فلما مديده وقال: بسم الله، فقال: إن أهل هذا البلد لا يقولونها، فقال النبي ﷺ: من أين أنت؟

قال: من بلدة نينوى، فقال ﷺ: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى قال: وبما تعرفه؟ قال: أنا رسول الله والله أخبرني خبر يونس، فخرّ عداس ساجداً لرسول الله وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء، فقال عتبة لأخيه: قد أفسد عليك غلامك، فلما انصرف عنه سئل عن مقالته فقال: والله إنه نبي صادق، فقالوا: إن هذا رجل خداع لا يفتنك عن نصرانيتك، وقالوا: لو كان محمد نبياً لشغلته النبوة عن النساء ولأمكنه جميع الآيات ولأمكنه منع الموت عن أقاربه. ولما مات أبو طالب وخديجة فنزل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً.

دعاء النبي ﷺ في الطائف

في حلية الأبرار (١٢٩/١، ١٣١) وابن هشام (٢٨٥/٢): «فعمد لحائط من كرومهم وجلس مكروباً فقال: اللهم إني أشكو إليك غربتي وكربتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، أنت رب المكروبين. اللهم إن لم يكن لك عليّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك. لا أحصي الثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لك الحمد حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وذكرت أكثر مصادرهم أن النبي ﷺ كان وحده في سفره إلى الطائف، أو معه زيد فقط! قال في الطبقات ٢١١/١: «فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، فأقام بالطائف عشرة أيام».

لكن قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ١٢٧/٤: «فكان معه علي وزيد بن حارثة في رواية أبي الحسن المدائني، ولم يكن معهم أبو بكر».



الشدة السابعة: لما رجع من الطائف وطلب جوار مطعم بن عدي

لما عاد النبي ﷺ من الطائف ووصل إلى قرب مكة بعث معتمده الجهني بكر بن أبي أريقط إلى مطعم بن عدي، وطلب منه أن يدخل مكة بجواره، وغرضه كسر قرار قريش بقتله.

وكان مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف زعيم بني نوفل، من الذين واجهوا النبي ﷺ مع أنه من بني عبد مناف، وقد ورد ذمه في شعر أبي طالب. وعاش سبعاً وتسعين سنة وتوفي قبل بدر. «فتح الباري: ٢٤٩/٧» وشارك أخوه طعيمة في بدر وقتل، وشارك فيها ابنه جبير

وفأوض النبي ﷺ باسم قريش على أسرى بدر، وزعم رواة السلطة أن النبي قال: « لو كان مطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له! »! «بخاري: ٢٠/٥».

وجبير ابنه صاحب وحشي الذي وعده أن يعتقه إن قتل محمداً أو علياً أو حمزة، وجعلت له هند آكلة الأكباد جائزة فقتل حمزة! «ابن إسحاق: ٣/٣٠٢».

وبقي جبير على كفره حتى أسلم مع الطلقاء في فتح مكة. وكان يقول: « كنت أذى قريش لمحمد ﷺ » «الخرائج: ١/١٣٠».

وسكن المدينة وجاء مع عثمان إلى النبي ﷺ وطلبا سهماً في الخمس لأنهم من بني عبد مناف فقالا: يا رسول الله قسمت لإخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئاً وقرابتنا مثل قرابتهم! فقال: « إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد. ولم يقسم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً ». «صحيح بخاري: ٧٩/٥».

وكان مطعم بن عدي صديقاً لبني أمية، وهذا سبب مدح رواة السلطة له بأنه عمل لنقض صحيفة المحاصرة، وأنه أجار النبي ﷺ في رجوعه من الطائف، وكذبوا في أن النبي ﷺ بقي سنتين في جواره إلى أن هاجر! والحقيقة أن النبي ﷺ كان يستطيع دخول مكة بحماية حمزة وعلي وحدهما، فضلاً عن بقية بني هاشم! بل يستطيع دخولها لأنه في شهر ذي القعدة الحرام كما رووا، وفيه يأمن الناس. لكنه أراد أن يخفف غلواء قريش بعد أن اشتدت محاولاتهم لقتله بعد وفاة حاميه أبي طالب عليه السلام فيدخل مكة علناً وهو معتمر فيطوف ويسعى بحماية أحد أعدائه من زعماء قريش، فبعث إلى مطعم أن يحميه حتى يؤدي عمرته فقبل، فدخل ﷺ واعتمر، ثم رد عليه جواره!

وبذلك كسر قرار قريش وإجماعهم على قتله، وخفف من خطرهم على حياته، لأن قتله صار يعني الخلاف بين زعماء قريش أنفسهم!

وقال الطبرسي في إعلام الوري: ١٣٥/١: «قال علي بن إبراهيم بن هاشم: ولما رجع رسول الله ﷺ من الطائف وأشرف على مكة وهو معتمر، كره أن يدخل مكة وليس له فيها مجير، فنظر إلى رجل من قريش قد كان أسلم سراً فقال له: إئت الأخنس بن شريق فقل له: إن محمداً يسألك أن تجيره حتى يطوف ويسعى فإنه معتمر. فأتاه وأدى إليه ما قال رسول الله ﷺ فقال الأخنس: إني لست من قريش، وإنما أنا حليف فيهم والحليف لا يجير

على الصميم، وأخاف أن يخفروا جوارى فيكون ذلك مسبة. فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، وكان رسول الله في شعب حراء مختفياً مع زيد فقال له: إئت سهيل بن عمرو فاسأله أن يجيرني حتى أطوف بالبيت وأسعى، فأتاه وأدى إليه قوله فقال له: لا أفعل. فقال له رسول الله ﷺ: إذهب إلى مطعم بن عدي فسله أن يجيرني حتى أطوف وأسعى. فجاء إليه وأخبره فقال: أين محمد؟ فكره أن يخبره بموضعه فقال: هو قريب، فقال: إئتته فقل له: إني قد أجرتك فتعال وطف واسع ما شئت. فأقبل رسول الله وقال مطعم لولده وأختانه «أصهاره» وأخيه طعيمة بن عدي: خذوا سلاحكم فإني قد أجرت محمداً، وكونوا حول الكعبة حتى يطوف ويسعى، وكانوا عشرة فأخذوا السلاح، وأقبل رسول الله حتى دخل المسجد، ورآه أبو جهل فقال: يا معشر قريش هذا محمد وحده وقد مات ناصره فشأنكم به! فقال له طعيمة بن عدي: يا عم لا تتكلم، فإن أباه قد أجار محمداً! فوقف أبو جهل على مطعم بن عدي فقال: أباهب أمجير أم صابئ؟ قال: بل مجير. قال: إذاً لا يخفرك جوارك!

فلما فرغ رسول الله ﷺ من طوافه وسعيه جاء إلى مطعم فقال: أباهب قد أجرت وأحسنت فرد عليّ جوارى. قال: وما عليك أن تقيم في جوارى؟ قال: أكره أن أقيم في جوار مشرك أكثر من يوم. قال مطعم: يا معشر قريش إن محمداً قد خرج من جوارى.»

أقول: ردّ السيد جعفر مرتضى «٢٦٩/٣» رواية جوار مطعم للنبي ﷺ بحجة أنه: «لم يكن يقبل أن يكون لمشرك عنده يد يستحق الشكر عليها وهذه يد ولا شك». لكن لا دليل عليه في سيرة نبينا ﷺ أو غيره من الأنبياء عليهم السلام، ويكفي لإثبات استجارته ﷺ بمطعم أن يرويه علي بن إبراهيم والطبرسي وابن شهر آشوب «المناقب: ١٥/١» وقد أورده علماؤنا من مسلمة السيرة.

ونشير في الختام إلى حكيم بن جبير بن مطعم، فقد كان من خاصة أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، فهو على العكس من جده مطعم وأبيه جبير.

في الكشي (٤٤١/٣٨): «ارتد الناس بعد الحسين عليه السلام إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم، ثم إن الناس لحقوا وكثروا.»

الشدة الثامنة: لما زاد نشاط قريش لقتله بعد عودته من الطائف

كانت الفترة بعد وفاة عمه وناصره أبي طالب إلى الهجرة هي الأخطر على حياة رسول الله ﷺ، حتى اضطر لأن يختبئ أياماً في الحجون.

قال رسول الله ﷺ: «ما زالت قريش كاعة عني حتى مات أبو طالب». أي منكمشة عن أذاه خوفاً من أبي طالب. «إعلام الوري: ٥٣/١، والحاكم: ٦٢٢/٢».

وفي مجمع الزوائد «١٥/٦»: «وعن أبي هريرة قال: لما مات أبو طالب تحينوا النبي «ص» فقال: ما أسرع ما وجدتُ فقدك يا عم!»

وفي الطبري (٨٠/٢): «وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه، حتى نثر بعضهم على رأسه التراب».

وقال اليعقوبي في تاريخه (٣٦/٢): «واجترأت قريش على رسول الله ﷺ بعد موت أبي طالب وطمعت فيه، وهموا به مرة بعد أخرى».

ولم يذكر رواية السلطة أين كان عمر بن الخطاب في تلك الفترة وأين زعمهم أن النبي ﷺ دعا الله أن يعز به الإسلام! ولماذا كان يذوب في الشدة كالمح، ويظهر في الرخاء؟!



الشدة التاسعة: ليلة الهجرة لما طوقت قريش بيته لتقتله

في تفسير القمي (٢٧٥/١) واليعقوبي (٣٩/٢): «وأمر رسول الله أن يفرش له ففرش له، فقال لعلي بن أبي طالب: إفدني بنفسك، قال نعم يا رسول الله. قال: نم على فراشي والتحف ببردي، فنام علي على فراش رسول الله ﷺ والتحف ببردته، وجاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله فأخرجه على قريش وهم نيام وهو يقرأ عليهم: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ. وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثور وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثور، فدخل الغار وكان من أمره ما كان.

فلما أصبحت قريش وأتوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش، فوثب علي في وجوههم فقال: ما

شأنكم؟ قالوا له أين محمد؟ قال أجعلتموني عليه رقيباً؟ أليست قلتم نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم! فأقبلوا يضربون أباهب ويقولون أنت تخذعنا منذ الليلة، فتفرقوا في الجبال، وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له أبوكرز يقفو الآثار، فقالوا له يا أباكرز اليوم اليوم، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله ﷺ فقال: هذه قدم محمد والله إنها لأخت القدم التي في المقام! وكان أبو بكر استقبل رسول الله ﷺ فرده معه، فقال أبوكرز: هذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه، ثم قال: وهاهنا عبر ابن أبي قحافة.

فما زال بهم حتى أوقفهم على باب الغار، ثم قال: ما جاوزا هذا المكان! إما أن يكونا صعدا إلى السماء أو دخلا تحت الأرض. وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، وجاء فارس من الملائكة حتى وقف على باب الغار ثم قال: ما في الغار واحد فتفرقوا في الشعاب وصرفهم الله عن رسوله ﷺ ثم أذن لنبه في الهجرة.

وفي الخرائج (١٤٣/١): «فدعاني رسول الله ﷺ فقال: إن قريشاً دبرت كيت وكيت في قتلي، فم على فراشي حتى أخرج أنا من مكة، فقد أمرني الله تعالى بذلك. فقلت له: السمع والطاعة، فمتم على فراشه وفتح رسول الله الباب وخرج عليهم وهم جميعاً جلوس ينتظرون الفجر وهو يقول: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ. ومضى وهم لا يرونه، فرأى أبا بكر قد خرج في الليل يتجسس عن خبره، وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم فأخرجه معه إلى الغار. فلما طلع الفجر توثبوا إلى الدار وهم يظنون أني محمد، فوثبت في وجوههم وصحت بهم، فقالوا: علي! قلت: نعم. قالوا: وأين محمد؟ قلت: خرج من بلدكم. قالوا: وإلى أين خرج؟ قلت: الله أعلم فتركوني وخرجوا».

في أمالي الطوسي/٤٦٩: «قال أبو اليقظان: فحدثنا رسول الله ﷺ ونحن معه بقاء عما أرادت قريش من المكر به، ومبيت علي عليه السلام على فراشه، قال: أوحى الله عز وجل إلى جبرئيل وميكائيل أني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه؟ فكلاهما كرها الموت، فأوحى الله إليهما: عبدي ألا كنتما مثل وليي علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين نبيي فأثره بالحياة على نفسه، ثم رقد علي فراشه يفديه بمهجته، إهبطا إلى الأرض كلاكما فاحفظاه من عدوه، فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجله وجعل جبرئيل

يقول: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله عز وجل يباهي بك الملائكة! قال: فأنزل الله عز وجل في علي عليه السلام: وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ). روته مصادر الجميع مستفيضاً كشواهد التنزيل: ١/١٢٣، والتعليقي في تفسيره: ٢/١٢٥، والمسترشد لابن جرير/ ٣٦٠ والصراط المستقيم: ١/١٧٣، وأسد الغابة: ٤/٢٥، والفضائل لابن عقدة/ ١٧٩، وكشف اليقين/ ٨٩، وأمالى الطوسي/ ٤٦٨، والعمدة/ ٢٣٩، والطرائف/ ٣٧، وسعد السعود/ ٢١٦، وخصائص الوحي المبين/ ١٢٠، والجواهر السنية/ ٣٠٧.

قال عبيد الله بن أبي رافع: وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام شعراً يذكر فيه مبيته على الفراش ومقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمد لما خاف أن يكمروا به	فوقاه ربي ذوالجلال من المكر
وبتُّ أراعيهم متى ينشروني	ووطنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً	هناك وفي حفظ الإله وفي ستر
أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص	قلائص يفرين الحصار أينما تفري



الشدة العاشرة: ليلة بدر أول معركة غير متكافئة مع قريش

أكثر ما روي من الأدعية عن النبي ﷺ في الحروب: أدعية معركة بدر. «ودعا يوم بدر حتى سقط رداؤه عن منكبيه، يستنجز الله وعده» «القرطبي: ٢٥٦/٣».

فمن أدعيته ﷺ لما خرج من المدينة: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك. قال: فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً، للرجل البعير والبعيران، واكتسى من كان عارياً، وأصابوا طعاماً من أزوادهم، وأصابوا فداء الأسرى». «الإمتاع: ١٧٨/١٢».

وعن علي عليه السلام قال: «كان ﷺ إذا لقي العدو قال: اللهم إنك أنت عصمتي وناصري ومعيني. اللهم بك أصول وبك أقاتل». «دعائم الإسلام: ٣٧١/١».

وعن الباقر عليه السلام «الطبري: ١٣٤/٢»: «لما نظر النبي ﷺ إلى كثرة المشركين وقلة المسلمين استقبل القبلة وقال: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض. فنزلت: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ».

وقال ابن مسعود: «ما سمعنا مناشداً ينشد حقاً له أشد مناشدة من محمد يوم بدر يقول: اللهم إني أنشدك ما وعدتني، إن تهلك هذه العصابة لاتعبد. ثم التفت كأن وجهه القمر فقال: كأي أنظر إلى مصارع القوم». «الزوائد: ٨٢/٦».

وأراد البخاري أن يمدح أبا بكر فزعم أن النبي ﷺ أفرط في الدعاء حتى نهاه أبو بكر! قال في صحيحه: ٥٤/٦: «قال النبي (ص) وهو في قبة: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لاتعبد بعد اليوم! فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك! وهو «أي النبي» يثب «يقفز» في الدرع! فخرج وهو يقول: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ! وتعبيره لا يخلو من انتقاص للنبي ﷺ! ليمدح من يحبه من الصحابة!



الشدة الحادية عشرة: في أخذ لما فر أصحابه وتركوه لسيوف المشركين!

في معركة أحد لما فر المسلمون وبقي هو وعلي ﷺ، فقاتل ووقع في الحفرة، فجاء علي وجبرئيل عليهما السلام وكشفا عنه المشركين وأخذاه إلى ظل الصخرة.

قال السيد شرف الدين في الفصول المهمة ١١٨/١: «لما اشتد البلاء وعظم الخطب بفرار المسلمين أهدف المشركون لقتل رسول الله ﷺ غرار عزمهم، وأرصدوا لذلك جميع أهبيهم، فتعاقد خمسة من شياطينهم على ذلك، كانوا كالفدائية في هذا السبيل وهم: عبدالله بن شهاب الزهري (والد الزهري المعروف وهو يهودي حداد حليف بني زهرة) وعتبة بن أبي وقاص، وابن قميئة الليثي أبي بن خلف، وعبدالله بن حميد الأسدي القرشي، لعنهم الله وأخزاهم، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته الميمونة، وأما عتبة فرماه، تبّت يده، بأربعة أحجار فكسر رباعيته وشق شفته، وأما ابن قميئة قاتله الله فكفّ وجنته ودخل من حلق المغفر فيها وعلاه بالسيف، شلّت

يداه، فلم يطق أن يقطع فسقط ﷺ إلى الأرض. وأما أبي بن خلف فشد عليه بحرته فأخذها رسول الله منه وقتله بها، وأما عبدالله بن حميد فقتله أبو دجاجة الأنصاري شكر الله سعيه وأعلى في الجنان مقامه، فإنه ممن أبلى يومئذ بلاء حسناً. ثم حمل ابن قمئة على مصعب بن عمير وهو يظنه رسول الله ﷺ فقتله ورجع إلى قريش يبشرهم بقتل محمد، فجعل الناس يقولون: قتل محمد قتل محمد! فانخلعت قلوب المسلمين جزعاً وكادت نفوسهم أن تزهق هلعاً، وأوغلوا في الهرب مدلهين مدهوشين، لا يرتابون في قتل رسول الله ﷺ وقد أسقط في أيديهم.

وفي المناقب لابن سُلَيْمَانَ (٤٦٦/١): «عن ابن أبي ليلى قال: «لم يمر على الناس يوم مثل يوم أحد أشد منه! جرح النبي ﷺ وقتل حمزة، وانكشف الناس عن النبي ﷺ فتركوه وهو يقول: أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب».

فرماه ابن قمئة بقذافة فأصاب كفه، ورماه عبدالله بن شهاب بقلاعة فأصاب مرفقه، وضربه عتبة بن أبي وقاص أخو سعد على وجهه، فشج رأسه فنزل عن فرسه، ونهبه ابن قمئة وقد ضربه على جنبه! «وابن هشام (٥٩٧/٣) نحوه.

وفي مصنف ابن أبي شيبة (٥٨٦/٤): (شج النبي ﷺ وكسرت ربايعته، وذلق من العطش حتى جعل يقع على ركبتيه وتركه أصحابه، فجاء أبي بن خلف يطلب بدم أخيه أمية بن خلف فقال: أين هذا الذي يزعم أنه نبي فليبرز لي فإن كان نبياً قتلني! فأخذ ﷺ الحربة ثم مشى إليه فطعنه فصرعه عن دابته، وحمله أصحابه فاستفردوه فقالوا: ما نرى بك بأساً! فقال: إنه قد استسقى الله دمي، إني لأجد لها ما لو كان على مضر وربيعة لو سعتهم).

وفي النص والاجتهاد/٣٤٣: (وقاتل رسول الله ﷺ يومئذ قتلاً شديداً، فرمى بالنبل حتى فني نبله، وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره، وأصيب بجرح في وجنته، وآخر في جبهته، وكسرت ربايعته السفلى، وشقت بأبي هو وأمي شفته وعلاه ابن قمئة بالسيف. وقاتل دونه علي ومعه خمسة من الأنصار استشهدوا في الدفاع عنه رضي الله عنهم وأرضاهم، وترس أبو دجاجة رسول الله ﷺ بنفسه، فكان يقع النبل بظهره وهو منحني عليه، وقاتل مصعب بن عمير فاستشهد، قتله ابن قمئة الليثي وهو يظنه رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش يقول لهم: قتلت محمداً، فجعل الناس يقولون: قتل محمد، قتل محمد! فأوغل المسلمون في الهرب على غير

رشد، وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك فنأدى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله حي لم يقتل، فأشار إليه ﷺ أن أنصت. لئلا يعرف مكانه.

«وروي عن علي بن الحسين عليه السلام: قال: ما من يوم أشد على رسول الله ﷺ من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب». «المقتل لأبي مخنف/١٧٦».

وفي تفسير القمي «١١٤/١»: «ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل من كبار المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة فناده: يا صاحب الترس ألق ترسك ومُرَّ إلى النار! فرمى بترسه فقال رسول الله ﷺ: يا نسيبة خذي الترس فأخذت الترس وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله ﷺ: لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان!» يقصد أبابكر وعمر.

أصعب اللحظات في حياة علي عليه السلام!

وصف علي عليه السلام أصعب اللحظات عليه، كما في الإرشاد: ٨٦/١، والمناقب: ٣١٥/٢، قال: «لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله ﷺ لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي، وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه فرجعت أطلبه فلم أره، فقلت: ما كان رسول الله ليفر وما رأيته في القتلى، وأظنه رفع من بيننا إلى السماء، فكسرت جفن سيفي وقلت في نفسي: لأقاتلن به عنه حتى أقتل، وحملت على القوم فأفرجوا فإذا أنا برسول الله ﷺ قد وقع على الأرض مغشياً عليه، فقممت على رأسه فنظر إلي وقال: ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله ولولوا الدبر وأسلموك! فنظر النبي ﷺ إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي: رد عني يا علي هذه الكتيبة فحملت عليها بسيفي أضربها يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار. فقال لي النبي ﷺ: أما تسمع يا علي مديحك في السماء، إن ملكاً يقال له رضوان ينادي: لاسيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي. فبكيت سروراً وحمدت الله سبحانه على نعمته».

وقوله: وقع على الأرض مغشياً عليه! لما جرح ووقع في الحفرة، وتكاثر عليه المشركون فجاء علي وجبرئيل عليهما السلام فأخذهما إلى ظل الصخرة.

الشدة الثانية عشرة: لما جرح النبي ﷺ وجاءت فاطمة عليها السلام

لما صاح إبليس: قتل محمد ركضت فاطمة عليها السلام الى قلب المعركة كالصقر المنقض!
ففي تفسير القمي (١٢٤/١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «خرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تعدو على قدميها حتى وافت رسول الله ﷺ وقعدت بين يديه، فكان إذا بكى رسول الله ﷺ بكت لبكائه، وإذا انتحب انتحبت!»!

وكان بكاؤه ﷺ حباً وشكراً لفاطمة عليها السلام، وبكاؤها تأثراً لوحدته وجراحه!
ومعنى ذلك أنها حضرت لما جاء علي وجبرئيل عليهما السلام بالنبي ﷺ الى ظل الصخرة، فجاء الله تعالى بفاطمة لتغسل جراحه وتكون الى جنبه! ومعناه أنها جاءت ركضاً تمشي في سفوح وادي قبا الشرقية، لأن الوادي كانت بيد جيش قريش ولو رأوها لأخذوها أسيرة وكان ذلك نصراً عظيماً لهم! ويظهر أنها جاءت وحدها فلم يذكر أحد معها!

ولما انجلت المعركة وانسحب المشركون أرسل النبي ﷺ علياً عليه السلام خلفهم، فبقيت فاطمة عليها السلام معه وحدهما، وهذا خطر آخر تعرض له النبي ﷺ!
وقد طمس رواية السلطة دورها عليها السلام في أحد، ولم يشيدوا بمجيئها إلى المعركة والناس فارّون! وغاية مارووه أنها وعلياً عليه السلام غسلا جرح النبي ﷺ!

قال بخاري في صحيحه (٢٢٧/٣): «لما كسرت بيضة النبي «ص» على رأسه وأدمي وجهه وكسرت رباعيته، كان عليٌّ يختلف بالماء في المجنّ، وكانت فاطمة عليها السلام تغسله، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة، عمدت إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرحه يعني رمادها، فرقا الدم».

وفي المناقب (١٦٦/١): «وصاح إبليس من جبل أحد: ألا أن محمداً قد قتل! فصاحت فاطمة عليها السلام ووضعت يدها على رأسها، وخرجت تصرخ!»!

وفي إعلام الوري (١٧٧/١): «ذهبت صيحة إبليس حتى دخلت بيوت المدينة فصاحت فاطمة عليها السلام ولم تبقى هاشمية ولا قرشية إلا وضعت يدها على رأسها! وخرجت فاطمة عليها السلام تصرخ! قال الإمام الصادق عليه السلام: فلما دنت فاطمة من رسول الله ﷺ ورأته قد شج في وجهه وأدمي فوه إدماءً، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله!»!

وكان رسول الله ﷺ يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء! قال الصادق عليه السلام: والله لو سقط منه شيء على الأرض لنزل العذاب!

قال أبان بن عثمان: حدثني بذلك عنه الصباح بن سيابة قال قلت: كسرت رباعيته كما يقوله هؤلاء؟ قال عليه السلام: لا والله ما قبضه الله إلا سليماً ولكنه شُجَّ في وجهه. قلت: فالغار في أحد الذي يزعمون أن رسول الله ﷺ صار إليه؟ قال: والله ما برح مكانه..



الشدّة الثالثة عشرة: في أيام حفر الخندق وضك المعيشة!

ركب النبي ﷺ فرساً ورسم لهم الخندق، وكان طوله نحو خمسة آلاف ذراع وعرضه تسعة أذرع، وعمقه سبعة أذرع. وهو من الجهة الغربية للمدينة، أما بقية الجهات ففيها حواجز طبيعية يسهل معها منع العدو من مهاجمة المدينة.

وتفاوتت الرواية في مدة الحفر ويبدو أنها نحو شهر، وقد عمل فيه المسلمون بسرعة ليتم قبل قدوم الأحزاب، وفرغوا منه قبل وصولهم بثلاثة أيام.

وقسّم النبي ﷺ العمل وجعل كل أربعين ذراعاً بين عشرة، وبدأ بنفسه في حفر الخندق فأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين وعلي عليه السلام ينقل التراب، حتى عرق النبي ﷺ وهو يقول: لا عيش إلا عيش الآخرة. اللهم اغفر لأنصار والمهاجرين. فلما نظر الناس إلى رسول الله ﷺ يحفر اجتهدوا في الحفر ونقلوا التراب، فلما كان في اليوم الثاني بكرّوا إلى الحفر، وكان عليه السلام يحمل التراب على ظهره أو على عاتقه، ثم يجلس حتى يستريح، وجعل أصحابه يقولون: يا رسول الله نحن نكفيك فيقول: أريد مشاركتكم في الأجر. قال أبو واقد: ولقد رأيته يوماً بلغ منه فجلس، ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر. وكان المسلمون في فقر شديد أيام حفر الخندق حتى كان النبي ﷺ يشد على بطنه حجراً من الجوع.

وفي عيون أخبار الرضا (٤٣/١)، عن علي عليه السلام قال: «كنا مع النبي ﷺ في حفر الخندق إذ جاءتته فاطمة عليها السلام ومعها كسرة خبز، فدفعته إلى النبي فقال: ما هذه الكسرة؟ قالت: قرصاً خبزتها للحسن والحسين، جئتك منه بهذه الكسرة، فقال النبي ﷺ: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث!»

وفي مغازي الواقدي (٤٥٣/١) وسبل الهدى (٣٦٩/٤): (عن ابن عباس أن جابراً رأى رسول الله ﷺ يوم الخندق عاصباً بطنه بحجر من الجوع وأنهم لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقاً. قال جابر: فاستأذنت رسول الله ﷺ إلى المنزل فأذن لي، فذهبت فقلت لامرأتي: إني رأيت رسول الله ﷺ خصباً شديداً، ما في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي صاع من شعير وعناق، فأخرجت إناء فيه صاع من شعير، وذبحت العناق، وطحنت الشعير، وجعلنا اللحم في البرمة، فلما انكسر العجين وكادت البرمة أن تنضج وأمسينا، وأراد رسول الله ﷺ الإنصراف قال: وكنا نعمل نهراً، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلنا قالت لي: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه. فأتيت رسول الله ﷺ فساررتي فقلت: طعيمٌ لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. فشبك أصابعه في أصابعي وقال: كم هو؟ فذكرت له، فقال: كثير طيب لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى آجئ، وصاح رسول الله ﷺ: يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سوراً فحيها بكم، وصار رسول الله ﷺ يقدم الناس، ولقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، وقلت: جاء الخلق، والله إنها للفضيحة على صاع من شعير وعناق، فدخلت على امرأتي فقلت: ويحك! جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، فقالت: بك وبك، وفي رواية: هل سألك؟ قلت: نعم. وفي رواية قالت: أنت دعوتهم أو هو؟ قلت: بل هو دعاهم. قالت: دعهم، الله ورسوله أعلم نحن قد أخبرناه بما عندنا، فكشفت عني. فدخل رسول الله ﷺ وقال: أدخلوا عشرة عشرة ولا تضاعطوا، فأخرجت له عجينةً فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك، فقال لنا: أخبزوا واغرفوا وغطوا البرمة، ثم أخرجوا الخبز من التنور وغطوا الخبز، ففعلنا، فجعلنا نغرف ويغطي البرمة، ثم نفتحها فما نراها نقصت شيئاً! ونخرج الخبز من التنور، ثم نغطيه فما نراه نقص شيئاً، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويقرب إلى أصحابه ويقول لهم: كلوا. فإذا شبع قوم قاموا، ثم دعا غيرهم حتى أكلوا وهم ألف! وانصرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجينة ليخبز كما هو، فقال: كلوا واهدوا، فإن الناس أصابتهم مجاعة شديدة. فلم نزل نأكل ونهدي يومنا ذلك أجمع، فلما خرج رسول الله ﷺ ذهب ذلك!)

الشدة الرابعة عشرة: في أيام محاصرة الأحزاب للمدينة

وصل جيش المشركين بل جيوشهم الى المدينة، ومدخلها الوحيد من الغرب من وادي قُبا، فوجدوا المسلمين حفروا خندقاً وقعدوا على أبوابه يرمون المهاجمين ويمنعونهم. فحاصروهم وأخذوا يحاولون العبور اليهم.

ونقض بنو قريظة عهدهم مع النبي ﷺ وانضموا الى قريش. فكان الأحزاب يحاصرون المدينة من غربها، وبنو قريظة من شرقي المدينة «حرّة بني قريظة» مع الأحزاب كالطوق عليهم، وكان خطرهم يعادل خطر بقية الأحزاب!

قالت أم سلمة رضي الله عنها: «شهدت معه ﷺ مشاهد فيها قتال وخوف: المريسيع، وخيبر، وكنا بالحديبية، وفي الفتح، وحين، ولم يكن من ذلك أتعب لرسول الله ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق! وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة «الطوق» وأن قريظة لأنامنها على الذراري، فالمدينة تحرس حتى الصباح نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا». «إمتاع الأسماع: ٢٣٥/١».

لذلك أمر النبي ﷺ بتجميع النساء والأطفال في «الآطام» أي المباني المحصنة.

قال ابن سعد (٦٧/٢): كان رسول الله ﷺ يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة. وكان عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله ﷺ مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة. وكانت المدينة تحرس حتى الصباح يسمع فيها التكبير حتى يصبحوا».

وففي تفسير القمي (١٨٦/٢): «وكان رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله، بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم».

ولما نقض بنو قريظة عهدهم ومزقوه وأعلنوا الحرب على المسلمين: «كان الخوف على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من الخوف من قريش وغطفان.. وهمت بنو قريظة أن يغيروا على المدينة ليلاً، وبعث حيي بن أخطب إلى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل ومن غطفان ألف، فغيروا بهم فجاء الخبر بذلك إلى رسول الله ﷺ فعظم البلاء». «الإمتاع: ٢٣٣/١».

طال الحصار فظهر المنافقون في أصحاب النبي ﷺ

طال الحصار نحو شهر، وأخذ المسلمون يتسللون من معسكر النبي ﷺ، فيذهبون بحجة الإطمئنان على عوائلهم من خطر بني قريظة، ولا يرجعون.

قال عبدالله بن عمر: «بعثني خالي عثمان بن مظعون لآتيه بلحاف فأتيت النبي فاستأذنته وهو بالخندق فأذن لي وقال: من لقيت فقل لهم إن رسول الله يأمركم أن ترجعوا، وكان ذلك في برد شديد، فخرجت ولقيت الناس فقلت لهم إن رسول الله يأمركم أن ترجعوا. قال: فلا والله ما عطف عليّ منهم اثنان أو واحد». «صححه في مجمع الزوائد: ١٣٥/٦».

وروى الحاكم عن حذيفة «٣١/٣»: «أن الناس تفرقوا عن رسول الله ليلة الأحزاب فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأتاني رسول الله ﷺ وأنا جائم من البرد وقال: يا ابن اليان قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب فانظر إلى حالهم. قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما قمت إليك إلا حياء منك من البرد».

وقد شهد البيهقي في سننه (٣١/٩): «فلما اشتد البلاء على النبي وأصحابه نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح، فلما رأى رسول الله «ص» ما فيه الناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول: والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة والبلاء، فإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله عز وجل مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفخن كنوزهما في سبيل الله! فقال رجل ممن معه لأصحابه: ألا تعجبون من محمد يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق وأن يغنمنا كنوز فارس والروم، ونحن ههنا لا يأمن أحدنا أن يذهب إلى الغائط، والله لمّا يعدنا إلا غرواً! وقال آخرون ممن معه: إئذن لنا فإن بيوتنا عورة. وقال آخرون: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا. وسمى ابن إسحاق القائل الأول: معتب بن قشير، والقائل الثاني: أوس بن قيطي! وهذه التسميات سياسية للتغطية على القائل الحقيقي!

وروى أحمد عن عائشة «١٤١/٦» وحسنه في الزوائد «١٣٨/٦» وصفها اختباء عمر وطلحة في حديقة، وذكرت أن عمر كان يتخوف من الهزيمة والفرار العام!

وقال القمي في تفسيره (١٨٦/٢) قال: «فلما طال على أصحاب رسول الله ﷺ الأمر واشتد

عليهم الحصار وكانوا في وقت برد شديد وأصابتهم مجاعة، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً، تكلم المنافقون بها حكى الله عنهم. ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا نافع إلا القليل! وقد كان رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أن العرب تتحزب ويحيئون من فوق وتغدر اليهود من أسفل، وأنه ليصيبهم جهد شديد ولكن تكون العاقبة لي عليهم، فلما جاءت قريش وغدرت اليهود قال المنافقون: مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا، وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة فقالوا يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا فإنها في أطراف المدينة وهي عورة ونخاف اليهود أن يغيروا عليها. وقال قوم: هلموا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب، فإن الذي كان يعدنا محمد كان باطلاً كله!»!

تأمر مرضى القلوب على النبي ﷺ مع الأحزاب!

اتصل المشركون ببعض أصحاب النبي ﷺ وطلبوا منهم أن يسلموهم النبي وبني عبد المطلب لينصرفوا عنهم، فأخذوا يعملون لذلك سراً!

فقال: «والله إن ندفع محمداً إليهم برمته نسلم من ذلك!»! «كتاب سُلَيْم/٢٤٩»

ثم لما رأوا عدم إمكان ذلك طلبوا منهم أن يدلوهم على نقطة ضعف في الخندق، فدلوهم على الثغرة التي عبر منها عمرو بن ود وجماعته!

كان عرض الخندق نحو خمسة أمتار وعمقه ثلاثة أمتار ونصفاً، ومن الصعب أن يقفز الفرس هذه المسافة، فالمرجح أن يكون أحدٌ توطأ معهم وردم جانب الخندق من جهة النبي ﷺ! ولذا بادر النبي ﷺ وأمر علياً أن يعالج الثغرة ويحرسها، ويقتل من يعترض عمله في ذلك!

ونشط مرضى القلوب الذين حملوا النبي ﷺ هزيمة أحد لأنه لم يشر بهم في القيادة وقالوا: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا! فأشاعوا فكرة المصالحة مع النجدين بإعطائهم ثلث ثمار المدينة سنوياً لينصرفوا، وقد أحبطها النبي ﷺ باستشارة الزعيمين سعد بن معاذ وسعد بن عباد، وهو يعرف أنها يرفضها، فرفضها وانتهت.

وكان عبور المشركين الخندق باتفاق مع منافقين لأن عمرو بن ود، أمر جنده قبل عبوره أن يتهيؤوا للقتال غداً! «مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيؤوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون

من الفرسان اليوم». «ابن هشام: ٧٠٥/٣».

ولهذا ركز النبي ﷺ اهتمامه على الثغرة! فأمر علياً عليه السلام أن يبادر بسرعة في أخذها، فإن اعترض أحد من «المسلمين» فليقتله!

قال القاضي النعمان في شرح الأخبار (٢٩٤/١): «وتسلل عن رسول الله ﷺ أكثر أهل المدينة فدخلوا بيوتهم كالملقين بأيديهم، فاقتحم عمرو بن عبد ود وأصحابه الخندق على المسلمين، فلما نظر رسول الله ﷺ إلى ذلك وأن خيلهم جالت بهم في السبخة بين الخندق و سلع، وقربوا من مناخ رسول الله، تخوف أن يمددهم سائر المشركين فيقتحموا الخندق فدعى علياً عليه السلام فقال: يا علي إمض بمن خفَّ معك من المسلمين فخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها، فمن قاتلكم عليها فاقتلوه! فمضى علي عليه السلام في نفر جمعوا معه يريدون الثغرة، وقد كان المشركون هموا أن يلجوها، فلما رأوهم وهم أقل من الذين اقتحموها منهم، توقفوا لينظروا ما يكون من أمر أصحابهم، وعطف عليهم ابن عبدود بمن كان معه تعنق بهم خيلهم، حتى قربوا منهم».

مبارزة علي عليه السلام لعمر بن عبد ود

تمكن عمرو بن ود العامري أن يعبر الخندق بفرسه من النقطة التي دله عليها المنافقون، وعبر معه ابنه حسيل، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وثلاثتهم من بني مخزوم، وضرار بن الخطاب، ومرداس، وهما فهريان.

وأخذ ابن ود يستعرض قوته مرةً بسيفه ومرةً برمح، أو يركزه في الأرض ويدور بفرسه حوله، ويقول: أبرزائي يا محمد، ثم يقول: إنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار؟ ألا يجب أحذكم أن يُقدِّم على الجنة، أو يبعث عدواً له إلى النار؟ إلا هل من مبارز؟!

ولقد مجحت من النداء بجمعكم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجاع موقف الخصم المناجز

إني كذلك لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى والجود من كرم الغرائز

وأخذ النبي ﷺ يحث المسلمين على مبارزة عمرو ويضمن لمن بارزه الجنة، وهم سكوت كأنها على رؤوسهم الطير! فقال علي ؓ: أنا له يارسول الله، فأمره بالجلوس، وواصل النبي ﷺ دعوته المسلمين ليتم الحجة عليهم فلم يجبه منهم أحد! فقام علي ؓ ثانية وقال: أنا له يارسول الله، فقال له: أجلس، وبرواية ابن إسحاق: يا علي إنه عمرو، فأجابه: وأنا علي يارسول الله! فقال له النبي ﷺ: أدن مني، فدنا منه فألبسه عمامته وأعطاه سيفه، ودعا له، وأطلق كلماته الرسولية بحقه.

وتقدم علي ؓ مهرولاً نحو عمرو وهو يرتجز، وذهب معه خمسة يتفرجون على المبارزة: جابر الأنصاري، وحذيفة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعمر، وكان عمرو راكباً، وعلي ؓ راجلاً، وهو يقول:

لاتعجلنَّ فقد أتاك محيب صوتك غيرُ عاجز
ذو نيةٍ وبصيرةٍ والصدق مُنجي كلِّ فائر
إني لأرجو أن تقو م عليك نائحةُ الجنائر
من طعنة نجلاء يبق ذكرها بين الهزاهز

وجرى بينهما كلام طويل، حتى غضب عمرو وأهوى بسيفه إلى علي ؓ بضربة قوية، فتلقاها علي ؓ بترسه، فشقت الترس والخوذة والعمامة ووصلت إلى رأسه ؓ فجرحته في قرنه، فانفجر الدم يجري على رأسه وكتفه، ولم يتأخر علي ؓ بضربه على ترقوته برواية البيهقي وابن إسحاق فهو عمرو صريعاً وكبر علي ؓ بصوته الجهوري فكبر النبي والمسلمون.

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ١٠/٢، بسنده عن حذيفة، قال: «فجاء حتى وقف على عمرو فقال: من أنت؟ فقال عمرو: ما ظننت أني أقف موقفاً أجهل فيه، أنا عمرو بن عبد ود؟ فمن أنت؟ .. إلى أن قال: وكان في درع عمرو قصر فلما تشاك بالضربة تلقاها علي بالترس فلحق ذباب السيف في رأس علي ؓ حتى قطعت تسعة أكوار حتى خط السيف في رأس علي. وتسيّف عليٌ رجله بالسيف من أسفل فوقع على قفاه، فثارت بينهما عجاجة فسمع علي ؓ يكبر، فقال رسول الله ﷺ: قتله والذي نفسي بيده!

وفرّح النبي ﷺ بقتل علي عمرواً وأخبرهم بأن ميزان القوة تغير! وقال: ضربة علي تعدل عند الله عمل الثقلين. وقال: الآن نغزوهم ولا يغزوننا». «إعلام الوري: ٣٨٢/١، والإرشاد: ١٠٢/١».



الشدة الخامسة عشرة: لما تناقل المسلمون عن أمره في الحديبية!

أمرهم النبي ﷺ بالنحر والحلق فتناقلوا!

قال القمي في تفسيره: ٣١٠/٢: « فلما كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت: نحن في عهد محمد رسول الله وعقده، وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها. وكتبوا نسختين نسخة عند رسول الله ﷺ، ونسخة عند سهيل بن عمرو. وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أنحروا بदनكم واحلقوا رؤوسكم، فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة؟! فاعتم رسول الله ﷺ من ذلك، وشكى ذلك إلى أم سلمة فقالت: يا رسول الله إنحر أنت واحلق، فنحر رسول الله ﷺ وحلق ونحر القوم على حيث يقين وشك وارتياب، فقال رسول الله ﷺ تعظيماً للبدن: رحم الله المحلقين، وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله والمقصرين؟ لأن من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق فقال رسول الله ﷺ ثانياً: رحم الله المحلقين الذين لم يسوقوا الهدي، فقالوا يا رسول الله والمقصرين؟ فقال رحم الله المقصرين».

غضب عمر في الحديبية وانشق على النبي ﷺ!

في المسترشد للطبري الشيعي ٥٣٦: « فغضب الثاني وقال لصاحبه: يزعم أنه نبي وهو يرد الناس إلى المشركين! ثم أتى النبي ﷺ فقال: أأست برسول الله حقاً؟ قال: بلى قال: ونحن المسلمون حقاً؟ قال: بلى، قال: وهم الكافرون؟ قال: بلى، قال: فعلى مَ نعطي الدنية في ديننا؟! فقال له النبي ﷺ: إنما أعمل بما يأمرني به الله ربي، إنه من خرج منها إليهم راغباً فلا خير لنا في مقامه بين أظهرنا ومن رغب فينا منهم، فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً. فقال: والله ما شككت في الإسلام إلا حين سمعت رسول الله يقول ذلك! وقام من عند النبي ﷺ متسخطاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ غير راض بذلك، ثم أقبل يمشي في الناس ويؤلب على رسول الله ﷺ ويعرض

به ويقول: وعدنا برؤياه التي زعم أنه رآها يدخل مكة، وقد صددنا عنها ثم نصرف الآن، وقد أعطينا الدنية في ديننا! والله لو أن معي أعواناً ما أعطيت الدنية أبداً!

وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في: أين سنة الرسول وماذا فعلوا بها/٢٧٣: «صلح الحديبية من أعظم الإنجازات الإسلامية على الإطلاق بل هو الثمرة المباركة لكافة المعارك التي خاضها رسول الله، وقد وصف تعالى في كتاب العزيز هذا الصلح بالفتح المبين والنصر العزيز، لأن هذا الصلح قد حسم الموقف نهائياً لصالح الإسلام دون إراقة قطرة دم واحدة! ولو تغاضينا عن هذه النتائج الباهرة فإن كل ما فعله الرسول كان بأمر ربه. لقد أعلن الرسول ﷺ أن روح القدس قد نزل عليه وأمره بالبيعة، وقد فهم الجميع أن الصلح قد تم بتوجيه إلهي فقد قال الرسول للجميع: إني رسول الله ولست أعصيه. وقال أبو بكر مخاطباً عمر: أيها الرجل إنه لرسول الله، وليس يعصي ربه وهو ناصره! وبالرغم من كل ذلك، فإن عمر بن الخطاب اعتبر الصلح الذي رضي به الله ورسوله «دنية في الدين» وأن ما فعله الرسول كان خاطئاً وغير صحيح! وحاول عمر أن يقنع الحاضرين بأن الصلح الذي ارتضاه الله ورسوله دنية في الدين، ليفرضوا على الرسول إلغاء الصلح والرجوع عنه! ولما يئس من إقناعهم قال: لو وجدت أعواناً ما أعطيت الدنية في ديني! والمثير أنهم رغم ذلك سجلوه شاهداً على صك صلح الحديبية! وكما تعلم فإن سنة الرسول تعني: قول الرسول وفعله وتقريره».

وقال المحامي يعقوب في كتاب: المواجهة مع رسول الله ﷺ/٣٦٩: «لقد اعتبر عمر هذه المعاهدة (دنية)! وقال للرسول أمام المسلمين: فعلاً نعطي الدنية في ديننا! وظهر الرجل بمظهر من يزود على الرسول ﷺ بالدين، الذي علمه الرسول إياه! وقبل يوم واحد فقط طلب رسول الله ﷺ من عمر أن يذهب إلى بطون قريش ليقول لها: بأن رسول الله لم يأت لقتال أحد، إنها جئنا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمة، معنا الهدى ننحره ونصرف، فرفض وقال: يا رسول الله إني أخاف قريش على نفسي وليس بها من بني عدي من يمنعني! (مغازي الواقدي: ٦٠٠/٢). وهو نفس عمر الذي اشترك في معركة بدر! والذي لم يثبت أنه قتل مشركاً أو جرحه! وهو نفسه الذي هرب من معركة أحد! وقد ذكره الرسول بذلك يوم أقبل عليه فقال له: أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في آخركم! (مغازي الواقدي: ٦٠٩/٢).

وهو نفس الرجل الذي لم يكن له أي دور مميز في أي معركة من معارك الإسلام التي سبقت صلح الحديبية! ومع ذلك يزاد على رسول الله ﷺ ويصف المعاهدة التي وقعها النبي ورضي عنها بأنها دنية في ديننا! وأعلن عمر أنه لو وجد أعواناً ما أعطى الدنية!»!

قال البخاري: ٦٩/٥: «عن نافع قال إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر، وليس كذلك ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتل عليه، ورسول الله يبايع عند الشجرة وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر وعمر يستلئم للقتال، فأخبره أن رسول الله يبايع تحت الشجرة، قال فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله».

أقول: لانقبل قولهم إنه بايع لأنه اعترف بأن النبي ﷺ بقي غاضباً عليه لا يكلمه ولا يجيبه على كلامه، حتى رجعوا ووصلوا بعد يومين إلى كراع الغميم فنزلت سورة الفتح فأرسل عليه وقرأ له السورة! ومعناه أنه كان مغاضباً له لا يكلمه، وأراد أن يتم عليه الحجة فأرسل إليه ليسمع السورة مع المسلمين فتساءل عمر: هل هذا فتح، وفي رواية أنه قال: والله ما هذا بفتح؟!



الشدة السادسة عشرة: لما انهزم المسلمون مرات في خيبر!

فتح النبي ﷺ القسم الأول من خيبر، وترك فيه علياً رضي الله عنه يرتب وضعه، وقصد القسم الثاني الأصعب وهو على بعد بضعة كيلومترات، وهو ثلاثة حصون على رؤوس جبال، وأكبرها حصن القموص فحاصره، وكان يرسل كل يوم شخصاً فتكررت منهم الهزيمة، فغضب النبي ﷺ وأرسل إلى علي رضي الله عنه، وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار.

هنا قال البخاري كان علي تخلف عن النبي في خيبر فأرسل إليه، موهاً أنه تخلف في المدينة، مع أنه كان حامل الراية، وهو الذي فتح حصن ناعم في القسم الأول من خيبر ودحا بابه كما قال النووي!

وقد غضب النبي ﷺ لما رأى هزيمة المسلمين يومياً، ورأى غطرسة مرحب!

قال المرتضى في رسائله (١٠٣/٤): «روى أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ أرسل عمر إلى خيبر فانهزم هو ومن معه، حتى جاء إلى رسول الله ﷺ يجين أصحابه ويجبنونه، فبلغ ذلك من رسول الله ﷺ كل مبلغ، فبات ليلته مهموماً فلما أصبح خرج إلى الناس ومعه الراية فقال: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار!

فتعرض لها المهاجرون والأنصار، ثم قال: أين علي؟ فقالوا: يا رسول الله هو أرمَد، فبعث إليه سلمان وأبازر، فجاءا به وهو يقاد لا يقدر على فتح عينيه، فقال ﷺ: اللهم أذهب عنه الرمد والحر والبرد وانصره على عدوه، فإنه عبدك يحبك ويحب رسولك، ثم دفع إليه الراية. فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله أتأذن لي أن أقول فيه شعراً؟ فأذن له فقال:

وكان علي أرمَد العين يبتغي دواء فلما لم يحس مداوياً
شفاه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقياً وبورك راقياً
وقال سأعطي الراية اليوم ماضياً كميأ محباً للرسول موالياً
يحب إلهي والرسول يحبه به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفي بها دون البرية كلها علياً وسماه الوزير المؤاخيا

فقال: إن علياً لم يجد بعد ذلك أذى في عينيه، ولا أذى حر ولا برد).

وصل علي عليه السلام إلى الحصن قبل الجيش!

في مناقب آل أبي طالب: ٣٢٠/٢: «الواقدي: فوالله ما بلغ عسكر النبي أخيراًه حتى دخل عليٌّ حصون اليهود كلها، وهي قموص وناعم وسلام ووطيح، وحصن المصعب بن معاذ، وغنم. وكانت الغنيمة نصفها لعلي ونصفها لسائر الصحابة. شعبة وقتادة والحسن وابن عباس: أنه نزل جبرئيل على النبي ﷺ فقال له: إن الله تبارك وتعالى يأمرك يا محمد ويقول لك: إني بعثت جبرئيل إلى علي لينصره، وعزتي وجلالي ما رمى علي حجراً إلى أهل خيبر إلا رمى جبرئيل حجراً، فادفع يا محمد إلى علي سهمين من غنائم خيبر سهماً له وسهم جبرئيل معه». قال أحمد: (٥٢/٤): «فخرج مرحب يخطر بسيفه فقال:

قد علمت خير أني مرحبُ شاكي السلاح بطلٌ مجربُ
إذا الحروب أقبلت تلَهَّبُ

فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

أنا الذي سمتني أُمِّي حيدرُه كليلث غابات كرية المنظره
أوفيهمُ بالصاع كَيْلَ السَّنْدَرَة

ففلق رأس مرحب بالسيف، وكان الفتح على يديه .»

« وسمع أهل العسكر صوت ضربته! فما تنام آخر الناس مع علي حتى فتح الله له ولهم .»

(الطبري: ٣٠٠/٢).

قالت أم سلمة: «سمعت وقع السيف في أسنان مرحب!»! (الزوائد: ١٥٢/٦).

وكانت أم سلمة في خيمة القيادة للنبي ﷺ على بعد نحو كيلو مترين من الحصن!

ذهب النبي ﷺ إلى الحصن وبشره بنزول الوحي فيه!

في إعلام الوري (٢٠٧/١): «خرج البشير إلى رسول الله ﷺ أن علياً دخل الحصن فأقبل رسول الله ﷺ فخرج علي عليه السلام يتلقاه فقال ﷺ: قد بلغني نبأك المشكور وصنيعك المذكور، قد رضي الله عنك ورضيت أنا عنك. فبكى علي فقال له: ما يبكيك يا علي؟ فقال: فرحاً بأن الله ورسوله عني راضيان».

أقول: جاء النبي ﷺ إلى حصن خير لأول مرة فخرج علي عليه السلام يتلقاه! وما أن أخبره برضا الله ورضاه عليه حتى بكى! فاعجب لهذه الرقة الإنسانية والعبودية المرهفة لله تعالى، من رجل دوى صوت ضربته قبل ساعتين، وقد هامة بطل اليهود نصفين، رجل انقضَّ على الحصن كأنه كاسحة ألغام، فقلع بابه ورفعاه وأردى أبطال اليهود وأخضعهم! وإذا به أمام رسول الله ﷺ يبكي بكاء الطفل، فرحاً برضا الله ورسوله ﷺ عليه!



الشدة السابعة عشرة: لما انهزم المسلمون في حنين!

كان جيش المسلمين مع النبي ﷺ يسرون في أرض مبسوطة منحدرية فكمنت لهم هوازن وفاجأتهم فانهزم خالد وكان على خيل بني سليم وانهزم بعده المسلمون كلهم، وثبت النبي ﷺ وبنو هاشم ومعهم أيمن ونسيبة! فالتفوا حول النبي ﷺ وحموه.

وفي البخاري: ٢٨/٤: «فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول: أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب. فما روي من الناس يومئذ أشد منه!»

وقام علي بحملاته المتوالية على أصحاب رايات هوازن الأربعين وقتلهم وكان آخرهم القائد النجدي المشهور أبو جرول، فتضعضوا ونزلت بهم الهزيمة، قبل عودة الفارين! وكان علي بعد كل حملة يعود إلى رسول الله ﷺ ليطمئن عليه وقد يأتي معه بأسير أو أكثر!

قال ابن هشام: ٨٩٦/٤: «فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكثفين عند رسول الله!»

فمن أسرهم وكثفهم قبل رجوع الفارين والكل فأرّون ما عدا بني هاشم الذين يجرسون النبي ﷺ وعلي عليه السلام وحده في المعركة؟!

قال السرخسي في سيره: ١١٧/١: «فانكشفت أول الخيول خيل بني سليم مولية ثم تبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس مدبرين لا يلوي أحد على أحد».

وأُنزل الله تعالى في إعجاب أبي بكر بالكثرة: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ.. يعني أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومن ثبت مع النبي ﷺ.

وقد اعترف الجميع بالفرار، ففي صحيح بخاري: ٥٧/٤، قال أبو قتادة: «فلحق عمر بن الخطاب فقلت ما بال الناس؟ قال: أمر الله!»

ومعناه أن عمر نسب الفرار إلى الله تعالى!

وقال ابن هشام: ٨٩٣/٤: «وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ذات اليمين ثم قال: أين الناس هلموا إليّ أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله! قال: فلا شيء!»

أي لم يستجب له احد!

وفي المناقب: ٣٥٥/١: «وقف علي عليه السلام يوم حنين في وسط أربعة وعشرين ألف ضارب سيف. وقتل أربعين رجلاً وفارسهم أباجرول، قدّه بنصفين بضربة في الخوذة والعمامة والجوشن والبدن إلى القربوس».

وقد بخلت مصادر السلطة في ذكر بطولاته عليه السلام وكيف حقق النصر الممين للمسلمين بعد فرارهم! وكيف نزلت السكينة على قلوب الثابتين، ثم نزلت الملائكة، وذلك بعد قتال علي عليه السلام. وقد ادعوا أن ثمانين من الفارين أو مئة رجعوا قبل غيرهم، ونسبوا بطولات علي عليه السلام أو قسماً منها اليهم! لكنهم لم يسموا منهم أحداً إلا عبدالله بن مسعود، وهو ضعيف صغير الجثة غير مقاتل! ثم نسبوا النصر الى دعاء النبي ﷺ وإلقائه حفنة الحصى والتراب على جيش هوازن وهو صحيح، لكنه لا يلغي دور علي عليه السلام! وإلى نزول جبرئيل والملائكة عليهم السلام وهو صحيح لكنه لا يلغي دور علي المميز!



الشدة الثامنة عشرة: لما ألقوا عليه الصخور ليقتلوه بعد تبوك!

حاولوا اغتيال النبي ﷺ ليلاً في رجوعه من تبوك لما صعد العقبة، فألقوا عليه الصخور فنزل جبرئيل عليه السلام وأضاء عليهم وكشفهم فلعنهم النبي ﷺ.

وقد كتبنا في السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام: مؤامرة الصحابة العدول لقتل النبي ﷺ في طريق تبوك!

اعترفت كل المصادر بحصول هذه المؤامرة، وتُعرف بليلة العقبة، ويُعرف منفذوها بأصحاب العقبة! لكنهم اتفقوا على إخفاء إسمائهم! روى مسلم في صحيحه: ١٢٣/٨، عن أبي الطفيل قال: «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذ سألك! قال: كنا نُخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد! وعدَرَ ثلاثة قالوا: ما سمعناه منادي

رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم! ».

وتدل هذه الرواية الرسمية على أن المتآمرين كانوا بعد النبي ﷺ بين المسلمين وكان حذيفة وعمار يعرفانهم، وكذا أهل البيت عليه السلام.

وقد أبهمت الرواية الموضوع وذكرت أن النبي ﷺ عذر ثلاثة منهم غير الأربعة عشر، لأنهم قالوا إنهم كانوا في محل الجريمة صدفةً، ولم يكونوا مع المتآمرين الذين ألقوا الصخور، حيث لم يسمعوا منادي النبي ﷺ يطلب من المسلمين أن يمروا من الوادي، ولا يصعدوا العقبة التي يسلكها النبي ﷺ!

أما قصة الماء ونهي النبي ﷺ أن يشربوا منه إذا وصلوا إليه قبله، فهي منفصلة عن مؤامرة العقبة، فقد كان ذلك الماء قليلاً وأراد النبي ﷺ أن يباركه ويجريه بما يكفي الجيش والمنطقة، فوصل إليه جماعة قبله وشربوا منه، وهم من أصحاب العقبة! فلعنهم النبي ﷺ ثانية بعد لعنة العقبة!

وروى المفسرون مؤامرة العقبة في تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمُْوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قال البيضاوي في تفسيره: ١٥٨/٣: «وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا، من الفتك بالرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذ تسنم العقبة بالليل! فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقة السلاح فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله، فهربوا».

وفي الخصال/٤٩٩، عن حذيفة أنهم أربعة عشر، ثم عدّد أسماءهم كما يأتي، وقال: «وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: وَهُمُْوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا».

اتفقت روايتهم على أن المؤامرة كانت لقتل رسول الله ﷺ في نقطة معينة من العقبة!
قال الصحابي عامر بن واثلة كما في روايتهم الصحيحة: «أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه».
(مسند أحمد: ٤٥٣/٥). كما اتفقوا على أن غزوة تبوك كانت في الصيف وكانوا يسرون ليلاً

اتقاء الحر، وكان أمامهم طريق مختصر من العقبة لا يناسب جيشاً من ثلاثين ألفاً، فسللك الجيش طريق الوادي وقرر النبي ﷺ أن يسلك طريق العقبة، وأحس بأن بعضهم يأتمر عليه فنادى مناديه أن لا يسلك أحد العقبة، فبادر المتآمرون وصعدوا الجبل ليدخرجوا صخوراً كبيرة عليه فتقتله، أو تنفر ناقته ﷺ فسقط في الوادي، وكان مسلماً ضيقاً يتسع في نقطة منه لجمل واحد، وكان واديه عميقاً، روي أنه مقدار ألف رمح! (البحار: ٢٦٧/٨٢).

كما ورد ذكر الدُّبَاب، وهي كراتٌ كبيرة من جلود أو خشب، يلقونها فتصدر منها أصوات تنفر الناقة: « فسبق بعضهم إلى تلك العقبة وكانوا قد أخذوا دبابة كانوا هياًوها من جلد حمار، وضعوا فيها حصى وطرحوها بين يدي الناقة ». (الصحيح من السيرة: ١٤٣/٣٠).

وفي الإحتجاج: ٦٤/١: « وجاء الأربعة والعشرون على جماهم وبين أيديهم رجالتهم يقول بعضهم لبعض: من رأيتموه هنا كائناً من كان فاقتلوه، لئلا يخبروا محمداً أنهم قد رأونا هاهنا، فينكص محمد ولا يصعد هذه العقبة إلا نهراً فيبطل تدبيرنا عليه! وسمعها حذيفة... فأخبر رسول الله ﷺ بما رأى وسمع فقال رسول الله ﷺ: أوعرفتهم بوجوههم؟ فقال: يا رسول الله كانوا مثلثمين وكنت أعرف أكثرهم بجماهم فلما فتشوا المواضع فلم يجدوا أحداً أحذروا اللثام، فرأيت وجوههم وعرفتهم بأعيانهم وأسمائهم: فلان وفلان حتى عد أربعة وعشرين. فقال رسول الله ﷺ: يا حذيفة إذا كان الله يثبت محمداً، لم يقدر هؤلاء ولا الخلق أجمعون أن يزيلوه، إن الله تعالى بالغ في محمد أمره ولو كره الكافرون).

وفي سبل الهدى للصالحى (٤٦٦/٥): (قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تُضرب أعناقهم؟ قال: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمداً قد وضع يده في أصحابه، فسماهم لهم ثم قال: أكتاهم!)



الشدة التاسعة عشرة: لما تخلفوا عن جيش أسامة!

مرض النبي ﷺ قبل وفاته بأسبوعين، وفي ثاني يوم من مرضه أمر بتسيير جيش أسامة إلى مؤتة وبعث كل خصوم علي بن أبي طالب في جيش أسامة فأخذوا يماطلون عن الحركة، فحثهم ولعن

من تخلف عن جيش أسامة!

قال المفيد في الإرشاد: ١٧٩/١: «ثم إنه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة، وندبه أن يخرج بجمهور الأمة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيه على إخراج جماعة من متقدمي المهاجرين والأنصار في معسكره، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته ﷺ من يختلف في الرئاسة ويطمع في التقدم على الناس بالإمارة ويستتب الأمر لمن استخلفه من بعده، ولا ينازعه في حقه منازع. فعقد له الإمرة على من ذكرناه وجدَّ ﷺ في إخراجهم، فأمر أسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره إلى الجرف، وحث الناس على الخروج إليه والمسير معه وحذرهم من التلوُّم والإبطاء عنه).

وفي إعلام الوري: ٢٦٣/١: «ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من حج الوداع بعث بعده أسامة بن زيد وأمره أن يقصد حيث قتل أبوه، وقال له: أوطئ الخيل أو اخر الشام من أوائل الروم. وجعل في جيشه وتحت رايته أعيان المهاجرين ووجوه الأنصار وفيهم أبوبكر وعمر وأبو عبيدة. وعسكر أسامة بالجرف فاشتكى رسول الله ﷺ شكواه التي توفي فيها وكان يقول في مرضه: نفذوا جيش أسامة ويكرر ذلك، وإنما فعل ذلك لثلا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الإمامة ويطمع في الإمارة، ويستوسق الأمر لأهله».

وفي كتاب سليم بن قيس رحمته الله ٤٢٤/١: «وفي ذلك الجيش أبوبكر وعمر، فقال كل واحد منهما: لا ينتهي يستعمل علينا هذا الصبي العبد!»

وقال ابن حجر في فتح الباري: ١١٥/٨: وهو من كبار أئمة السلطنة: «وقد أنكر ابن تيمية في كتاب الرد على ابن المطهر أن يكون أبوبكر وعمر في بعث أسامة، ومستند ما ذكرناه ما أخرجه الواقدي بأسانيده في المغازي، وذكره ابن سعد وأخر الترجمة النبوية بغير إسناد، وذكره ابن إسحاق في السيرة المشهورة ولفظه: بدأ برسول الله ﷺ وجعه يوم الأربعاء فأصبح يوم الخميس فعقد لأسامة فقال: أغز في سبيل الله وسر إلى موضع مقتل أبيك، فقد وليتك هذا الجيش. فذكر القصة وفيها: لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبوبكر وعمر. وعند الواقدي أن ذلك الجيش كان ثلاثة آلاف، فيهم سبع مائة من قریش».

أقول: أوردنا كلام ابن حجر لإثبات أن النبي ﷺ تعمد أن يُفرغ المدينة من القرشيين، ومن

كل من يمكن أن يعارض استخلاف علي عليه السلام . وتعمد أن يؤمر عليهم أسامة الشاب الأسود ابن الثمان أو السبع عشرة سنة حتى لا يعترض أحد على سن علي عليه السلام الذي كان في الثالثة وثلاثين من عمره. كما نلاحظ أن النبي ﷺ أخبر عن النتائج السيئة لما يجري حوله، وأطلق تحذيره لأجيال الأمة من الفتن التي سيسببها طمع قريش في خلافته!

وفي منهاج الكرامة/١٠٠: «وقال رسول الله ﷺ في مرض موته مرة بعد أخرى مكرراً لذلك: أنفذوا جيش أسامة! لعن الله المتخلف عن جيش أسامة! وكان الثلاثة معه».

وفي تقريب المعارف/٣١٤: «ولا فرق بين خلافة ﷺ فيما أمر به من المسير مع أسامة، وبين خلافة فيما أمر به من الصلاة والزكاة والإمامة، وذلك فسق لا شبهة فيه، ودعوى خروج أبي بكر من البعث لا يفي شيئاً لثبوت الرواية».

وروى ابن هشام (١٥٧/٤) أن النبي ﷺ لما رجع من البقيع في أول مرضه وتحدث عن الفتن وقال لعائشة: «ما ضرك لو مت قبل فقمت عليك وكفتك وصليت عليك ودفنتك؟ قالت قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساءك!»
وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام عملهم لإفشال جيش أسامة وعجلتهم في بيعة الفتنة في جوابه للحبر اليهودي عن امتحانات الله لوصي النبي ﷺ فقال (الخصال/٣٧١):

«وأما الثانية يا أبا اليهود، فإن رسول الله ﷺ أمرني في حياته على جميع أمته وأخذ على من حضره منهم البيعة بالسمع والطاعة لأمره، وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب في ذلك، فكنت المؤدي إليهم عن رسول الله ﷺ أمره إذا حضرته، والأمير على من حضرني منهم إذا فارقت، لا تختلج في نفسي منازعة أحد من الخلق لي في شيء من الأمور، في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته. ثم أمر رسول الله ﷺ بتوجيه الجيش الذي وجهه مع أسامة بن زيد، عند الذي أحدث الله به من المرض الذي توفاه فيه، فلم يدع النبي ﷺ أحدًا من أئناء العرب ولا من الأوس والخزرج وغيرهم من سائر الناس، ممن يخاف عليّ نقضه ومنازعته، ولا أحدًا ممن يراني بعين البغضاء ممن قد وترته بقتل أبيه أو أخيه أو حميمه، إلا وجهه في ذلك الجيش، ولا من المهاجرين والأنصار والمسلمين وغيرهم، والمؤلفة قلوبهم والمنافقين، لتصفو قلوب من يبقى معي بحضرته، ولئلا يقول قائل شيئاً مما أكرهه، ولا يدفعني دافع من الولاية والقيام بأمر رعيته من بعده. ثم كان

آخر ما تكلم به في شيء من أمر أمته أن يمضي جيش أسامة ولا يتخلف عنه أحد ممن أنهض معه، وتقدم في ذلك أشد التقدم، وأوعز فيه أبلغ الإيعاز، وأكد فيه أكثر التأكيد!

فلم أشعر بعد أن قبض النبي ﷺ إلا برجال من بعث أسامة بن زيد وأهل عسكره قد تركوا مراكزهم وأخلوا مواضعهم، وخالفوا أمر رسول الله ﷺ فيما أنهضهم له وأمرهم به، وتقدم إليهم من ملازمة أميرهم والسير معه تحت لوائه، حتى ينفذ لوجهه الذي أنفذه إليه، فخلفوا أميرهم مقيماً في عسكره، وأقبلوا يتبادرون على الخيل ركضاً إلى حل عقدة عقدها الله عز وجل لي ولرسوله ﷺ في أعناقهم فحلوها، وعهد عاهدوا الله ورسوله فنكثوه، وعقدوا لأنفسهم عقداً ضجت به أصواتهم واختصت به آراؤهم، من غير مناظرة لأحد منا بني عبد المطلب، أو مشاركة في رأي، أو استقالة لما في أعناقهم من بيعتي! فعلوا ذلك وأنا برسول الله ﷺ مشغول، وبتجهيزه عن سائر الأشياء مصدود، فإنه كان أهمها وأحق ما بدئ به منها!

وقال السيد شرف الدين في المراجعات/٣٦٥: «سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى غزو الروم، وهي آخر السرايا على عهد النبي ﷺ وقد اهتم فيها بأبي وأمي اهتماماً عظيماً فأمر أصحابه بالتهيؤ لها وحضهم على ذلك، ثم عبأهم بنفسه الزكية إرهافاً لعزائمهم واستنهاضاً لهممهم، فلم يبق أحداً من وجوه المهاجرين والأنصار، كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وأمثالهم، إلا وقد عبأه بالجيش... فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف، ثم تناقلوا هناك فلم يبرحوا، مع ما وعوه ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب إسراعهم... وطعن قوم منهم في تأمير أسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه، وقالوا في ذلك فأكثرنا مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالإمارة... حتى غضب ﷺ من طعنهم غضباً شديداً، فخرج بأبي وأمي معصب الرأس مدثراً بقطيفته محمواً المأ... فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال فيما أجمع أهل الأخبار على نقله واتفق أولوا العلم على صدوره: أيها الناس ما مقالة بلغتنني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله! وأيم الله إنه كان خليقاً بالإمارة وإن ابنه من بعده خليق بها! وحضهم على المبادرة إلى السير فجعلوا يودعونونه ويخرجون إلى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل.

ثم ثقل في مرضه فجعل يقول: جهزوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة، أرسلوا بعث

أسامة.. لعن الله من تخلف عنه... وقد تعلم أنهم إنما تثاقلوا عن السير أولاً، وتخلفوا عن الجيش أخيراً، ليحكموا قواعد سياستهم ويقيموا عمدتها، ترجيحاً منهم لذلك على التعبد بالنص. وإنا أمر عليهم أسامة وهو ابن سبع عشرة سنة، كياً لأعنة البعض، ورداً لجحاح أهل الجحاح منهم، واحتياطاً على الأمن في المستقبل من نزاع أهل التنافس.. لكنهم فطنوا إلى ما دبر ﷺ فطعنوا في تأمير أسامة وتثاقلوا عن السير معه، فلم يبرحوا من الجرف حتى لحق النبي ﷺ بربه... فهذه خمسة أمور في هذه السرية لم يتعبدوا فيها بالنصوص الجلية، إيثارة لرأيهم في الأمور السياسية، وترجيحاً لاجتهادهم فيها على التعبد بنصوصه ﷺ».



الشدة العشرون: لما منعه أن يكتب عهده!

عرف مخالفوا علي عليه السلام أن النبي ﷺ يريد أن يكتب عهده وينص فيه على خلافة علي والحسن والحسين والحسين وتسعة من ذرية الحسين عليه السلام.

وطلب أن يحضر من حضر من أصحابه، وكان، أول الحاضرين المتخلفين عن جيش أسامة، فكثفوا حضورهم واحتشدوا في المسجد والسكة، ولما طلب منهم النبي ﷺ أن يحضروا دواة وقرطاساً ليكتب لهم كتاباً إن عملوا به لا يضلون من بعده، فتصدى له عمر ورد عليه واتهمه بأنه قد خرف، وصاح باللقاء: القول ما قاله عمر، ومنعه أن يكتب عهده، فغضب وطردهم وقال: قوموا عني! وقد روت كل المصادر حديث الانقلاب على النبي ﷺ الذي قاده عمر بمناصرة طلقاء قريش، فقد وقف في وجه النبي ﷺ في مرضه ورد عليه ومنعه أن يكتب لأمتة عهداً يؤمنونها من الضلال، ويجعلها سيدة العالم! فقد صاح عمر: حسبنا كتاب الله.. وصاح خلفه الطلقاء: القول ما قاله عمر، لا تقربوا له شيئاً!

قال البخاري (٣٦١): «عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا! فاختلفوا: وكثر اللغط! قال ﷺ: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه.»

«فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله: قوموا». (بخاري: ١٣٧/٥).

وفي مسلم: ٧٥/٥: «عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ! قال: قال رسول الله ﷺ: إئتوني بالكف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقالوا: إن رسول الله يهجر! وفي رواية أخرى: فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله».

وفي مسند أحمد (٣٤٦/٣): «دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده قال فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها!»!

وفي مجمع الزوائد (٣٣/٩): «عن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي قال: أدعوا لي بصحيفة ودواة أكتب كتاباً لا تضلون بعدي أبداً، فكرهنا ذلك أشد الكراهة! ثم قال: أدعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده أبداً! فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله؟ فقلت: إنكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله عصرتن أعينكن وإذا صح ركبتن رقبته. فقال رسول الله: دعوهن فإنهن خير منكم!»!

وقد وصف المحامي الأردني أحمد حسين يعقوب/١٨٢، أجواء المواجهة في كتابه القيم: عدالة الصحابة، فكتب تحت عنوان: المواجهة الصاخبة. وقد تقدم الحديث فيها في فصل رزية يوم الخميس.

وقال المحامي الأردني: برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين بمواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه! انتهى كلامه.

أقول: جاء انقلاب يوم الخميس نتيجة صراع قريش مع النبي ﷺ الذي أخذ منحى جديداً بعد فتح مكة، فقد قرر زعماء البطون أن يخوضوا مع النبي ﷺ المواجهة حول خلافته بزعامة عمر! وكثفوا وجود الطلقاء في المدينة لشد ظهر عمر فبلغوا ألوفاً! لأن الذين كتب النبي ﷺ أسماءهم في جيش أسامة كانوا سبع مئة قرشي! «فتح الباري: ١١٦/٨».

وقد أخبر الله تعالى نبيه ﷺ أن أمته ستختلف بعده كالأمم السابقة: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ». (البقرة: ٢٥٣).

فكان النبي ﷺ يؤكد على مكانة أهل بيته عليه السلام ويحذر أمته أن يرتدوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، لأجل الحكم والخلافة! وخطب فيهم في حجة الوداع خمس خطب بين فيها كل ما ينبغي بيانه وبشرهم بالأئمة الإثني عشر عليه السلام من عترته بعده، وأكد على وجوب اتباعهم وإلا وقعوا في الضلال والإنهيار!

وفي خطبته السادسة بغدير خم أخذ بيد علي عليه السلام وأصعده المنبر وأعلنه خليفته، وأمرهم أن يهتئوه ويبايعوه ففعلوا، وكان عمر أول المهتئين! فقال كما في حديثهم الصحيح: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم.

وفي مرض وفاته ﷺ أمره ربه عز وجل أن يدعو من حضر من أصحابه ويتم عليهم الحجة، فعرض عليهم أعظم عرض قدمه نبي لأمته! أن يضمن لهم أن يكونوا سادة العالم إلى يوم القيامة، بشرط أن يقبلوا حكم الله ورسوله ويلتزموا بتنفيذ عهد يكتبه لهم! فانبرى له عمر بالنيابة عن قريش فرد عليه، وأعلن رفضهم لعرضه! فشد ظهر عمر أكثر الحاضرين وصاحوا في وجهه ﷺ: القول ما قاله عمر، أي لا نريد أن تكتب لنا كتاباً، ولا نريد أمانك من الضلال! فقد غلب عليك الوجد وفقدت الصلاحية العقلية فأنت تهذي! فردوا عليه وأهانوه ﷺ، وحكموا عليه بأنه فقد عقله فهو يهذي! واختاروا الضلال عن عمد وإصرار، وأن يصادروا من نبينهم ﷺ قيادة الأمة ويعطوها إلى عمر، زعيم قريش الجديد!

واضطرب النبي المظلوم ﷺ إلى السكوت، لأنهم خيروه بين الكف عن كتابة عهده وبين أن يعلنوا الردة، وأنه ليس نبياً بل أراد تأسيس ملك لأسرته بطن بني هاشم كملك كسرى وقيصر! فالיום ابن عمه علي ابن الثالث وثلاثين سنة ثم من بعده أولاد ابنته الذين هم دون العاشرة، وإن دخلت الخلافة فيهم فلن تخرج منهم، ولن يصل إلى قبائل قريش شيء، وهذا ظلم لقريش ما بعده ظلم! لهذا، تنطع بتحويل زعماء قريش، وواجه النبي ﷺ بالقول إن بني هاشم تكفيهم النبوة، والخلافة يجب أن تكون لبقية البطون، وبنو هاشم فيها كغيرهم لا أكثر!

قال عمر لعبد الله بن عباس (شرح النهج ٢١/١٢): (يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها! هل بقي في نفسه (علي) شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أن رسول الله نص عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك سألت أبي عما يدعيه فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره دَرُوءٌ

(طرف) من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفافاً وحيطة على الإسلام!

لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أني علمت ما في نفسه فأمسك). ثم قال ابن أبي الحديد: (ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً).

وهكذا اعتبرت قريش أنها انتصرت على النبي ﷺ في مرض وفاته، فمنعته من كتابة عهده لعترته! وما أن أغمض عينيه ﷺ حتى سارعت بالصفق على يد خليفته، وأسست نظام الخلافة القرشي على قانون الغلبة والتسلط!

وفتحت بذلك صراعاً على السلطة لم تعرف أمة بعد رسولها أكثر منه سفكاً للدماء! وكان نتيجة هذا النظام بعض فتوحات على غير منهج، ثم غلبة غلمان بني أمية على الخلافة، ثم غلمان بني العباس، ثم غلمان الشراكسة والعثمانيين، حتى انهارت الخلافة ودفنها الغربيون في استانبول!

أعلن النبي ﷺ في الحج اللعنة على من عصاه في أهل بيته!

كان النبي ﷺ أطلق هذه المقولة مرات في خطبه في حجة الوداع، لكنه هذه المرة أرسل علياً ليصعد منبره في المسجد، ويطلق هذه اللعن النبوية!

وقد استعمل النبي ﷺ أسلوباً لتبليغ هذه العقيدة، جعل قريشاً ترويه ولا تفهمه، حتى يأتي غيرها ويفهمها إياه فتفيق!

فقد أطلق لعنة الله وملائكته والناس أجمعين ولعنته هو على من ادعى لغير أبيه، أو تولى غير مواليه، أو منع أجيراً أجره! ويقصد أبوته وعلياً ﷺ للأمة، وبالأجير نفسه، وبأجره طاعة عترته ﷺ.

ورواه أحمد في مسنده (١٨٧/٤): (ألا ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، أو عدلاً ولا صرفاً). وبألفاظ أخرى ٢٣٨/١ و ١٨٦/٤ و ٢٣٩/٤.

ورواه البخاري (٢٢١/٢، و ٦٧/٤) بلفظ: (والمدينة حرم ما بين عير إلى كذا فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى فيها محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرف ولا عدل. ومن

تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك).

وفي سنن ابن ماجه (٩٠٥/٢): عن عمرو بن خارجه أن النبي ﷺ خطبهم وهو على راحلته وإن راحلته لتقصع بجرانها، وإن لغامها ليسيل بين كتفي، قال: ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ).

وفي سنن الترمذي (٢٩٣/٣): عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع.. مثله. والدارمي (٢٤٤/٢ و ٣٤٤) وغيره.

وهي عقوبة أخروية، تتناسب مع مسؤولية النبي ﷺ في التبليغ، والشهادة على الأمة. وقد جاءت بصيغة قرار من الله تعالى قاطع بلعن المخالفين لرسوله ﷺ في أهل بيته، وطردهم من الرحمة الإلهية، وحكماً عليهم بعدم قبول توبتهم نهائياً، واستحقاقهم العذاب في النار. ومقصوده بالأبوة: أبوته هو المعنوية للأمة، وبالولاء: ولايته وولاية أهل بيته عليها، وليس مراده الأبوة النسبية ولا ولاء المالك لعبده، لكنها أقوى الأبوات!

والدليل على أن هذا مقصوده ﷺ أن الولد لو هرب من أبيه، ونسب نفسه الى والد آخر، ثم تاب فإن الفقهاء جميعاً يفتون بأن توبته تقبل!

ولو أن مملوكاً هرب من سيده ولجأ إلى شخص وادعى أنه سيده، ثم تاب، أو شخصاً منع أجيراً أجرته ثم تاب وأعطاه، فقد أجمعوا على قبول توبتهم!

بينما هذا الشخص في الحديث النبوي مصبوب عليه الغضب الإلهي واللجنة إلى الأبد: (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً). والصرف التوبة، والعدل الفدية، فهي عقوبة لا تكون إلا لحالة الخيانة العظمى كالموت على الردة والشرك ونحوهما، ولا يعقل أن تكون لولد يدعو نفسه لغير أبيه، أو لعبد يدعو نفسه لغير سيده!

ويؤيد ذلك تصريح بعض رواياتها بكفر من يفعل ذلك وخروجه من الإسلام!

ففي سنن البيهقي: ٢٦/٨، ومجمع الزوائد: ٩/١، وكتر العمال: ٨٧٢/٥ و (٣٢٤/١٠) (فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. أحمد عن جابر). وفي ٣٢٦: من تولى غير مواليه فليتبوأ بيتاً في النار. ابن جرير عن عائشة). وفي ٣٢٧: (من تولى غير مواليه فقد كفر.

ابن جرير عن أنس). وفي ٢٥٥/١٦: فهو كافر بما أنزل الله على رسوله!

ولما منعوه أن يكتب عهده أرسل علياً عليه السلام ليعلن لعنته!

ومنها ما رواه الطوسي في أماليه/١٢٣، والمفيد في أماليه/٣٥١: (أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو بكر محمد بن عمر الجعابي، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، قال: حدثنا أبو عوانة موسى بن يوسف القطان الكوفي، قال: حدثنا محمد بن سليمان المقرئ الكندي، عن عبد الصمد بن علي النوفلي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الأصبع بن نباتة السعدي، قال: لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه نفر من أصحابنا، أنا والحارث وسويد بن غفلة وجماعة معنا، فقعنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن علي عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين: انصرفوا إلى منازلكم، فانصرف القوم غيري فاشتد البكاء من منزله، فبكيت وخرج الحسن عليه السلام وقال: ألم أقل لكم انصرفوا. فقلت: لا والله يا ابن رسول الله ما تتابعني نفسي ولا تحملني رجلي أن انصرف حتى أرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه. قال: وبكيت. فدخل فلم يلبث أن خرج فقال لي: أدخل، فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند، معصوب الرأس بعمامة صفراء، قد نرف واصفر وجهه، ما أدري وجهه أصفر أم العمامة، فأكبت عليه فقبلته وبكيت فقال لي: لا تبك يا أصبع، فإنها والله الجنة. فقلت له: جعلت فداك، إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنة، وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين. جعلت فداك حدثني بحديثي سمعته من رسول الله ﷺ فإني أراك لا أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً. قال: نعم يا أصبع، دعاني رسول الله ﷺ يوماً فقال لي: يا علي، إنطلق حتى تأتي مسجدي ثم تصعد منبري ثم تدعو الناس إليك فتحمد الله تعالى وتثني عليه وتصلي عليّ صلاة كثيرة، ثم تقول: أيها الناس، إني رسول رسول الله إليكم، وهو يقول لكم: إن لعنة الله ولعنة ملائحته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي، على من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره.

فأتيت مسجده ﷺ وصعدت منبره، فلما رأته قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي، فحمدت الله وأثنت عليه وصليت على رسول الله ﷺ صلاة كثيرة، ثم قلت: أيها الناس، إني رسول رسول الله إليكم، وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائحته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره.

قال: فلم يتكلم أحد من القوم إلا عمر بن الخطاب، فإنه قال: قد أبلغت يا أبا الحسن، ولكنك جئت بكلام غير مفسر. فقلت: أبلغ ذلك رسول الله فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: إرجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري فاحمد الله واثن عليه، وصل عليّ ثم قل: يا أيها الناس، ما كنا لنجيئكم بشيء إلا وعندنا تأويله وتفسيره، ألا وإني أنا أبوكم، ألا وإني أنا مولاكم، ألا وإني أنا أجيركم. ألا وإني أنا مولاكم، ألا وإني أنا أجيركم).

ومنها ما رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره ٣٩٢/هـ، قال: (حدثنا عبد السلام بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحارث الهاشمي قال: حدثنا الحكم بن سنان الباهلي، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لفاطمة بنت الحسين عليها السلام: أخبريني جعلت فداك بحديث أحدث، واحتج به على الناس. قالت: نعم، أخبرني أبي أن النبي ﷺ كان نازلاً بالمدينة، وأن من أتاه من المهاجرين عرضوا أن يفرضوا لرسول الله ﷺ فريضة يستعين بها على من أتاه، فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: قد رأينا ما ينبوك من النوائب، وإنا أتيناك لتفرض فريضة تستعين بها على من أتاك. قال: فأطرق النبي ﷺ طويلاً ثم رفع رأسه فقال: إني لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئت به شيئاً، إنطلقوا فإني لم أؤمر بشيء، وإن أمرت به أعلمتكم. قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك قد سمع مقالة قومك وما عرضوا عليك، وقد أنزل الله عليهم فريضة: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى. قال فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله إلا أن تذلل الأشياء، وتخضع الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبني عبد المطلب. قال: فبعث رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب أن اصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار، ومن ادعى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار، ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار! قال فقام رجل وقال: يا أبا الحسن ما هن من تأويل؟ فقال: الله ورسوله أعلم. فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله: ويل لقريش من تأويلهن، ثلاث مرات!

ثم قال: يا علي انطلق فأخبرهم أني أنا الأجير الذي أثبت الله مودته من السماء، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين، وأنا وأنت أبو المؤمنين).

أقول: لا يصح أن يكون قول: ما أراد رسول الله إلا أن تذلل الأشياء لبني عبد المطلب. من

كلام لأنصار الذين جاؤوا ليدلوا ثلث أمواهم للنبي ﷺ، فلم ينطقوا يوماً بحرف من نوع هذا الكلام. بل الذين قالوا ذلك هم الطلقاء، لما أخبرهم الأنصار بمجلسهم مع النبي ﷺ، ونزول آية المودة في قرباه.



الشدة الحادية والعشرون: الأيام الثلاثة الأخيرة أشد أيام حياته ﷺ!

في كل يوم كان يقول لجبرئيل: أجدني مغموماً مكروباً

روى الجميع حديثاً مهماً وبعض طرقه عندهم صحيحة، فقد رواه ابن سعد والبيهقي والشافعي في مسنده، وبقي بن مخلد في جزئه وغيرهم، وروته مصادرنا مستفيضاً كالصدوق في أماليه، وغيره. ووثق الصالح في سبل الهدى (٢٦٣/١٢) حديث بقي بن مخلد، قال: (لما كان قبل وفاة رسول الله ﷺ بثلاثة أيام هبط جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك، ليسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجددك؟ قال: أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني يا جبريل مكروباً!! فلما كان اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك، يقول لك: كيف تجددك؟ قال: أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً!!

فلما كان اليوم الثالث هبط جبريل.. فقال: يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك، يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجددك؟ قال: أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني يا جبريل مكروباً.

وفي حديث أبي الحويرث عند البيهقي: قال له: إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: إن شئت شفيتك وكفيتك، وإن شئت توفيتك، وغفرت لك قال: ذلك إلى ربي يصنع بي ما يشاء.

ثم استأذن للموت وكان على الباب، فقال جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على آدمي كان قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك، قال: إذن له، فدخل.

فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال: إن الله أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها يا أحمد، وإن أمرتني أن أتركها تركتها قال: وتفعل ذلك يا

ملك الموت؟ قال نعم، بذلك أمرت أن أطيعك في كل أمرتني، فقال جبريل: يا أحمد إن الله قد اشتاق إلى لقاءك. فقال: يا ملك الموت إمض لما أمرت به..).

وفي أمالي الصدوق/٣٨٤، أنه دخل على الإمام زين العابدين عليه السلام رجلان من قريش فقال: ألا أحدثكما عن رسول الله ﷺ؟ فقالا: بلى حدثنا عن أبي القاسم. قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: لما كان قبل وفاة رسول الله ﷺ ثلاثة أيام هبط عليه جبرئيل فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً وتفضيلاً لك وخاصة، يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجددك يا محمد؟ قال النبي ﷺ: أجدي يا جبرئيل مغموماً وأجدي يا جبرئيل مكروباً!

[فلما كان اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجددك فقال: أجدي يا جبريل مغموماً، وأجدي يا جبريل مكروباً.]

فلما كان اليوم الثالث هبط جبرئيل وملك الموت، ومعهما ملك يقال له إسماعيل في الهواء على سبعين ألف ملك، فسبقهم جبرئيل عليه السلام فقال: يا أحمد، إن الله عز وجل أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة، يسألك عما هو أعلم به منك، فقال: كيف تجددك يا محمد؟ قال: أجدي يا جبرئيل مغموماً، وأجدي يا جبرئيل مكروباً!

فاستأذن ملك الموت فقال جبرئيل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك لم يستأذن على أحد قبلك، ولا يستأذن على أحد بعدك.. الخ.

وفي الإرشاد/١٨٧: «ثم قضى ﷺ ويد أمير المؤمنين عليه السلام اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها، فرفعها إلى وجهه فمسح به، ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره، واشتغل بالنظر في أمره».

حديث المغموم المكروب يجعل الولدان شيباً!

وكيف لا يشيب المسلم وهو يرى نبيه ﷺ بعد أن رفضت أمته أن يكتب لها عهده يعيش أشد ثلاثة أيام عليه من يوم خميس الرزية إلى الاثنين، ويغادر أمته وهو مملوء منها غماً وكرهاً لأنها انقلبت عليه في حياته، وأصرت على معصيته، ورفضت أن يكتب لها ما يؤمنها من الضلال ويجعلها سيدة الأمم!

كان يرى ﷺ أن جهود ثلاث وعشرين سنة في بناء الأمة والدولة وإرساء قواعد الإسلام، قد سطت عليها قريش في حياته جهاراً ونهاراً، وقررت أن تأخذ سلطانه وتنحرف برسالته، وأن تضطهد عترته من بعده!

وتذكر روي فداه يوم ذهب الى المسجد، ويده تربة الحسين ﷺ وأخبرهم بأنهم سيقتلونه! ثم جاء بالحسين ثانية وثالثة وأخبرهم وحذرهم!

ثم لخصت المشهد فاطمة ﷺ لما دخلت على أبيها في مرض وفاته وانفجرت باكية بين يديه، وعلا صوتها، كما رواه الطبراني في معجمه الكبير (٥٧/٣) والأوسط (٣٢٧/٦) وأبو نعيم وغيره، بإسنادهم عن أبي سعيد الخدري وعن جابر الأنصاري قال: (دخلتُ على رسول الله ﷺ في شكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه، قال فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله طرفه إليها فقال: حبيتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ فقالت: أخشى الضيعة من بعدك! فقال: يا حبيتي أما علمت أن الله عز وجل اطلع إلى الأرض إطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطلع إطلاعة فاختار منها بعلك، وأوحى إلي أن أنكحك إياه! يا فاطمة: ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يُعْطَها أحد قبلنا.. الخ).

وفي رواية سلمان (كمال الدين/٢٦٢): (فاغرو رقت عينا رسول الله بالبكاء، ثم قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا.. الخ). وقد تقدم في فصل إخبار النبي ﷺ بظلم أمته لأهل بيته ﷺ.

وفي أمالي الطوسي/١٨٨: (عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله الوفاة بكى حتى بليت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي وما يصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي).

وروى المحب الطبري في الرياض النضرة (١٨٤/٣): (عن علي ﷺ قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في بعض طرق المدينة فمررنا على حديقة فقلت يا رسول الله: ما أحسن هذه الحديقة؟ قال: لك في الجنة أحسن منها. ثم أتينا على حديقة أخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها! قال: لك في الجنة أحسن منها، حتى أتينا على سبع حدائق، أقول يا رسول الله ما أحسنها: فيقول: لك في الجنة أحسن منها. وفي رواية فلما خلى الطريق اعتنقني وأجهش باكياً

فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: ضغائن في صدور أقوام لا يدونها لك إلا من بعدي!
فقلت: في سلامة من ديني؟ فقال: في سلامة من دينك).

قال المحب الطبري: أخرجه أحمد في المناقب. ورواه في مجمع الزوائد (١١٨/٩) بروايات وثق بعضها. وكنز العمال (١٧٦/١٣) عن البزار وابن النجار، ورواه البلاذري (٥/٤) والخوارزمي في المناقب/٦٥، وابن حجر في المطالب العالية (١٠١/١٦) وتاريخ دمشق (٣٢٢/٤٢) وفي/٣٢٤، وفيه: (قال ضغائن في صدور أقوام لا يدونها لك حتى أفارق الدنيا! فقال علي: فما أصنع يا رسول الله؟ قال: تصبر). وقال في الصحيح من السيرة (١٤٢/٣١): (وفي بعض المصادر: أن ذلك كان منه ﷺ حين حضرته الوفاة).

وفي أمالي المفيد/٢٨٨، عن علي عليه السلام قال لي رسول الله ﷺ: (إذا رأيت قوماً قد عدلوا عن الهدى إلى الضلال فخاصمهم، فإن الهدى من الله والضلال من الشيطان. يا علي إن الهدى هو أتباع أمر الله دون الهوى والرأي، وكأنك تقوم قد تألولوا القرآن وأخذوا بالشبهات، واستحلوا الخمر بالنيذ، والبخس بالزكاة، والسحت بالهدية! قلت: يا رسول الله فما هم إذا فعلوا ذلك أهم أهل ردة أم أهل فتنه؟ قال: هم أهل فتنه يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل! فقلت: يا رسول الله العدل منا أم من غيرنا؟ فقال: بل منا، بنا يفتح الله وبنا يختم، وبنا ألفت الله بين القلوب بعد الشرك، وبنا يؤلف الله بين القلوب بعد الفتنه، فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله).
ومقصود النبي ﷺ أن الله فتح الخير بنبوته فألف بين القلوب بعد الشرك، وسيختم بولده المهدي عليه السلام فيؤلف بين القلوب بعد الفتنه!





الفصل السبعون

إتمام النبي ﷺ الحجة على خصوم علي عليه السلام

مواقف نبوية لرد خصوم علي عليه السلام

١. هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا

هذه فقرة من حديث الدار المعروف، في أول بعثة النبي ﷺ لما جمع بني هاشم وأخبرهم بنبوته، وطلب منهم أن يسلموا وأن يتفرغ شخص منهم ليكون عضده في الدعوة. وقد أوردناه في فصل بلاغة النبي ﷺ لما نزل قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. ورويناه نحن مستفيضاً وقال المفيد أجمع النقاد على صحته، ورواه عدد من علماء السنة منهم الطبري في تاريخه (٦٢/٢) بسنده عن ابن عباس، عن علي عليه السلام قال: (لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، دعاني رسول الله فقال لي: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واملاً لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول ورسول الله ﷺ حذية من اللحم فشققها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشئ حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: إسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رويوا منه جميعاً. وأيم الله إن كان الرجل الواحد

منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال: لقدماً سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ!

فقال الغد: يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعُدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إليّ. قال ففعلت ثم جمعهم ثم دعا بالطعام فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة. ثم قال: إسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رروا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال:

يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتهم به، إني قد جئتهم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يوازنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت وإني لأحدثهم سنناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!

أقول: الحديث كما ترى نص على خلافة علي عليه السلام في أول بعثة النبي ﷺ، ولهذا لا يروق لأتباع أصحاب السقيفة، ويحرفه رواهم فيحذفون منه، فقد رواه الطبري في تاريخه وفيه: (ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا). ورواه في تفسيره وفيه: (ثم قال: إن هذا أخي، وكذا وكذا! وتبعه ابن كثير في البداية والنهاية (٤٠/ ٣) وتفسيره (٣/ ٣٥١)).

كما أن محمد حسين هيكل أورده من تاريخ الطبري في كتابه حياة محمد في الطبعة الأولى في الصفحة/ ١٠٤، ثم عاد فحذف من الطبعة الثانية / ١٣٩ سنة ١٣٥٤، واقتصر على قوله: ويكون أخي ووصيي، وذلك بطلب سفارة السعودية في القاهرة لقاء خمس مائة جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه (ذكر ذلك الشيخ محمد جواد مغنية في: فلسفة التوحيد والولاية/ ١٧٩).

٢. غضب النبي ﷺ من خصوم علي عليه السلام وأعدائه مرات

فتح النبي ﷺ مكة فخضع له القرشيون في الظاهر، فجمعهم ووبخهم فأعلنوا إسلامهم وطلبوا منه العفو فعفا عنهم، وعين على مكة حاكماً مسلماً من بني أمية. لكن بطون قريش

بكبريائهم رفضوا أن يكونوا خاضعين للنبي ﷺ وحاكمه في مكة، فعزلوا أبا سفيان عن قيادتهم بحجة أنه تواطأ مع النبي ﷺ وأدخله مكة، ونصبوا سهيل بن عمرو لأنه أشد عداً للنبي، فقاد البطون وشلَّ عمل حاكم مكة، وكانت علاقته وثيقة مع أبي بكر وعمر وقد تعاونوا في العمل لأخذ خلافة النبي ﷺ وعزل بني هاشم عزلاً كاملاً. وأول ما قاموا به أنهم كثفوا وجود بطون قريش في المدينة، فنقلوا إليها خمسة آلاف من الطلقاء، فصاروا نصف سكان المدينة وأكثر.

وأول ما قاموا به في المدينة حملة لتسقيط بني هاشم، فكانوا يقولون في مجالسهم وأمام الأنصار: إن بني هاشم زبالة ومثل محمد فيهم كنخلة نبتت في كناسة أو في كبا أي مزبلة! ويقولون إن النبي لا يحبهم ولا يشفع لهم يوم القيامة، ويقول إن آل طالب ليسوا بأوليائي! وبلغ الأمر بهم أنهم إذا دخل عليهم هاشمي أو رأوه قطبوا وجوههم له، يظهرن نفرتهم منه واحتقاره!

روى الترمذي (٣١٧/٥) وغيره قال: (إن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده فقال: ما أغضبك؟ قال يا رسول الله ما لنا ولقريش! إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك! قال فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله!)

فغضب النبي ﷺ وصعد المنبر وبين فضل بني هاشم وبني عبد المطلب خاصة، وأن الله اختارهم، وفي مرة أمر بالنداء إلى الصلاة جامعة فخطب وأفاض وأطال وتحدى من انتقص أسرته بني هاشم أن يقوم ويسأله من أبوه وكان جبرئيل إلى جنبه! وقد جمعنا روايتها من مصادرهم في كتاب: ألف سؤال وإشكال (١٧٩/١)، بعنوان: عقدة بطون قريش من بني هاشم!

هذا، ولو أردنا استقصاء فعاليات الطلقاء في المدينة ومكة في هاتين السنتين بعد فتح مكة، ومواجهة النبي ﷺ لها، لبلغ ذلك مجلداً أو نحوه!

وقد ركزت قريش حملتها الحاقدة على علي عليه السلام خاصة لإسقاط شخصيته، والإنقاذ منه لقتله زعماء البطون وأبطالهم، مقدمة لعزله بعد النبي ﷺ!

ففي الفضائل لشاذان بن جبرئيل (١٣٤/١): (عن أبي ذر والمقداد وسلمان قالوا قال لنا أمير المؤمنين: إني مررت بالصهاكي يوماً فقال لي ما مثل محمد في أهل بيته إلا كمثل نخلة نبتت في كناسة قال:

فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فغضب غضباً شديداً فقام فخرج مغضباً وصعد المنبر ففزع الأنصار ولبسوا السلاح لما رأوا من غضبه، ثم قال: ما بال أقوام يعيرون أهل بيتي وقد سمعوني أقول في فضلهم ما أقول، وخصصتهم بما خصهم الله تعالى به، وفضل علياً عليهم لسبقه إلى الإسلام وبلائه وإنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. ثم إنهم يزعمون أن مثلي في أهل بيتي كمثل نخلة نبتت في كناسة!

ألا إن الله سبحانه وتعالى خلق خلقه وفرقهم فرقتين وجعلني في خيرها شعباً وخيرها قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، حتى حصلت في أهل بيتي وعشيرتي وبنى أبي أنا وأخي علي بن طالب. ثم إن الله اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارني منهم. ثم اطلع عليهم ثانية فاختار أخي وابن عمي ووزير ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي ومولى كل مؤمن ومؤمنة من بعدي، فمن والاه فقد والاني ومن عاداه فقد عاداني، ومن عاداني فقد عادى الله. ومن أحبه فقد أحب الله تعالى، ومن أبغضه فقد أبغض الله تعالى، فلا يحبه إلا مؤمن ولا ولا يبغضه إلا كافر، فهو زين الأرض بعدي وزين من سكنها وهو كلمة الله التقوى وعروته الوثقى. ثم قال: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ.

أيها الناس: ليبلغ مقالتي الشاهد منكم الغائب، اللهم اشهد عليهم. إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض نظرة ثلاثة فاختار منها أحد عشر إماماً وهم من أهل بيتي خيار أمتي بعد أخي علي، كلما هلك منهم واحد قام آخر، كمثل نجوم السماء كلما غاب نجم طلع آخر، وهم أئمة هادون مهديون لا يضرهم كيد من كادهم، ولا خذلان من خذلهم. لعن الله من كادهم ومن خذلهم. هم حجج الله تعالى في أرضه وشهداؤه على خلقه، من أطاعهم فقد أطاع الله تعالى ومن عصاهم فقد عصى الله تعالى. ثم هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقهم ولا يفارقونه، حتى يردوا عليّ الحوض، أولهم ابن عمي علي بن أبي طالب، وهو خيرهم وأفضلهم، ثم ابني الحسن ثم ابني الحسين وأمهم فاطمة ابنتي، ثم تسعة من ولد الحسين ثم بعدهم جعفر بن أبي طالب ثم عمي حمزة بن عبد المطلب.

أنا خير النبيين والمرسلين وعليّ خير الوصيين وأهل بيتي خير بيوت أهل النبيين، وفاطمة ابنتي سيدة نساء أهل الجنة أجمعين.

أيها الناس أترجون شفاعتي لكم، وأعجز عن أهل بيتي!
أيها الناس: ما من أحد غداً يلقي الله تعالى مؤمناً لا يشرك به شيئاً إلا أجره الجنة، ولو أن ذنوبه
كتراب الأرض.

أيها الناس: لو أخذت بحلقه باب الجنة ثم تجلى لي الله عز وجل فسجدت بين يديه، ثم أذن لي
في الشفاعة لم أؤثر على أهل بيتي أحداً.
أيها الناس: عظموا أهل بيتي في حياتي وبعد مماتي وأكرمواهم وفضلوهم. لا يحل لأحد أن
يقوم لأحد غير أهل بيتي فانسبوني من أنا.

قال: فقام الأنصار وقد أخذوا بأيدهم السلاح وقالوا: نعوذ بالله من غضب الله وغضب
رسوله، أخبرنا يا رسول الله من آذاك يا رسول الله من آذاك في أهل بيتك حتى نضرب عنقه!
قال: أنا محمد بن الله عبد المطلب ثم انتهى بالنسب إلى نزار، ثم مضى إلى إسماعيل بن إبراهيم
خليل الله، ثم مضى منه إلى نوح. ثم قال: أنا وأهل بيتي كطينة آدم، نكاح غير سفاح.
سلوني، والله لا يسألني رجل إلا أخبرته عن نسبه وعن أبيه! فقام إليه رجل فقال: من أنا يا
رسول الله؟ فقال أبوك فلان الذي تدعى إليه!

ثم قال ﷺ والغضب ظاهر في وجهه: ما يمنع هذا الرجل الذي يعيب على أهل بيتي وأهلي
وأخي ووزيري وخليفتي من بعدي وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي، أن يقوم ويسألني عن أبيه
أين هو في جنة أم في نار؟

قال: فعند ذلك خشي الثاني على نفسه أن يذكره رسول الله ويفضحه بين الناس. فقام وقال
نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنا
عفا الله عنا، ألقنا أقالك الله، أسترنا سترك الله، إصفح عنا جعلنا الله فداك فاستحيا النبي ﷺ،
وسكت فإنه كان من أهل الحلم وأهل الكرم وأهل العفو. ثم نزل!



أقول: غضب النبي ﷺ من ذلك مراراً وشدد دفاعه عن علي عليه السلام، وخطب أكثر من مرة
مبيناً مكانته وفضله عليه السلام، ونفاق من يؤذيه ويغضبه، أو كفره!

وكان في كل مرة يطلق مقولاته الفريدة في علي عليه السلام .

فمرة يقول: من آذى علياً فقد آذاني، فقد روى أحمد (٤٨٣/٣)، والحاكم والطبراني: (عن عمرو بن شاس الأسلمي قال، وكان من أصحاب الحديبية: خرجت مع علي إلى اليمن فجفاني في سفري ذلك حتى وجدت في نفسي عليه فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد، حتى بلغ ذلك رسول الله ﷺ فدخلت المسجد ذات غدوة ورسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فلما رأي أبادني عينيه يقول حدد إلى النظر، حتى إذا جلست قال: يا عمرو والله لقد آذيتني! قلت: أعود بالله أن أؤذيك يا رسول الله! قال: بلى من آذى علياً فقد آذاني).

وصحح الهيثمي (١٢٩/٩): (عن سعد قال: كنت جالساً في المسجد أنا ورجلين معي فلنا من علي! فأقبل رسول الله ﷺ غضبان يعرف في وجهه الغضب فتعذت بالله من غضبه فقال: مالكم ومالي! من آذى علياً فقد آذاني!)

ومن طرقنا روى الطوسي في أماليه بسند صحيح عندهم/١٣٣: (عن زر بن حبیش، قال: كانت عصابة من قريش في مسجد النبي ﷺ، فذكروا علي بن أبي طالب وانتهكوا منه، ورسول الله ﷺ قائل في بيت بعض نسائه، فأتي بقولهم فثار من نومته في إزار ليس عليه غيره، فقصده نحوهم ورأوا الغضب في وجهه فقالوا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله. فقال رسول الله: ما لكم وعلي! أما تدعون علياً، ألا إن علياً مني وأنا منه، من آذى علياً فقد آذاني، من آذى علياً فقد آذاني).

ومرة يقول: كذب من زعم أنه يحبني ويبغض علياً. (أمالي الصدوق/١٨٧). ومن أبغض علياً فقد أبغضني. (الحاكم/١٣٠/٣) وصححه بشرط الشيخين قال: (قال رجل لسلمان: ما أشد حبك لعلي! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني).

ومرة يقول لهم: علي مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي!

واشتهر منه حديث بريدة الأسلمي الذي روته عامة مصادرهم وصححوه، قال بريدة (مسند أحمد: ٣٥٦/٥): (بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد فقال إذا التقيتم فعلي على الناس وإن افرقتما فكل واحد منكما على جنده.

فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه. قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك فلما أتيت النبي ﷺ دفعت الكتاب فقرئ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله هذا مكان العائد بعثني مع رجل وأمرني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به! فقال رسول الله ﷺ: لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي، وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي) وكررها.

وفي فتح الباري (٥٣/٨): (وأخرجه أحمد أيضاً والنسائي من طريق سعيد بن عبيدة عن عبد الله بن بريدة مختصراً وفي آخره فإذا النبي ﷺ قد احمر وجهه يقول: من كنت وليه فعلى وليه. وأخرجه لحاكم من هذا الوجه مطولاً وفيه قصة الجارية نحو رواية عبد الجليل. وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً).

ومرة يقول لهم: من أحب علياً فهو مؤمن، ومن أبغض علياً فهو منافق

وقال ابن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من زعم أنه آمن بي وبما جئت به وهو يبغض علياً، فهو كاذب ليس بمؤمن). (أما لي الطوسي/٢٤٩).

وقال ابن أبي شيبه (٥٠٣/٧): (عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يبغض علياً مؤمن، ولا يحبه منافق). وأحمد: ٩٥/١، والترمذي: ٣٠٦/٥ والنسائي: ١١٦/٨

والعجب من ابن حجر على علمه ومكانته يشهد بصحة الحديث ثم يحرف معناه! قال في فتح الباري (٦٠/١): (ثبت في صحيح مسلم عن علي أن النبي ﷺ قال له: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة! لتحقق مشترك الإكرام لما لهم من حسن العناء في الدين. قال صاحب المفهم: وأما الحروب الواقعة بينهم فإن وقع من بعضهم بغض لبعض فذاك من غير هذه الجهة بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفة. ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد)!

فقد خرب مقصود النبي ﷺ من البغض واستثنى منه بغض الصحابة! وجعل الحب يشمل

حتى الصحابة المنافقين! فلم يبق للحديث معنى!

أقول: صاحب المفهم الذي ينقل عنه ابن حجر هو القرطبي من علماء الحنابلة في القرن السابع، وله كتاب المفهم في شرح أسانيد البخاري ومسلم.

وله اعتراف خطير يشمله هو، نقله ابن كثير في الباعث الحثيث (١٩٩/١) قال: (استجاز بعض فقهاء أهل الرأي نسبة الحكم الذي دل عليه القياس الجلي إلى رسول الله ﷺ نسبة قولية، فيقولون في ذلك: قال رسول الله ﷺ كذا! ولهذا ترى كتبهم مشحونة بأحاديث تشهد متونها بأنها موضوعة، لأنها تشبه فتاوى الفقهاء، ولأنهم لا يقيمون لها سنداً!)

ومعناه أن الفقهاء المحترمين الصادقين الذين يعملون بالقياس، مثل القرطبي هذا يستحلون الكذب على رسول الله ﷺ لأن قياساتهم دلت على مضمونه!

٣. قدمت اليهم بالوعيد وأخبرتهم رجلاً رجلاً!

روى ابن طاووس في الطرف (١٦٢/١) بسنده، والمجسبي في البحار (٤٨٤/٢٢) آخر ما تكلم به النبي ﷺ مع علي عليه السلام في آخر ساعة من عمره الشريف، قال:

(عن الكاظم قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام حين دفع إليه الوصية: إتخذ لها جواباً غداً بين يدي الله تبارك وتعالى رب العرش، فإني محاجك يوم القيامة بكتاب الله حلاله وحرامه، ومحكمه ومتشابهه على ما أنزل الله، وعلى ما أمرتك، وعلى فرائض الله كما أنزلت وعلى الأحكام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتنابه، مع إقامة حدود الله وشروطه، والأمور كلها، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة لأهلها، وحج البيت، والجهاد في سبيل الله، فما أنت قائل يا علي؟ فقال علي: بأبي أنت وأمي أرجو بكرامة الله لك ومنزلتك عنده ونعمته عليك أن يعينني ربي، ويثبتني فلا ألقاك بين يدي الله مقصراً ولا متوانياً ولا مفراطاً، ولا أضر وجهك، وجهي ووجوه آبائي وأمهاتي وقاء وجهك، بل تجدني بأبي أنت وأمي مشمراً متبعاً لوصيتك ومنهاجك وطريقك ما دمت حياً حتى أقدم بها عليك، ثم الأول فالأول من ولدي لا مقصرين ولا مفرطين. قال علي عليه السلام: ثم انكسبت على وجهه وعلى صدره وأنا أقول: وا وحشته بعدك، بأبي أنت وأمي، ووحشة ابتك وبنيك، بل واطول غمي بعدك يا أخي، انقطعت من منزلي

أخبار السماء، وفقدت بعدك جبرئيل وميكائيل فلا أحس أثراً ولا أسمع حساً. فأغمي عليه طويلاً ثم أفاق ﷺ.

قال أبو الحسن الكاظم عليه السلام: فقلت لأبي عليه السلام: فما كان بعد إفاقته؟ قال: دخل عليه النساء يكيبن وارتفعت الأصوات وضج الناس بالباب من المهاجرين والأنصار، فبينما هم كذلك إذ نودي: أين علي؟ فأقبل حتى دخل عليه. قال علي عليه السلام: فانكبت عليه فقال: يا أخي إفهم فهمك الله وسددك وأرشدك ووفقك وأعانك وغفر ذنبك ورفع ذكرك: إعلم يا أخي أن القوم سيسغلهم عني ما يشغلهم، وإنما مثلك في الأمة مثل الكعبة نصبها الله للناس علماً، وإنما تؤتى من كل فج عميق ونأي سحيق ولا تأتي، وإنما أنت علم الهدى، ونور الدين، وهو نور الله.

يا أخي، والذي بعثني بالحق لقد قدمت إليهم بالوعيد بعد أن أخبرتهم رجلاً رجلاً ما افترض الله عليهم من حقك، وألزمهم من طاعتك، وكل أجاب وسلم إليك الأمر، وإني لأعلم خلاف قولهم، فإذا قبضت وفرغت من جميع ما أوصيك به وغيتني في قبري فالزم بيتك، واجمع القرآن على تأليفه، والفرائض والأحكام على تنزيلها، ثم امض على غير لائمة على ما أمرتك به، وعليك بالصبر على ما ينزل به وبها حتى تقدموا علي).

٤. أخبرني رسول الله ﷺ بما الأمة صانعة بي بعده

عقدنا الفصل الحادي والخمسين لبيان ما أخبر به النبي ﷺ وقد أخبر علياً بأن الأمة ستغدر به، وأخبره بتفصيل ما يجري بعده بالأحداث والأسماء حتى قال علي عليه السلام (كتاب سليم بن قيس/٢١٥): أخبرني رسول الله ﷺ بما الأمة صانعة بي بعده، فلم أكُ بما صنعوا حين عاينته بأعلم مني ولا أشد يقيناً مني به قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله ﷺ أشد يقيناً مني بما عاينت وشهدت. فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إلي إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعواناً فانذب إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك واحقن دمك، حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتي أعواناً. وأخبرني ﷺ أن الأمة ستخذلني وتبايع غيري وتتبع غيري، وأخبرني أني منه بمنزلة هارون من موسى، وأن الأمة سيصيرون من بعده بمنزلة هارون ومن تبعه والعجل ومن تبعه، إذ قال له موسى: يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِخْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي. وإنما يعني أن موسى أمر هارون

حين استخلفه عليهم إن ضلوا فوجد أعواناً أن يجاهدوهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكف يده ويحقر دمه ولا يفرق بينهم. وإني خشيت أن يقول لي ذلك أخي رسول الله ﷺ: لم فرقت بين الأمة ولم ترقب قولي وقد عهدت إليك إن لم تجد أعواناً أن تكف يدك وتحقر دمك ودم أهل بيتك وشيعتك؟

فلما قبض رسول الله ﷺ مال الناس إلى أبي بكر فبايعوه وأنا مشغول برسول الله بغسله ودفنه، ثم شغلت بالقرآن فآليت على نفسي أن لا أرتدي إلا للصلاة حتى أجمعه في كتاب، ففعلت. ثم حملت فاطمة وأخذت بيد ابني الحسن والحسين، فلم أدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلا ناشدتهم الله في حقي ودعوتهم إلى نصرتي، فلم يستجب لي من جميع الناس إلا أربعة رهط: سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير، ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به ولا أقوى به، أما حمزة فقتل يوم أحد، وأما جعفر فقتل يوم مؤتة، وبقيت بين جلفين جافين ذليلين حقيرين عاجزين: العباس وعقيل، وكانا قريبي العهد بكفر. فأكرهوني وقهروني. فقلت كما قال هارون لأخيه: ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي! فلي بهارون أسوة حسنة ولي بعهد رسول الله ﷺ حجة قوية).

٥. وذهب النبي ﷺ إلى بيت عمر خاصة وأخذ بلحيته!

في حلية الأولياء (١١٩/٥): (عن أبي عبيدة بن الجراح، عن عمر بن الخطاب قال: أخذ رسول الله بلحيته وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! أتاني جبريل أنفاً فقال لي: إنا لله وإنا إليه راجعون! فقلت: أجل إنا لله وإنا إليه راجعون فممّ ذاك يا جبريل؟ فقال: إن أمتك مفتنة بعدك بقليل من دهر غير كثير! فقلت فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ فقال: كل سيكون! فقلت: ومن أين وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: فبكتاب الله يفتنون وذلك من قبل أمرائهم وقرائهم، يمنع الناس الأمراء الحقوق فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها فيقتتلون ويفتنون، ويتبع القراء أهواء الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون! فقلت كيف يسلم من سلم منهم؟ قال بالكف والصبر، إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوه تركوه). والحكيم الترمذي، والدر المنثور (٥٥/٣)

وهذه المرة الوحيدة التي جاء فيها النبي ﷺ إلى بيت عمر، فلم يسجل التاريخ غيرها! ولم يتكلم بشيء إلا الصرخة والتحذير من خطر الأئمة المضلين على أمتة!

وكان يحذر باستمرار بأنواع التحذير من تسلط الأئمة المضلين بعد وفاته!
ففي مسند أحمد (١٢٣/٤): (وإني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، فإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة).

وفي أحمد (١٤٥/٥) عن أبي ذر قال: (كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: لغير الدجال أخوفني على أمتي، قالها ثلاثاً، قال قلت: يا رسول الله، ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك؟ قال: أئمة مضلون).

وابن أبي شيبة (١٤٢/١٥) عن علي قال: (كنا عند النبي ﷺ جلوساً وهو نائم فذكرنا الدجال فاستيقظ محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم عندي من الدجال: أئمة مضلون).
وقد أخبر أن الأئمة المضلين سيسفكون دماء عترته عليه السلام وسرعان ما تحقق قوله ﷺ فقد قتلوا الخمسة أصحاب الكساء علياً وفاطمة والحسين عليهما السلام!

ففي أمالي الطوسي (١٢٦/٢) وطبعة ٥١٢، عن عبدالله بن يحيى الحضرمي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كنا جلوساً عند النبي ﷺ وهو نائم ورأسه في حجري فتذكرنا الدجال فاستيقظ النبي محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم من الدجال: الأئمة المضلون، وسفك دماء عترتي من بعدي، أنا حربٌ لمن حاربهم وسلمٌ لمن سالمهم).

وفي كنز العمال (٧٦١/٥): (عن بشر بن عاصم ابن شقيق الثقفي أن عمر بن الخطاب كتب له عهده فقال: لا حاجة لي فيه فإني سمعت رسول الله يقول: إن الولاة يجاء بهم فيوقفون على جسر جهنم، فمن كان مطواعاً لله تناوله بيمينه حتى ينجي، ومن كان عاصياً لله انخرق به الجسر إلى وادٍ من نار يلتهب التهاباً! فأرسل عمر إلى أبي ذر وسلمان فقال لأبي ذر: أنت سمعت الحديث من رسول الله؟ قال: نعم والله وبعد الوادي واد آخر من نار. وسأل سلمان فكره أن يخبره بشيء! فقال عمر: من يأخذها بما فيها؟ فقال أبو ذر: من سَلَتَ الله أنفه وعينه وأمرَغَ خَدَّه إلى الأرض).

أقول: قول عمر: من يأخذها بما فيها؟ يقصد من يأخذ مني الخلافة ويخلصني من خطرهما في الآخرة؟ فلم يقبل أحد، وأجابه أبو ذر بأنه يأخذها منك من أهانه الله وكتب له جهنم! وهذه لحظة مر فيها عمر وانتهدت، وكلامه فيها غير جدي! فلو أن شخصاً قال له: أنا آخذها فاصعد المنبر وأخبر المسلمين أنك تنازلت لي عن الخلافة، لفعل به عمر الأفاعيل!

٦. جاهدت من أمرني بجهاده وسماهم لي رجلاً رجلاً

قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو على فراش الموت (دعائم الإسلام: ٣٥٥/٢): (جاهدت مع رسول الله ﷺ بأمر الله وأمر رسوله. فلما قبض الله رسوله ﷺ جاهدت من أمرني بجهاده من أهل البغي، وسماهم لي رجلاً رجلاً، وحضني على جهادهم، وقال: يا علي تقاتل الناكثين وسماهم لي، والقاسطين وسماهم لي، والمارقين وسماهم لي. فلا تكثر منكم الأقوال، فإن أصدق ما يكون المرء عند هذا الحال، فقالوا خيراً وأثنوا بخير وبكوا).

فقال للحسن: يا حسن أنت ولي دمي وهو عندك وقد صيرته إليك، يعني ابن ملجم، ليس لأحد فيه حكم، فإن أردت أن تقتل فاقتل، وإن أردت أن تعفو فاعف، وأنت الإمام بعدي، ووارث علمي، وأفضل من أترك بعدي وخير من أخلف من أهل بيتي، وأخوك ابن أمك، بشر كما رسول الله ﷺ بالبشرى فأبشرا بما بشركما، واعملا لله بالطاعة، فاشكراه على النعمة. ثم لم يزل يقول: اللهم أكفنا عدوك الرجيم، اللهم إني أشهدك أنك لا إله إلا أنت، وأنت الواحد الصمد، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد، فلك الحمد عدد نعمائك لدي وإحسانك عندي، فاغفر لي وارحمني وأنت خير الراحمين).

٧. أخذ النبي ﷺ برأسيهما وقال لهما: إن لم تدريا فادريا!

في الكافي (٢/٤٩١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كان علي عليه السلام كثيراً ما يقول: ما اجتمع التيمي والعدوي عند رسول الله ﷺ وهو يقرأ: إنا أنزلناه، بتخشع وبكاء، فيقولان: ما أشد رقتك لهذه السورة؟ فيقول رسول الله ﷺ: لما رأيت عيني ووعا قلبي، ولما يرى قلب هذا من بعدي! فيقولان: وما الذي رأيت وما الذي يرى هذا قال: فيكتب لهما في التراب: تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. قال ثم يقول: هل بقي شيء بعد قوله عز وجل: كل أمر فيقولان: لا، فيقول: هل تعلمان من المنزل إليه بذلك؟ فيقولان: أنت يا رسول الله، فيقول: نعم، فيقول: هل تكون ليلة القدر من بعدي؟ فيقولان: نعم، قال فيقول: فهل ينزل ذلك الأمر فيها؟ فيقولان: نعم، قال فيقول: إلى من؟ فيقولان: لا ندري، فيأخذ برأسيهما ويقول: إن لم تدريا فادريا، هو هذا من بعدي! قال: فإن كانا ليعرفان تلك الليلة بعد رسول الله ﷺ من شدة ما

يداخلهما من الرعب!

٨. وكأني بكما قد سلبتماه ملكه وتحاربتما عليه!

قال أحمد بن همام (الإحتجاج: ٢٩١/١): «أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر فقلت: يا عبادة أكان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف؟ فقال: يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا ولا تبحثونا! فوالله لعلي بن أبي طالب كان أحق بالخلافة من أبي بكر، كما كان رسول الله ﷺ أحق بالنبوة من أبي جهل! قال: وأزيدكم: إنا كنا ذات يوم عند رسول الله ﷺ فجاء علي وأبو بكر وعمر إلى باب رسول الله ﷺ فدخل أبو بكر ثم دخل عمر ثم دخل عليّ على أثرهما، فكأنما سُفِّيَ على وجه رسول الله الرماد! ثم قال: يا عليّ أيتقدمانك هذان، وقد أمرك الله عليهما؟!

فقال أبو بكر: نسيت يا رسول الله، وقال عمر: سهوت يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: ما نسيتما ولا سهوتما! وكأني بكما قد سلبتماه ملكه وتحاربتما عليه، وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله! وكأني بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا! ولكأني بأهل بيتي وهم المقهورون المشتتون في أقطارها وذلك لأمر قد قضي! ثم بكى رسول الله ﷺ حتى سالت دموعه ثم قال: يا عليّ الصبر الصبر حتى ينزل الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن لك من الأجر في كل يوم ما لا يحصىه كاتبك. فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف، القتل القتل، حتى يفيئوا إلى أمر الله وأمر رسوله، فإنك على الحق ومن ناواك على الباطل، وكذلك ذريتك من بعدك إلى يوم القيامة».

أقول: لهذا لم يصلّ علي عليه السلام مأموماً بأحد بعد رسول الله ﷺ، ولم يقبل ولا الحسنان عليهما السلام أي منصب من أبي بكر وعمر وعثمان!

ففي الفتوح لابن الأعمش (٥٧/١) أن أبا بكر قال لعمر: «إني عزمت على أن أوجه إلى هؤلاء القوم علي بن أبي طالب فإنه عدل رضا عند أكثر الناس لفضله وشجاعته وقرابته وعلمه وفهمه ورفقه بما يحاول من الأمور، قال: فقال له عمر بن الخطاب: صدقت إن علياً كما ذكرت وفوق ما وصفت ولكني أخاف عليك خصلة منه واحدة، قال له أبو بكر عليه السلام: وما هذه الخصلة التي تخاف علي منها منه؟ فقال عمر: أخاف أن يأبى قتال القوم فلا يقاتلهم فإن أبى ذلك فلم تجد

أحداً يسير إليهم إلا على المكروه منه، ولكن ذر علياً يكون عندك بالمدينة فإنك لا تستغني عنه وعن مشورته، واكتب إلى عكرمة بن أبي جهل فمره بالمسير إلى الأشعث وأصحابه، فإنه رجل حرب وأهل لما أهل له، فقال أبو بكر: هذا هو الرأي).

وروى المسعودي في مروج الذهب (٣٠٩/٢) أن عثمان أشار على عمر بعد هزيمة المسلمين في معركة الجسر فقال له: «إبعث رجلاً له تجربة بالحرب وبصر بها، قال عمر: ومن هو؟ قال: علي بن أبي طالب، قال: فalcه وكلمه وذاكره ذلك، فهل تراه مسرعاً إليه أولاً؟ فخرج عثمان فلقني علياً فذاكره ذلك فأبى علي ذلك وكرهه، فعاد عثمان إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: ومن ترى؟ قال: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: ليس بصاحب ذلك».

وروى في شرح النهج (١٧٤/٩): «قيل لعمر: ولّ علياً أمراً للجيش والحرب، فقال: هو أتيه من ذلك!» والتحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم / ١٤٢.

وفي فتوح البلاذري (٣١٣/٢): «كتب المسلمون إلى عمر يعلمونه كثرة من تجمع لهم من أهل فارس ويسألونه المدد... وعرض على عليّ الشخصوص فأباه».

بل امتنع علي عليه السلام حتى من مرافقة عمر عندما ذهب إلى الشام!

ففي شرح النهج (٧٨/١٢)، والتحفة العسجدية (١٤٦)، عن ابن عباس أن عمر قال له: «يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمك سألته أن يخرج معي فلم يفعل ولم أزل أراه واجداً، فيم تظن موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم! قال: أظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة. قلت: هو ذاك، إنه يزعم أن رسول الله ﷺ أراد الأمر له. فقال: يا ابن عباس، وأراد رسول الله الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك! إن رسول الله أراد أمراً وأراد الله غيره فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسوله! أو كلما أراد رسول الله ﷺ كان!»

وكان يجب على عمر أن يقول: أراد الله ورسوله أمراً وأردنا غيره، وقد سمح أن يقع ما يخالفه ويخالف الرسل، وهذا السماح إرادة تكوينية لا تشريعية حتى يصح نسبة الأمر إلى تعالى، وإلا كانت كل المعاصي منه سبحانه!

وبسبب ما قدمناه، كان علي عليه السلام يصلي في المسجد مفرداً ولم يأتهم بأحد منهم. ونهض بنفسه للدفاع عن المدينة، ووجههم في حروب الردة والفتوح ولم يشارك بنفسه لئلا يكون تحت إمرة

أحد، ولو حضر في أي منها لاشتهر ذلك، لأن مكانه في الحرب لا يخفى. وهذا تطبيق منه لقول النبي ﷺ: يا عليُّ أيتقدماكَ هذان، وقد أمرك الله عليهما؟!

أما الحسنان عليهما السلام فروى البلاذري (٤١/٢)، أنها شاركا في الفتوح في عهد عثمان، رواه بصيغة تضعيف فقال: قيل، قال: فغزا سعيد طبرستان، ومعه في غزاته فيما يقال الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب عليه السلام).

ويكفي لرد القول بمشاركتها أنها لو شاركا لاشتهر ذلك، وأن أمير المؤمنين كان شديد المحافظة على حياتها، وفي ذهابها خطر على حياتها من المنافقين قبل المعارك، وقد بعث أمير المؤمنين من يرد الحسن في صفين (نهج البلاغة ١٨٦/٢)، فقال: «وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب: إملكوا عني هذا الغلام، لا يهدني، فإني أنفـس بهـذين، يعني الحسن والحسين على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ».

٩. أمر النبي ﷺ الصحابة بأن يسلموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين

روى السنة والشيعة أن النبي ﷺ أمر المسلمين بالسلام على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، وذلك بعد حرب قريظة، ويوم الغدير، وفي مناسبات أخرى.

ففي الفضائل لشاذان بن جبرئيل ١٣٣: (عن أبي ذر قال: أمرنا رسول الله وقال سلموا على أخي ووارثي وخليفتي في قومي وولي كل مؤمن ومؤمنة من بعدى سلموا عليه بإمرة المؤمنين فإنه ولي كل من يسكن الأرض إلى يوم القيامة ولو قدمتموه لأخرجت الأرض بركاتـها فإنه أكرم من عليها من أهلها قال أبو ذر فرأيت عمر قد تغير لونه وقال: أحق من الله يا رسول الله؟ قال: نعم يا عمر حق من الله تعالى أمرني به وبذلك أمرتكم. قال فقام وسلم عليه بإمرة المؤمنين وكذلك أبو بكر، ثم أقبلـا على أصحابها وقالـا ما قالاه).

وفي أمالي المفيد ١٩: (بسند عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام عن أبيه، عن جده قال: إن الله جل جلاله بعث جبرئيل عليه السلام إلى محمد ﷺ أن يشهد لعلي بن أبي طالب بالولاية في حياته، ويسميه بإمرة المؤمنين قبل وفاته، فدعا نبي الله ﷺ تسعة رهط فقال: إننا دعوتكم لتكونوا شهداء الله في الأرض أقمتم أم كتمتم. ثم قال: يا أبا بكر قم فسلم على علي بإمرة المؤمنين، فقال: أعن

أمر الله ورسوله؟ قال: نعم، فقام فسلم عليه بإمرة المؤمنين. ثم قال: قم يا عمر فسلم على علي بإمرة المؤمنين، فقال: أعن أمر الله ورسوله نسمة أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فقام فسلم عليه. ثم قال للمقداد بن الأسود الكندي: قم فسلم على علي بإمرة المؤمنين، فقام فسلم، ولم يقل مثل ما قال الرجلان من قبله. ثم قال لأبي ذر الغفاري: قم فسلم على علي بإمرة المؤمنين، فقام فسلم عليه. ثم قال لحذيفة اليباني: قم فسلم على أمير المؤمنين، فقام فسلم عليه. ثم قال لعمار بن ياسر: قم فسلم على أمير المؤمنين، فقام فسلم عليه.

ثم قال لعبد الله بن مسعود: قم فسلم على علي بإمرة المؤمنين فقام فسلم عليه. ثم قال لبريدة: قم فسلم على أمير المؤمنين وكان بريدة أصغر القوم سنا فقام فسلم. فقال رسول الله ﷺ: إنما دعوتكم لهذا الأمر لتكونوا شهداء الله أقمتم أم تركتم).

وفي الكافي (٢٩٢/١): (عن زيد بن الجهم الهلالي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لما نزلت ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من قول رسول الله ﷺ: سلموا على علي بإمرة المؤمنين، فكان مما أكد الله عليهما في ذلك اليوم يا زيد قول رسول الله ﷺ لهما: قوما فسلمنا عليه بإمرة المؤمنين فقالا أمن الله أو من رسوله يا رسول الله؟ فقال لهما رسول الله ﷺ: من الله ومن رسوله، فأنزل الله عز وجل: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون).

وفي الخصال للصدوق (٤٦٤)، في كلام الإثني عشر من المهاجرين والأنصار الذين اعترضوا على أهل السقيفة: (ثم قام بريدة الأسلمي فقال: يا أبا بكر نسيت أم تناسيت أم خادعتك نفسك! أما تذكر إذا أمرنا رسول الله ﷺ فسلمنا على علي بإمرة المؤمنين، ونينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا فاتق الله ربك وأدرك نفسك قبل أن لا تدركها وأنقذها من هلكتها، ودع هذا الأمر وأوكله إلى من هو أحق به منك، ولا تماد في غيك، وارجع وأنت تستطيع الرجوع فقد نصحتك نصحي وبذلت لك ما عندي، فإن قبلت وفقت ورشدت).

وفي رواية: (فاتق الله وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها مما يهلكها، واردد الأمر إلى من هو أحق به منك، ولا تتماذ في اغتصابه، وراجع وأنت تستطيع أن تراجع، فقد محضتكم النصيحة ودللتكم على طريق النجاة، فلا تكونن ظهيراً للمجرمين).

وفي الهداية الكبرى ١١٦: (عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لما كثر قول المنافقين وحساد أمير المؤمنين

صلوات الله عليه فيما يظهره رسول الله ﷺ من فضله ويبصر الناس ويدلهم ويأمرهم بطاعته ويأخذ البيعة له من كبارهم ومن لا يؤمن غدره، ويأمرهم بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين، ويقول لهم: إنه وصيي، وخليفتي، وقاضي ديني، ومنجز وعدي، والحجة على خلقه من بعدي، من أطاعه سعد ومن خالفه ضل وشقي!

قال المنافقون: لقد ضل محمد في ابن عمه علي وغوى وجن، والله ما فتنه فيه ولا حبه إليه إلا قتل الشجعان والفرسان يوم بدر وغيره من قريش وسائر العرب واليهود، وإن كل ما يأتينا به ويظهره في علي من هواه وكل ذلك يبلغ رسول الله ﷺ حتى اجتمع التسعة الرهط المفسدون في الأرض في دار الأقرع بن حابس التميمي فقالوا: قد أكثر رسول الله في أمر علي وزاد فيه حتى لو أمكنه أن يقول لنا أعبدوه لقال!

وروى في الخرائج (٨٠٦/٢) بسند صحيح أن النبي ﷺ بعد وفاته ظهر لأبي بكر وأقام عليه الحجة: (عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام لقي أبا بكر فقال له: أما تعلم أن رسول الله ﷺ أمرك أن تسلم علي بإمرة المؤمنين وأن تتبعني؟ قال: فجعل يتشكك عليه، وقال: لأجعل بيني وبينك حكماً. فقال له: أترضى برسول الله ﷺ؟ قال: ومن لي به. قال: فأخذ بيده فمضى به حتى أدخله مسجد قبا، فإذا رسول الله ﷺ قاعد في المحراب فقال له رسول الله ﷺ: ألم أمرك أن تسلم لعلي وتبعه؟ قال: بلى. قال: فاعتزل وسلم إليه واتبعه تسلم. قال: نعم.

فلقي عمر صاحبه فعرفه الخبر، فقال له: أنسيت سحر بني هاشم! وذكره بأشياء، فأمسك وأقام على أمره إلى أن مات!

١٠. ما لك تفضل علينا: ما أنا فضلت بل الله فضله

في الهداية الكبرى ١١١: (عن سلمان الفارسي قال: دخل أبو بكر وعمر وعثمان على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ما لك تفضل علينا في كل الأفعال والأشياء ولا ترى لنا معه فضلاً! قال لهم: ما أنا فضلت بل الله فضله. ثم قال: أنا أحملكم وعلياً واجعل سلماناً شاهداً عليكم فمن أحيأ الله له أصحاب الكهف وأجابوه كان الأفضل. قالوا رضينا يا رسول الله،

فأمر رسول الله أن ييسط بساطاً له، ودعا بعلي فأجلسه في البساط وأجلس كل واحد منهم قرن قال سلمان: وأجلسني القرنة الرابعة وقال: يا ريح احمليهم إلى أصحاب الكهف وردهم إليّ فدخلت الريح وسارت بنا فإذا نحن في كهف عظيم فحطت عليه. قال أمير المؤمنين يا سلمان هذا الكهف والرقيم فقل للقوم: تتقدمون أو أتقدم؟ فقالوا: نحن نتقدم فقام كل واحد منهم صلى ودعا وقال: السلام عليكم يا أصحاب الكهف فلم يجيبهم أحد، فقام بعدهم أمير المؤمنين ﷺ صلى ركعتين ودعا بدعوات خفيات فصاح الكهف وصاح القوم من داخله بالتلبية فقال أمير المؤمنين ﷺ: السلام عليكم أيها الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى. فقالوا: وعليك السلام يا أخا رسول الله ووصيه، لقد أخذ الله العهد علينا بعد إيماننا بالله وبرسوله محمد، ولك يا أمير المؤمنين بالولاية إلى يوم الدين، قال فسقط القوم لوجوههم وقالوا يا أبا الحسن ردنا فقال ﷺ: يا ريح ردّهم إلى رسول الله ﷺ فحملتنا فإذا نحن بين يديه، فقص عليهم رسول الله القصة كما جرت فقال: حبيبي جبريل أخبرني أن علياً فضله الله عليكم).

١١. وأتم الحج بقوله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه

وفي تأويل الآيات (٧١٤/٢): (عن عبد الله بن سنان عن حسان الجمال قال: حملت أبا عبد الله ﷺ من المدينة إلى مكة، فلما بلغ غدير خم نظر إلي وقال: هذا موضع قدم رسول الله ﷺ حين أخذ بيد علي ﷺ وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. وكان عن يمين الفسطاط أربعة نفر من قريش سباهم لي. فلما نظروا إليه وقد رفع يده حتى بان بياض إبطيه قالوا: انظروا إلى عينيه قد انقلبتا كأنهما عينا مجنون! فأتاه جبرئيل فقال اقرأ: وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ. وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. والذكر: علي بن أبي طالب ﷺ. فقلت: الحمد لله الذي أسمعني هذا منك. فقال: لولا أنك جمالي لما حدثتك بهذا، لأنك لا تُصدّق إذا رويت عني).

وفي تفسير القمي (٣٠١/١) بسند صحيح عن الإمام الصادق ﷺ قال: (لما أقام رسول الله ﷺ أمير المؤمنين يوم غدير خم كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين وهم فلان وفلان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة. قال الثاني: أما ترون عينيه تدوران كأنها هما عينا مجنون، يعنى النبي ﷺ! الساعة يقوم ويقول: قال لي ربي!

فلما قام قال: أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله. قال: اللهم فاشهد، ثم قال: ألا من كنت مولاه فعليٌّ مولاه. وسلموا عليه بامرة المؤمنين. فنزل جبرئيل وأعلم رسول الله بمقالة القوم فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا فأنزل الله: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا...).

وفي شرح الأخبار (١/١٩٨): (عن أبي الجارود، عن عمر المرادي قال: كنت أرى رأي الخوارج لأني لم أرقوماً أشد منهم اجتهداً ولا أسخى نفوساً بالموت، وكنت أأتي القضاة والفقهاء، فقال لي رجل يوماً من الأيام: هل أدلك على امرأة ليس بالبصرة فقيه ولا مجتهد إلا وهو يأتيها؟ قلت: وددت ذلك. فوصف لي منزلها، فدخلت عليها، فإذا بامرأة قد طعنت في السن، عليها أثر العبادة، في ناحية من دارها رجل ملتف في خلق، فظننت أنه بعض من يخدمها. فقالت لي: ما حاجتك يا عبدالله؟ قلت: إني رجل أرى رأي الخوارج لأني رأيتهم أشد الناس اجتهداً وأسخاهم نفوساً بالموت، فرفع إلي الشيخ رأسه، وقال: إنك لتحطب في جبل قوم في النار يسبون الله ورسوله بسبهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ).

فأقبلت عليه كالمنكر لما قال. فقالت لي المرأة: يا عبدالله أتدري من هذا الشيخ؟ هذا أبو الحمراء خادم رسول الله ﷺ).



أخبر النبي ﷺ بما يجري على ابنته فاطمة وأبنائها عليهم السلام

أخبر النبي ﷺ عن فاطمة قبل ولادتها، قال الإمام الصادق عليه السلام: (فلما حملت بفاطمة كانت ﷺ تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتُم ذلك من رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة ﷺ، فقال لها: يا خديجة، من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني. قال: يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وإن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه). (أمالى الصدوق/٦٩١).

وقد كتبنا في الفصل الثامن عشر شريطاً موجزاً لسيرتها ﷺ، ونورد هنا نماذج:

في أمالي الشيخ الطوسي/١٨٨: (عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة بكى حتى بليت دموعه لحيته، فقليل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي وما يصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي).

في أمالي الصدوق/١٧٥: عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن، فلما رآه بكى ثم قال: إليّ يا بني، فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليمنى، ثم أقبل الحسين فلما رآه بكى، ثم قال: إليّ يا بني، فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليسرى. ثم أقبلت فاطمة فلما رآها بكى ثم قال: إليّ يا بنية فأجلسها بين يديه.

ثم أقبل أمير المؤمنين فلما رآه بكى ثم قال: إليّ يا أخي، فما زال يدنيه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما ترى واحداً من هؤلاء إلا بكيت أو ما فيهم من تسرُّ برؤيته! فقال ﷺ: والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية، إني وإياهم لأكرم الخلق على الله عز وجل، وما على وجه الأرض نسمة أحب إلي منهم!

أما علي بن أبي طالب فإنه أخي وشقيقي وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كل مسلم، وإمام كل مؤمن، وقائد كل تقى، وهو وصيي وخليفتي على أهلي وأمتي في حياتي وبعد مماتي. محبه محبي ومبغضه مبغضي، وبولايته صارت أمتي مرحومة وبعداوته صارت المخالفة له منها ملعونة!

وإني بكيت حين أقبل لأني ذكرت غدر الأمة به بعدي، حتى إنه ليزال عن مقعدي وقد جعله الله له بعدي، ثم لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تحضب منها لحيته في أفضل الشهور شهر رمضان، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روعي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربه جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما تزهو نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي أنظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار!

وإني لما رأيته ذكرت ما يصنع بها بعدي! كأني بها وقد دخل الذل بيتها، وانتهكت حرمتها، وغصبت حقها، ومنعت إرثها، وكسر جنبها، وأسقطت جنبها وهي تنادي: يا محمداه فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث!

فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية، تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة، وتتذكر فراقها أخرى، وتستوحش إذا جنها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى ذكره بالملائكة، فنادتها بما نادت به مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. يا فاطمة: اقْنِيتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ. ثم يبتدئ بها الوجد فتمرض، فيبعث الله عز وجل إليها مريم بنت عمران تمرضها وتؤنسها في علتها، فتقول عند ذلك: يا رب إني قد سئمت الحياة وتبرمت بأهل الدنيا فألحقني بأبي، فيلحقها الله عز وجل بي، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم علي محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها وعاقب من غصبها، وأذل من أذلها وخلد في نارك من ضرب جنبها حتى ألقى ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين.

وأما الحسن فإنه ابني وولدي، ومني، وقرة عيني، وضياء قلبي، وثمره فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة وحجة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني ومن عصاه فليس مني، وإني لما نظرت إليه تذكرت ما يجري عليه من الذل بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسّم ظمًا وعدوانًا فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته، ويبكيه كل شيء حتى الطير في جو السماء والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمي العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام.

وأما الحسين فإنه مني، وهو ابني وولدي، وخير الخلق بعد أخيه، وهو إمام المسلمين ومولى المؤمنين، وخليفة رب العالمين، وغياث المستغيثين، وكهف المستجيرين وحجة الله على خلقه أجمعين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وباب نجات الأمة، أمره أمري وطاعته طاعتي، من تبعه فإنه مني ومن عصاه فليس مني، وإني لما رأيته تذكرت ما يصنع به بعدي، كأني به

وقد استجار بحرمي وقبري فلا يجار، فأضمه في منامه إلى صدري، وأمره بالرحلة على دار هجرتي وأبشره بالشهادة، فیرتحل عنها إلى أرض مقتله، وموضع مصرعه، أرض كرب وبلاء وقتل وفناء، تنصره عصابة من المسلمين، أولئك من سادة شهداء أمتي يوم القيامة، كأني أنظر إليه وقد رُميَ بسهم فخرٍ عن فرسه صريعاً، ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً! ثم بكى رسول الله ﷺ وبكى من حوله وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثم قام وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي بعدي، ثم دخل منزله «!

فصول من الكتاب تتصل بهذا الفصل

نكتفي بما أوردناه في هذا الفصل، ونحيل القارئ الكريم على الفصول المتصلة به من الكتاب، اتصالاً وثيقاً، وهي:

الفصل الرابع والعشرون: صحيفتا قريش الملعونتان!

التاسع والثلاثون: ظلمات النبي ﷺ من قريش

الأربعون: أحقاد قريش وبغضها لبني هاشم!

الخمسون: أتم النبي ﷺ الحجة على أمته بالحسين عليه السلام!

الحادي والخمسون: أخبر النبي ﷺ عن ظلم أمته لأهل بيته عليه السلام بالتفصيل

الثاني والخمسون: أخبر النبي ﷺ أمته بأنها ستسقط في الفتن بعده مباشرة!

الرابع والخمسون: خلافتنا مع عبّاد قريش في العقيدة بالنبي ﷺ

السابع والخمسون: رزية الخميس ونجاح مؤامرة قريش ضد النبي ﷺ!

الثاني والستون: بذاءة قريش وكفرها في تعاملها مع النبي ﷺ!

الثامن والخمسون: حكم الأمة بعد نبينا ﷺ: طليق وعتيق وملعون ومأبون!



(تم المجلد الثاني من الجديد في سيرة النبي ﷺ والحمد لله رب العالمين).

الفهرس

الفصل الحادي والأربعون

- أجداد النبي ﷺ من إسماعيل الى قصي ٥
- إيمان آباء النبي ﷺ وأجداده الى آدم عليه السلام ٥
- لم يعبد قصي الأصنام ولا أجداد النبي ﷺ ٦
- واجنبي وبني أن نعبد الأصنام: دعوة عامة أو خاصة؟ ٧
- قبيلة جرهم وأبناء إسماعيل عليه السلام ١٠
- اختلاف أبناء إسماعيل كان سبب تفرق العرب! ١١
- أذن الله بهلاك جرهم فتسلطت أياد ثم خزاعة ١٢
- حكمت قبيلة أياد بن نزار مكة بعد جرهم ١٤
- ثم حكمت خزاعة فنشرت عبادة الأصنام في العرب! ١٥
- أخذت خزاعة ولاية البيت من بني إسماعيل! ١٦
- أعاد عمرو بن لحي عبادة أصنام ما قبل نوح ١٧
- علي عليه السلام يصف حب العرب لأصنامهم! ١٩
- لم يستوعب المؤرخون المدة من إسماعيل الى محمد ﷺ ٢٠
- لماذا قال النبي ﷺ: إذا بلغ نسي الى عدنان فأمسكوا! ٢٢

الفصل الثاني والأربعون

قصي الجد الرابع للنبي ﷺ ٢٤

٢٤..... جمع قصي قريشاً واستعاد حق أبناء إسماعيل عليه السلام

٢٩..... رواية البلاذري لقصة قصي

٣١..... أم قصي أزدية من عائلة أصيلة

الفصل الثالث والأربعون

عبد مناف الجد الثالث للنبي ﷺ ٣٤

٣٤..... إسمه المغيرة وليس عبد مناف ولم يعبد صنماً

الفصل الرابع والأربعون

هاشم بن عبد مناف الجد الثاني للنبي ﷺ ٣٩

٣٩..... هاشم الذي أخذ الإيلاف من قيصر لقريش

٤٢..... كيف أخذ هاشم الإيلاف لقريش من قيصر

٤٢..... شارك هاشم الملوك في تجارته

٤٣..... حسد أمية بن عبد شمس لعمه هاشم

٤٤..... أسس هاشم إطعام الحجيج

٤٥..... رتب هاشم حراسة مكة

٤٥..... تزوج هاشم من بني النجار

٤٦..... أولاد هاشم رضي الله عنهم

٤٧..... من هاجر مع النبي ﷺ من بني هاشم

٤٨..... روايتهم عن مدة عمر هاشم غير معقولة!

٤٨..... المظنون أن أمية واليهود قتلوا هاشماً بالسم

٤٩..... قضية قبر هاشم في مسجد حي الدورة بغزة

٥٩..... عبد مناف لم يدفن في غزة

٥٩..... المجلس الشيعي في فلسطين

- ٦١..... وعاد التشدد الوهابي مع قبر هاشم عليه السلام وزواره
- ٦٢..... بنو هاشم وبنو أمية: تناقض الخير والشر
- ٦٣..... لو لم يبق من بني أمية إلا عجوز شماء لبغت لدين الله عوجا
- ٦٣..... الشجرة الملعونة في القرآن
- ٦٣..... نلعن بني أمية قاطبة ونترك الإستثناء لله

الفصل الخامس والأربعون

- ٦٥..... **المُطَّلَبُ أَخُو هَاشِمٍ وَعَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
- ٦٥..... المُطَّلَبُ أَخُو هَاشِمٍ شَخْصِيَّةٌ اسْتِثْنَائِيَّةٌ
- ٦٨..... بنو المطلب وبنو هاشم واحد
- ٦٩..... أولاد المطلب بن عبد مناف

الفصل السادس والأربعون

- ٧٢..... **عَبْدُ الْمُطَّلَبِ الْجَدُّ الْأَوَّلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
- ٧٢..... سَمُّهُ عَبْدُ عَمِّهِ الْمُطَّلَبُ لِأَنَّهُ أَقْبَى بِهِ
- ٧٢..... أَلْهِمَ اللَّهُ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ أَنْ يَحْفَرُ زَمْرَمَ
- ٧٥..... حسدت قريش عبد المطلب وتحالفت ضده
- ٧٨..... استنجد عبد المطلب بأخواله لمنع ظلم أعمامه
- ٧٩..... عبد المطلب مع أبرهة قائد الجيش هدم الكعبة
- ٨٦..... وفد قريش برئاسة عبد المطلب لتهنئة سيف بن ذي يزن
- ٨٨..... كانت قريش تسمي عبد المطلب: إبراهيم الثاني
- ٨٩..... أولاد عبد المطلب رضي الله عنه
- ٩٠..... نَذَرَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ أَحَدَ أَبْنَائِهِ قَرْبَانًا لِلَّهِ تَعَالَى!
- ٩٣..... كان يعرف أن النبي الموعود حفيده يتيم عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الفصل السابع والأربعون

- القاعدة النبوية: دعوا مقادير الله تجري** ٩٧
- معنى مقادير الله وتدير الله تعالى ٩٧
- لا يكون شيء إلا بسبع مراحل أو سبعة شروط ٩٨
- الأئمة عليهم السلام بينوا معنى القدر ٩٨
- المقادير في حياتنا ثلاثة أقسام ٩٩
- مقادير الله وتديره بمعنى واحد ٩٩
- لو أن الناس رضوا بمقادير الله تعالى وتديره لتغير العالم ١٠٠
- دعوا الناس يرزق بعضهم بعضاً ١٠١
- هذا في السلوك العام، ومثله السلوك الفردي ١٠٢
- ترك النبي ﷺ مقادير الله تجري في الحسين عليه السلام ١٠٢
- تعامل نبينا ﷺ وأئمتنا أرقى من تعامل الأنبياء عليهم السلام ١٠٤
- ترك النبي ﷺ مقادير الله تجري في أمته ١٠٧
- ملاحظات ١٠٧

الفصل الثامن والأربعون

- التسليم للنبي ﷺ وأوصيائه عليهم السلام** ١٠٩
- صلوا عليه وسلموا تسليماً، وليس سلاماً ١٠٩
- مشكلة المسلمين معصيتهم لنبيهم ﷺ في حياته وبعد وفاته ١١٠

الفصل التاسع والأربعون

- بين النبي ﷺ مستقبل أمته بالتفصيل** ١١٣
- الإنكار والطمس منهج اليهود وقريش! ١١٣
- أنكرت قريش أنه أوصى لعلي أو تحدث عن الخلافة بعده أبداً أبداً! ١١٥
- تفننت عائشة في الإنكار! ١١٦
- وقال أهل البيت: الكتمان والإعلان يتبع المصلحة ١١٨

جعلت قريش رواية الطعن بأهل البيت عليهم السلام عن لسانهم! ١١٩

الفصل الخمسون

التحالف الثلاثي بعد فتح مكة: عمر وأبوبكر وسهيل ١٢٢

بدأ عمر بالدفاع العلني عن قريش يوم فتح مكة! ١٢٢

بعد حنين رجع عمر وحده الى مكة وعقد الصفقة مع سهيل! ١٢٢

قال عمر: أراد رسول الله ومنعته فكان ما أراد الله! ١٢٣

أنكر عمر وقريش مئات الأحاديث في انحراف الأمة وظلم العترة! ١٢٥

الحديث من مصادر غيرنا ١٢٦

الحديث من مصادرنا ١٢٧

المرّة الوحيدة التي جاء فيها النبي صلى الله عليه وآله الى بيت عمر! ١٢٩

الخطر فقط من الأئمة المضلين! ١٣٠

وصف علي عليه السلام حكماً بأنهم أئمة الضلالة والدعاة الى النار! ١٣١

الفصل الحادي والخمسون

أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن ظلم أمته لأهل بيته عليهم السلام بالتفصيل ١٣٥

أحاديث النبي صلى الله عليه وآله عن مستقبل أمته والعالم تبلغ مجلداً! ١٣٥

من نماذجه يوم أجهش النبي صلى الله عليه وآله بالبكاء! ١٣٦

ومن نماذجه يوم دخل أبوبكر وعمر أمام علي عليه السلام ١٣٧

أخبر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بما الأئمة صانعة به! ١٣٨

جيش أسامة الى مؤتة! ١٤٢

شكى علي عليه السلام قريشاً كما شكاه النبي صلى الله عليه وآله ١٤٣

وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في آخر ساعة من عمره الشريف ١٤٥

بعد رجوعه صلى الله عليه وآله من حجة الوداع أكد على أهل بيته عليهم السلام ١٤٦

أخبر النبي صلى الله عليه وآله أن علياً عليه السلام سيقا تل على تأويل القرآن ١٤٨

أمر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أن يعلن تهديده بقتال المرتدين! ١٤٨

- حديث أم سلمة عن الناكثين والقاسطين والمارقين ١٤٩
- حديث أبي أيوب عن الناكثين والقاسطين والمارقين ١٥٠
- أخبر النبي بما يجري على ابنته فاطمة وأبنائها ﷺ ١٥١
- أخبر النبي ﷺ بما يجري على الحسن والحسين ﷺ ١٥٩
- كان النبي ﷺ يخبر أهل بيته وخاصة بخط قريش ضدهم ١٦٠
- أخبر النبي ﷺ عن تكريم ابنته الزهراء ﷺ يوم القيامة! ١٦٤
- أخبر النبي ﷺ عن تكريم ولده زين العابدين ﷺ! ١٦٥
- أخبر النبي ﷺ عن ولده محمد الباقر ﷺ! ١٦٦
- بشر النبي ﷺ الأمة بالأئمة الإثني عشر من عترته ﷺ! ١٦٩
- أحاديث البشارة النبوية بالأئمة الإثني عشر عندنا متواترة ١٧١

الفصل الثاني والخمسون

- أخبر النبي ﷺ أمته بأنها ستسقط في الفتن بعده مباشرة! ١٧٥**
- قال لهم: إن الفتن على أبوابهم تنتظر وفاته! ١٧٥
- وأخبر أمته بأن الفتنة تبدأ بظلمهم لأهل بيته ﷺ ١٧٦
- وقالت الزهراء ﷺ صدق أبي ﷺ فقد سقطوا في الفتنة! ١٧٦
- وعملت قريش لتبعد أحاديث الفتنة عن عصر خلفائها! ١٧٧
- قادة الفتن أئمة مضلون دعاة إلى النار أخطر من الدجال! ١٧٧
- فشل رواة السلطة في تنزيه الصحابة عن الفتن! ١٧٨
- وتبلغ فتنهم أوجها بسفك دماء عترته النبي ﷺ ١٧٩

الفصل الثالث والخمسون

- أتم النبي ﷺ الحجة على أمته بالحسين ﷺ! ١٨١**
- أنكروا أحاديث النبي ﷺ بأن أمته سقتل ابنه الحسين ﷺ! ١٨١
- قرأ النبي ﷺ تعزية الحسين ﷺ وحذر قاتليه ومسبي قتله! ١٨٢
- المشهد العجيب بين النبي ﷺ وأمته! ١٨٣

أحاديث النبي ﷺ مطابقة لنص التوراة والإنجيل ١٨٣

الفصل الرابع والخمسون

خلافنا مع عبّاد قريش في العقيدة بالنبي ﷺ ١٨٥

لو كانت عقيدتنا في النبي ﷺ واحدة لما اختلفنا في الإمامة! ١٨٥

القرشيون أصحاب عقدة من بني هاشم حتى من أسلم منهم! ١٨٥

أصل المشكلة أن عمر قال: نقبل من السنة ونرفض! ١٨٨

أجمعت المذاهب السنية على أن النبي ﷺ يجهتد وقد يخطئ! ١٨٩

واقفنا الجبائي المعتزلي فرد مقولة اجتهاد النبي ﷺ ١٩٢

استدلت دار الإفتاء المصرية بآية يحكمان في الحرت ١٩٥

انتقص القرشيين قدر النبي ﷺ ورفعوا من قدر عمر وأبي بكر! ١٩٨

رفعوا عمر إلى درجة فوق العصمة وفوق النبي ٢٠٠

سؤالهم النبي ﷺ: أهذا منك أو من الله؟! ٢٠١

انتقصت قريش النبي ﷺ وجعلت تعظيم عمر ديناً يدان به! ٢٠١

الأخطاء النبوية والتصحيحات العمرية! ٢٠٣

الفصل الخامس والخمسون

أجمع علماء الشيعة على أن كل أفعال النبي وحي لا اجتهاد ٢٠٦

النبي ﷺ معصوم بلطف الله تعالى عن الخطأ والنسيان! ٢٠٦

منطق النبي ﷺ وفعله وسكوته بوحى ربه! ٢٠٨

أنواع الوحي الستة ٢٠٩

دلالة سكوت النبي ﷺ ٢١٠

ما ينطق عن الهوى رد على مشركي قريش وعلى منافقيها في المدينة ٢١١

ما ينطق عن الهوى: كلامه وحي واجب الطاعة! ٢١١

ارتكب الصحابة القرشيون الكذب لإبطال مرجعية سنة النبي ﷺ! ٢١٢

الفصل السادس والخمسون

- حذفوا من السيرة سيطرة قريش سنتين على مكة بعد فتحها ٢١٤
- خضعت قريش للنبي ﷺ عند فتح مكة ثم نقضت ذلك! ٢١٤
- دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً رحيماً ٢١٥
- عفا عنهم وأعطاهم الأمان ودعاهم إلى حرب النجديين معه ٢١٥
- سنتان من حكم سهيل بن عمرو لمكة حذفوها من السيرة! ٢١٦
- حكم سهيل مكة وشل عمل الوالي الذي عينه النبي ﷺ ٢١٧
- أعلن علي عليه السلام أنه سيقا تل قريشاً في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته! ٢١٩
- رغم كل هذا واصلت قريش أعمالها العدائية للنبي ﷺ! ٢٢٠

الفصل السابع والخمسون

- رزية يوم الخميس ونجاح مؤامرة قريش ضد النبي ﷺ! ٢٢٢
- المشكلة الأزمة عند قريش: لمن تكون خلافة محمد ﷺ؟ ٢٢٢
- جرائم علماء السلطة في تحريف حديث الرزية! ٢٢٩
- إحدى عشرة مسألة في حديث الرزية لم يستوفها الباحثون! ٢٣١
- أطول كلام لعلماء السلطة وعلمائنا في حديث الرزية ٢٣٣
- الشيعة فقط فسروا قوله ﷺ: فما أنا فيه خير مما تدعوني إليه! ٢٣٧
- إرادة النبي ﷺ شخصية وإرادة عمر إرادة الله! ٢٣٨
- نتائج مواجهتهم للنبي ﷺ على القرآن والسنة! ٢٤٠

الفصل الثامن والخمسون

- قال النبي ﷺ: يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة ٢٤٣
- استطاع النبي ﷺ أن يبلغ رسالته إلى قريش رغم أنفها! ٢٤٣
- هذه اللعنات والعقوبات لمن أعرض عن أهل البيت عليه السلام أو ظلمهم! ٢٤٥
- كره النبي ﷺ لما طفق سيل الطلقاء القرشيين في المدينة ٢٤٦

الفصل التاسع والخمسون

- النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه أرحم بهم من أنفسهم ٢٤٧
- ولاية الله تعالى على الناس وملكيته الكاملة الشاملة لهم ٢٤٧
- ولاية النبي ﷺ: الإيمان به وطاعته ٢٤٨
- أمر الله نبيه ﷺ أن يعطي ولايته على الأمة إلى الأئمة بعده ﷺ ٢٤٩
- أحاديث شريفة في مقامات النبي ﷺ والأئمة ﷺ ٢٥١
- ملاحظات من هذه الآيات والأحاديث ٢٥٢
- ناشد النبي ﷺ الأمة بآية: أولى بهم من أنفسهم ٢٥٥
- روى البخاري تفسير الآية مختصراً جداً! ٢٥٦
- ولم يرو البخاري ولا مسلم حديث الغدير! ٢٥٧

الفصل الستون

- غزوة كاملة أنكروها بغضاً بعلي عليه السلام! ٢٥٩
- غزوة بني سليم أو غزوة ذات السلاسل ٢٥٩
- كيف أخفت الحكومات هذه الغزوة وحرفوها؟ ٢٦٣

الفصل الحادي والستون

- بذاءة قريش وكفرها في تعاملها مع النبي ﷺ! ٢٦٧
- سماء القرشيون: ابن أبي كبشة وأبو كبشة زوج حليلة السعدية! ٢٦٧
- سماء المشركون ساحراً ومسحوراً وقالت عائشة إنه سحر ستة أشهر! ٢٦٩
- رد فرية السحر عن النبي ﷺ ٢٧١
- قالوا الدين قسمان: قسم وحي من الله وقسم من محمد! ٢٧٢
- وقالوا: يحايي ابن عمه علياً عليه السلام ويرفع خسيسته! ٢٧٣
- وقالوا: محمد في بني هاشم كنخلة في مزبلة! ٢٧٦
- بعد فتح مكة سكن ألوف الطلقاء المدينة وأفسدوا جوها! ٢٧٧
- قالوا والداه كافران وزعموا أنه قال لشخص: أبي وأبوك في النار! ٢٧٩
- رووا عن عمرو العاص أن النبي ﷺ تبرأ من آل أبي طالب! ٢٨٠

الفصل الثاني والستون

٢٨٣	نماذج من بلاغة النبي ﷺ !
٢٨٣	أنا أفصح من نطق بالضاد وأوتيت جوامع الكلم
٢٨٣	رسول الله ﷺ أفصح العرب وأبلغهم
٢٨٥	معنى قوله ﷺ: أوتيت جوامع الكلم
٢٨٨	أعطيت جوامع الكلم: قالها في مقابل النصوص اليهودية
٢٨٨	أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصاراً!
٢٨٩	من كلمات النبي ﷺ المبتكرة
٢٩٢	الأبعاد الثلاثة الأهم في كلام النبي ﷺ
٢٩٢	ما كُتب في بلاغة النبي ﷺ
٢٩٦	علي والزهراء وأئمة العترة عليهم السلام يتلون النبي ﷺ في البلاغة
٣٠٣	دراسة بلاغية لنماذج من كلام النبي ﷺ
٣٠٨	أحاديث مفسرة لهذا الحديث
٣١٣	رواية الطبري في تاريخه
٣١٥	رواية البلاذري
٣١٦	ملاحظات من الحديث

الفصل الثالث والستون

٣١٧	أم سلمة بطلة نساء النبي ﷺ بعد خديجة عليها السلام
٣١٧	ضرورة فهم صراع بطون قريش مع بني هاشم
٣١٨	بنو مخزوم أهم بطون قريش بعد بني هاشم وأمية
٣٢٠	تحدى أبوسلمة وأم سلمة الوليد بن المغيرة وأعلننا إسلامهما
٣٢١	كان أبوسلمة ابن أخت أبي طالب فحماء من مخزوم!
٣٢٢	زار النبي ﷺ أباسلمة وهو محتضر ودعا له
٣٢٣	أم سلمة أفضل أزواج النبي ﷺ بعد خديجة عليها السلام

- أم سلمة أرقى من بقية نساء النبي عدا خديجة ٣٢٤
- وصفت أم سلمة هجرة المسلمين الى الحبشة وصفاً بليغاً ٣٢٤
- وصفت هجرتها الى المدينة وكيف ردها بنو مخزوم! ٣٢٧
- كان النبي ﷺ يُعلم أم سلمة فحسدتها عائشة! ٣٢٨
- أحاديث أم سلمة ؓ مميزة بصدقها ودقتها ٣٣٠
- روت أم سلمة كل عقائد الشيعة ٣٣١
- روت أم سلمة: وصية النبي ﷺ لعلي ؓ ٣٣٣
- روت: أم سلمة أن أهل بيتي مصطلح خاص بالعترة ٣٣٣
- أراد عمر أن يبطل حقوق أهل البيت ؓ فردت عليه! ٣٣٤
- روت ثواب من تذكروا أهل البيت ؓ ٣٣٤
- أمانة النبي ﷺ على تربة الحسين ؓ ٣٣٥
- أمانة النبي ﷺ والأئمة ؓ ٣٣٦
- كانت أم سلمة تشتري العبيد وتعتقهم ٣٣٦
- انتصرت لعمار بن ياسر مقابل عثمان ٣٣٨
- جعلوا القب أم المؤمنين خاصاً بعائشة! ٣٣٩
- قالت عائشة: حزبي وحزب أم سلمة! ٣٣٩
- ردت أم سلمة على عائشة وروت مناقب علي ؓ ٣٤٠
- ردت أم سلمة زعم عائشة جواز رضاع الكبير! ٣٤١
- وتكلمت أم سلمة بعد خطبة فاطمة ؓ التاريخية ٣٤٢
- أوصت فاطمة ؓ بأن تشارك أم سلمة في جنازتها ٣٤٢
- نصحت أم سلمة عائشة نصيحة بليغة ٣٤٢
- رسالة أم سلمة الى أمير المؤمنين ؓ ٣٤٧
- يا حائط! ألم أقل لك ألم أنك! ٣٤٨
- أم سلمة آخر أمهات المؤمنين موتاً ٣٤٨
- أولاد أم سلمة الستة ٣٤٨

الفصل الرابع والستون

- من مقامات رسول الله ﷺ ونمط تعامل الناس معه ٣٥٠
١. كان في سرادق العرش في العالين ٣٥٠
 ٢. كان أول من أجاب ببلي في عالم الذر ٣٥١
 ٣. تاب الله على آدم ﷺ بتوسله بالنبي وآله ﷺ ٣٥١
 ٤. دعوة أبيه إبراهيم وبشارة الأنبياء ﷺ ٣٥١
 ٥. يجب على كل الناس الإيمان بالنبي ﷺ ٣٥٢
 ٦. وجوب طاعة النبي ﷺ ٣٥٢
 ٧. وجوب توقير النبي وتعظيمه ﷺ ٣٥٥
 ٨. حق رسول الله ﷺ أعظم من حق الوالدين ٣٥٧
 ٩. تعامل المؤمنين مع النبي ﷺ ٣٦٠
 ١٠. أنواع تعامل المشركين والمنافقين مع النبي ﷺ ٣٦٢
 ١١. من تعامل الأجلاف والحشنيين مع رسول الله ﷺ ٣٦٥

الفصل الخامس والستون

- تعامل النبي ﷺ مع الحيوانات والطيور ٣٦٨
- آيات قرآنية في نعمة الحيوانات علينا ٣٦٨
 - زين للناس امتلاك الحيوانات ٣٧٠
 - الأنعام نزلت الى الأرض من السماء! ٣٧٠
 - الحج مناسبة شكر الله على نعمة الأنعام ٣٧٠
 - أبطل الإسلام تشريعات الجاهلية في الأنعام ٣٧٠
 - نعمة حشرة النحل والعسل ٣٧١
 - قواعد نبوية في التعامل مع الحيوان ٣٧١
 - من معجزات النبي ﷺ مع بعض الحيوانات ٣٧٢
 - دفاع النبي ﷺ عن الحيوانات وأمره بالرفق بها ٣٧٤

٣٧٥	حيوانات مدحها النبي ﷺ
٣٧٧	ما ورد عنه ﷺ في القطه
٣٧٨	ما ورد في النهي عن قتل الخطاف
٣٧٩	ما ورد في النهي عن قتل القنبرة
٣٧٩	ما ورد في جواز قتل الحيوانات والحشرات المؤذية
٣٨٠	نهى النبي ﷺ عن أذى الحيوان والطير وذبحه لغير حاجة
٣٨١	كان النبي ﷺ يأكل اللحم
٣٨٢	نهى النبي ﷺ عن أكل اللحم نيئاً
٣٨٢	ما يؤكل من الطيور والسباع
٣٨٢	ما يؤكل من البيض والطير
٣٨٣	ما يؤكل من السمك

الفصل السادس والستون

٣٨٤	سياسة النبي ﷺ مع الأسرى
٣٨٤	آيات قرآنية في الأسرى
٣٨٥	أسر اليهود بعضهم لبعض!
٣٨٥	أكثر من أسرهم النبي ﷺ أسلموا أو تأثروا بأخلاقه ومعاملته
٣٨٦	ذاقت قريش سنين القحط لكنها لم تتضرع لربها!
٣٨٧	عزل أبوبكر ثمانية فاضطهده مسيلمة الكذاب!
٣٨٨	الرجل اليماني المجادل السخي
٣٨٨	رجع أسرى بدر كفاراً ما عدا ثلاثة
٣٩٠	خلاصة من كتاب الأسير في الإسلام
٣٩٥	معنى: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا
٣٩٦	رفع اليهود أسرى بني قريظة قيص عثمان!

الفصل السابع والستون

من تأثير القرآن في عهد النبي ﷺ	٣٩٨
بعض الآيات في فضل القرآن	٣٩٨
يتعجب النبي ﷺ كيف يقرأ القرآن ولا يشيب!	٤٠٢
شيبتي سورة هود: كلام كنائي بين النبي ﷺ وأبي بكر	٤٠٣
لو أظهر النبي ﷺ صوته بالقرآن لصعق الناس من حسنه	٤٠٤
كان أحياناً يقوم الليلة بآية من القرآن!	٤٠٥
كيف هزَّ القرآن وجدان العرب؟	٤٠٥
١. الوليد بن المغيرة رئيس بطن مخزوم	٤٠٥
٢. عتبة بن ربيعة زعيم بني أمية وعبد شمس	٤٠٨
٣. أسعد بن زرارة الخزرجي الأنصاري	٤٠٩
٤. وفد من علماء النصارى جاؤوا مع جعفر	٤١١
٥. أربعة من كبار الأدباء الملحدين	٤١٢
٦. الفيلسوف الكندي	٤١٣
المكي والمدني من القرآن قماش واحد!	٤١٥
كثرة الكذب والتناقض في رواياتهم لأسباب النزول	٤١٧

الفصل الثامن والستون

من أقوال علماء الغرب في النبي ﷺ والقرآن	٤١٩
من أقوالهم في النبي ﷺ	٤١٩
من أقوال الغربيين في القرآن	٤٢٦

الفصل التاسع والستون

الشدائد التي مر بها النبي ﷺ	٤٢٩
فهرس الشدائد التي مر بها النبي ﷺ	٤٢٩
الشدّة الأولى في حياة النبي ﷺ: نشأته يتيماً	٤٣١

- ٤٣٣ الشدة الثانية في حياة النبي ﷺ : فقدته لأمه ﷺ
- ٤٣٤ الشدة الثالثة في حياته ﷺ : فقدته جده عبد المطلب ﷺ
- ٤٣٥ الشدة الرابعة: مجموعة الشدائد في حصار الشعب
- ٤٣٧ الشدة الخامسة: فقدته خديجة وعمه أباطال ﷺ
- ٤٣٩ تأثير وفاة خديجة ﷺ على النبي ﷺ
- ٤٤٠ الشدة السادسة: لما ذهب ﷺ الى الطائف فردوه أسوأ رداً!
- ٤٤١ الشدة السابعة: لما رجع من الطائف وطلب جوار مطعم بن عدي
- ٤٤٤ الشدة الثامنة: لما زاد نشاط قريش لقتله بعد عودته من الطائف
- ٤٤٤ الشدة التاسعة: ليلة الهجرة لما طوقت قريش بيته لتقتله
- ٤٤٦ الشدة العاشرة: ليلة بدر أول معركة غير متكافئة مع قريش
- ٤٤٧ الشدة الحادية عشرة: في أحد لما فر أصحابه وتركوه لسيوف المشركين!
- ٤٤٩ أصعب اللحظات في حياة علي ﷺ!
- ٤٥٠ الشدة الثانية عشرة: لما جرح النبي ﷺ وجاءت فاطمة ﷺ
- ٤٥١ الشدة الثالثة عشرة: في أيام حفر الخندق وضنك المعيشة!
- ٤٥٣ الشدة الرابعة عشرة: في أيام محاصرة الأحزاب للمدينة
- ٤٥٤ طال الحصار فظهر المنافقون في أصحاب النبي ﷺ
- ٤٥٥ تأمر مرضى القلوب على النبي ﷺ مع الأحزاب!
- ٤٥٦ مبارزة علي ﷺ لعمر بن عبد ود
- ٤٥٨ الشدة الخامسة عشرة: لما تناقل المسلمون عن أمره في الحديبية!
- ٤٥٨ غضب عمر في الحديبية وانشق على النبي ﷺ!
- ٤٦٠ الشدة السادسة عشرة: لما انهزم المسلمون مرات في خيبر!
- ٤٦١ وصل علي ﷺ الى الحصن قبل الجيش!
- ٤٦٢ ذهب النبي ﷺ الى الحصن وبشره بنزول الوحي فيه!
- ٤٦٣ الشدة السابعة عشرة: لما انهزم المسلمون في حنين!
- ٤٦٤ الشدة الثامنة عشرة: لما ألقوا عليه الصخور ليقتلوه بعد تبوك!

- الشدة التاسعة عشرة: لما تخلفوا عن جيش أسامة! ٤٦٦
- الشدة العشرون: لما منعوه أن يكتب عهده! ٤٧٠
- أعلن النبي ﷺ في الحج اللعنة على من عصاه في أهل بيته! ٤٧٣
- ولما منعوه أن يكتب عهده أرسل علياً عليه السلام ليعلن لعنته! ٤٧٥
- الشدة الحادية والعشرون: الأيام الثلاثة الأخيرة أشد أيام حياته ﷺ! ٤٧٧
- في كل يوم كان يقول لجبرئيل: أجدني مغموماً مكروباً ٤٧٧
- حديث المغموم المكروب يجعل الولدان شيباً! ٤٧٨

الفصل السبعون

- إتمام النبي ﷺ الحجة على خصوم علي عليه السلام ٤٨١
- مواقف نبوية لرد خصوم علي عليه السلام ٤٨١
١. هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ٤٨١
٢. غضب النبي ﷺ من خصوم علي عليه السلام وأعدائه مرات ٤٨٢
- ومرة يقول لهم: علي مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي! ٤٨٦
- ومرة يقول لهم: من أحب علياً فهو مؤمن، ومن أبغض علياً فهو منافق ٤٨٧
٣. قدمت اليهم بالوعيد وأخبرتهم رجلاً رجلاً! ٤٨٨
٤. أخبرني رسول الله ﷺ بما الأمة صانعة بي بعده ٤٨٩
٥. وذهب النبي ﷺ إلى بيت عمر خاصة وأخذ بلحيته! ٤٩٠
٦. جاهدت من أمرني بمجاهده وسماهم لي رجلاً رجلاً ٤٩٢
٧. أخذ النبي ﷺ برأسيهما وقال لهما: إن لم تدريا فادريا! ٤٩٢
٨. وكأني بكما قد سلبتماه ملكه وتحاربتما عليه! ٤٩٣
٩. أمر النبي ﷺ الصحابة بأن يسلموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين ٤٩٥
١٠. ما لك تفضل علياً علينا: ما أنا فضلك بل الله فضله ٤٩٧
١١. وأتم الحجج بقوله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه ٤٩٨
- أخبر النبي ﷺ بما يجري على ابنته فاطمة وأبنائها عليهم السلام ٤٩٩
- فصول من الكتاب تتصل بهذا الفصل ٥٠٢

